11.12.2017

# المذكرات

## للأستاذ العلامة محمد كرد علي (١٨٧٦ - ١٩٥٣)

الجزء الخامس

تحقيق وشرح ودراسة

قيس الزرلي






# كتاب المذكّرات

## للأستاذ العلامة محمد كرد علي
## (1876-1953)

### الجزء الخامس


تحقيق وشرح ودراسة

قيس الزرلي



ifpo

المديرية العامة للتعاون الدولي والتنمية في وزارة الخارجية الفرنسية

دمشق

٢٠٠٨

# كتاب المذكّرات

## للأستاذ العلامة محمد كرد علي
## (1876-1953)

### الجزء الخامس

المعهد الفرنسي للشرق الأدنى

المديرية العامة للتعاون الدولي والتنمية في وزارة الخارجية الفرنسية
المركز الوطني للبحث العلمي – الوحدة USR 3135

فرع الدراسات العربية
ص ب ٣٤٤ دمشق، سورية

هاتف : ٣٣٣٠٢١٤ ( ١١ ٩٦٣ ) – فاكس : ٣٣٢٧٨٨٧ ( ١١ ٩٦٣ )
www.ifporient.org
diffusion@ifporient.org



PIFD : 253
ISBN : 978-2-35159-076-8

أخرج هذا الكتاب
في قسم المطبوعات في المعهد الفرنسي للشرق الأدنى
قسم الدراسات العربية
وتمت طباعته في مطابع ألف باء الأديب

( طبع في سورية، ٢٠٠٨ )

# فهرس عام

# شكر وتقدير

هذا الكتاب هو ثمرة عمل دؤوب استمر أربع سنوات (٢٠٠٤–٢٠٠٨) حظيتُ خلالها بمساندة العديد من الأشخاص والمؤسسات. لذا أود في هذا المقام أن أعبّر لهم جميعاً عن شكري وامتناني.

يذهب شكري أولاً للسيدين محمود وفواز كرد علي، حفيدي محمد كرد علي، اللذين تفضلا وعهدا إليَّ بمدوّنة مذكرات جدِّهما التي بفضلهما أنجزت عملي هذا. أرجو أن يتقبلا هذا الكتاب كاحتفاء بمحمد كرد علي بعد وفاته وكشاهد على صداقتي لهما.

استقبلني المعهد الفرنسي للشرق الأدنى (IFPO) مرات عديدة منذ سنة ١٩٩٨، لا سيما في إطار المنحة التي حصلت عليها للبحث في موضوع يتعلّق بقسم الدراسات العربية والقروسطية والحديثة (٢٠٠٥–٢٠٠٨)، كما أن إدارة المعهد المتمثلة بالسادة المدراء فلوريال سناغوستان وجان إيف لوبيتال وبيير لوري وفرانسوا بورغا على التوالي قد كانوا لي دعماً مستمراً في إخراج هذا العمل إلى النور منذ سنة ٢٠٠٤، فشكري لهم وللسيدة د. سراب أتاسي السكرتيرة العلمية للمعهد.

سنة ٢٠٠٧، عندما كان العمل الطباعي للكتاب قد حقق خطوات كبيرة، اقترحت عليَّ الأمانة العامة لاحتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٨ أن يتم إصدار هذا العمل بالتعاون بين المعهد الفرنسي والاحتفالية؛ ولثقتهما بما قمت به من عمل أتوجه بالشكر إلى السيدة د. حنان قصاب حسن، والسيد د. حسان عباس والآنسة يارا نصير.

أود أيضاً أن أشكر السيدة البروفسورة د. نادين بيكودو المشرفة على رسالتي للدكتوراه في تاريخ الشرق الأدنى المعاصر في جامعة باريس الأولى – السوربون منذ ٢٠٠٣، والسيد د. لوك ويلي دوفيلس، أستاذ اللغة العربية في المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية (INALCO)، اللذين شجعاني على إبراز قيمة هذه الوثيقة ضمن إطار الجامعة وساعداني بنصائحهما الحصيفة.

بوسع المعهد الفرنسي للشرق الأدنى أن يفخر بفريقه الرائع من باحثين وأساتذة؛ وأتوجه بالشكر لأولئك الذين منحوني مساعدتهم خلال فترات مختلفة من عملي في تحقيق الكتاب. وأخص منهم السيد د. جمال شحيد الذي ساعدني في قراءة بعض فقرات هذه المدوّنة وقام بترجمة المقدمة إلى اللغة العربية، وللسيدتين د. ريم الأطرش وديمة شكر، والسادة د. محمد باخوش ود. ماهر الشريف وعصام الشحادات. كل الشكر كذلك للسيد د. مأمون صاغرجي عضو مجمع اللغة العربية بدمشق الذي قام بقراءة متأنية للنص العربي المطبوع. وأخيراً للسيدة رنا دروس التي قامت بكل صبرٍ وتأنٍّ بإخراج الكتاب وإعداده للطباعة.

اسمحوا لي هنا أن أذكر السيد د. دومينيك شفالييه، الأستاذ بمرتبة شرف في جامعة باريس الرابعة – السوربون والباحث السابق في المعهد الفرنسي بدمشق، الذي وافته المنية يوم ١٢ أيار ٢٠٠٨، وفاءً لمؤرخ عالم قام في سنة ١٩٨٤ بدراسة ميدانية في دمشق، غنية بالمعلومات حول محمد كرد علي ضمن إطار حلقات إذاعية لصالح إذاعة France Culture.

قيس الزرلي

# مقدّمة [1]

## ١ ـ ولادة العمل ونشره:

عندما انكب محمد كرد علي على كتابة الجزء الأخير من مذكراته، وحدث هذا على الأرجح خلال عام ١٩٥١، وفي غمرة نشره الجزء الرابع، كان قد ناهز الخامسة والسبعين ووصل إلى نهاية حياة ثرّة شهدت الأحداث الكبرى التي وقعت في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين. فمنذ عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩) وحتى بدايات الاستقلال في سوريا، مروراً بثورة تركيا الفتاة في تموز ١٩٠٨، والحرب العالمية الأولى، ومملكة فيصل العربية، غطت حياة محمد كرد علي على هذا النحو حقبة تغير فيها النظامان الدولي والإقليمي رأساً على عقب عدة مرات. وكان كاتبنا شاهداً في أغلب الأحيان للحياة السياسية والثقافية في بلاد الشام، وأحياناً مساهماً في صنعها [2].

أولاً راقب تطور الأحداث، عندما كان تلميذاً درس على يد أساتذة من أمثال الشيخ طاهر الجزائري في دمشق، والإمام محمد عبده في القاهرة، وأيضاً عندما درس في مدرسة القديس منصور للآباء اللعازريين؛ ثم بدأ مسيرته في الترجمة والصحافة.

---

١. ترجمة د. جمال شحيّد.

٢. من بين المراجع المكرسة لحياة وأعمال محمد كرد علي، لا بدّ من ذكر: جمال الدين الآلوسي: محمد كرد علي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، ١٩٨٦؛ سامي الدهان: محمد كرد علي، حياته وآثاره، دمشق، مطبعة المجمع العلمي العربي، ١٩٥٥. ونشرت له أيضاً سيرة بالألمانية:

- HERMANN, Rainer, *Kulturkrise und Konservative Erneuerung: Muhammad Kurd Ali (1876 – 1953) und das geistige Leben in Damaskus zu Beginn des 20. Jahrhundert*, Frankfurt, Heidelberg Orientalische Studien, 1990.

وهناك بالفرنسية مقالتان مختصرتان عن حياته:

- DAHHAN, Sami, "Mohammed Kurd Ali (1876-1953) : notice biographique", dans *Mélanges Louis Massignon*, tome 1, Institut Français d'Etudes Arabes de Damas, 1956, pp.379-394.
- PELLAT, Charles, Article "Kurd `Alī", dans *Encyclopédie de l'Islam*, Leiden, Brill, 2e édition, 1986.

ولأنه كان يتقن التركية والفرنسية، بالإضافة إلى العربية، فقد أكبّ على ترجمة الأخبار القادمة من أسطنبول وباريس إلى العربية لغته الأم. ومع أن أباه كردي وأمه شركسية، فقد نشأ الشاب محمد كرد علي في اللغة والثقافة العربيتين في دمشق التي خطا فيها خطواته الأولى في الصحافة، فكتب في جريدتي «سوريا» وبخاصة في «الشام» (التي أسسها مصطفى واصف الصقليّ عام ١٨٩٦) والتي صار هو رئيس تحريرها حتى عام ١٩٠٠. وبعد أن أمضى سنوات عديدة في القاهرة (حيث عمل في أهم الجرائد والمجلات، كـ«المقتطف» و«المؤيد»)، عاد إلى دمشق حيث حظيت الصحافة بشيء من التحرر وأسس جريدته «المقتبس» في ١٧ كانون الأول ١٩٠٨. وقبل الحرب العالمية الأولى، اُعتُبرت هذه الجريدة من أهم الجرائد اليومية العربية في المنطقة. وبمساعدة أخويه أحمد وعادل، وبفضل مساعدة أصدقائه من الإصلاحيين، مثل شكري العسلي وعبد الرحمن الشهبندر ورفيق العظم ومحب الدين الخطيب وكثيرين آخرين، جعل من مطبعته الواقعة في خان المرادية مقراً لعمله النشيط وملتقى للمثقفين العرب الليبراليين (الأحرار) المناهضين لمركزية إسطنبول الإدارية وتتريك الإدارة والمحاكم والتعليم. وبهذا أصبح محمد كرد علي فاعلاً من الطراز الأول، وساهم في الجدل العام وفضح الفساد كلما وجب ذلك. وجرّ عليه هذا الأمر كثيراً من المتاعب مع سلطوية تركيا الفتاة؛ وأثناء الحرب العالمية الأولى اضطر محمد كرد علي إلى الانضمام إلى التيار الصحفي الذي عمل دعاية للألمان والعثمانيين[٣].

بعد أن أعاد الأمير فيصل له اعتباره عام ١٩١٩، تابع إصدار المقتبس وأسس مجمع اللغة العربية في دمشق، وهو المجمع الأول في العالم العربي. وبمساعدة علماء أجلاء في تلك الحقبة، من أمثال الشيخ الطاهر الجزائري (الذي توفي السنة التالية

---

٣. بالنسبة للدور الذي لعبه محمد كرد علي في إدارة مجلة وجريدة المقتبس، يستطيع القارئ أن يعود إلى المساهمات التالية:

- SEIKALY, Samir M., "Damascene Intellectual Life in the Opening Years of the 20th Century: Muhammad Kurd Ali and *Al-Muqtabas*", dans BUHEIRY, Marwan R. (dir.), *Intellectual Life in the Arab East (1890-1939)*, Beyrouth, 1981, p.125-153

- EZZERELLI, Kaïs, « Le publiciste et son journal en Syrie à l'ère de la révolution jeune-turque, entre engagement réformiste et pressions politiques : Muhammad Kurd `Alī et *Al-Muqtabas* (1908-1917) »

في مداخلة في مؤتمر اللقاءات العلمية المتوسطية التسعة، مركز روبير شومان التابع للمعهد الجامعي الأوروبي، فلورنسا ومونتيكاتيني، ١٢ - ١٥ آذار ٢٠٠٨ (النص جاهز على الشبكة لمن يطلبه).

للتأسيس)، وعبد القادر المغربي، وعيسى إسكندر المعلوف، وأمين السويد، تمكن محمد كرد علي من إرساء قواعد مؤسسة ساهمت مساهمة كبرى في إصلاح اللغة العربية، وفي طباعة النصوص القديمة، ونشر المعرفة العلمية والأدبية طيلة عقود طويلة. وحافظ على رئاسة المجمع طيلة حياته، باستثناء بعض فترات الانقطاع القصيرة، باثاً النشاط في اجتماعاته، وملقياً المحاضرات. كذلك نظّم متحف دمشق ومعروضاته القديمة، وكان رئيس تحرير «مجلة المجمع العلمي في دمشق» الشهيرة. بالإضافة إلى ذلك، لأن محمد كرد علي كان يشعر برسالة تعليمية للشعب، استلم وزارة المعارف مرتين إبّان الانتداب الفرنسي (١٩٢٠-١٩٢٢ و١٩٢٨-١٩٣٢). ومن هذا المنصب ساهم في وضع البرامج التعليمية والكتب المدرسية، وفي تأسيس عشرات المدارس، وإدخال الشهادة الثانوية إلى دولة سوريا. وعام ١٩٣٢ ترك الحياة السياسية، واختار من ثم أن يتفرغ تماماً لنشاطه العلمي: الكتابة والنشر وإدارة مجمع اللغة العربية في دمشق، وأيضاً المشاركة في مجمع اللغة العربية في القاهرة، واختير فيه عضواً منذ تأسيسه (سنة ١٩٣٢)[٤].

## أ ـ المسار السيرذاتي لمحمد كرد علي

تتميز أعمال محمد كرد علي بموسوعيتها وتنوّعها وابتكارها. ولأنه تأثر بنشاطه الصحفي وبالتراث الإصلاحي لعصر النهضة العربية، فقد عالج في كتبه ومقالاته الكثيرة مواضع لها علاقة بمواضيع شتى في الأدب والعلوم الإنسانية. ومع ذلك ننوه بتفضيله التاريخ والحضارات ومسائل المجتمع. ومن بين أكثر أعماله شهرة، نذكر «خطط الشام» بستة أجزاء (١٩٢٥ ـ ١٩٢٨)، وكتاب «الإسلام والحضارة العربية» (١٩٣٤)، وفيه رد على مقولات بعض المستشرقين، قبل إدوارد سعيد؛ وكتاب «دمشق، مدينة السحر والشعر» (١٩٤٤). وإلى جانب عمله كأديب ومؤرخ

---

٤. حول تاريخ هذين المجمعين وعملهما، يمكن العودة بخاصة إلى أحمد الفتيّح: تاريخ المجمع العلمي العربي، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٥٦. انظر أيضاً، باللغة الفرنسية:

- LAOUST Henri, et DAHHAN, Sami, "L'oeuvre de l'Académie Arabe de Damas (1921-1950) : notes bibliographiques", dans *Bulletin d'Etudes Orientales*, vol. 13 (1949-1951), pp.161-167.
- HAMZAOUI, Rached, *L'Académie de langue arabe du Caire : histoire et œuvre*, Tunis, Publications de l'Université de Tunis, 1975.

وكاتب محاولات، مارس محمد كرد علي نشاطاً مهماً في نشر النصوص، ولا سيما كتاب « رسائل البلغاء » ( ١٩٠٨ ) و« سيرة أحمد بن طولون » ( ١٩٣٦ )[٥].

وإذا كان هناك مجال أظهر فيه محمد كرد علي ابتكاراً خاصاً، فهو الأدب الشخصي. أولاً اقتبس من النماذج التقليدية لأدب الرحلة، ولا سيما في كتابه « غرائب الغرب » الذي ظهر بجزئين عام ١٩١٠ و١٩٢٣، وفي كتب التراجم كتاب « أمراء البيان » ( ظهر عام ١٩٣٨ )، فكان أحد أوائل الكتّاب السوريين الذين كتبوا بصيغة المتكلم؛ وفي هذه الكتب أورد ذكريات شخصية أو شهادات تتعلق بأحداث عاشها أو بأشخاص عرفهم. ومنذ عام ١٩٢٨ نشر في نهاية كتابه « خطط الشام » نبذة تتعلق بسيرته الذاتية في حوالي خمس عشرة صفحة، وألحقها عام ١٩٤٦ بكتاب عنوانه « أقوالنا وأفعالنا »، وهو كناية عن تقميش مقالات يحتلّ فيها أحياناً مكان الصدارة[٦]. ومع ذلك طوّر محمد كرد علي ميله لنوع السيرة الذاتية، عندما نشر الجزئين الأولين من « المذكرات » عام ١٩٤٨، فاستعمل بوفرةٍ صيغةَ المتكلم وأورد فيها طرائف شخصية، بأسلوب حرّ لم يكن معروفاً وقتذاك فأثار الدهشة لدى معظم معاصريه. وفي مستهل هذه المذكرات برّر نفسه قائلاً:

" كتبت كتباً كان الجدّ سُدَاها ولحمتها، وما جوَّزت لنفسي الحياد عن قوانين المؤلفين، ولا الصدود عن آيين المتقدمين والمتأخرين، وأريد هنا أن أنزع قيوداً أثقلتني وأنا أراعيها، وأن أبعد عن ذاك الطراز المقيد، وأخرج إلى هذا الأسلوب المطلق." [٧]

وفي عام ١٩٣٩ بدأ بكتابه هذا العمل الضخم ( ١٣٢٠ صفحة للأجزاء الأربعة الأولى ) ونشر جزئين منه، ثم ألحقهما بجزئين آخرين ( نشرا عام ١٩٤٩ و١٩٥١ على التوالي )؛ وفي آن ظهر الكتاب كسيرة ذاتية وشهادة حول شخصيات وأحداث تاريخية عاصرها الكاتب. وسرعان ما كان يتوقف عن سرد الأحداث حسب تسلسلها الزمني، ليورد مقاطع ذات وقع أخلاقي، وحكميات، وفصولاً ساقها على غرار المقالات العلمية المبسّطة. ولكن محمد كرد علي، بتركيزه على أحداث معيشة شهدها بنفسه، وباستعماله ضمير المتكلم، استكمل تلك الحركة المتناوبة بين الأنا والآخر والتي تشكّل ذلك الانتقال من كتابة السيرة إلى كتابة السيرة الذاتية[٨].

٥. انظر إحالات هذه الكتب في فهرس المصادر العربية.

٦. المرجع نفسه.

٧. المذكرات، الجزء الأول، ص ٣.

٨. أورد هذه العبارة، مع شيء من التغيير، عن فرانسوا دوس الذي يرى أن الكتابة السيرية هي

**ب ـ مشروع نشر الجزء الخامس من المذكرات:**

إن مشروعٍ استئناف نشر المذكرات في جزء خامس لم يرد بوضوح في الجزء الرابع، علماً بأن هذا الأخير لا يتضمن خاتمة وينتهي بفصل عن «الاستعمار الممقوت»[٩]، مما يترك انطباعاً بأن الكتاب لم ينتهِ. إلاّ أن الكاتب، في نهاية الجزء الثاني يذكر عزمه على استئناف عمله، دون أن يحدد عدد الأجزاء التالية التي نوى كتابتها. نستطيع الظن إذن أن محمد كرد علي فكر في متابعة هذا العمل السيرذاتي حتى الرمق الأخير[١٠]، ويبدو أن البرنامج كان يتضمن نشر جزء جديد[١١]. يضاف إلى ذلك أن الانتقادات الجديدة التي تصدّت للأجزاء الأولى من مذكراته قد شحذت الرغبة لدى محمد كرد علي في الرد، وفي تبرير نفسه حول بعض ملامح عمله، وفي توضيح معنى مشروعه الأدبي، كما ساق ذلك في الجزئين الثالث والرابع من المذكرات[١٢]. وبوسعنا أن نتصور تلهفه ليرى «الحق في الإجابة» يُنْشَر في جزء لاحق، كي يرد فيه على الانتقادات الجديدة التي تعرضت لها مذكراته.

إن مرض محمد كرد علي ووفاته (في ٢ نيسان ١٩٥٣) وضعا حداً للكتابة ولمتابعة مشروع نشر أي جزء جديد من مذكراته، وتركا العمل غير منتهٍ. وإذا فكرنا في حجم الـ١٨٦ فصلاً التي تركها الكاتب ـ وهو عدد يتجاوز حجم الأجزاء السابقة ـ يتبيّن لنا أن المشروع تقدّم فعلاً. ولكن التنضيد الأول بقي في أرشيف عائلة كرد علي، ونتساءل لماذا بقيت كل هذه المدة دون أن تنشر. غير أن المناسبات لم تَخْلُ، وبخاصة أثناء الاحتفال بالذكرى المئوية لولادة محمد كرد علي، أي في عام ١٩٧٦؛ وفي أعقاب هذا الحدث الثقافي الذي أدى إلى نشر كتاب جماعي لتكريم مؤسس المجمع العلمي في دمشق، أعيد طبع العديد من أعماله؛ كما نُشر فهرس عام لمجلة

---

«حركة نحو الآخر يتبدل فيها الأنا وينزع إلى بناء ذات أصبحت آخر»

(François DOSSE, *Le pari biographique : écrire une vie*, Paris, La Découverte, 2005, p. 11.)

٩. المذكرات، الجزء الرابع، ص ١٣١٨.

١٠. قال محمد كرد علي في فصل سابق من مذكراته بعنوان «لا تأليف ولا نشر» إنه مستعد لاستئناف الكتابة طالما تمكّن من الإمساك بالقلم (المذكرات، الجزء الرابع، ص ١٠٠٩ ـ ١٠١١).

١١. انظر سامي الدهان: محمد كرد علي، حياته وآثاره، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ١٩٥٥، ص ٤٨ ـ ٥١.

١٢. انظر بخاصة الفصلين التاليين: «الشدة في الإصلاح» (الجزء الثالث، ص ٩٩٠ ـ ٩٩٢)، و«الناقدون والناقمون» (الجزء الرابع، ص ١٣١٠ ـ ١٣١٥).

«المقتبس»، بالإضافة إلى معجم أعلام لم ينشره محمد كرد علي من قبل وعنوانه «المعاصرون»[١٣]. وحسب شهادة حفيديه محمود وفواز كرد علي يبدو أن مشروع نشر الجزء الأخير من المذكرات قد باشر به أبوهما طريف كرد علي (١٩١٩-٢٠٠٢)، وهو الابن الثاني لمحمد كرد علي، وكان إلى حدّ ما المؤتمن على أرشيف والده؛ ولكن هذه العملية أرجئت لمدة طويلة[١٤].

بعد أن قادتنا أبحاثنا لنيل الدكتوراه إلى العمل على شخصية محمد كرد علي وأعماله، تيسّر لنا أن نلتقي بأحفاد الكاتب عام ٢٠٠٤، فاقترحوا علينا الرجوع إلى مشروع النشر. وهذا العمل، الذي تمّ بدعم من إدارة الأبحاث القروسطية والمعاصرة والعربية في المعهد الفرنسي للشرق الأدنى (IFPO) في دمشق، أُعتبر كتقويم لمرجع لم ينشر بعد وبقي بعيداً عن متناول الجمهور. ويندرج هذا العمل فعلاً في أحد المحاور البحثية في الـ IFPO، وهو محور مكرّس لـ «التراث والذاكرة، كتابة التاريخ والإنتاج الثقافي». وقُدم المشروع الأول للنشر في كانون الأول ٢٠٠٥، في إطار ماجستير في الأدب العربي في المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية (INALCO) في باريس. ومن ثم استكمل هذا العمل استكمالاً أوسع، وأضيفت إليه فهارس وتعليقات تاريخية ستُدرج في هذا الجزء. إن الحدث الأهم المتمثل في «دمشق عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٨» يشكل مناسبة جميلة، إذ سيقدم للجمهور، بعد ٥٥ سنة من رحيل محمد كرد علي، الجانب الأخير من عمل رجل كان أحد كبار المؤرخين لسوريا ولدمشق وغوطتها، وكان أحد أعلام النهضة في القرن العشرين الذين شجعوا الآداب والفنون عندما كان يرأس المجمع العلمي في دمشق.

---

١٣. انظر «محمد كرد علي: مؤسس المجمع العلمي العربي»، دمشق، مطبعة الحجاز، ١٩٧٧؛ رياض عبد الحميد مراد: فهارس المقتبس، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٧٧؛ محمد كرد علي: المعاصرون، نشره محمد المصري، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠.

١٤. في بداية التسعينات اتصل محمود (ابن طريف) كرد علي بالكاتب السوري الشهير نجاة قصاب حسن الذي كان يعمل في إذاعة دمشق. وقال إنه مستعد لنشر العمل بكامله، ولكنه توفي قبل أن ينجز هذا المشروع. (في مقابلة بين محمود كرد علي والناشر، نيسان ٢٠٠٨).

## ٢ ـ عملية النشر وطريقة التقديم المعتمدة

### أ ـ الوضع الأول لمدونة النص

تتكوّن المدونة التي عملنا عليها أساساً من مجموعة متنافرة من الأوراق المكتوبة باليد أو المطبوعة أو المطبوعة على الآلة الكاتبة. هذا باستثناء مستلّة مجلّدة لها شكل نشرة صغيرة. وكانت الأوراق إما متناثرة (في ثلاث حالات) وإما مجموعة فيها من صفحتين إلى ست وعشرين صفحة مثبّتة بدبوس. والمجموعات الثماني والعشرون ـ التي سنسميها «ملفات» ـ شكّلت مدونتنا المرجعية، ونقطة انطلاق عملنا؛ فبدأنا بترقيمها حسب الترتيب الذي تبيّن لنا (ما عدا الفهرس الذي أدرج في البداية).
وتتميّز هذه الملفات بما يلي:

ـ ٥ ملفات لنصوص مكتوبة باليد (وهي الملفات رقم ١، ٥، ٧، ٩، ٢٦): والملف الأول كناية عن فهرس غير مكتمل بصفحتين؛ والملفات التالية تحتوي على نصوص يتراوح طولها بين صفحة و٩ صفحات، وهي مكتوبة بقلم الرصاص أو بقلم الحبر الأسود.

ـ ٤ ملفات هي نصوص مطبوعة: وأحدها (الملف رقم ٣) هو كناية عن مستلة (من مجلة كلية الآداب في جامعة الإسكندرية)، والملفات الأخرى (رقم ٢، ٦، ٨) اقتطعت من مجلات نشرت فيها (مجلة المجمع العلمي في دمشق، والهلال).

ـ ١٩ ملفاً ـ وتشكل الجزء الأكبر من المدونة ـ تتألف من أوراق مطبوعة على الآلة الكاتبة على ورق كربون، بحبر أسود أو أزرق. وبينها ملفان (الرقم ١٣ و١٤) يتضمنان مجموعة من الحكميات؛ وهناك ملفان آخران وهما نصا محاضرتين ألقيتا في الجامعة الأمريكية في القاهرة (الملف رقم ٢٤) والأخرى بثتها إذاعة باري (الملف رقم ٤)؛ وأخيراً الملف (رقم ٢١) ويحتوي على نص لمقالة نشرت بعد وفاة المؤلف في مجلة «الشرطة». والملفات الأخرى تشمل نصوصاً يتراوح طولها من صفحة إلى ١٧ صفحة[١٥].

الأوراق التي تحتويها هذه الملفات مرقمة أحياناً، إما باليد وإما على الآلة الكاتبة، ولكن في الحالة الثانية يجب التنويه بأن الترقيم ليس متسلسلاً بشكل دائم. وجميع النصوص دُقِّقت وصُححت بقلم الحبر أو بالرصاص (وباللونين الأحمر والأزرق)، وبعضها أضيفت إليه ملاحظات مكتوبة باليد. وتظهر هذه التصحيحات والتعقيبات

---

١٥. انظر الجدول الإزائي في تقديم المدونة، والمدرج لاحقاً (في ص ٢٤–٢٥) والصور التي تظهر فيها عيّنات من شتى الأشكال، في الملحق.

جدول إزائي يعرض مدوّنة الجزء الخامس من مذكّرات محمد كرد علي:
الحوامل، والمطابقات بين الملفّات والفصول، والأحجام، والتأريخ.

| أرقام الملفّات | طبيعة الحامل<br>- مخطوط (خ)<br>- مطبوع (ط)<br>- مطبوع على الآلة الكاتبة (ك) | أرقام الفصول (لائحة رئيسية) | أرقام الفصول (لائحة مكمّلة) | عدد الفصول | عدد الصفحات (أو الكراريس) | تأريخ<br>- كتابة<br>- نشر أوّل (ن)<br>- إعادة كتابة (إ) |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | خ (فهرس الكاتب) | — | — | — | ٢ | ١٩٥٢/١/٣ — ١٩٥٣/٤/٢ |
| ٢ | ط | — | م١ | ١ | ٢١ | ١٩٤١ (ن) |
| ٣ | ط | ٢٥ | — | ١ | ١٧ | ١٩٤٨ (ن) |
| ٤ | ك | — | م٢ | ١ | ١٣ | ١٩٣٤ — ١٩٤٣ ؟<br>(محاضرة إذاعة باري) |
| ٥ | خ | — | م٣ | ١ | ١ | بعد ١٩٥٢/٧/٢ |
| ٦ | ط | ٢٤ | — | ١ | ٢٥ | ١٩٤٠ (ن) |
| ٧ | خ | — | م٤ | ١ | ٩ | ؟ |
| ٨ | ط | ٣٩ | — | ١ | ٢٦ | ١٩٣١ (ن) |
| ٩ | خ | ١ | — | ١ | ٣ | ؟ |
| ١٠ | ك | — | م٥ | ١ | ١ | ١٩٥٢-١٩٥٣ |
| ١١ | ك | — | م٦ إلى م١٩ | ١٤ | ٦<br>+ ١ قفا (خ) | ١٩٥١/١١ — ١٩٥٢/١٠ |
| ١٢ | ك | — | م٢٠ إلى م٣٨ | ١٩ | ٨<br>(صفحات مرقّمة) | ١٩٤٨ — ١٩٥٢/١٠<br>(قراءة ثانية لاحقة ١٩٥٢/٧/٢٣) |
| ١٣ | ك | — | م٣٩ | ١ | ٦ | ١٩٤٩ — ١٩٥٢/١٠ |
| ١٤ | ك | — | م٤٠ | ١ | ٩ | ١٩٥١/٧/١٠ - ١٩٥٢/٧/٢٣ |
| ١٥ | ك | — | م٤١ إلى م٧٦ | ٣٦ | ١٦<br>(صفحات مرقّمة)<br>+ ٢ قفا (خ) | ١٩٥١/٥/١٥ — ١٩٥٢/١٠ |
| ١٦ | ك | — | م٧٧ إلى م٨١ | ٥ | ٢ | ١٩٥٢ — ١٩٥٣ |

| ١٧ | ك | — | م٨٢ إلى م١١٤ | ٣٣ | ١٧<br>(صفحات مرقّمة) | بعد ١٩٥٢/٧/٢٣ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ١٨ | ك | — | م١١٥ إلى م١٢٠ | ٦ | ٧ | ١٩٥٢ - ١٩٥٣ |
| ١٩ | ك | — | م١٢١ إلى م١٢٩ | ٩ | ٥<br>+ ١ قفا (خ) | بدأ من ١٩٤٧ |
| ٢٠ | ك | — | م١٣٠ إلى م١٤١ | ١٢ | ٤ | ١٩٤٥ — ١٩٥٢/١٠ |
| ٢١ | ك | — | م١٤٢ | ١ | ٣ | آذار/مارس ١٩٥٣ |
| ٢٢ | ك | ٢٦ إلى ٣٨ | — | ١٣ | ٥ | بدأ من ١٩٥٠ |
| ٢٣ | ك | ٦ إلى ٢٣ | — | ١٨ | ٨ | ١٩٥١/١١ — ١٩٥٢/١٠ |
| ٢٤ | ك | ٥ | — | ١ | ١٣ | ١٩٢٤ ؟<br>(محاضرة للجامعة الأميركية في القاهرة) |
| ٢٥ | ك | — | م١٤٣ | ١ | ٢ | بعد ١٩٥٢/٧/٢٣ |
| ٢٦ | خ | — | م١٤٤ | ١ | ١ | بعد ١٩٥٢/٧/٢٣ |
| ٢٧- أ | ك | ٣ و ٤ | — | ٢ | ٦ | بعد ١٩٥٢/١/٣ |
| ٢٧- ب | ك | — | م١٤٥ و م١٤٦ | ٢ | ٤ | بعد ١٩٥٢/٧/٢٣ |
| ٢٨- أ | ك | ٢ | — | ١ | ٢ | بعد ١٩٥٢/٩ (أ) |
| ٢٨- ب | ك | — | م١٤٧ | ١ | ٢ | ٢/١١ — ١٩٥٢/٩/٩ |
| **المجموع:**<br>**منه:** | **٢٨ ملفاً** | **٣٩ فصلاً** | **١٤٧ فصلاً** | **١٨٦ فصلاً** | **٢٤٢ صفحة**<br>**+ ٥ قفا (خ)** | **١٩٣١ — ١٩٥٣**<br>**+ ٤ غير معروفة** |
| **مخطوط (خ)** | ٥ ملفات | فصل واحد | ٣ فصول | ٤ فصول | ١٤ ص | فصلان لاحقان ١٩٥٢/٧/٢٣<br>+ ٢ غير معروفين |
| **مطبوع (ط)** | ٤ ملفات | ٣ فصول | فصل واحد | ٤ فصول | ٨٩ ص | ١٩٣١ — ١٩٤٨ |
| **مطبوع على الآلة الكاتبة (ك)** | ١٩ ملفاً | ٣٥ فصلاً | ١٤٣ فصلاً | ١٧٨ فصلاً | ١٣٩ ص<br>(منها ٢٦ صفحة في نصّي المحاضرتين)<br>+ ٥ قفا | ١٩٤٥ — ١٩٥٣<br>(معظمها ما بين منتصف ١٩٥١ ونهاية ١٩٥٢)<br>+ ٢ غير معروفين |

المكتوبة إما فوق الكلمات المصححة، وإما على الهامش، إن كانت كثيرة، أو على قفا الصفحة أو على ورقة منفردة لها رقم بثلاثة أعداد. وداخل الملفات «المطبوعة على الآلة الكاتبة»، تحتوي بعض الفصول على أرقام بالحبر الناشف لا تتطابق مع الأرقام التي حُددت لها في الفهرس. ويعني ذلك على الأرجح أنه بعد وفاة الكاتب، جرت محاولات لاحقة لإعادة تنظيم الفصول، ولكننا لا نعرف ما هو المنطق المتبع فيها.

## ب ـ التوثق من المؤلف وعمله:

إن وجود هذه المدونة في أرشيف عائلة كرد علي يشكل أول عنصر للتوثق من المؤلف. وتأتي مؤشرات أخرى لتؤكد أبوّة العمل وهويته بصفته: «الجزء الخامس من المذكرات».

### ب. ١. المؤلّف : محمد كرد علي

ذُكر اسم محمد كرد علي مرات كثيرة في المدونة، إما في الحواشي أسفل الصفحات بالنسبة للمقالات المطبوعة (وفي هذه الحالة، شطب المؤلف العبارة التي تتكلم بصيغة الغائب واستبدلها بعبارة في صيغة المتكلم)، وإما بتوقيع مطبوع على الآلة الكاتبة في نهاية النصوص التي تحتوي على صفحات عديدة (الفصلان ٥ م١٤٢)، أو فوق عنوان الفصل م١٤٣ («لخير مصر»). وفضلاً عن ذلك، نتعرّف بسهولة على الكتابة «النزقة» التي تميّز محمد كرد علي في النصوص المخطوطة وفي التصحيحات التي مهر بها النصوص المطبوعة أو المطبوعة على الآلة الكاتبة؛ وما علينا إلا أن نقارنها بعيّنات أخرى[١٦]. وبشكل لا مباشر، نستطيع التوثق من الراوي، في فصول عديدة، ونقول إنه المؤلف محمد كرد علي، لاسيما في القصص المذكورة بضمير المتكلم التي تروي أحداثاً من حياته الخاصة[١٧]. إذا تعمقنا في دراسة المفردات

---

١٦. بخاصة انظر صورة لصفحة إهداء كتبها محمد كرد علي (مقدمة "كتاب البيزرة")، مؤرخة في ١٢ آب ١٩٥٢، أوردها سامي الدهان في مقالته «محمد كرد علي (١٨٧٦ ـ ١٩٥٣): نبذة عن حياته»، الكتاب التكريمي للويس ماسينيون، المعهد الفرنسي في دمشق، ١٩٥٦، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣.

١٧. حول هوية المؤلف والراوي، التي طرحت في مقدمة المذكرات في إطار «ميثاق سيرذاتي»، انظر تحليلنا اللاحق (ص ٣٨–٤٦).

والصرف في هذا الكتاب لتعرفنا بالتأكيد على أبوته له، لأن محمد كرد علي قد طور أسلوباً شخصياً يتم التعرف عليه بوضوح[١٨].

بوسعنا أن نضيف تنويهين إلى هذه اللوحة. يتعلق التنويه الأول بمخطوط اقتبسه محمد كرد علي في المدونة (الفصل م٤) ودقّقه، ولكنه حافظ على بعض آثار الصياغة التي قام بها كاتبه الأول[١٩]. ويرتبط التنويه الثاني بأن معظم هذه النصوص قد طبعها شخص آخر على الآلة الكاتبة، ولا يوجد معها أي نص مسوّد لها، إما لأن هذه النصوص قد فُقدت (ونأسف لذلك إذ كان من الممكن مقارنتها بالنصوص المطبوعة على الآلة الكاتبة)، وإما لأن محمد كرد علي كان يملي مباشرة نصّ مذكراته لأمين سره[٢٠]. وفي كلتا الحالتين، بما أن المؤلف قد دقق وصحح جميع هذه النصوص، بقيت بعض الأخطاء المطبعية أو الأخطاء في نقل أسماء العلم والأحداث التاريخية، ونتساءل عن المسؤول عنها. ولكن هذا لا يشكك البتة في أبوّة الكاتب لعمله، بيد أنه يتساءل عن العلاقات القائمة بين هذا العمل ومؤلِفه.

### ب. ٢. العمل: الجزء الخامس من المذكرات

لا شك أن محمد كرد علي كان يُعِدّ نشر جزء خامس من مذكراته[٢١]. ولكن التوثق من بعض عناصر هذه المدونة على أنها جزء من كل يسمّى «الجزء الخامس من مذكرات محمد كرد علي» يطرح بعض التساؤلات. صحيح أن لدينا فهرساً مكتوباً باليد (الملف رقم ١) لا تثير تسميته («فهرس الجزء الخامس من المذكرات») أي التباس؛ بيد أن هذا الفهرس بقي ناقصاً، إذ لا يذكر سوى ٣٩ فصلاً (من أصل ١٨٦

---

١٨. انظر شهادة إبراهيم الكيلاني الذي قال عن أسلوب كرد علي: «إن جملته مصقولة ومحكمة تحتوي على القليل من الصور؛ إنها جملة مقتصدة تميل نوعاً ما إلى الانفعال»؛ أوردها دومينيك شوفالييه وجان مونتالبيتي في «تحقيق حول مثقف عربي من سوريا العثمانية: محمد كرد علي»، في برنامج إذاعي بثلاث حلقات بثته إذاعة فرانس كولتور في سلسلة «المجهولون في التاريخ» (بث الجزء الثالث في ٢٧ نيسان ١٩٨٤).

١٩. النص المخطوط الأصلي، بخط مختلف عن خط كرد علي، ذكر في العنوان الفرعي «بقلم إبراهيم سليم نجار»؛ أضف إلى ذلك أننا نجد فيه اسم محمد كرد علي مذكوراً بضمير الغائب (وهذه حالة فريدة في هذه المذكرات) ومختلف عن «صاحب هذه الذكريات».

٢٠. أي صهره ياسين الخانجي على الأرجح (وهو زوج بنته سعاد) الذي كان موظفاً لمدة طويلة في المجمع العلمي العربي؛ ولكننا لا نستطيع تأكيد ذلك تماماً.

٢١. انظر سامي الدهان: الكتاب المذكور.

فصلاً أوردتها هذه الطبعة ) وُزّعت على ٩ ملفات ( هي ٣، ٦، ٨، ٩، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٧، ٢٨ ) . أجبرتنا هذه العقبة على ترتيب نصوص المذكرات في جزئين: يضم الجزء الأول الفصول التي وردت في فهرس المؤلف؛ ويضم الجزء الثاني ١٤٧ فصلاً إضافياً وزعت على الملفات الثمانية عشر الباقية ( وعلى ملفين آخرين يحملان الرقم ٢٧ و٢٨، وهما مشتركان في القائمتين ) وحافظنا على الترتيب الذي وُجدت فيه أصلاً . ما عدا تواجد هذه النصوص في سلة واحدة من الوثائق، ما هي الإشارات الخارجية والداخلية التي تخولنا ضم هذه الفصول الأخيرة في الطبعة نفسها إلى الفصول الأولى، بتسمية مشتركة هي « الجزء الخامس من مذكرات محمد كرد علي »؟

أولاً هناك بضعة فصول من اللائحة الإضافية تذكر اسم العمل الذي تنتمي إليه، بشكل ملاحظات مكتوبة باليد أو مطبوعة على الآلة الكاتبة: "من مذكرات محمد كرد علي" في مستهل الفصل م١٤٣ ( الملف رقم ٢٥ )؛ "للمذكرات الجزء الخامس" في مستهل الفصل م٥ ( الملف رقم ١٠ ) . ثم إننا نجد في هذه المدونة عدّة فصول تذكر الأجزاء السابقة من المذكرات، إما للرد على الانتقادات ( الفصول ٢٩، م١٠٣، م١١٧ ) أو للتذكير فقط بمقطع يعالج موضوعاً مشابهاً ( الفصول م٢٦، م٣٢، م٤٠ ): هذه الأشكال الخارجة عن النص تضع الفصول التي تظهر فيها، وتوسعاً، تضع الملفات التي تندرج فيها هذه الفصول، في امتداد الأجزاء التي تم نشرها . وأخيراً، نرى أن الشكل الذي اعتمدته معظم الفصول في هذه المدونة، يطبع سمته على مذكرات كرد علي . فهي بعامة فصول قصيرة ( يتراوح طولها بين بضعة سطور و٩ صفحات ) لها عنوان؛ واثنان منها يضمان مجموعة من الحكميات ( الفصلان م٣٩، م٤٠ )، حسب شكل تم تبنيه في الجزء الرابع من المذكرات . واستطعنا أن نحدد ٣٤ فصلاً سيرذاتياً و٧١ فصلاً كشهادات، لا يمكن أن يوجد لها مكان إلا في المذكرات[٢٢] . وجميع هذه التوضيحات تضع النصوص الإضافية لمدونتنا، والتي لم يرد ذكرها في الفهرس، في خطّ الفصول السابقة لمذكرات محمد كرد علي .

هناك أيضاً عنصر آخر يتيح ربط نصوص هذه المدونة بمجموعة الأجزاء الأخرى لمذكرات محمد كرد علي . في تشرين الأول ١٩٥٢، نشرت مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق ـ تحت عنوان « سوانح »[٢٣] ـ ٤٨ نصاً مقتطعاً من مدونتنا . ويظهر هذا

---

٢٢ . انظر تحليلنا لهذه « المواقف الروائية » في قسم لاحق من هذه المقدمة ( ص ٤٣–٤٦ ) .

٢٣ . انظر محمد كرد علي « سوانح »، في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق، الجزء ٢٧، العدد ٤ ( تشرين الأول ١٩٥٢ )، ص ٥٠٤ ـ ٥١٩ .

العنوان في الفصل م٣٩ من هذا الجزء. ولكن إذا أنعمنا النظر في هذه المختارات نجد أنها تتطابق من جهة مع ٣٢ حكمية قصيرة وردت في الفصول م٣٩ (الملف رقم ١٣) وم ٤٠ (الملف رقم ١٤)[٢٤]، ومن جهة أخرى تتطابق مع ١٦ فصلاً قصيراً أدرجت في ٥ ملفات أخرى (وهي ١، ١٢، ١٤، ٢٠، ٢٣)[٢٥]. ولنذكر أن ذلك الشكل اعتُمد في مفتتح الجزء الرابع من مذكرات محمد كرد علي، لأن ٧٢ مقتطفاً من هذا الجزء الأخير قد نُشرت في المجلة نفسها وتحت عنوان «سوانح» نفسه، في كانون الثاني ١٩٥١، مع فارق بسيط، إذ هناك إشارة في أسفل إحدى الصفحات إلى نشر قريب للجزء الرابع[٢٦]. وعلى الرغم من غياب مثل هذا التنويه، إذا اتبعنا منطق المقايسة، نستطيع التعرف على النصوص المنشورة عام ١٩٥٢، والقول إنها جزء من المشروع السيرذاتي نفسه، على غرار المقتطفات السابقة التي نشرت عام ١٩٥١، وربطها بالجزء الخامس الذي كان قيد الإعداد.

قد تعصى ثلاثة نصوص على هذا التحليل، لأنها لا تحتوي على أي عنصر تعريفي مذكور آنفاً. ولكن بعض الإشارات غير المباشرة تسعى إلى ربط هذه النصوص بالجزء الأخير من مذكرات محمد كرد علي:

- الفصل م١ (الملف رقم ٢): كناية عن مقال وحيد مطبوع دققه وصححه المؤلف ولم يرد ذكره في الفهرس، ولكن تغيير الحاشية في أسفل الصفحة الأولى تشير إلى المصدر (وهو محاضرة لمحمد كرد علي) المعبّر عنه بصيغة المتكلم («محاضرة ألقيتها في مدرج الجامعة السورية») ويندرج هذا النص في مشروع سيرذاتي. ويدل حذف العنوان الفرعي في المقال الأصلي أثناء التصحيح على حرص المؤلف مؤاءمة هذا النص مع شكل المذكرات، لأن فصولها لا تتضمن عناوين فرعية.

---

٢٤. يتعلق الأمر بالمقاطع التالية (غير مرقمة في المدونة، وتفصل بينها خطوط أفقية): النصوص ٨، ١٠، ١٢، ١٥، ٢٣، ٣١، ٣٦، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٦١، ٦٢ من الفصل م٣٩ (الملف رقم ١٣)؛ و٧، ١١، ١٤، ١٦، ١٨، ٢٥، ٢٧، ٢٩، ٤٥، ٤٧، ٥٠، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٦٧، ٧٠ من الفصل م٤٠ (الملف رقم ١٤).

٢٥. يتعلق الأمر بالفصول ٩، ١٠، ١٣، ٢٢ (الملف رقم ٢٣)، وبالفصل م٨ (الملف رقم ١١)، وبالفصول م٢٣ و م٣١ و م٣٣ (الملف رقم ١٢)، وبالفضول م٤٣، م٤٤، م٥٥ و م٥٦ (الملف رقم ١٥)، وأخيراً بالفصول م١٣٥، م١٣٩ و م١٤٠ (الملف رقم ٢٠).

٢٦. انظر محمد كرد علي، «سوانح»، في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق، المجلد ٢٦، العدد ١ (كانون الأول ١٩٥١)، ص ١٥ - ٢٦. نقترح في صفحة لاحقة (ص ٣٥–٣٨) شرحاً لغياب هذا الذكر في الجزء اللاحق من تلك المجلة.

- الفصل م٢ ( الملف رقم ٤ ): نص المحاضرة المطبوع على الآلة الكاتبة لإذاعة باري لا يحمل أية إشارات تدرجه في المذكرات؛ ولكن هناك حاشية مكتوبة باليد في أسفل الصفحة الأولى، واستعمل فيها المؤلف ضمير المتكلم ( « من أحاديثنا تليت في راديو باري في إيطاليا » )، تعطيه بعداً سيرذاتياً، في حين أن القطوع العديدة داخل النص الأصلي تدل على حرص الكاتب على أن يحافظ على المقياس نفسه كما في الفصول الأخرى للمذكرات.

- الفصل م١٤٤ ( الملف رقم ٢٦ ): تاريخ الأحداث المذكورة في هذا النص المخطوط والمنعزل الذي يحمل العنوان التالي: « نتائج الثورة المصرية الأخيرة »، والتنويه إليها سابقاً في فصول أخرى من هذا المجلد، يتيح ربطها بمجمل النص.

**جـ ـ طريقة عرض المدونة:**

إن طريقة العرض المعتمدة في هذه الطبعة تنجم عما سبق، فهي تهدف إلى إبراز الوضع الأول للمدونة وجعل النصوص مقروءة وفي متناول القراء في آن.

وتنقسم هذه الطبعة إذن إلى قسمين كبيرين: يضم القسم الأول الفصول المفهرسة والمرقمة ( من ١ إلى ٣٩ )، ويضم القسم الثاني الفصول الإضافية، وتذهب أرقامها من م١ إلى م١٤٧ . بعض النصوص غير المكتملة وغير المعنونة في المدونة الأولى أو التي بقيت كمسودة قد استبعدت حالاً. عندما يكون أمامنا متنان لنص واحد ( الفصل م١٤٣ / الملف رقم ٢٥ )، اخترنا النص المكتمل الذي يتضمن أكبر عدد من التصحيحات. الجدول الإزائي المدرج أدناه يعطي فكرة عامة عن المدونة الأولى وعن تنظيم هذه الطبعة: ويدل على التوافق بين الملفات والفصول، وعلى التنظيم الداخلي لكل ملف ( عدد الفصول وعدد الصفحات ) ويعطي فكرة عامة عن شكل كل مستند ( مخطوط، مطبوع، مطبوع على الآلة الكاتبة ) داخل المجموع.

في بداية كل فصل، وتحت العنوان، تم التذكير بالأرقام المتتالية وبالملفات، وكذلك أشير إلى المستندات الوحيدة داخل ملفاتها الأصلية (أكانت مخطوطة أم مطبوعة أم مطبوعة على الآلة الكاتبة ) وذُكر عدد صفحاتها. وفي هذه الحالة، كتبت أرقام الصفحات الأصلية بين معقّفين في متن النصوص المطبوعة.

ووُضع نظام إشاري مبسط لمتن الفصول حسب النموذج التالي: التصحيحات والإضافات المكتوبة باليد ظهرت بين معقفين؛ المقاطع التي استحالت قراءتها في المدونة أشير إليها بصليب بين قوسين ومع ثلاث نقاط من هنا وهناك؛ الكلمات أو المقاطع غير المؤكدة رُقّنت بخط تحتها.

| [ النص ] | كلمة أو مقطع مكتوب باليد يصحح النص الأصلي أو يضيف إليه |
|---|---|
| ( . . . X . . . ) | كلمة أو مقطع ناقص ( تستحيل قراءتها في النص الأصلي ) |
| النص | كلمة أو مقطع غير مؤكد |
| [ 2 ] | ترقيم الصفحة الأصلي ( هنا، ص ٢ ) |

أُشير إلى الحواشي التي وضعها المؤلف في أسفل الصفحة وكُتبت بالقياس ١٢ الحاسوبي، لتمييزها عن الحواشي التي وضعها الناشر ( قياس ١٠ ). قلما تم مسّ النص الأصلي، حرصاً على الأمانة؛ أضيف التنوين والهمزة فقط كما أضيفت أخطاء الطباعة والكتابة وذكرت في أسفل الصفحة، قدر المستطاع.

**د ـ الجهاز النقدي : الفهرس ، الحواشي ، الملاحق :**

بعد ضبط النص حسب الأصول التي ذكرناها، سعينا لتسهيل عملية القراءة والاستخدام لدى الباحثين فوضعنا سلسلة من الفهارس والتعليقات ومسرد للمراجع والمستندات الإضافية.

وضعنا خمسة فهارس، حسب التبويب الأبجدي العربي : فهرس بأسماء العلم للأشخاص صنّف الأسماء العربية حسبما وردت في المدونة، وصنفت الشخصيات الأخرى حسب اسم العائلة ( وفي هذه الحالة نقلنا الاسم والشهرة بالأحرف اللاتينية )؛ فهرس جغرافي؛ فهرس بالطوائف والجماعات وأسماء القوميات والطوائف الدينية والسلالات والقبائل، الخ.؛ فهرس بالمؤسسات والجامعات والمنظمات الدولية والصحف والجمعيات، الخ.؛ وأخيراً فهرس بالمصادر التي استخدمها المؤلف، ويقدّم بشكل كامل المراجع والكتب والمقالات التي وردت في المدونة، مع التمييز بين المصادر باللغة العربية واللغات اللاتينية. وفي الفهارس الأربعة الأولى، ذُكرت أرقام الفصول المناسبة بحرف غامق عندما كان الاسم المفهرس مذكوراً في عنوان الفصل، وأُتبعت بنجمة عندما ورد الاسم المفهرس في حاشية في أسفل الصفحة داخل الفصل المذكور. والنجمة التي تلي أسماء الأشخاص تدل على أن لهؤلاء الأشخاص حاشية في ملحق الأعلام.

التعليقات النقدية المدرجة في أسفل الصفحة تحتوي على أربعة أنواع من المعلومات : إشارات تتعلق بالطباعة والكتابة ( لا سيما عندما يُقترح تصحيح معين )؛ معلومات عامة حول أسماء الأماكن والطوائف والمؤسسات، أو حول أسماء الأشخاص

الذين لم يذكروا في نبذة سيرية (في الملاحق)؛ إحالات إلى بعض المراجع، لا سيما عندما تكون هناك استشهادات؛ وأخيراً تعليقات تاريخية حول أحداث معينة.

في الملحق، نقدم سلسلة من النبذات السيرية القصيرة لمعاصري محمد كرد علي، من سياسيين وعلماء وفنانين ورد ذكرهم في المدونة (باستثناء بعض الشخصيات المشهورة) مركزين على العلاقة التي أقامها المؤلف معهم أو على الطريقة التي يقدمهم بها في مذكراته أو في معجم «المعاصرون» الذي صدر بعد وفاته. ووضعنا جدولاً أدرجناه في الملحق يشمل أسماء القبائل والمدن التي ارتبط بها النسب، وذُكرت سلسلتها في الفصل الخامس. ونقدّم أخيراً بعض الصور التي تظهر محمد كرد علي مع أقاربه في الفترة التي كتب فيها مذكراته، في دارته في قرية جسرين؛ وفي الملحق أيضاً عينات ومقتطفات من المدونة تُظهر تنوع الوسائل المستخدمة وأهمية التصحيحات التي أجراها المؤلف على النصوص المطبوعة.

## ٣ ـ تأريخ الكتابة وسياقها

### أ ـ التأريخ:

هناك إشارات عديدة تتيح تحديد الفترة الزمنية التي ألّفت فيها هذه المذكرات. قبل كل شيء، تحتوي المدونة إشارات واضحة وقليلة جداً في هذا الصدد: في الفصل٢ مثلاً، أضاف المؤلف على النص الأصلي مقطعاً مكتوباً باليد يذكر فيه أنه كتب ما سبق قبل سقوط حكومة بشارة الخوري في ١٩ أيلول ١٩٥٢؛ وهذا يدلنا على الفترة التقريبية لكتابة النص (قبل هذا التاريخ وبعده) وعلى الفترة التي أعاد فيها قراءته لها ونوّه بعد ذلك بالتصحيحات التي أجراها؛ في الفصل م٣٦ ذكر الكاتب بين قوسين أنه كتب هذا النص «قبل الثورة المصرية» (٢٣ تموز ١٩٥٢)، مما يدلّ على تاريخ الكتابة الأصلية وتاريخ إعادة قراءتها. في ما يتعلق بالنصوص المطبوعة، يقع تاريخ الكتابة بشكل طبيعي في تاريخ نشر المقالة أو قبله (١٩٣١ أو قبل، ١٩٤٠ أو قبل، الخ.)، ولكن من الصعب أن نعرف متى دُققت وصُححت لاحقاً.

وهناك إشارات زمنية أخرى تظهر في المراجع التي استخدمها المؤلف (الرسائل والمقالات والكتب): مثلاً رسالة فارس الخوري التي ينقلها محمد كرد علي بكاملها (الفصل ٤) مؤرخة في ٣ كانون الثاني ١٩٥٢، مما يشير إلى أن كتابة الفصل أتت بعد هذا التاريخ. وهناك ثلاثة كتب لمارون عبود ذُكرت في الفصل م٥ ونشرت عام ١٩٥٢. النص النقدي لوداد سكاكيني (المذكور في الفصل م١٠٣) ظهر في مجلة

« الثقافة » في أيار ١٩٥٢ . أمثلة أخرى من هذا القبيل تحدد بعامة كتابة القسم الخامس من المذكرات خلال السنتين ١٩٥١ و١٩٥٢ .

هناك تاريخ يذكر متى ألّف الكاتب الفصل م١٤٢ ـ وهو بعنوان « تصورات الشيوخ » ـ وأورده مصدر خارجي وهو مجلة « الشرطة » التي نشرت النص في عدد أيار ١٩٥٣ ، أي بعد وفاة محمد كرد علي بشهر، وذكرت أنه آخر نص كتبه مؤلفنا، قبيل وفاته ببضعة أيام، أي في نهاية شهر آذار ١٩٥٣ . وهذا التنويه يدفع إلى تأكيد الشهادات القائلة إن كرد علي بقي يكتب ( أو بالأحرى يملي نصوصه ) حتى الرمق الأخير[٢٧] .

هناك إشارة أخرى من هذا النوع نوهنا بها سابقاً ووردت في مختارات من مدونتنا نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق، في تشرين الأول ١٩٥٢ وأخذت شكل مقتطفات[٢٨] . لماذا لم يستفد المؤلف من هذه المناسبة ليعلن عن نشر لاحق للجزء الخامس من مذكراته، ويُفترض أن تجد فيه هذه المقتطفات مكانها ؟ هل هذا يعني أن المؤلف، قبل وفاته بأشهر، قد عدل عن نشر الجزء الجديد من مذكراته، نظراً لوجود سياق تاريخي يقبل بصعوبةٍ التعبير عن آراء حرة مثل آرائه؟ من الصعب تأكيد ذلك، ولكننا نذكر أنه ما من نص نشر في هذه « السوانح » له طابع سجالي، فجميع النصوص الواردة فيها ذات طابع حيادي وعام بحيث تتلاءم مع مجلة « أكاديمية » . يضاف إلى ذلك أن مقارنة النصوص المختارة بالنصوص المطابقة لها في المدونة تبرز النقطة التالية : لا تأخذ النصوص الأولى بعين الاعتبار التصحيحات التي أجراها على النصوص المطبوعة على الآلة الكاتبة، مما يدفع إلى الظن إنها متفوقة على نشر « السوانح » وترسخ الفرضية المذكورة آنفاً والمتعلقة بفترة القراءة الثانية للمدونة وتصحيحها ( بعد استقالة بشارة الخوري في أيلول ١٩٥٢ ) . وعلى الأقل يظهر أن تاريخ نشر هذه المقتطفات ( تشرين الأول ١٩٥٢ ) يشكّل الحد التأريخي الأعلى لكتابة النصوص التي تحتويها ( وللفصول والملفات التي ترتبط بها في مدونتنا ) .

أخيراً نرى أن أغلب الإشارات الزمنية تدور حول أحداث تاريخية ارتبطت بالفترة التي تمت فيها الكتابة : ويبدو أن تعليقات محمد كرد علي على هذه الأحداث، والتي

---

٢٧ . انظر شهادة طريف كرد علي في البرنامج الإذاعي الذي قدمه دومينيك شوفالييه وجان مونتالبيتي الآنف الذكر، ومقالة سامي الدهان المذكورة سابقاً، ص ٣٨٠ ـ ٣٩٤ .

٢٨ . انظر الحاشية ٢٣، ص ٣٨ .

كانت بنت ساعتها، هي تعليقات نفيسة للتأريخ، لأنّ الفاصل بين زمن التاريخ وزمن تأليف الكتاب قصير. وهكذا كتب فصولاً عديدة في غمرة وقائع الانقلاب العسكري للضباط الأحرار في مصر، في ٢٣ تموز ١٩٥٢ (انظر الفصول م٣، م١٠٨، م١٠٩ ومن م١٤٣ إلى م١٤٦)؛ ويذكر الفصل م١٦ بصيغة الماضي حكومة حسن الحكيم (التي سقطت في تشرين الثاني ١٩٥١)؛ وينوه الفصل م١٤٧ بالخطاب الحديث العهد لسامي الصلح بصفته رئيساً للوزراء، وهذا يشير إلى أن كتابة هذا النص تمت أثناء قيام حكومته الأخيرة قبل وفاة كرد علي (عاشت هذه الحكومة من ١١ شباط إلى ٩ أيلول ١٩٥٢)؛ ويقع الفصل م٤٠ بعد «الحرب الكورية الأخيرة» (أي بعد وقف إطلاق النار في ١٠ تموز ١٩٥١) وقبل ثورة تموز ١٩٥٢ في مصر، الخ.

الأمثلة الدالة على هذا النوع من التواريخ (انطلاقاً من المصادر أو من الأحداث التاريخية التي عاصرت الكتابة) كثيرة وتسمح، مع العناصر المبينة سابقاً، بتأريخ الكتابة لمجمل المدونة في الجزء الخامس (هذا إذا استثنينا نصوص المقالات الأربع المطبوعة ونص المحاضرتين، وتمثل وحدها ١١٥ صفحة من المدونة)، ويمتد هذا التأريخ من منتصف عام ١٩٥١ وحتى خريف ١٩٥٢. إذا انطلقنا من الفرضية القائلة: في كل ملف، إن النصوص المطبوعة على الآلة الكاتبة كُتِبت في مرحلة محددة بالذات، استطعنا تمديد تأريخ فصل واحد إلى مجمل الفصول التي تنضوي تحت ملف أصلي واحد. وحسب هذه الطريقة، نستطيع أن نحدد أو نعطي فترة زمنية دقيقة نسبياً لكتابة ٢٤ ملف من أصل ٢٨ في المدونة (أي ٢٠٩ صفحات من أصل ٢٤٧)[٢٩]. وبينها ٤ ملفات تمثل نصوص المقالات المنشورة ما بين ١٩٣١ و١٩٤٨؛ وهناك ١٥ ملفاً (تمثل ٩٣ صفحة و١٢٤ فصلاً) يمكن تأريخها بعد تموز ١٩٥١؛ وأخيراً هناك ٥ ملفات لها حد زمني ضعيف تقع ما بين ١٩٤٥ و١٩٥٠، وربما كُتبت في فترة الملفات السابقة نفسها. يصعب تحديد تاريخ دقيق للملفات الأربعة الباقية: نستطيع فقط أن نقدّر تاريخ كتابة نص المحاضرة التي بثتها إذاعة باري (الفصل م٤ / الملف رقم ٢) ما بين ١٩٣٤ و١٩٤٣ (وهي فترة كانت فيها هذه الإذاعة تبث برامج باللغة العربية).

---

٢٩. انظر الجدول التوليفي أعلاه. وحدها نصوص المحاضرات التي ألقاها في إذاعة باري (الملف ٤) وفي الجامعة الأمريكية في القاهرة (الملف ٢٤)، بالإضافة إلى نصين منفردين مكتوبين باليد (الملف ٧ و٩) تفلت حتى الآن من التأريخ الدقيق.

**ب- الظروف الشخصية:**

معظم فصول هذه المدونة (على الأقل ١٢٤ فصلاً من أصل ١٨٦) كتبت خلال السنتين الأخيرتين من حياة محمد كرد علي، مباشرة بعد أن نشر الجزء الرابع من مذكراته وأثناء نشره «كتاب البيزرة» المؤرخة مقدمته المكتوبة باليد في ١٢ آب ١٩٥٢)[٣٠]. وقد يفسّر تزامن هذين المشروعين بأن وقت المؤلف كان موزعاً بين مكانين بعد أن بني بيته الثانوي في جسرين عام ١٩٤٠، وهي قرية من قرى غوطة دمشق. وفعلاً كان يمضي في الشهر ١٥ يوماً في بيته في حي الروضة أو في المدرسة العادلية، مقر المجمع العلمي العربي الذي بقي مكلفاً برئاسته ومشرفاً على جلساته وعلى مجلته الشهرية، و١٥ يوماً في جسرين التي كان يستقبل فيها أقاربه وأصدقاءه، ويتابع عمله، وينشّط ما سمّاه «مجلس الوزراء» مع تلاميذه الذين كان يرعاهم في القرية، ويُعد منشوراته[٣١]. ونتصور أنه كان يتابع نشاطه النشري في دمشق، وفي إطار أكاديمي، وأنه ترك كتابة مذكراته لبيته الريفي في إطار غير رسمي. ونعلم أن محمد كرد علي كان خلال الأشهر الأخيرة من حياته يعاني من المرض، ويجد صعوبة في الكتابة، ولكن يبدو أنه لم يلجأ إلى سكرتير يطبع له نصوصه على الآلة الكاتبة إلا في إطار المجمع العلمي العربي. ونتصوره في آخر حياته ينهض باكراً من نومه، ويلتهم الصحافة اليومية والمجلات والكتب الصادرة حديثاً، ويقرأ بريده ويستمع إلى القصص التي كان أصدقاؤه ينقلونها له، وبينهم فارس الخوري وخليل مردم بك، ويكتب مذكراته ويراجع بروفاتها ويضع لها الفهارس، ويعمل بكدّ حتى النهاية.

**جـ- السياق السياسي:**

كتب محمد كرد علي جلّ الجزء الأخير من مذكراته ما بين ١٩٥١ و١٩٥٣، في سياق سياسي خاص يحمل نصُه بعض آثارها. وهذا يرتبط في سوريا بنهاية الفترة «البرلمانية» من حكم العقيد أديب الشيشكلي (الذي قام بانقلابه العسكري في ١٩ كانون الأول ١٩٤٩) وببداية الدكتاتورية التي دشنها الانقلاب العسكري الرابع في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٥١. في ذلك اليوم اعتقل الشيشكلي (الذي كان رئيس أركان الجيش)، رئيس الوزراء معروف الدواليبي ومعظم وزراء حكومته وعدداً من أعضاء

---

٣٠. انظر الحاشية رقم ١٦، ص ٣٦.

٣١. من شهادة عبد المالك الحمصي، أحد تلامذته، نقلها لنا في جسرين في ٢٢ أيار ٢٠٠٤. انظر أيضاً شهادات أقارب كرد علي التي ذكرها شوفالييه ومونتالبيتي، المرجع المذكور.

حزب الشعب الذي ناصبه العداء. بعد وقوع هذا الانقلاب الجديد قدم هاشم الأتاسي رئيس الجمهورية آنذاك استقالته، فاضطلع العقيد أديب الشيشكلي فعلاً بالسلطتين التنفيذية والتشريعية، مع أنه عين فوزي سلو رئيساً للدولة ورئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للدفاع. ومعظم فصول الجزء الخامس هذا التي كتبت في المرحلة البرلمانية، كان من الصعب نشرها في السياق السياسي الجديد في سوريا، إذ مُنعت الأحزاب وأنشئت رقابة على الصحافة، وأجريت عمليات تطهير في الإدارة والجيش والجامعة؛ ومنع أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق (ومدراء الجامعة ومصلحة الآثار) من إجراء أي اتصال مباشر بالخارج[٣٢].

في هذا السياق، يسعنا أن نفهم أن رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق ـ الذي عرف سابقاً مثل هذه التشنجات السياسية في الماضي (لا سيما في عهد دكتاتورية تركيا الفتاة، إبان الحرب العالمية الأولى) قد استعاد ردود أفعال تدعوه إلى الحذر. وربما نستطيع أن نفسر على هذا النحو إرجاء نشر هذا الجزء الأخير من مذكراته، واختياره ألا ينشر إلا بضعة فصول لا تمت إلى السياسة بصلة صدرت في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق. وعلى الأرجح فضّل محمد كرد علي أن ينتظر ليقرأ ردود الفعل الأولى على الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية التي بدأها النظام الجديد، كي يجد من جديد شيئاً من حرية التعبير، ليكشف النقاب عن آرائه، مع أنه بقي متوافقاً مع زمانه. ومن بين أعيان المرحلة البرلمانية الذين أقصاهم الشيشكلي، كان لمحمد كرد علي بينهم أعداء وأصدقاء أيضاً من أمثال هاشم الأتاسي وحسن الحكيم (ويدافع عنه في الفصل م١٦)؛ وفي بعض المقاطع من الجزء الخامس هذا، يشيد بحزب الشعب (الفصل ٣٦) ويرد الاعتبار لجماعة الإخوان المسلمين (الفصل م٤٠ [ص ٩])، وهما تنظيمان سياسيان منعهما النظام السياسي الجديد. ولهذه الأسباب، وعلى الرغم من تقدمه في السن، ونفوذه المعنوي، وصداقاته مع شخصيات من أمثال فارس الخوري (وكان مندوباً لسوريا في منظمة الأمم المتحدة ثم سفيراً في لندن، ورجلاً مقدّراً لدى الشيشكلي)، فإن محمد كرد علي لم يحصل بالتأكيد على الإذن بنشر هذا الجزء الخامس من مذكراته في سنتي ١٩٥٢ ـ ١٩٥٣. ومع ذلك فإن مدونة النص الذي ننشره تحمل سمة الإصلاحات التي باشر بها النظام الجديد: منع القمار، تطهير الإدارة، الإصلاحات الزراعية ومقاومة ملاّك الأراضي الكبار (وهي إصلاحات كان

٣٢. انظر باتريك سيل: الصراع على سوريا: دراسة السياسات العربية بعد الحرب، ١٩٤٥ ـ ١٩٥٨، منشورات جامعة أوكسفورد، ١٩٦٥، ص ٨٤ ـ ١٣١ (من النص الإنكليزي).

وراءها بخاصة أكرم الحوراني، أحد كبار المتحالفين مع الشيشكلي)، وهي إجراءات جيّرها لصالحه محمد كرد علي، بشكل مباشر أو لا مباشر، في مقاطع شتى من كتابه هذا [٣٣].

وفي هذا الجزء الخامس من المذكرات، هناك حدث آخر في السياق السياسي الإقليمي لا يمكن إلا إبرازه؛ ونعني بذلك الانقلاب العسكري الذي قام به الضباط الأحرار في مصر، في ٢٣ تموز ١٩٥٢، ويشغل هذا الحدث الفصول الأربعة قبل الفصل الأخير من هذا الجزء (من الفصل م١٤٣ إلى الفصل م١٤٦). ومحمد كرد علي الذي عرف مصر معرفة جيدة لأنه أقام فيها قبل ثورة تركيا الفتاة، ولأنه كان يتردد إليها بانتظام في إطار اجتماع مجمع اللغة العربية في القاهرة، أعرب فيها عن حماسه إزاء الإصلاحات التقدمية التي قام بها النظام الجديد، بقيادة محمد نجيب. والحال أن العقيد الشيشكلي كان من أوائل المسؤولين الذين هنأوه، وزاره في شهر كانون الأول ١٩٥٢، قبل أن تعيّن مصر عليٍ نجيب، وهو أخو الجنرال نجيب، سفيراً في سوريا. ومع أن محمد كرد علي كان مقرباً من الملك فاروق في عهده، إلا أن موقعه هنا تماشى مع الخطّ السياسي للنظام السوري. وكذلك الأمر عندما تبنى الموضوعات الكبرى للقومية العربية آنذاك، كالاستقلال إزاء القوى الأجنبية ودعم عملية إزالة الاستعمار في أفريقيا الشمالية.

في المحصلة، نستطيع القول إذن إن محمد كرد علي كتب هذا الجزء الأخير من مذكراته في سياق سياسي معين، أكان ذلك في سوريا أم في مصر أو لبنان، سياق تحمس له، نظراً للتغيرات والإصلاحات التقدمية التي رافقته. وإذا عدنا إلى الماضي رأينا أن نظام الأعيان البرلماني بدا له نظاماً محنطاً؛ وفي هذا يلتحق برأي الأجيال الشابة والفئات الاجتماعية الجديدة التي كتب لها مذكراته. إذا كان محمد كرد علي قد أرجأ نشر مذكراته، وتبنى موقف المترقب، أمكن القول إن ذلك ناجم عن تسارع الأحداث إبّان الشهور الأخيرة من حياته: ذلك أن الأحداث الراهنة كانت تقدم له كل يوم عناصر جديدة، وكان يصعب عليه أن يتبنى موقفاً محدداً ازاء عملية ما زالت

---

٣٣. انظر بخاصة الفصل م٦٧ حول الإصلاح الزراعي، وفيه يعبر كرد علي عن تأييده لها، ويرى أن "الحكومة الفردية العادلة" أكثر فعالية من "حكومة دستورية يكثر قولها ويقلّ عملها"؛ وليدعم رأيه هذا، استشهد بحكومتي حسني الزعيم وأديب الشيشكلي. وهناك وثيقة من المدونة تستند إلى قصاصات جرائد، وعنوانها «الثورة الرابعة» (الملف رقم ٢٦) كانت قيد الإعداد، ولكن وضعها غير المكتمل لم يخولنا نشرها هنا.

تتشكل. في بداية ١٩٥٣، وفي أعقاب توقيف عدنان المالكي وعدد من الضباط والسياسيين والمثقفين، ممن اتهموا بالتآمر على السلطة، فر إلى لبنان ثلاثة من حلفاء الشيشكلي، هم أكرم الحوراني وميشيل عفلق وصلاح الدين البيطار [٣٤]: ولم يكن الوضع السياسي غير المستقر مناسباً لنشر الجزء الجديد من المذكرات.

## ٤ ـ استكشاف الكتاب: بعض عناصر في التحليل الأدبي والتاريخي:

إن كتاب محمد كرد علي، شأنه شأن كتب مذكرات معاصريه التي نشرت في تلك الفترة، كتاب مركّب تخترقه تأثيرات عديدة وتجتمع فيه أنواع أدبية مختلفة. ولأنه سجالي وهاجم مباشرة بعض الشخصيات، فإنه أثار انتقادات عديدة دفعت محمد كرد علي إلى أن يحاول تبرير نفسه وإلى أن يحدد مشروعه السيرذاتي الذي أعلنه في مستهل الجزء الأول؛ فهذا الجزء يتضمّن في هذا المجال مقاطع شديدة التوضيح نقل فيها المؤلف بعض الانتقادات ومنح نفسه حق الرد عليها. إن تحليل هذه المقاطع التي لها مرجعية ذاتية تبرز تطور العمل، بالنسبة إلى المشروع الأول وتبرز بعض التناقضات، مما يدعو إلى التخمين بوجود مشروع ضمني يتسم بذاتية شديدة. ويتيح تحليل دور الراوي في هذا السرد المتعدد الأشكال، توضيحَ معنى هذا السرد ودوافعه، ويكشف النقاب عن تلاقي عدد من "المواقف السردية" داخله؛ هذا بالإضافة إلى البعد السيرذاتي للعمل. ويقدّم تحديد مثل هذه المقولات شبكة من القراءات والتأويلات التاريخية لهذه المذكرات، وعلى مستويات مختلفة.

### أ – عمل تطوري يقع بين التقليد والحداثة:

قبل أن تكون مذكرات محمد كرد علي عملاً سيرذاتياً بالمعنى المعاصر للكلمة، فإنها تندرج في تراث أدبي عربي كلاسيكي، أي تراث الأدب الدنيوي والأعمال المسلية والباعثة على اتخاذ العبر في آن؛ وهو نوع أطلق عليه «أمراء البيان» لقب الأدب أو الأدبيات، من أمثال ابن المقفع والجاحظ والتوحيدي الذين كرس لهم محمد كرد علي في باب «كتاب التراجم» كتاباً بهذا العنوان، سنة ١٩٣٧. ويرى تتز روك Tetz Rooke [٣٥] أن مذكرات محمد كرد علي ترتبط مباشرة بهذا التيار الأدبي الكلاسيكي،

٣٤. انظر باتريك سيل، الكتاب المذكور، ص ١٢٧.

٣٥. انظر المرجع التالي: ROOKE, Tetz, "The Influence of *adab* on the Muslim Intellectuals of the *Nahda* as Reflected in the Memoirs of Muhammad Kurd 'Ali (1876-1953)", dans UTVIK, Bjørn Olav and VIKØR, Knut S. (éd.), *The Middle East*

من خلال عدد من السمات، من بينها تنوع الأشكال الأدبية المستخدمة (انطلاقاً من القصة التاريخية ووصولاً إلى الحكميات، ومروراً برسم اللوحات وسرد الطرائف الشخصية والخواطر الفلسفية) وتنوع المواضيع المطروقة، والحس النقدي المنبعث منها، والرسالة التربوية والألعبانية المزدوجة، واستخدام الأسلوب الأدبي الأنيق، وغياب المخطط أو التسلسل الزمني في تنظيم القصة، والنظرة النخبوية (وربما نقول: الأبوية) التي ألقاها على المجتمع في عصره. يجب التنويه بأن كرد علي ذكر مصدر إلهامه هذا مرات عديدة، فأحال كثيراً إلى أعمال هؤلاء الأساتذة في مذكراته، بما فيها الجزء الخامس [٣٦]. ويبقى هذا الجزء موسوماً في شكله ـ على غرار الأجزاء السابقة ـ بالصفات المتميزة المذكورة آنفاً: فصوله قصيرة ومستقلة بعامة عن بعضها، دون نظام زمني متسلسل أو نظام دقيق الموضوعات، ذلك أنه يتطرق لموضوعات شتى معبراً عن إرادته الصريحة التعليمَ أو التسليةَ، عبر قصص فكاهية تحتوي على عبرة بشكل عام.

إلا أن مذكرات محمد كرد علي تتخلّص من هذا النمط مجددة إياه، فتستخدم نبرة شخصية بارزة. أي أن العبر المتضمَّنة هنا تستند إلى أحداث عاشها الكاتب في أغلب الأحيان، وكان شاهداً لها، أو أنها تستند إلى معلومات راهنة تناقلتها الصحافة. إن مسألة تصنيف المذكرات ضمن النوع السيرذاتي تبقى موضوع تساؤل، إن أكدنا على تعريف لهذا النوع الأدبي يتضمن تبني قصة متسلسلة زمنياً ـ بالإضافة إلى ذكر هوية الكاتب /الراوي، وهوية الراوي/الشخصية الأساسية ـ ويتضمن التأكيد على ولادة الشخصية، أو على قيمة التجربة الفردية [٣٧]. ولكن النقاد الذين عاصروا كرد علي، كمؤرخي الأدب العربي، اتفقوا على الاعتراف بنوع المذكرات عموماً، وبعمل محمد كرد علي خصوصاً، فوجدوا فيه الحداثة المقتبسة من الغرب. ومع أننا نجد فيه أصولاً ذاتية، كالتعليقات التي أوردها الحقوقيون العرب حول كلمة «مذكرة، مذكرات» التي تلخّص حجج أحد طرفي الدعوى القضائية لتسهيل عمل القضاة، إلاّ أن الترجمات العربية العديدة لمذكرات كتبها كتّاب غربيون، ابتداءً من القرن التاسع

*in a Globalized World*, Bergen, Londres, 2000, p. 193-219.

٣٦. انظر بخاصة الفصل م٢ الذي يحمل عنوان «الهزل في الجد»، وفيه يعرّف بمقولة يمكن مقاربتها بمقولتي «التهكم» و«الهجاء».

٣٧. وهذا تعريف للسيرة الذاتية حسب فيليب لوجون في كتابه «الميثاق السيرذاتي»، وأورده توماس فيليب بالنسبة للسيرة الذاتية العربية. انظر:

PHILIPP, T., "The Autobiography in Modern Arab Literature and Culture", in *Poetics today*, vol. 14, n°3, p. 573-604.

عشر، ساهمت كثيراً، على ما يبدو، في تطوير أدب المذكرات، التي تبلورت في الأدب العربي خلال الثلاثينات من القرن العشرين، وبلغت أوجها في منتصف القرن العشرين[٣٨]. وفعلاً نستطيع أن نلاحظ الفورة التي عرفتها دور النشر في ما يتعلق بهذا النوع الأدبي في العالم العربي، ولا سيما في المشرق، في الفترة التي نشر فيها كرد علي مذكراته. لنذكر على سبيل المثال سيراً ذاتية زامنتها، ومنها مذكرات أحمد أمين وفخري البارودي وعبد الرحمن الرافعي وفتح الله صقال وآخرين تكلم عنهم محمد كرد علي في هذا الجزء، ولنذكر أيضاً تأليف محسن الأمين في عام ١٩٥١ لجزء سيرذاتي يختتم فيه عدة أجزاء من قاموسه «أعيان الشيعة»[٣٩].

والغريب أن بعض المؤرخين ربطوا بالأحرى هذا العمل بنوع أدب المقالة الذي يصنفون فيه ما رواه محمد كرد علي عن رحلاته (وهي نوع من التقميش لتحقيقات صحفية كُتبت على منوال كتب الصحافي الفرنسي ألبير لوندر Albert Londres) وما قمّشه في مقالاته. وبعضهم يتكلم عن «أسلوب صحفي» للكاتب[٤٠]. وهذا التصنيف الناجم عن قِصر معظم الفصول وعن مضمونها الإعلامي في بعض الأحيان، قد ينطبق على جزء من هذا الفصل الخامس، ويبرز أيضاً الطابع التجديدي للعمل. ولكن لنذكُرْ أن التأثير الغربي الذي يتبناه محمد كرد علي نفسه في مستهل مذكراته ينطبق على استعماله ضمير المتكلم:

" كنت أحرص في هذه المذكرات على ألا أتكلم عن نفسي، وألا أقول قلت وفعلت، فتعذر ذلك لأن أكثر ما فيها مما سمعته أذناي، ورأته عيناي، ووعته نفسي،

---

٣٨ . انظر التنويه بالأصول التأثيلية والتاريخية لكلمة «مذكرات»: عدنان الخطيب في «محمد كرد علي: مؤسس المجمع العلمي العربي»، كتاب مذكور سابقاً؛ وانظر أيضاً تاريخ تطور هذا النوع الأدبي في مقالة توماس فيليب الآنفة الذكر.

٣٩ . لائحة هذه الكتب مدرجة في الفهرس العربي المخصص لها. أما بالنسبة للسيرة الذاتية لمحسن الأمين، فقد نشرت طبعتها العربية في دار رياض الريس، ١٩٩٩، وترجمها إلى الفرنسية وعلّق عليها سابرينا ميرفان وهيثم الأمين بعنوان: *Autobiographie d'un clerc chiite du Ǧabal ʿĀmil* من منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق، ١٩٩٨. ولنذكر أن محسن الأمين (١٨٦٧ ـ ١٩٥٢) كان عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق الذي كان يرأسه كرد علي؛ ويبدو أن هذا الأخير قد أثر في العمل السيرذاتي لمحسن الأمين، عندما كتب مذكراته بهذا الأسلوب الشخصي.

٤٠ . انظر سامي الدهّان، الكتاب المذكور، ومؤيّد عبد الستّار: السيرة الذاتية، دراسة نقدية، أوديفيلا، ١٩٩٦ (مقبوس أورده تتز روك).

فمن الصعب ذكره مجرداً من سامعه ورائيه وواعيه، وهوّن عليّ هذا الأسلوب أن رأيتني لم آت بدعاً، وتابعت طريقة من سبقوني من الغربيين في تدوين مثل هذه الارتسامات" [٤١]

من العسير علينا أن نحدد من هم الكتّاب الملمّح إليهم هنا، ولكننا نعلم أن محمد كرد علي كان يحب كتابات جان جاك روسو (ويعتبر كتابه «الاعترافات» الكتاب المؤسس للسيرة الذاتية الحديثة) وأناتول فرانس: ويخصص له في هذا الجزء فصلاً مطولاً؛ وفيه يستعيد نص مقالة كتبها محمد كرد علي في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق عام ١٩٣١، واقتبس فيها كثيراً من الكتب التي كتبها نيكولا سيغور وجان جاك بروسون عن مؤلف كتاب «تائيس» الشهير. وباستعمالهما الأسلوب المباشر مع أناتول فرانس وباستخدامهما ضمير المتكلم بصورة كبيرة فإنهما وضعا كتبهما بين السيرة والسيرة الذاتية[٤٢].

خلف مسألة التأثر الأدبي لمحمد كرد علي عندما كتب مذكراته، يسمح تحليل مشروعه السيرذاتي الأول (وتذكّراته في الجزء الخامس) والنظر في انتقادات معاصريه (وفي ردوده عليها) بفهم عمله المبتكر مقارنةً بالكتابات السابقة لكرد علي، وبإدراك حداثته في المشهد الثقافي السوري في منتصف القرن العشرين.

يُظهر تحليل مستهل الجزء الأول من مذكرات محمد كرد علي، الذي سنخوض فيه هنا [٤٣]، غنى المشروع السيرذاتي المقترح، وصعوبات تصنيف العمل: أهو سيرة ذاتية أم شهادة أم كتاب تعليمي ؟ أجل يقترح الكاتب فيه ميثاقاً سيرذاتياً حسب الأصول يتضمن إعلاناً عن صدق روايته للأحداث، وتماثلاً بين المؤلف والراوي، وبين الراوي والشخصية الرئيسية؛ ويَظهر هذا في الاستخدام الكثير لضمير المتكلم (الذي يُحيل إلى اسم الكاتب، كما يظهر على غلاف الكتاب). يضاف إلى ذلك أنه يُبرز قارئاً مثالياً («أبناء هذا الجيل والذي بعده»)، ويعلن عن محركَيْن، الأول شخصي

---

٤١. المذكرات، الجزء الأول، ١٩٤٨، ص ٣

٤٢. انظر الفصل ٣٩ من هذا الجزء: «مجالس أناتول فرانس»، وعناوين تلك الكتب في الفهرس المخصص للكتب.

٤٣. أسهبنا فيه في مداخلتنا «مذكرات محمد كرد علي بين السيرة الذاتية والشهادة وعمل التبسيط العلمي»، وستنشر في أعمال مؤتمر «السير الذاتية في بلاد الشام: موضوع للدراسة ومصدر للبحث في العلوم الإنسانية»، الذي نظمه المعهد الفرنسي للشرق الأدنى في دمشق في ١٩ و٢٠ حزيران ٢٠٠٧.

( يردّ على الذين ذمّوه ) والآخر جماعي ( إصلاح المجتمع بفضح بعض عيوبه )؛ ويتبنى أسلوباً أكثر حرية لا يعير بالاً لأشكال الإكراه المألوفة. وخصوصاً نراه يحدد عمله فيستعمل كلمات « مذكرات » أو « مذكرات شخصية » أو « ارتسامات » أو « تقييد »؛ وكذلك فإنه يصور نفسه بأشكال متناقضة، فتارة هو الرجل العادي، وطوراً هو المثقف الملتزم، ومُقِرّ العدالة، وأحياناً هو رجل في خريف العمر لم يعد له شيء يفقده؛ وهكذا يظهر تنوع الأطياف التي يسوقها في نصه. فعلاً نجد هذه الجوانب المختلفة في الأجزاء الأربعة الأولى من المذكرات وفي هذا الجزء أيضاً. يتابع كرد علي عمله « الخلاصي »، فيشن هجوماً صريحاً على بعض الأعيان؛ وبعامة يحافظ على موقف النضوج إزاء قرائه، فيكثر من التوصيات الأخلاقية في نهاية الفصول المخصصة لها. خلافاً للسيرة الذاتية كما حددها فيليب لوجون [٤٤]، لا يشدّد هذا العمل على ولادة شخصية المؤلف، وقلما يذكر العالم الحميمي ( العائلة، ولا سيما النساء اللواتي نادراً ما يتكلم عنهن بعد سنوات طفولته )، وسرعان ما يبتعد عن التنظيم الزمني المتسلسل في روايته؛ ذلك أنها تحبّذ البعدَ العام لشخصية كرد علي وتسجّل ذكريات الكاتب حسب ورودها في ذاكرته.

الانتقادات، العنيفة جداً أحياناً، التي تصدّت لمذكرات محمد كرد علي، بعد أن صدر الجزءان الأولان منها عام ١٩٤٨، تتيح التبين مباشرة من جدّة العمل [٤٥]. إنها تتعلق أحياناً بالشكل، ولا سيما الطابع الهزلي أو « السطحي »، وبغياب الرواية المتسلسلة زمنياً، أو بالأسلوب « الصحفي » أو الشعبي، وهذه أمور قد تقرّبها من الأعمال الخيالية ( كالروايات المسلسلة التي كانت رائجة جداً في مصر آنذاك ). وركّز جلّ هذه الانتقادات مع ذلك على المضمون، ولا سيما مهاجمة بعض الشخصيات العربية كبعض شهداء الحرب العالمية الأولى ورجال السياسة والكتّاب؛ واعتبرت هذه المهاجمات مفرطة ونافلة وكيدية ( لأن المؤلف هو حَكَم وطرف في آن ) وتسيطر عليها المشاعر الشخصية. ورأى المنتقدون أن الطابع السجالي لبعض فصول المذكرات يسيء

---

٤٤ . انظر المرجع التالي : LEJEUNE, Philippe, *Le pacte autobiographique*, Paris ; Le Seuil, 1996 (1975), p. 14.

٤٥ . انظر بخاصة المقالات التالية : أحمد أمين: « مذكرات الأستاذ محمد كرد علي »، في مجلة الثقافة، القاهرة، المجلد ٢، العدد ٤٥٢ ( ١٩٤٩ )؛ محمد بهجت الأثري: « المذكرات »، في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق، الجزء ١ ( ١٩٥٠ )، ص ٣٤٩ ـ ٣٥٦؛ وداد سكاكيني: « حول المذكرات » في مجلة الكتاب، المجلد ١١، العدد ٥، ( أيار ١٩٥٢ )، ص ٦١٠ ـ ٦١٢.

لمجمل العمل، لا بل يصم شخصية محمد كرد علي فاتهموه باللجوء إلى الأساليب المنحطة وبتهافت أفكاره.

وبدل أن يمارس محمد كرد علي حقه في الإجابة عن طريق الصحافة، فضل التصدي لهذه الانتقادات في الأجزاء التالية لمذكراته. ومن جديد، هناك فصلان في الجزء الخامس مكرسان لهذه الغاية (الفصلان م١٠٣ وم١١٧)[٤٦]: ويأخذ الكاتب على عاتقه مهاجماته الشخصية التي رآها ضرورية وصحية؛ وذكّر بأنه يقوم بعمل إصلاحي عندما يحاول أن يخلّص المجتمع من طفيلياته، ورأى أن الدواء قد يكون مراً في بعض الأحيان. ولكنه بخاصة يوضح معنى عمله: لم يشأ أن يكتب عملاً تاريخياً وإنما عملاً مختلفاً عن أعماله السابقة، دون الإغراق في شطح الخيال والعاطفية. لقد تبنى موقف الشاهد، أكثر منه موقف الممثل، وبناءً على ذلك أجاز لنفسه إبداء بعض الآراء النقدية؛ بيد أنه مسؤول عن الانتقال من الكتابة «الموضوعية» إلى الكتابة «الشخصية». وتدلّ هذه المواقف المتناقضة، كما يبدو، على تعقّد العمل والمشروع الذي يحمله. لا سيما وأننا نتلمس في هذا العمل الدوافع غير المفصح عنها والتي تعبّر عن وجود مشروع سيرذاتي ضمني، ألا وهو رغبته في أن يرد اعتباره له عقب الانتقادات التي تعرّض لها محمد كرد علي بسبب دوره السياسي خلال الحرب العالمية الأولى وفي فترة الانتداب الفرنسي على سوريا. لهذا العمل بُعد دفاعي، مع الرغبة في أن يعترف به بين العلماء[٤٧].

إن تطور المعاني الصريحة والضمنية وتنوعها، وهي المعاني المرتبطة بهذا العمل، يدعو إلى إخضاعه لتحليل نقدي داخلي، ويبدو أن دراسة مكانة الراوي في القصة هي جانب مهم في هذا الصدد، إذا ما أتاحت توضيح الرؤى الخاصة التي تبناها الكاتب / الراوي إزاء القصة التي يرويها.

### ب - دراسة العلاقات بين الكاتب / الراوي والقصة:

هنا نهتم بالقصة، طبقاً لثلاثة مفاهيم ذكّر بها جيرار جينيت، وهي («الدال، والقول، والخطاب أو النص السردي»، «المضمون السردي، وهو تتالي أحداث يستند إليها الخطاب»، «فعل النطق الذي ينتج القول»)؛ ونركّز على العلاقات بين الراوي

---

٤٦. الفصلان اللذان يحملان العنوانين التاليين: «نقد أدبية» و«رأي في المذكرات».

٤٧. انظر تحليلنا لهذا المشروع الضمني في مداخلتنا: «مذكرات محمد كرد علي بين السيرة الذاتية والشهادة وعمل التبسيط العلمي» المذكورة آنفاً.

(السارد) والقصة من جهة، وبين القول السردي (وجينيت يقلّص استعمال كلمة «قصة») والقصة (المضمون السردي) من جهة أخرى، وذلك من خلال مقولات «الأصوات» (ولا سيما حضور الراوي في القصة) و«الشكل» (المسافة والمنظور اللذين اعتمدهما مع القصة)، وأيضاً من خلال المواضيع المطروقة في القصة[٤٨]. في ما يتعلق بمذكرات محمد كرد علي، رأينا أن التماهي بين الكاتب والراوي والشخصية الرئيسية قد تم في المستهلّ؛ وهذا ينحو إلى ربط العمل في مجمله بالنوع السيرذاتي، مع أنه لا يركز على الحياة الشخصية لكاتبها، كما يقضي التعريف الذي أورده فيليب لوجون[٤٩]. إن صعوبة تحديد الوضع الانتمائي لهذا العمل، بالإضافة إلى التقطيع الخاص إلى فصول مستقلة عن بعضها يدعو إلى النظر في هذه الفصول كل بمفرده لنوضح في كل منها مكانة الكاتب/الراوي داخل القصة (وبخاصة مكانته كشخصية رئيسية) من جهة، ومن جهة أخرى، لنبيّن أنواع العلاقات القائمة بين الكاتب/الراوي والقصة التي يرويها. وفي هذا الشأن، نهتمّ بدايةً وفي كل فصل من فصل الجزء الخامس هذا، باستعمال ضمير المتكلم (المفرد أو الجمع) وعَرَضاً، باستعمال ضمير المخاطب، كما نهتم بالتماهي (أو عدم التماهي) بين الكاتب/الراوي وإحدى شخصيات القصة.

كان حرصنا الأول هو إجراء تمييز شكلي بين الفصول التي ترتبط بالنوع السيرذاتي، وبين الفصول التي لا ترتبط بها، كي نتمكن من تقدير البعد (أو الجانب) السيرذاتي للعمل. واعتبرنا الفصول «السيرذاتية» تلك التي يَظهر فيها الكاتب/الراوي الشخصية الرئيسية (لا بل إحدى الشخصيات الرئيسية) في القصة (الراوي كشخصية رئيسية): وبدا لنا أن هذه الحالة تنطبق على ٣٤ فصلاً في الجزء الخامس هذا (من أصل ١٨٦)[٥٠].

من تحليل الفصول الـ ١٥٢ الباقية، نتبين جملة مهمة من المواقف، حسب حضور الكاتب/الراوي في القصة التي يرويها (الراوي داخل القصة) أو غيابه عنها (أي الراوي خارج القصة). في الحالة الأولى، قد يكون الكاتب/الراوي شخصية ثانوية أو شاهداً فقط على الحدث. في الحالة الثانية، ودون أن يكون الكاتب/الراوي حاضراً في القصة الرئيسية، فإنه يتحول إلى معلّق منتقِد، أو ناقل بسيط للحدث

٤٨. انظر المرجع التالي: GENETTE, Gérard, *Figures III*, Paris, Le Seuil, 1972, p. 72, 183-224, 225-267.

٤٩. المصدر المذكور.

٥٠. انظر تفصيل هذه الفصول في الجدول ١ و٢ لاحقاً.

( شاهد لا مباشر )؛ فالحدث الذي يُروى له يشكّل المستوى الحكائي الأول ( « القصة » في روايتها الأولى ) الذي يستطيع فيه أن يظهر. أضف إلى ذلك أن الكاتب/الراوي حتى إذا كان خارج القصة، يستطيع أن يَظهر بشكل لا مباشر، من خلال المعالجة الذاتية لموضوع « حيادي » ظاهرياً. إن دراسة التواتر في استخدام ضمير المتكلم قد تُبرز أيضاً تباينات نوعية في العلاقة بين الكاتب/الراوي وبين القصة التي يرويها. ويشير تقاطع هذه المعايير المختلفة ( استخدام ضمير المتكلم؛ التماهي أو عدم التماهي بين الكاتب والراوي وإحدى الشخصيات؛ وجهة النظر المعتمدة حول القصة؛ المواضيع المطروقة ) إلى تعدد في المواقف، حسب فصول الكتاب.

دون الدخول في هذه الحالات السردية، بدا لنا من الممكن، في وقت لاحق، أن نقترح خمسة أنواع رئيسية من العلاقات بين الكاتب/الراوي وبين القصص التي يرويها في كل فصل، تحدد تجريبياً عدداً من المقولات، وتمزج بين المعايير المختلفة المذكورة أعلاه، وهذا ما أطلقنا عليه عبارة « المواقف السردية ». وهي مواقف يمكن اعتمادها داخل كل فصل، إما كمواقف وحيدة، أو كمواقف أساسية أو ثانوية إذا ما ارتبطت بغيرها [٥١].

- **الموقف « السيرذاتي »**:

هو موقف حللناه أعلاه ويكون فيه الكاتب/الراوي داخل الحدث، ويظهر فيه كشخصية رئيسية، ويكون في أغلب الحالات فاعلاً إيجابياً أو « بطلاً ». وبناء على هذا الموقف، يستطيع الكاتب/الراوي أن يتموقع في منظور سيرذاتي قطعي، لا بل ذاتي، أو أن يعطي تجاربه الشخصية قيمة تكون بمثابة عبرة، وتخدم برهنةً معيّنة.

- **موقف « الشاهد »**:

وهو موقف يكون فيه الكاتب/الراوي إما داخل الحدث كشخصية ثانوية وكشاهد مباشر لأحداث منقولة، وإما خارج الحدث، ولكنه ينقل شهادة شخص آخر فيكون شاهداً لا مباشراً إذن. يمثل الكاتب/الراوي هنا وظيفته في نقل الأخبار الطازجة، التي هو وحده يعرفها أو يعرفها بعض الأشخاص.

---

٥١. الجداول المدرجة أدناه تربط بكل فصل إما موقفاً سردياً وحيداً، وإما مزجاً بين موقفين سرديين؛ وتميّز في هذه الحالة، داخل كل عملية مزج، بين الموقف الرئيسي وبين موقف أو مواقف ثانوية.

- **موقف «الدعائي»**:

وهو موقف يكون فيه الكاتب/الراوي خارج الحدث، فيعلق على وقائع راهنة قرأها بعامة في الصحف، وله في هذه الحالة رسالة إعلامية.

- **موقف "المفكّر الإصلاحي"**:

هو موقف يكون فيه الكاتب/الراوي خارج الحدث ويتكلّم بأسلوب نقدي عن بعض المسائل المجتمعية. وينوي من خلالها أن يعطي عبرة وأن يدعو إلى إصلاح معين. فتقوده في هذه الحالة رسالة تعليمية ومهمة ذات توجيه أخلاقي.

- **موقف «العالِم»**:

وهو موقف يكون فيه الكاتب/الراوي خارج الحدث، فيتبنى موقفاً أكاديمياً، ويكون حريصاً على الحياد (أو الموضوعية) إزاء الأحداث التي ينقلها. فتقوده هنا رسالة تتوخى نقل المعرفة.

لنشر إلى عدد من الاستخدامات المتباينة لضمير المتكلم، وهي استخدامات كثيرة في الحالتين الأوليين، ونادرة ومحدودة لضمير المتكلم الجمع في الموقف الخامس، وثانوية في الموقفين الآخرين. ونستطيع القول إن نظام تقديم هذه المقولات كما ورد هنا يتماشى مع تغريب متنام للراوي إزاء القصة التي يرويها (أو الموضوع الذي يعالجه). التمييز بين المواقف الثلاثةً الأخيرة، قد يبدو اعتباطياً (إذ إن هذه المواقف الثلاثة تقضي بوجود الكاتب/الراوي خارج الحدث، فيكون خطابه موسوماً بـ«التعليم»): ومع ذلك يبرَّر باختلافات المواضيع المطروقة وبالرؤى المنشودة التي تتماشى مع الاختصاصات الخاصة بأديب سوري من القرن العشرين (توخى تنويرَ القارئَ حول الأحداث الراهنة، وتقديمَ بعض القيم الأخلاقية له، وإطلاعَه على بعض المعلومات).

الجدول ١ : تواتُر كل موقف من المواقف السردية التي تمّ تمييزها حسب أهميّتها داخل كل فصل (موقف وحيد أو رئيسي أو ثانوي)

| أهميتها في الفصول المعنية / مواقف سردية | موقف وحيد | تفصيل حول الفصول المعنية | | موقف رئيسي | موقف ثانوي | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|
| سير ذاتي | ١٣ | ٣٣<br>م١٠<br>م٢٠<br>م٥٣<br>م٥٨<br>م٧٧<br>م١٠١ | م١٠٣<br>م١١٧<br>م١٣٠<br>م١٣١<br>م١٣٨<br>م١٤٣ | ١٢ | ٩ | ٣٤ |
| شاهد | ١٦ | م١١<br>م٤٧<br>م٤٨<br>م٦١<br>م٦٢<br>م٦٦<br>م٨١<br>م٩٢ | م٩٧<br>م٩٨<br>م١٠٠<br>م١٠٥<br>م١١٠<br>م١٣٦<br>م١٣٩<br>م١٤٧ | ٣١ | ٢٤ | ٧١ |
| دعائي | ٢٦ | ٧<br>١٦<br>٣٤<br>م٢٢<br>م٣٦<br>م٤١<br>م٤٣<br>م٥٧<br>م٥٩<br>م٦٩<br>م٧٣<br>م٧٤<br>م٧٥ | م٧٨<br>م٨٢<br>م٨٨<br>م٩١<br>م٩٤<br>م١٠٤<br>م١٠٨<br>م١٠٩<br>م١١١<br>م١١٨<br>م١٢٨<br>م١٢٩<br>م١٤٤ | ٢٥ | ١٣ | ٦٤ |
| مفكر إصلاحي | ١٧ | ٦<br>١٠<br>١١<br>١٤<br>٢٠<br>٣٧<br>م٨<br>م٣٠<br>م٤٥ | م٥٢<br>م٥٦<br>م٨٤<br>م٨٩<br>م٩٠<br>م١١٦<br>م١٢٤<br>م١٣٤ | ١٥ | ٥٣ | ٨٥ |
| عالِم | ١٩ | ٥<br>٢١<br>٢٤<br>٣٢<br>٣٥<br>٣٩<br>م١<br>م٢<br>م٦<br>م٢١ | م٢٥<br>م٤٤<br>م٥١<br>م٥٥<br>م٧١<br>م٧٦<br>م١٠٧<br>م١١٢<br>م١١٤ | ٢١ | ٧ | ٤٧ |

## الجدول ٢ : تفصيل حول الفصول التي تتضمّن موقفين سرديين أو أكثر (وعدد التواترات) [1]

| مواقف سردية رئيسية / مواقف سردية ثانوية | سيرذاتي (١٢) | شاهد (٣١) | دعائي (٢٥) | مفكر إصلاحي (١٥) | عالِم (٢١) |
| --- | --- | --- | --- | --- | --- |
| سيرذاتي (٩) | X | ١٣<br>١٥<br>م٤ | م١٢٧ | م٣٩<br>م٤٠<br>م٨١ | ٢٥<br>م٦٣ |
| شاهد (٢٤) | م٣٤<br>م٩٥<br>م٩٩ | X | ٢<br>م٦٤<br>م٧٩<br>م٨٠<br>م٩٣<br>م١٤٠<br>م١٤٥<br>م١٤٦ | ٩<br>م٩<br>م٣٩<br>م٤٠<br>م١٢٦ | ٣<br>٢٢<br>م٣<br>م٥<br>م٧٢<br>م١١٩<br>م١٢٣<br>م١٤٢ |
| دعائي (١٣) | – | ٤<br>م٢٤<br>م٦٧<br>م٦٨<br>م٧٠ | X | ٣٠<br>م٣٩<br>م٤٠<br>م١٠٦<br>م١٢٦ | ١<br>م١٩<br>م٤١ |
| مفكر إصلاحي (٥٣) | ٢٣<br>م٣٢<br>م٣٥<br>م٦٠<br>م١٢٠<br>م١٤١ | ٨<br>١٣<br>١٥<br>١٧<br>٢٦<br>٣٦<br>٣٨<br>م٧<br>م١٦<br>م٢٣<br>م٢٨<br>م٢٩<br>م٣١<br>م٣٣<br>م٣٨<br>م٤١<br>م٤٩<br>م٥١<br>م٨٧<br>م١٢١<br>م١٢٢<br>م١٣٥<br>م١٣٧ | ١٢<br>٢٧<br>٢٨<br>٣١<br>م١٢<br>م١٣<br>م١٥<br>م١٧<br>م٥٠<br>م٨٣<br>م١٠٢<br>م١٢٥<br>م١٣٢<br>م١٣٣ | X | ١٩<br>٢٢<br>م١٤<br>م١٨<br>م٢٦<br>م٢٧<br>م٣٧<br>م٨٥<br>م٩٦<br>م١١٣ |
| عالِم (٧) | ٢٩<br>م١١٥<br>م١٢٠ | – | ١٨<br>م٦٥ | م٣٩<br>م٤٠ | X |

١ . إن عدد التواترات لكل موقف من المواقف، الرئيسية والثانوية، مرقّن بقبوس تحت التسميات، ويتطابق مع عدد الفصول التي يتبنّى فيها الكاتب / الراوي هل هذا الموقف أو ذاك . وتدلّ الأرقام المكتوبة بحرف غامق على تواجد أكثر من موقفين داخل الفصول المطابقة.

### جـ - قراءة الكتاب بناء على رؤية المواقف السردية التي اعتمدها الكاتب:

إن المقولات الخمس المبيّنة هنا بطريقة تجريبية نوعاً ما، ومن خلال تحليل العلاقات بين الكاتب/الراوي والحدث المسرود، تقدم وسيلة تأويلية تاريخية لمذكرات محمد كرد علي لها خمسة وجوه من القراءة. إن وجهات النظر المختلفة هذه، التي تعبّر أيضاً عن سمات مختلفة في شخصية محمد كرد علي، ربما يجب أن تبرز الأهمية التاريخية لهذا العمل السيرذاتي. ألم يبحث الكاتب، في هذه المذكرات، عن الدنو من الحدث الصغير والكبير في آن؟ انطلاقاً من هذه المقاربة، يشكّل المسرود المتعدد الأشكال الذي قدمه محمد كرد علي مصدراً مهماً لتاريخ المجتمع السوري في النصف الأول من القرن العشرين، وكذلك هو مصدر مهم لتاريخ الأفكار والتصورات والعقليات والمعارف التي جرت في هذا الإطار. لاستخلاص إسهامات الرؤى المعتمَدة في هذا العمل، سنهتم بالمواضيع المرتبطة بكل موقف سردي من هذه المواقف، ثمّ بالتفاصيل التي يقدّمها المزجُ بينها، وسنسوق بعض الأمثلة المأخوذة من النص.

### جـ١ . محمد كرد علي بقلمه:

في الفصول التي يغلب عليها المواقف «السيرذاتي»، يقدم الكاتب/الراوي نفسه بصفات أليفة ظهرت سابقاً في الأجزاء الأولى من مذكراته، وحتى في المستهل: ظهر بصورة المثقف المتلزم المتصدي لفساد المجتمع (الفصل م١٠)، وصورة الإنسان الذي يشعر بمرارة وخيبة من معاصريه (الفصول م٢٠، م٣٥، م١٣١، م١٤١)، وصورة المربي الأبوي الذي يركز على رسالة تعليم الشعب البسيط (الفصل م٩٥)، وصورة الإصلاحي العربي الذي ينتقد الاستعمار تارةً ويبدي إعجابه بالحضارة الغربية طوراً (الفصول ٢٣، ٣٣، م١٢٠). ولكننا نجد أيضاً في هذه النصوص صوراً جديدة يقدمها عن نفسه: صورة الإنسان الحذر الحريص على عدم تكدير أصدقائه (الفصول م١٠، م٧٧، م١٣٨)، صورة الرجل المولع بالسياسة والذي فضل أن يبتعد عنها لسيطرة الكذب فيها (الفصل م١٠١)، صورة التقدمي المهتم بالمسألة الاجتماعية وبتعليم النساء (الفصل م١٣٠)، وأخيراً صورة الرجل المنفتح على الانتقادات (الفصول ٢٩، م١٠٣، م١١٧). ولا نستطيع أن نغفل صيغ الردود على الانتقادات التي تعرض لها عندما ظهرت الأجزاء الأولى من المذكرات، من خلال السمات الجديدة للشخصية التي أبرزها محمد كرد علي (ولا سيّما إتهامه بكره المرأة وبالمغالاة والانتهازية السياسية). وهذه التمثلات المختلفة عن شخصه تقترب من الموقف السردي لكاتب «إصلاحي»،

كما أوضحنا ذلك سابقاً؛ ويَظهر التباين بينها عندما نتكلم أولاً عن صورته الشخصية كما تظهر في المضمون السردي السيرذاتي، وثانياً كما تتجلى في المنظور الخاص المتّبع في معالجة المسائل المجتمعية.

في الفصول التي يحتل فيها الموقف «السيرذاتي» مكاناً ثانوياً بالنسبة للمواقف الأخرى، يَبْرز الموضوع المطروق من خلال أمثلة مقتبسة من التجربة الشخصية لمحمد كرد علي، وتدلنا على عادات الكاتب/الراوي في القراءة (الفصل م٨٦) أو على تقديره وسائل النقل والاتصالات الحديثة (الفصلان ١٣ وم١٢٧). وفي حالات أخرى، يبرز الجانب السيرذاتي من نقله حدثاً ساقه بحيادية (مثلاً الفصل ٢٥ المتعلق بـ «المستشرقين المستعربين»، والفصل م٦٣ المتعلق بالمجمع العلمي العربي وبجائزة نوبل)؛ وهكذا يسلَط الضوء على عملية تَماه مبتكرة مع الموضوع المعالج، ونستشفّ منه مشروعاً سيرذاتياً ضمنياً (وهنا، الانخراطُ في مجموعة من العلماء).

وهكذا تدلنا هذه المقولة على أشكال تصور الذات في هذه المذكرات، وتدعونا إلى التفكير في خصائص هذا النوع في الأدب العربي المعاصر: صحيح أنه يندر أن تكون هذه الوقائع المسرودة وقائع ذات طابع حميمي (لم يتكلم محمد كرد علي عن عائلته إلا مرتين أو ثلاثاً، وبشكل تلميحي، في الجزء الخامس هذا)، ولكنها تبقى سيراً ذاتية لأن الكاتب/الراوي، المتماهي مع الشخصية الرئيسية، يضع نفسه في مركز الحدث الذي يرويه (وبخاصة عندما يكثر من استعمال الضمير المتكلم في صيغة المفرد)، ويساهم بالتالي في تشكيل صورة له أمام الناس، وهي الصورة التي اختار نقلها للأجيال اللاحقة. إن هذه السمات المميزة والجديدة نسبياً وقتئذٍ في الأدب العربي تسهم إسهاماً واسعاً في حداثية العمل.

### جـ.٢. شهادة حول التاريخ والبشر في سوريا ومصر إبان النصف الأول من القرن العشرين:

الأهمية الكبرى التي يعترف بها المؤرخو إزاء المذكرات تكمن في قيمتها كوثيقة وكشهادة على جملة من الأحداث وعدد من الشخصيات التاريخية التي عاصرها الكاتب. وعلى هذا النحو قدّر المؤرخون مذكرات محمد كرد علي لغنى الأحداث الشخصية التي تحتويها ولابتكارها[٥٢]. وفي هذا السياق يندرج الجزء الخامس في إطار

٥٢. من بين المؤرخين الذين اعتمدوا كثيراً على هذه المذكرات، لنذكرْ: جمال الدين الآلوسي: المرجع المذكور؛ HERMANN, Rainer، المرجع المذكور؛ محمد ناصر النفزاوي، محمد كرد علي

الأجزاء الأربعة الأولى: فموقف «الشاهد» فيه يغلب في ٤٧ فصلاً. وعلى خلاف نصوص المقولة السابقة، يقيم الكاتب/الراوي مسافة ـ ولو بسيطة ـ مع الشخصيات الأخرى التي تقع غالباً في صميم الحدث المسرود. فيهاجم بعضَهم على مساوئهم ومثالبهم؛ وهذا ما فعله مع جميل مردم بك (الفصلان م٦٤، م٩٩)، ومع عادل أرسلان (الفصل م٤٨)، ومع الحاج أمين الحسيني (الفصل م٣٤)، وأحمد أمين (الفصل م٨٠)، ومصطفى المنفلوطي (الفصل م٧٢). وعلى العكس من ذلك يشيد محمد كرد علي ببعضهم، فيمتدح حسني الزعيم (الفصلان م٤٧ وم٤٨)، وعارف توّام (الفصل م٦٦)، وأمين أرسلان (م ٩٢)، وأحمد شفيق العظم حسني سبح (الفصل م٩٥)، وحسن الحكيم (الفصل م١٦) والقاضي فائز الغصين (الفصل م٢٨)، ومحمود سامي البارودي (الفصل م٣)، ومارون عبود (الفصل م٥). ويحتفي الكاتب/الراوي عموماً بمواهب التجديد لدى عدد من الأدباء، ويشيد بالعمل الإصلاحي الذي قام بها السياسيون وبالأعمال الخيرية للوجهاء.

وهذه الشهادات كانت لا مباشرة في بعض الأحيان، ونقلها إلى كرد علي أشخاص آخرون: ويستشهد الكاتب/الراوي بمقاطع من قراءاته (ولا سيما بمذكرات فخري البارودي، الفصلين م٦٨ وم١٠٥)، وبعدد من الرسائل التي استلمها (وبخاصة رسالة فارس الخوري، في الفصل ٤)، أو ينقل أحاديث أجراها مع أصدقائه (الفصلان ١٧ وم٤٧). يضاف إلى ذلك أن هذه القصص تتعلق في بعض الأحيان بشخصيات نموذجية مُغْفلة ـ وهذا ما يجعلها مثالية وعالمية ـ تحمل رسالة أو عبرة أخلاقية، على غرار حكايات ابن المقفع أو رسائل الجاحظ: وعندئذٍ ينضاف إلى الشهادة موقف «فلسفي»، فنجد عندئذٍ السمة الخاصة للأدب، أي أن الحدث يُستخدم لتوضيح الرسالة ويدعو إلى الترفع دون أن يفقد طابعه المسلّي.

وهكذا تدلّنا قراءة مذكّرات محمد كرد علي، من خلال مقولة "الشاهد"، على شبكة العلاقات المجتمعية للكاتب وعلى طرق توصيل الشهادة وعلى وضع الشخصيات المذكورة. إن القصد الضمني لهذا الموقف السردي (إرادته إصلاح المجتمع، وأيضاً رغبته في تصفية حسابه مع أعدائه السابقين) يُثْري مضمون طرائفه انطلاقاً من رؤية الكاتب الخاصة. عندما يتخلّى محمد كرد علي عن ثيابه كممثّل، فإنّه يُثبت مواهبَه في المراقبة وفنَّه المؤكّد في رسم اللوحات.

---

وقضية الولاء السياسي، تونس، دار الجنوب للنشر، ١٩٩٣.

### جـ.٣. رؤية خبير للأحداث الراهنة ما بين ١٩٥١ و١٩٥٣:

انطلاقاً من الموقف السردي «للدعائي»، وجد محمد كرد علي نفسه في موقف صاحب جريدة استلم إدارتها ما بين ١٩٠٨ و١٩١٩، وهي جريدة «المقتبس» (قبل أن يكلف أخاه أحمد بإدارتها نهائياً): لأن الكاتب/الراوي يضطلع برسالة إعلامية ينظر إليها كوسيلة يعلّم بها الرأي العام، فإنه يستند إلى أحداث راهنة (تزامنت مع كتابة نصوصه) ليقدم للقراء تعليقاً من شأنه أن يجعلها قابلة للفهم. وليس من المستغرب أن تندرج الفصول الخاصة بهذا الموقف السردي في خانة نوع من الكتابة يعتبره المؤرخون من «أدب المقالة»[٥٣]: إذا فصلنا معظم هذه النصوص عن مذكراته، يمكن أن تتحول إلى مقالات أو أخبار قصيرة أو افتتاحيات صحف يومية. إن اختيار عناوين الفصول في هذه المذكرات اختيار يدلّ، في هذه الصدد، على طول باع الكاتب في الصحافة: فنلمس فيها مهارة خاصة لإيجاد الكلمة المناسبة أو العبارة الجيدة التي تختصر مضمون النص، أو التي ـ بالعكس ـ تطرح لغزاً وتكون بمثابة عنصر يجذب القارئ إليه.

يهتم المؤرخ بهذه النصوص أولاً لأن مواضيعها مهمة بالنسبة للأحداث الإقليمية والدولية آنذاك: في العالم العربي الإسلامي، يتوقف محمد كرد علي بخاصة عند الإصلاحات السياسية والاجتماعية التي تمّت في مصر بعد الانقلاب الذي قام به الضباط الأحرار (الفصول م٣٦، م٦٩، م١٠٩، م١٢٩، م١٤٤)، وعند تحالفات تركيا مع الغرب (الفصلان م٥٧ وم٥٩)، وسقوط بشارة الخوري في لبنان (الفصل ٢) وإصلاحات شاه إيران (الفصل م١٣٢) والملك ابن سعود (الفصل م٢٢)، ولكنه لا يتكلم عن الأحداث السياسية الراهنة في سوريا إلا تلميحاً (في الفصل م٦٧ يتكلم عن الإصلاحات العقارية)؛ ويشكل تحرر المستعمرات السابقة من هيمنة الدول العظمى الأوروبية وظهور العالم الثالث مركز اهتمام آخر لمحمد كرد علي (الفصول ٧، ١٨، ٣٤، م٦٥، م٧٤، م١١١، م١١٨، م١٢٨). ويرى أخيراً أن التطور السياسي بعد الحرب في البلدان الغربية وأن الحرب الباردة التي تتعارض هذه البلدان فيها مع الكتلة الشرقية يستحق تعليقات عديدة (الفصول ٢٨، م٧٥، م٨٨، م٩٤، م١٢٥، م١٣٣). وتجعلنا هذه النصوص نغوص في السياق السياسي والاقتصادي والاجتماعي لسنتي ١٩٥١ و١٩٥٢، وفيهما كتب محمد كرد علي الجزء الخامس من مذكراته، وفي سياق الأشهر الأخيرة لحياته. فهذه المجالات تتيح موضعة الكاتب/الراوي في عصر معين، وتُظهر كيف أنه أصرَ على معايشة أحداث عصره، حتى رحيله.

---

٥٣. انظر بخاصة سامي الدهان، المصدر المذكور.

بشكل ما، تستكمل هذه النصوص موقف الشاهد الذي ناقشناه آنفاً[٥٤]، مع التنويه بأننا لم نعد أمام شهادة مباشرة أو شهادة نقلها أحد الأصدقاء حول أحداث معيشة أو أشخاص عرفها كلّ منهما: يقتبس محمد كرد علي مصادره من الصحافة اليومية في سوريا ومصر، كما فعل معاصروه، وقلما يقتبسها من الأخصائيين أو الممثلين السياسيين. ومع ذلك، نرى أنه يلقي على الأحداث نظرة من اختبرها وتميزت بسنوات مارس فيها الصحافة؛ وعلى نحو ما، نستطيع القول إن الكاتب / الراوي يمثّل مجدداً في مذكراته دوراً اضطلع به قبل ذلك بأربعة عقود. والأهمية الثانية الكبرى لموقف «الدعائي» بالنسبة للمؤرخ، ترجع إذن إلى الطريقة التي عالج بها محمد كرد علي الأحداث الراهنة في نهاية حياته. وهكذا من خلال بعض التعليقات التي قام بها الكاتب / الراوي يرتبط موقف «الإصلاحي» بموقف «الدعائي»: وفي هذا المنظور، يجب على الأحداث الراهنة ألاّ تُطلع فحسب (كما ينبغي على الطرائف الشخصية ألاّ تسلّي فقط)، وإنما تعلّم أيضاً؛ ويترتب على الإنسان النبيل أن يكون قادراً على الاقتباس منها ليشكل حكمه الخاص به.

## جـ.٤. تبدلات الخطاب الإصلاحي العربي والإسلامي في منتصف القرن العشرين:

إن الموقف السردي لـ «المفكر الإصلاحي» يضع محمد كرد علي بين دورين: دور الممثل الفاعل ودور المراقب، لأنه يتبنى موقفاً نقدياً من المجتمع الذي يعيش فيه؛ فخطابه يشكّل هنا، إلى حدّ ما، استمراراً لعمله السياسي من خلال الكتابة. أما موقف الشاهد فيضعه على مسافة من الأشخاص الذين صورّهم، ويعطيه موقفُ المفكّر دوراً رئيسياً ووظيفة تحظى بسلطة اعتبارية، ليس داخل الحدث المسرود ـ الذي يبقى خارجه ـ وإنما عبر خطابه الإصلاحي.

من بين الموضوعات التي تطرق لها في هذه الرؤية الخاصة، نجد الحجج المفضلة لدى الحركة الإصلاحية الإسلامية التي ارتبط بها محمد كرد علي من خلال تتلمذه

---

٥٤. من المفيد أن نلاحظ هنا الانزياح الذكي الذي تم بين صيغة الغائب وصيغة المتكلم: فينتقل من العبارة القائلة «كتب المؤلف الفلاني أن...» أو «هذه الجريدة نقلت الخبر التالي...» إلى العبارة التالية «قرأت في الجريدة الفلانية...» و«قدّرت مقالة فلان...»، فيتحول الكاتب من تعليق دقيق حول حدث راهن إلى تقدير شخصي يندرج في خانة الشهادة.

على يدي الشيخين طاهر الجزائري ومحمد عبده[٥٥]: نعني بها فضح الخرافات والهرطقات والبدع في مصر وسوريا (الفصول ٦، ١٩، م٧)، والدفاع عن الدين الإسلامي وعن اللغة العربية اللذين تعرضا للهجمات (الفصول ٣٠، م١٨، م٥٢، م٨٤، م١٢٤). إن الإيديولوجيا الليبرالية التي اقتبسها محمد كرد علي من الكتّاب الغربيين تترجم هنا بالحث على الجهد النافع (الفصل ٣٧)، وعلى احترام الملكية الخاصة (الفصل ٢٣)، والدفاع عن حرية التعبير (الفصل ١٤)، وتظهر أيضاً في بعض المفاهيم الصحية المجتمعية (الفصل م٥٤). ويلطّف محمد كرد علي المقولة التي تركّز على تفوّق الحضارة الغربية الواردة كثيراً في أعماله (وفي هذا الكتاب في الفصل م٩٠)، بتبني مبدأ حق الشعوب في الحرية (الفصل م١٢٦) وبدعم حركة السلم (الفصل م١٣٤) أو بنقد بعض الجوانب الاستعمارية (الفصول م٩، م٨٥، م١٢٠)؛ ولكن الكاتب/الراوي يعود إلى ما وصفَه بأنه أمراض مستفحلة في المجتمعات الشرقية، كالفساد والمحسوبية وتوارث الوظائف الدينية والبيروقراطية (الفصول ٩، م٩، م٤٦، م٨٩، م١٢١، م١٤١). ويتصدى أيضاً لبعض مثالب الطبع أو لتشويهات الشخصية، مثل التملق والضحالة والكذب والنفاق والغطرسة والجشع والغدر بالأصدقاء (الفصول ٢٦، ٣٨، م٣١، م٣٥، م٤٥، م٤٩، م٥٦، م٨٩، م١٣٥).

إذا أخضعنا الخطاب الإصلاحي الذي يميّز عمل محمد كرد علي، نجد أنه هنا خطاب راديكالي تتخلله مُثُل عليا اشتراكية وتوجيهية. فيرى أن الأغنياء في البلدان الإسلامية معروفون بأنانيتهم (الفصول ١٠، ١٧، ٢٠، م٨، م١٣٧)، وأن النظام الدستوري البرلماني منتقَد بسبب عدم استقراره المزمن وعجزه عن تحقيق الإصلاحات (الفصول ٨، ٣٦، م١٦). ويؤيد الكاتب/الراوي الإصلاحات الديموقراطية القاضية بتوزيع الأراضي على الفلاحين الفقراء ويؤيد أيضاً إلغاء الألقاب الفخرية في مصر (الفصلان ١١، م١٠٨). ويتناسب هذا الخطاب الجديد عند محمد كرد علي مع التطورات الاجتماعية السياسية في منتصف القرن العشرين: ومرة أخرى يعبّر الكاتب/الراوي عن رغبته في التماشي مع عصره. ولكنه لا يتخلى عن مفاهيمه الأبوية؛ وبعيداً عن النزعات الثورية يستنكر الاغتيالات السياسية (الفصل م٥٠)،

---

٥٥ . انظر في هذا الشأن مقالتنا (باللغة الفرنسية) بعنوان «محمد عبده والإصلاحيون السوريون واللبنانيون: حلقاتهم وتأثيراتهم وما تركوه للأجيال اللاحقة» في الكتاب الذي أشرف عليه ماهر الشريف وسابرينا ميرفان بعنوان «حداثات إسلامية» (وهو أعمال المؤتمر الذي نظّم في حلب بمناسبة الذكرى المئوية لوفاة الإمام محمد عبده، تشرين الثاني، ٢٠٠٥)، دمشق، المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، ٢٠٠٦، ص ٧٩ ـ ١٠٥.

ويحذّر من الخطر الشيوعي ( الفصل م١٣٧ ) ويصرّ على ضرورة تطبيق الإصلاحات على مراحل ( الفصل م٣٨ ).

من المهم بمكان أن نشير إلى أن الخطاب الفلسفي والأخلاقي لمحمد كرد علي ممزوج بجميع المواقف السردية الأخرى، بحيث أن كل فصل من فصول الجزء الخامس للمذكرات يتضمن رسالة إصلاحية. ورأينا كيف أن الطرائف الشخصية أو الأحداث الراهنة يمكن أن توظّف لرسالة كهذه يخلّفها للأجيال القادمة. وينطبق الأمر إلى حدّ ما على الخطاب ذي الطابع الأكاديمي.

**جـ.٥ . مساهمة في نشر المعارف قائمة على محمول قشيب :**

إن تحليل الفصول التي يسيطر عليها الموقف السردي « للعالِم » يكشف أولاً عن الاختصاصات المفضلة لدى محمد كرد علي، والتي أظهر فيها كفاءة عالية؛ ونعني بها التاريخ والأدب، وهما مجالان أكاديميان ارتبطت بهما المقالات والمحاضرات الست التي أعيد نشرها في الجزء الخامس من هذه المذكرات ( الفصول ٥، ٢٤، ٢٥، ٣٩، م١، م٢ ) وتشغل ١١٥ صفحة من المدونة ( من أصل ٢٤٧ )، أي ٤٧٪ من المجموع. ووجودها في مدونة المذكرات يمنحها قيمة المنتخبات، وتشير إلى أن الكاتب أراد أن ينبّه المقمشين وكتّاب السير في المستقبل إلى أهميتها داخل عمله: وفعلاً إنها تساهم في رسم صورة العالِم التي أراد محمد كرد علي أن يتركها للأخلاف.

إلى هذه المقالات والمحاضرات تُضاف فصول أقصر تنتمي أيضاً إلى التاريخ والأدب ( الفصلان ٣٥، م١١٢ )، وعلم الاجتماع أيضاً بشتى فروعه: علم الاجتماعي السياسي ( الفصول ٢١، ٣٢، م٢١، م٧١، م١٠٧ ) وعلم الاجتماع الديني ( الفصلان م٦، م٧٦ )، وعلم الاجتماع الثقافي ( الفصول م٢٥، م٤٤، م٥١، م٥٥، م١١٤ ) [ وعلم الاجتماع دخل إلى مصاف العلوم في النصف الأول من القرن العشرين ]. ويبدو أن محمد كرد علي ـ وهو عصامي بامتياز ـ قد تولع بهذا العلم الحديث الذي كان ابن خلدون السبّاق فيه، وذلك بتأثير من صديقيه لوشاتيلييه ( أستاذ علم الاجتماع الإسلامي في الكوليج دي فرانس ما بين ١٩٠٢ و١٩٢٥ ومؤسس « مجلة العالم الإسلامي » عام ١٩٠٦ ) وغوستاف لوبون ( مؤلف كتاب « حضارة العرب »، ١٨٨٣ ) ومن إدمون ديمولانس، مؤلف الكتاب الشهير « سرّ تقدّم الأنكلو ساكسونيين » ( الذي ترجمه إلى العربية أحمد فتحي زغلول عام ١٨٩٩ ) الذي استشهد به محمد كرد علي كثيراً في مقالاته الأولى. إلى جانب ذلك، الشرح الذي يقترحه كرد علي عن

تأخر البلدان العربية بسبب قابليتها الثقافية والعرقية ( الفصل م٢٦ )، يعتبر اليوم شرحاً انتقاصياً، كان شائعاً في علم الأعراق في بداية القرن العشرين. في ما يتعلق بالأحداث الراهنة المذكورة في خواتيم بعض الفصول المخصصة للمسائل التاريخية ( الفصول ١، ٣، م١٩، م٤٢ )، يدلّ ذلك على تصور حداثي نسبياً للاستمرار التاريخي، وللتاريخ الفوري الذي يتبلور في الزمن الحاضر.

مع أن موقف «العالِم» هذا يدّعي أنه محايد وموضوعي، يشير مزجه هنا مع مواقف سردية أخرى إلى الجانب الذاتي عند محمد كرد علي. فمن جهة، يغلب الخطاب العقائدي، الإصلاحي الإسلامي أو العروبي، يغلب في غالب الأحيان الخطاب الأكاديمي. وهذا ما يتجلى في الفصول التي تعالج المسائل الدينية ( الفصول ١٩، م١٤، م١٨ )، والاستعمار ( الفصل م٨٥ ) وردود الأفعال المحافظة التي أثارتها بدايات المسرح في سوريا ( الفصل م٩٦ ). ومن جهة أخرى، يخضع الخطاب الأكاديمي لتدخلات عديدة قام بها الكاتب / الراوي، مستخدماً ضمير المتكلم ليعبر عن رأيه أو ليسهب في سرد طرائف شخصية. وهذا المزج بين المجالين الأكاديمي والخاص ( وهو مزج ظاهر في الفصول ٢٥، م٣، م٥، م٦٣، م٧٢، م١١٩، م١٤٢ ) قد يفسّر على أنه شكل من التورط الشخصي، لا بل التماهي مع الموضوع المطروق؛ ورأينا ذلك سابقاً عندما تكلم عن «المستعربين من علماء المشرقيات». ونستطيع تطبيق هذا التحليل على مسألة الشوام الذين هاجروا إلى مصر ( وهي تجربة عاشها محمد كرد علي ما بين ١٩٠٠ و١٩٠٨ )، ومسألة روايات المنفلوطي ( وسعى الكاتب / الراوي إلى التمايز عنها ليرد على الانتقادات التي تعرضت لها مذكراته )، أو مسألة "تصوّرات الشيوخ" ( وهي مسألة تخصه مباشرة ). ووراء التماهي الممكن مع موضوع الحدث المسرود، أليس الهدف من حضور الكاتب / الراوي داخل الخطاب الأكاديمي هو للتذكير بالإسهام العلمي لمحمد كرد علي في شتى العلوم المطروقة؟ بالإضافة إلى الإشارة لمصادر النصوص التي نشرها أو قرأها في محاضراته، فإن وجود المقاطع التي استشهد بها من كتبه الأخرى، وهنا تلميح لكرد علي بكتابه التاريخي المرجع «خطط الشام» ( الفصلان ٢٥، م١١٩ ) أو بجريدة «المقتبس» ( الفصلان م٩٥، م١١٧ ) أو إلى مقالاته عن اليمن ( الفصل ١ )، دليل على ذلك.

وهكذا فإن الموقف العلمي الذي تبناه محمد كرد علي يسيطر كميّاً على الجزء الأخير من مذكراته، مما يُظهر التوجه الجديد، وهو نقل المعارف في هذا الجزء بالمقارنة مع الأجزاء الأخرى منها. إلى ذلك، إذا أضفنا الطابع الشخصي الذي فرضه الكاتب /

الراوي على خطابه العلمي ـ كما أظهرنا ذلك للتو ـ يتبيّن لنا أن المشروع السيرذاتي يتخذ هنا شكلاً غير متوقع: أي شكل عملٍ أكثر جدية يرسم عودة كرد علي إلى الأسلوب الأكاديمي الذي وسم أعماله السابقة. لنذكر أيضاً أن نصوص هذا الجزء تتسّم بتوثيق أكبر؛ فكثيراً ما يذكر الكاتب/الراوي مصادره، أتعلق الأمر بأسماء الشهود الذين نقلوا له الأحداث، أو بمصادر الكتب أو المقالات التي استوحى منها.

---

في خاتمة هذا التقديم، نستشف بضعة عناصر للإجابة على المسائل التي يطرحها هذا العمل المركّب والمبتكر. قبل كل شيء نلاحظ أن تحليل المسيرة السيرذاتية والتأثيرات الأدبية العديدة للكاتب يتيح تحديد موقع المذكرات داخل مجمل أعمال محمد كرد علي، في استمرارها وانقطاعها في آن. فمع أنه يلجأ إلى أنواع أدبية مطروقة سابقاً، كما هو الحال في الأحداث المسرودة في السيرة أو السيرة الذاتية أو التاريخ أو الفلسفة والأخلاق، وأيضاً كما نجد في المقالات الحديثة أو التبسيط العلمي، نرى أن كاتب هذه المذكرات قد قام بعملٍ مجدّد، عندما لاصق فصولاً متغايرة وعندما استخدم ضمير المتكلم مراراً (وأكّد علّيه).

وهذا التغاير يطرح مسألة الهوية والوحدة في الكتاب: هل يتعلق الأمر بشهادة، أو بسيرة ذاتية، أو بتجميع متنافر لفصول مستقلة عن بعضها، أو بعمل متماسك بالنسبة لمشروع أدبي أو لميثاق سيرذاتي طرح في المستهل؟ إن تحليل مكانة الراوي داخل الحدث المسرود، خوّلنا إبراز التعايش والتمازج بين مواقف سردية مختلفة في كلٍ فصل من هذه المذكرات، بالإضافة إلى المطابقات مع المشروع السيرذاتي الأول، رداً على انتقادات عدد من المعاصرين؛ كذلك بيّن هذا التحليل وجود مشاريع غير مفصح عنها. بالمقارنة مع الأبعاد الذاتية أو الهادفة إلى رد الاعتبار ـ والتي تخللت الأجزاء السابقة ـ يسجّل هذا الجزء عودةً إلى أشكال أكثر أكاديمية، من خلال المواضيع المطروقة، و المقالات والمحاضرات المنشورة سابقاً، وذكر مصادر عديدة في المراجع التي استخدمها في متن النص أو في الحواشي التي تذيّله. إن الجزء الخامس هذا من المذكرات يَظهر، أكثر مما سبق، كنموذج مصغّر لمجمل أعمال محمد كرد علي، ويبرز مواهبه الأدبية العديدة ويحظى بقيمة المنتخبات.

أخيراً إن ذكر الأحداث أو الطرائف التاريخية بنبرة شخصية يطرح مسألة صدقية النص أو صراحة كاتبها. في هذا الصدد، أبرز تحليل المقاطع التي تحيل إلى

مذكرات كرد علي، وتحليل المواقف السردية الأخرى المعتمدة، أبرز الرؤى ووجهات النظر والأطياف التي يمكننا بها أن نقرأ هذا العمل، وأظهر المناخل العديدة التي يمر بها خطاب محمد كرد علي، حسب مقاربة نقدية ومقارنة. لأن الكاتب قد اعترف بأنه لم يمارس مهنة المؤرخ في مذكراته، ندعو القارئ إلى ألا يأخذ بحذافير المعلومات المتضمنة في هذا العمل: ذلك أن أهميته الأدبية والتاريخية تتمّ على مستويات أخرى. إن مذكرات محمد كرد علي - إنْ أُخذت كموضوع دراسة - تبدو وكأنها تسهم في تاريخ النوع السيرذاتي في بلاد الشام، للأسباب التي ذكرناها آنفاً (لاسيما الجانب المتعدد للعمل، وشتى تأثيراته، والمكانة المتميزة التي شغلها الراوي). وكمصدر تاريخي، تكمن أهمية هذا الكتاب ليس فقط في غنى طرائفه (وهي شهادة عن الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية في سوريا إبان النصف الأول من القرن العشرين)، وإنما في مضامينها الصحفية والفلسفية والعلمية، وفي طريقة عرضها. وهكذا يمكن استخدام مذكرات محمد كرد علي كمصادر لدراسة تاريخ العقليات والتصورات (لا سيما تلك المتعلقة بأشكال التعبير الشخصية)، وتاريخ شبكات الحلقات العلمية في سوريا، وتاريخ الصحافة ومعالجة الأوضاع الراهنة في العالم العربي، وتاريخ التيار الإسلامي الإصلاحي، وتاريخ العلوم والمعارف في فترة الاحتلال (الانتداب) وما بعدها. آمل أن يُيسّر نشر هذا الكتاب عمل الباحثين لاحقاً، وأن يكون بمثابة كتاب ممتع لجميع القراء.

قيس الزرلي

دمشق، آب ٢٠٠٨

# مصادر البحث بالعربية [1]

## ١) الكتب


أرسلان، الأمير شكيب، سيرة ذاتية، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٦٩.

الألوسي، جمال الدين، محمد كرد علي، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، ١٩٨٦.

إلياس، جوزيف، تطوّر الصحافة السورية في مائة عام (١٨٦٥–١٩٦٥)، بيروت، دار النضال، مجلّدان، ١٩٨٣.

أمين، أحمد، حياتي، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٢.

البارودي، فخري، مذكّرات البارودي: ستون سنة تتكلّم، دمشق، بيروت، مطابع دار الحياة، جزءان، ١٩٥٠.

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ٦ أجزاء، ترجمة عبد الحليم النجّار ورمضان عبد التوّاب، جامعة الدول العربية، دار المعارف، ١٩٧٧.

الجاحظ، عمرو بن بحر، كتاب التربيع والتدوير، تحقيق وفهرسة وتقديم شارل بلات، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٥.

جبري، شفيق، محاضرات عن محمد كرد علي، القاهرة، معهد الدراسات العربية العالية، ١٩٥٧.

حلّاق، عبد الله يوركي، من أعلام العرب في القومية والأدب، حلب، مطبعة الإحسان، ١٩٧٧.

حنّا، عبد الله، تاريخ الفلاّحين في الوطن العربي، الجزء الثالث، دمشق، منشورات الاتّحاد العام للفلاّحين، دار البعث للطباعة والنشر، ١٩٨٥.

الخطيب، عدنان، المجمع العلمي العربي، مجمع اللغة العربية بدمشق، في خمسين عاماً، دمشق، مطبعة الترقي، ١٩٦٩.


[1] للاطلاع على مراجع البحث باللغات الأجنبية، انظر القسم الفرنسي من هذا المجلّد.

خليل، خليل أحمد، موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، جزءان، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠١.

الخوري، كوليت (تنسيق وتحقيق وتعليق)، أوراق فارس الخوري، الجزء الأوّل، دمشق، مطابع دار البعث للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧.

الدستور السّوري، دمشق، دار اليقظة العربيّة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠.

الدهّان، سامي، محمد كرد علي: حياته وآثاره، دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي، ١٩٥٥.

دي طرازي، فيليب (الفيكنت)، تاريخ الصحافة العربية، الجزء الرابع، بيروت، المطبعة الأميركانية، ١٩٣٣.

الزركلي، خير الدين، الأعلام، الطبعة الثانية، ١٩٥٤–١٩٥٩.

زيدان، جرجي، مذكَرات جرجي زيدان، نشر وتحقيق صلاح الدين المنجّد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨.

الشهابي، قتيبة، دمشق تاريخ وصور، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨٦.

صالح، نبيل (تحرير وإشراف عام)، رواية اسمها سورية : مئة شخصية أسهمت في تشكيل وعي السوريين في القرن العشرين، ثلاثة أجزاء، المجموعة المتّحدة للنشر والإعلان والتسويق، ٢٠٠٧.

صقّال، فتح الله ميخائيل، من ذكريات حكومة الزعيم حسني الزعيم، خواطر وآراء، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٢.

– ثلاثون سنة في خدمة الإحسان (١٩٢٩–١٩٥٩)، هديّة مجلة الكلمة لقرائها، حلب، مطبعة الضاد، ١٩٦٠.

الصوّاف، محمد شريف بن عدنان، معجم الأسر والأعلام الدمشقية، دمشق، بيت الحكمة، ٢٠٠٣.

ضيف، شوقي، الترجمة الشخصية، القاهرة، دار المعارف، فنون الأدب العربي، الفنّ القصصي، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩ [١٩٥٦].

طلاس، مصطفى (إشراف)، المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري، ٥ مجلّدات، دمشق، مركز الدراسات العسكرية، ١٩٩٢.

العِطري، عبد الغني، أعلام ومبدعون، دمشق، دار البشائر، ١٩٩٩.

- عبقريات، دمشق، دار البشائر، ١٩٩٧.

العظم، خالد، مذكّرات خالد العظم في ثلاثة مجلّدات، بيروت، الدار المتّحدة للنشر، ١٩٧٢.

العقيقي، نجيب، المستشرقون، ٣ أجزاء، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الرابعة، ١٩٨١.

عويدات، جميل، أعلام نهضة العرب في القرن العشرين، عمّان، مطابع الدستور التجارية، ١٩٩٤.

عيّاش، عبد القادر، معجم المؤلّفين السّوريّين في القرن العشرين، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٥.

العيد، يوسف، جولات في العالم الجديد، بوينس ايرس، مطبعة رستم إخوان، ١٩٥٩.

الفتيّح، أحمد، تاريخ المجمع العلمي العربي، دمشق، مطبعة الترقّي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م.

قاسمية، خيرية، حياة دمشق الاجتماعية كما صوّرها المعاصرون أواخر العهد العثماني، دمشق، مطبعة الداودي، ٢٠٠٠.

قاسمية، خيرية (نشر وتحقيق)، مذكّرات عوني عبد الهادي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢.

قدامة، أحمد، معالم وأعلام في بلاد العرب، القسم الأوّل (القطر السّوري)، الجزء الأوّل، دمشق، مطابع ألف باء، ١٩٦٥.

كرد علي، محمد، غرائب الغرب، جزءان، القاهرة، المطبعة الرحمانية، ١٩١٠ و١٩٢٣.
- رسائل البلغاء، القاهرة، دار الكتب العربية الكبرى، ١٩١٣.
- خطط الشام، ٦ أجزاء، دمشق، المطبعة الحديثة، ١٩٢٥-١٩٢٨.
- أمراء البيان، جزءان، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧.
- المذكرات، ٤ أجزاء، دمشق، مطبعة الترقّي، ١٩٤٨-١٩٥١.
- غوطة دمشق، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، ١٩٤٩.
- المعاصرون، نشر محمد المصري، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٨٠.
- كنوز الأجداد، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٨٤ [١٩٥٠].
- دمشق مدينة السحر والشعر، دمشق، دار الفكر، الطبعة الثانية المعدلة، ٢٠٠٨ [١٩٤٤].

مجموعة مؤلّفين، محمد كرد علي مؤسّس المجمع العلمي العربي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٧٧.

مراد، رياض عبد الحميد، فهارس المقتبس، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٧.

مردم بك، خليل، يوميّات الخليل، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠.

الملّوحي، مهيار، معجم الجرائد السورية، ١٨٦٥-١٩٦٥، دمشق، الأولى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢.

النفزاوي، محمد ناصر، محمد كرد علي وقضية الولاء السياسي، تونس، دار الجنوب للنشر، ١٩٩٣.

## ٢ ) المقالات

الأثري، محمد بهجة، "المذكرات"، مجلّة المجمع العلمي العربي العراقي، المجلّد الأوّل، سنة ١٩٥٠، ص ٣٤٩-٣٥٦.

أمين، أحمد، "مذكرات الأستاذ محمد كرد علي"، مجلّة الثقافة، المجلّد الثاني، الرقم ٤٥٢، سنة ١٩٤٩، ص ٦-٩.

الحمصي، عبد المالك، "ذكرى مرور ثلاثة وعشرين عاماً على وفاة مؤرّخ الشام ومؤسّس مجمع اللغة العربية المرحوم محمد كرد علي"، مجلّة التمدّن الإسلامي، المجلّد ٤٣، دمشق، أيّار/مايو ١٩٧٦، ص ٣٤٢-٣٤٦.

الخطيب، عدنان، "قصّة المذكرات"، في كتاب: محمد كرد علي، مؤسّس المجمع العلمي العربي، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٧٧.
– "محمد كرد علي، الرائد المجمعي الأوّل في الوطن العربي"، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٩٧٩.

رضا، محمد رشيد، "محاربة الوهم للعلم"، مجلّة المنار، المجلّد الثامن، سنة ١٩٠٥، ص ٣١٥-٣١٧، و"أنباء سورية المزعجة"، في المجلة نفسها، ص ٣٤٦-٣٤٨.

السكاكيني، وداد، "مذكرات خالدة"، مجلّة المجمع العلمي العربي، المجلّد الرابع والعشرون، سنة ١٩٤٩، ص ١١٥-١١٨.
– "حول المذكرات"، مجلّة الكتاب، المجلّد ١١، الجزء ٥، أيار/مايو ١٩٥٢، ص ٦١٠-٦١٢.

فتّوح، عيسى، "محمد كرد علي، علامة الشام ومؤسّس المجمع العلمي العربي (١٨٧٦-١٩٥٣م)"، مجلّة اللغة العربية بدمشق، المجلّد الثامن والستّون، الجزء الرابع، تشرين الأوّل/أكتوبر ١٩٩٣م.

كرد علي، محمد، "أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية"، مجلّة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلّد السابع، الجزء العاشر، تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٢٧، ص ٤٣٣-٤٥٦.

– "جبار بني العبّاس ليس بالمستهتر الماجن"، مجلّة الهلال، المجلّد السادس، السنة الثامنة والأربعون، نيسان ١٩٤٠، ص ١٠٩٩-١١٠٣.

– "مجالس أناتول فرانس"، مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلّد الحادي عشر، سنة ١٩٣١، ص ٣٢١-٣٣٣ و ٣٩٣-٤٠٥.

– "مميزات بني أمية"، مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلّد السادس عشر، سنة ١٩٤١، ص ٤٠٨-٤٢١ و ٤٥٠-٤٥٥.

– "تصوّرات الشيوخ"، مجلّة الشرطة، رقم ٥، السنة الأولى، أيار/مايو ١٩٥٣، ص ١٠ و ٣٣

– "سوانح"، مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلّد السادس والعشرون، الجزء الأوّل، كانون الثاني ١٩٥١، ص ١٥-٢٦.

– "سوانح"، مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلّد السابع والعشرون، الجزء الرابع، تشرين الأوّل ١٩٥٢، ص ٥٠٤-٥١٩.

مجموعة مؤلّفين، حفل تذكاري بمناسبة انقضاء خمسين سنة على وفاة مؤسّس المجمع الأستاذ محمد كرد علي"، مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلّد التاسع والسبعون، الجزء الأوّل، كانون الثاني/يناير ٢٠٠٤، ص ٣-٣٨.

اليافي، عبد الكريم، "محمد كرد علي وأثره في الحركة الأدبية ببلاد الشام"، الكاتب العربي، رقم ٣، سنة ١٩٨٢، ص ٥٤-٧٦.

# القسم الأول

# الفصول الرئيسية

# اليمن الخضراء

وصفت اليمن بالخضراء لالتفاف أشجارها ونضرة أرضها وخصب تربتها. [قال القدماء] إن أهلها يزرعون أربع مرات في السنة ويحصدون كل زرع في ستين يوماً، والحبة تنبت من خمسين إلى أربعمائة حبة. ولئن عزّت أنهارها فما عزّت أمطارها، [ترسل السماء عليها] الغيث المدرار بالعدان في الصيف. يقول ابن الفقيه [١] إن فيها من أنواع الخصب وغرائب الثمر وطرائف الشجر ما يستصغر معه ما ينبت في بلاد الأكاسرة والقياصرة، وإذا تفاخرت الروم وفارس بالبنيان وتنافست، لقد عجزوا عن مثل غمدان ومأرب وحضرموت وغيرها من القصور والمصانع. [٢]

ويزيد في مكانة اليمن أنها أصل العربية نزلها ولد يعرب بن قحطان. وكان يعرب على رواية [معظم] المؤرخين أول من تكلم بالعربية حين تبلبلت الألسن ببابل. وأطلقوا على سكان اليمن اسم العرب العاربة وعلى غيرهم العرب المستعربة. وأي شرف لليمن أعظم من أن يكون أبناؤها أول من حملوا اسم العرب و أن يكون بلدهم موطن هذه الأمة الأول.

إن تاريخ اليمن في الإسلام والجاهلية مما يفاخَر به. كان أبناء اليمن في الفتح العربي وبعده في عهد بني أمية وعهد بني العباس وفي أدوار الدول الخالفة أمة رشيدة قوية الشكيمة، صلبة العود، [عُرفت بخصالها وشدة ذكائها]، ويكفي في عزّتها وشمم نفوس أهلها أنها ظلت خلال استيلاء الترك العثمانيين عليها تجاذبهم حبل السلطة أكثر من ثلاثمائة سنة لم تفتر عن مناجزتهم حاربتهم حرباً لا هوادة فيها منذ

---

١ . أبو بكر أحمد ابن الفقيه : عالم من القرن الثالث هجري، ألّف كتابه المشهور بعنوان "كتاب البلدان" حوالي سنة ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م وهو مفقود. اعتمد عليه المقريزي وياقوت، ونشر المستشرق الهولندي دي خويه ملخصاً لهذا الكتاب سنة ١٨٨٥ .

٢ . راجع ثلاث مقالات لنا في اليمن و سكانها ومقالة في المعاهدة التركية اليمانية نشرت في المجلد السابع من مجلة المقتبس (للمؤلف).

انظر: كرد علي، محمد، "اليمن وسكانها"، المقتبس (المجلة)، دمشق، المجلد السابع، ١٩١٢، ص ٣٥–٤٤ و٨١–٩٢ و١٦٩–١٨١ وفي المجلد نفسه، "اليمن والدولة العلية"، ص ٣٩٦–٣٩٩.

يوم فتحها السفاح سنان باشا التركي إلى أن عقد إمام اليمن يحيى بن حميد لديه مع قائد الترك عزت باشا سنة ١٣٢٩هـ (١٣٢٧ رومية) [٣] معاهدة لم تُبق للدولة العثمانية بعدها في ولاية اليمن سوى امتيازات ضئيلة وهذه قُضِي عليها عُقبى الحرب العالمية الأولى بانسلاخ الولايات العربية بأسرها عن الدولة العثمانية وجلاء الترك عن اليمن بأمر السلطان سنة ١٩١٨. [٤]

[٢] اغتبط العرب لما تمّ لليمن استقلالها الذي سعت إليه أحقاباً واستبشروا بخلاص العرب كلهم من حكم العثمانيين، وفرحوا بحقن دماء اليمانيين ومن كانت ترسلهم الدولة لحربهم من [الأتراك والعرب] (من الشام والأناضول). وكانت الدولة تزيد في إرهاق سكان اليمن كلما صدوا جيوشها عن ديارهم.

وكان يُرجى لليمن باستقلاله التام أن يبدأ بالأخذ بمذاهب المدنية وينزع عن ثوبه البالي القديم، ويسارع للخروج من ظلمة البداوة إلى فجر الحضارة وبخاصة لأن اليمانيين لا ينقصهم شيء من الحافزات إلى الرُقي. بيد أن دولة اليمن رأت سلامتها بعد الذي شاهدت من [لماءة] الدخيل عليها أن تسد حدودها من البحر والبر والجو لتحول دون وصول الغرباء إليها، متناسية أن الأمة لا تعيش إلا بالأخذ من غيرها وإعطائه، وأن [ميزان] الاقتصاديات لا يُشترى إلا بانتظام الاستيراد والإصدار، ومن [المستحيل] أن تظل اليمن على عزلتها في مثل هذا العصر عصر تمازج الشعوب واختصار المسافات بين البلدان. ولعل هذه العزلة المضرة مما جنى على اليمن فأخّرها عن اللحاق بجاراتها مصر والشام والعراق، [وما برحت] اليمن [تتجاهل] أن هذه الأقطار أخذت من المدنية الغربية بالصغير وبالكبير وظلت مع هذا مسلمة عربية.

قدر العارفون مساحة اليمن بمائتين وستة وخمسين ألف كيلومتر. وقدر أرباب الإحصاء من الغربيين سكانها بأربعة ملايين ونصف مليون، ويقدرهم العارفون من

---

٣. هناك خطأ في توافق التواريخ. فالتاريخ الميلادي الموافق هو سنة ١٩١١م.

٤. دخل جيش بني عثمان اليمن سنة ١٥٣٨م وتمّ احتلال صنعاء سنة ١٥٤٧ ثم استقلت سلالة الأئمة الزيديين عن السلطنة العثمانية سنة ١٦٣٥. عاد العثمانيون سنة ١٨٤٩ إلى سهل التهامة ولم يستقرّوا في صنعاء قبل سنة ١٨٧٢ حيث أسّسوا فيها ولايتهم. وبعد فترة متوتّرة بين الإمام يحيى الزيدي والسلطة العثمانية، اتفق الخصمان على معاهدة في دعان سنة ١٩١١م، أُعتُرف فيها باستقلالية الإمام مقابل دفع ضرائب سنوية إلى الحاكم العثماني. كان الإمام يحيى حليفاً للعثمانيين خلال الحرب العالمية الأولى، ولما انسحب الجيش العثماني من الجزيرة العربية سنة ١٩١٨، استمرّت مقاومة الإمام يحيى ضدّ الإنجليز وحليفهم السيّد إدريس بضع سنوات. أما منطقة عدن، فظلّت مستعمرة حتى سنة ١٩٦٧.

العرب بأكثر من ذلك. هذا والجهل فاشٍ في هذا الشعب سواء فيه تهامة[٥] والجبال [ويتساوى في كلمته] الزيدية والشوافعُ، ويكفي للدلالة على انحطاط [هذا الشعب أن أهل اليمن] إلى اليوم يعمدون إلى الرُّقى والتعاويذ في شفاء أمراضهم مع وجود أطباء من أهل اليمن ومن الطارئين عليها من الطليان. وكان المأمول أن تربو نفوس اليمن على العشرين مليوناً لولا أضرار "القات" [وهو] حشيش مخدر يمضغونه [ويدّعون] أنه يسهل الهضم عليهم، فساءت [به] صحتهم [ودخل العقم على] نسلهم. وزاد في ذلك إهمال الحكومة شؤون الصحة العامة حتى ادعى من زار اليمن من الأطباء العارفين أن [هذا القطر] مستنبت الأمراض. وهناك عوامل تدخل في باب الأعمال الإدارية ولا تسوّغها قوانين العصر الحاضر، مثل أخذ رهائن من القبائل بالمئات واعتقالهم في السجون حتى لا تخرج عن طاعة الدولة القائمة.

[٣] يود كل عربي لليمن عهد رخاء يناسب طبيعتها وغناها، ودوراً في المدنية يلائم ماضيها الباهر. لا جرم أن إمام اليمن عارف بطرق إصلاح [مملكته] وأنها إذا استوفت شروط القوة الحربية وهي متخلفة في القوتين المادية والثقافية، وأنه ليس من علاج لمداواة أمراض [ذلك القطر العظيم] إلا استدعاء مستشارين ومعلمين من [الأقطار العربية] ومن أوربا [بمقياس واسع] فإذا فعل لا يمضي جيل أو جيلان حتى [تتم] لليمن [سعادتها] ويتكرر حكم التاريخ. أما قالوا إن اليمن سبقت بابل ومصر إلى الحضارة ومنها هاجر أجداد الفراعنة ومنها كان أجداد البابليين و[إن اليمانيين حملوا إلى مصر] وبابل وآشور الصناعات والعلوم وأساليب التجارة. واستنبط أرباب الأخبار أن اليمانيين أو الحميريين هم الذين نقلوا المدنية إلى شواطيء آسيا وإفريقية وأوربا، ووصفوا اليمانيين بأنهم كانوا [أميل] بمدنيتهم إلى التجارة [منهم] إلى الغزو والغارة. وكان معظم الأذواء[٦] من أمرائهم يتّجرون فإذا كان لأحدهم مطمع في السيادة غلب على الأرض التي نزلها.

وبعد فإن أدوار الممالك كأدوار الأشخاص لا بد من المبالغة في تشخيصها حتى يصف لها أساتها الأدوية الناجعة، وخير دواء لليمن و لا شك نشر العلم على الطرق الحديثة والأخذ بأساليب الحضارة الجديدة وبذلك فقط تستعيد عظمتها الغابرة وتغدو حقاً "العربية السعيدة" على ما كان القدامى يسمونها.

---

٥. سهل تهامة: سهل ضيق في غربي اليمن، يحاذي ساحل البحر الأحمر على طول ٤٠٠ كم تقريباً ويفصل بين هذا البحر في الغرب وبين جبال السراة والسروات في الشرق.

٦. رتبة قديمة في اليمن.

فصل ٢/ ملف ٢٨-١
صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة
وصفحة بخط اليد

*Chapitre 2 / dossier 28-1*
*1 p. dactylographiée*
*et 1 p. de notes manuscrites*

# لبنان

أحب لبنان لأنه قطعة جميلة من وطني [ وأحب لبنان لأنه تابع في الأخذ بمذاهب العلم قبل غيره من سكان الديار الشامية وكان من أبنائه نوابغ رفعوا رأس العرب ]، وأحب اللبنانيين وأقدر إقدامهم على الهجرة لكسب المال وتلقف المدنية الحديثة، لا أعطي [ اللبنانيين ] أكثر من استحقاقهم، ولا يحول حبي المكان والمكين دون التصريح بأمور قد لا ترضي فريقاً من [ أهل الحل والعقد في لبنان وكانت ] السلطة [ أدخلت ] فيه [ كرهاً ] أقاليم ما كانت منه، ولا أحب أهلها أن يندمج فيه.

جاء الانتداب فعطف على من ادعوا أنهم أبناؤه البررة [٧]، وفنوا فيه حتى كادوا ينسون أبسط حقوق الوطنية، فلما تخلى المنتدبون عن انتدابهم، وقام أهل لبنان يديرون أمورهم بأنفسهم ظهر الضعف في إدارتهم [ و ] غدا لكل عمل في لبنان ثمن يدفعه طالبه مقدماً، واتسع نطاق الوظائف وزادت النفقات على ما لا تحتمله الحكومة، وغدا [ كبار ] الرؤساء يتقاضون الرشوة كأنها حق من حقوقهم [ يتقاضونها جهرة من دون حياء ]، واقتدى سائر الموظفين برؤسائهم فساءت حال الرعية، ولسان حال المستخدم الصغير: ولِمَ [ لا أتناول ] ما أعود به على شملي، ما دام الرؤساء يمدون أيديهم ويسلبون ما شاؤوا، نحن نأخذ ما نعيش به، والطبقات العالية تستنزف ما في الجيوب لتزيد ثرواتها وتنشئ [ قصورها و ] عماراتها. والشعب يشاهد من يدخلون في الخدمة على الأكثر فقراء، ويغدون بعد مدة وأهلهم وأتباعهم من الأغنياء. [ ومنذ ] أخذوا يقيسون كل شيء [ بمقياس ] الربح وعقلية التجار، زالت هيبة [ الحكم ] وزالت سلاطة الصغير على الكبير.

---

٧. كتب كسروان لبكي مؤخراً في جريدة "لسوار" الفرنسية أن اللبنانيين تعاونوا مع الانتداب الفرنسي ليحميهم من عدوان الحجاز وبغداد ودمشق والقاهرة. تأمل هذا المنطق المخالف لحقائق التاريخ. وقل لي يا بيك في أي عصر اضطهد المسلمون اللبنانيين. (للمؤلف)

ومن أعظم الشواهد على شيوع الشذوذ في [شؤون] لبنان ما روته جريدة (الكفاح)[٨] في معرض الكلام على الانتخابات النيابية فيه قالت [ : " ]إن الحكومة هناك أو القصر الجمهوري بالذات هي التي تدير الانتخابات وتوجهها، و[قالت إنها] تختار النواب من طبقةِ معينة مقابل جُعل محدود تتقاضاه من كل واحد منهم بنسبة ثروته وقدرته على الدفع. فهنالك من يدفع مئة ألف ليرة ومن يدفع نصف مليون ليرة أو أكثر أو أقل. وأغنياء لبنان مولعون بالمظاهر لا [يحجمون] عن البذل مهما كثر في سبيل المناصب والجاه.

والدستور اللبناني كالدستور السوري لا يبيح انتخاب رئيس الجمهورية عقب انتهاء دورته، ويشترط انقضاء دورة برلمانية كاملة لكي يعاد انتخابه. وقد عدّل المجلس السابق هذا التعامل بإلغاء هذا التقليد لمصلحة الرئيس، ثم أعاد انتخابه مرة ثانية.

ولنا أن نقول إن الحكم الجمهوري في لبنان يسير بأهواء [الرؤساء]، كما كان في سورية قبل الثورة الأولى،[٩] ومجالس نيابية تتألف على هذه الصورة يتعذر أن ينشق الشعب بها أرج الحكم النيابي. والقانون إذا ساء استعماله، على نفعه الظاهر، [يكون عدمه خيراً من وجوده]. وما كان العيب في الدساتير فإنها كلها من تأليف طبقة مختارة [من] الأمة، والعيب ممن يتناولونها لأغراض لهم بالإضافة والحذف [ولا يطبقون من مواده إلا ما يروقهم]، وما دام الأغنياء في لبنان على هذه الأخلاق من حب الجاه والمنصب يتعذر أن تستلم الحكم غير هذه الطبقة.

وما برح البشر يتوفر على تبديل الدساتير، ويضع قوانين للاستمتاع بالسعادة، وكلما رجا أن يتنفس الصعداء وينتقل من حكم أعرج إلى حكم مستقيم بتعديل أنظمته، [يثبت له] أنه لم يتحول عن موقفه الأول. وكلما وضع ثقته في نبهاء أبنائه ورجا أن ينال الخير على أيديهم لا يلبثون أن يتقمصوا أشراراً تشقى بهم أمتهم.

[بعد أن دونت هذا قام المعارضون في لبنان بمظاهرات في مدينة بيروت وعبروا عن استياء الشعب قاصدين إقصاء الشيخ بشارة الخوري عن رئاسة الجمهورية وقد

---

٨. جريدة الكفاح: جريدة يومية سياسية صاحبها ورئيس تحريرها أمين سعيد، صدرت في دمشق بين سنتي ١٩٣٩ و ١٩٥٧.

٩. كان الزعيم شكري القوتلي رئيساً للجمهورية السورية بين سنتي ١٩٤٣ و١٩٤٩ قبل أن يحكمها المشير حسني الزعيم عقب انقلابه (أي "الثورة الأولى" حسب تعبير محمد كرد علي) في ٣٠ آذار/مارس ١٩٤٩. ورغم تنظيم انتخابات نيابية سنتي ١٩٤٣ و ١٩٤٧، كان الحكم في أيدي نخبة من الإقطاعيين وكبار التجار والصناعيين آنذاك.

ضاقت الصدور مما رأى القوم من سياسته التي جلبت للرعية الفقر والحكم المتذبذب. هددوه بإلقاء القذائف على قصره وجاهروه بأنه اغتنى اغتناء فاحشاً هو وابنه وأسرته وأخوه وأهله وما كان له شيء من هذا لو لا منصبه العظيم. ونحن نعتقد أن ما اتُّهم به الرئيس الماضي لا يخلو من مبالغة، ولكن مهما حذف من أرقامها يبقى منها جزء عظيم لا يستطيع منصف إنكاره. كان رئيس لبنان لبقاً بسياسته استمال قلوب الطوائف باللطف وحرص على مراعاة الظواهر فأدار دفة السياسة اللبنانية تسع سنين وإن كان أتى ما لا يحسن فيه صدوره فإن رجال السياسة في بلده يشاركونه فيما اتُّهم به وقلّ فيهم العفف النزيه.] [١٠]

١٠. هذا المقطع لحاشية بخط يد الكاتب أُضيفت على ظهر الصفحة تحت الرقم ٧٧٧. وقعت تلك المظاهرات في أيلول/ سبتمبر ١٩٥٢ وأدّت إلى استقالة الرئيس بشارة الخوري.

# دهشة الممالك

هي البرازيل أكبر جمهوريات أميركا الجنوبية تبلغ مساحتها السطحية ( ٩٥٠ ) مليون كيلومتر مربع [١١] وتتسع لإيواء نصف سكان العالم، ونفوسها الآن خمسون مليوناً مقسمة على عشرين ولاية لكل منها حكومتها وبرلمانها، [ أطلقوا عليها اسم ] الولايات المتحدة الجنوبية. وفي هذه الولايات من أنواع الخيرات ما هو العجب العجاب، وأجمل ما فيها التسامح الذي يستغرب من بلد أنشأه رجال الدين. قال ستيفان زويك في كتابه البرازيل أرض المستقبل[١٢]، وقد أعجب بما رآه في هذه الجمهورية العظيمة من لين جانب أهلها ولطفهم وظرفهم : "عدّلت حوادث السنين الأخيرة أفكارنا في تفسير كلمتي "مدنية" و"ثقافة" وأنا لا أميل إلى أن أجعل منهما مرادفاً لـ"تنظيم" و"رفاهية"، وقد ساعد على سريان هذا الوهم أننا نرجع أبداً إلى الإحصاءات، والإحصاء علم آلي، [ يتوخى حساب ] واردات المملكة ويقدر حظ الفرد منها، ويحصي السيارات والحمامات وآلات المذياع، وما تستهلكه شركات التأمين على الحياة من الأموال. وإنّا إذا جعلنا هذه الأمور ميزان الحضارة نخرج منها إلى أن أكثر الشعوب ثقافة ومدنية هي التي تنتج إنتاجاً عظيماً وتنفق كثيراً. ويعظم فيها دخل الفرد، وبذلك نُهمل عنصراً مهماً أي عنصر الشعور الإنساني، وهو العيار الصادق للثقافة والتمدن. ومهما بلغ النظام من الرقي ليس ما يمنع الشعوب من أن تحيله إلى معنى حيواني بدلا من أن تصرفه في خدمة الإنسانية. ونحن لا نرى أن نصف شعباً بالاستناد إلى قوته الصناعية والمالية والعسكرية، بل على العكس نضعه في الدرجة التي يتفوق بها في شعوره بالسلام، وفيما فطر عليها من الصفات الإنسانية (ا هـ)."

وأجمع من وصفوا البرازيل بأن تاريخها تاريخ سلام [١٣] إذا قيس بتاريخ ممالك أوربا. فإن سويسرا وحدها فقدت في القرون الماضية ( ٦٥٠ ) ألف ضابط وجندي من

---

١١. المساحة الصحيحة للبرازيل هي ثمانية ملايين كيلومتر مربّعة ونصف المليون.

١٢. اسمه بالفرنسية هكذا Stephan Zweig : Le Brésil terre d'avenir (للمؤلف)

١٣. البرازيل أرض الحب والجمال لهنري والوتون Henry Valloton : Brésil, terre d'amour et de beauté (للمؤلف)

أبنائها هذا ما عدا من هلكها في حروبها الأهلية. امتازت البرازيل بالتسامح وحب السلام، وبأدب أبنائها العالي، وفيها تجد الاعتدال ماثلاً حتى في أيام الانتصارات، والثورات فيها أشبه بنشوءٍ مفاجيء.[١٤]

ويقول مؤرخو البرازيل الوطنيون والغرباء إنه كان للمبشرين بالدين يد طولى في تمدين سكان البرازيل، فقد نصّروا في قرنين أكثر من مئة ألف من الهنود والزنوج، وكان للمستعمر والمستثمر والمبشر يد في إنشاء هذه الأمة، فالمستثمر كان يحرص على دوام رق العبيد لجمع الذهب، وكان غرام المستعمر أن يغتني على أيدي عبيده، والمبشر كان مأخوذاً بمعالجة الأرواح، وأرواح العبيد من جملة ما يعالج. فمنهم من كان هواه في جلب المال، ومنهم من يعمل لله وللآخرة.

قالوا وفي سنة ١٧٥٩ طرد المركيز بومبال[١٥] طغمة اليسوعيين من البرازيل، بدعوى أن التعليم الذي كانوا يبثونه في مدارسهم يقوم على المجهولات والمجردات، وفيه من الجمود ما لا يتلاءم ومقتضيات العصر، ويتخلله التضييق على الأنفس، وهو ممزوج بالتعصب الأعمى، وأنهم لا يعلمون اللغات الحديثة والعلوم على ما يجب إلى آخر ما نُسب إليهم.

أتى الفاتح البرتقالي[١٦] البرازيل يحمل ثلاث مسائل جوهرية، لسانه ودينه وعاداته، وجاء المبشرون فحققوا أموراً أخرى تكونت منها البرازيل[١٧] الحديثة. وعندنا أن أعظم ما ربحته البرتقال كان في نشر لغتها، وكان عدد أهلها في الفتح لا يزيد على ثلاثمائة ألف بالغ، وكان يتكلم البرتقالية في العالم نحو مليونين، فأصبح المتكلمون بها ستين مليوناً لعهدنا، وإذا أضفنا إلى ذلك نحو مئة وأربعين مليوناً يتكلمون الإسبانية، والفرق بين اللغتين البرتقالية والإسبانية طفيف جداً، كان عدد من يفهمون البرازيلية نحو مئتي مليون.

---

١٤. مرّت البرازيل بمرحلة ديمقراطية بين سنتي ١٩٤٥ و ١٩٦٤ رغم عودة الدكتاتوري السابق جيتوليو فارجاس [Getulio Vargas] إلى رئاسة الجمهورية بين سنتي ١٩٥١ و ١٩٥٤.

١٥. المركيز دي بومبال [marquis de Pombal] (١٦٩٩–١٧٨٢): رئيس الوزراء في البرتغال بين سنتي ١٧٥٥ و ١٧٧٧ في عهد الملك جوزيف الأول. قرّر طرد اليسوعيين من المملكة البرتغالية ومن كل مستعمراتها.

١٦. هكذا في الأصل.

١٧. في الأصل: برازيل.

فصل ٤/ ملف ٢٧-٢
٤ صفحات مطبوعة على الآلة الكاتبة مرقمة
مع تصحيح بخط يد الكاتب

*Chapitre 4 / dossier 27-2*
*4 p. dactylographiées et numérotées*
*avec quelques corrections manuscrites*

# زوغان الدول

كتب إليّ من باريز في ٣ كانون الثاني سنة ١٩٥٢ صديقي فارس الخوري رئيس الوفد السوري في منظمة الأمم المتحدة [١٨] كتاباً يشير فيه إلى زوغان الدول العظمى في مسائل الشرق قال:

تأخري بالكتابة إليك ناشىء عن شغلنا المضني في هذه المنظمة الأممية التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب. وأنا كما تعلم قد اشتركت بإنشائها ورافقتها في جميع أدوارها وصفحاتها منذ افتتاح مؤتمرها الأول في ٢٥ نيسان سنة ١٩٤٥ إلى يومنا هذا. [١٩] وقد كانت تداعبنا فيها الآمال اللامعة فتطير بنا إلى الأوج الأسمى في ظل السلام العالمي وسلطان الحق والعدل. وهناك في سان فرنسيسكو أخذنا الحكم الأول من خمسين دولة إقراراً باستقلالنا التام الناجز، بمعزل عن كل حماية أو وصاية أو أي نوع من الدعاوى الأجنبية التي تشوب هذا الاستقلال.

ومن المؤسف المخزي أن هؤلاء العظماء الذين أقروا لنا بهذا الحق الطبيعي وعلى رأسهم أميركا وبريطانيا وروسيا وفرنسا [٢٠] عادوا بعد أربع سنوات من اعترافهم للعرب بذلك الحق فدقّوا إسفيناً ساماً في قلب البلاد العربية، بمنح اليهود حق إنشاء دولة مستقلة في نحو الثلثين من الأراضي الفلسطينية، غير مكترثين بأن هذه الأرض مأهولة بسكانها العرب الذين ما زالوا فيها منذ آماد بعيدة جداً، وأن اليهود مرّ عليهم

---

١٨. انظر الصور التي تذكر هذه الفترة من حياة فارس الخوري في كتاب "أوراق فارس الخوري"، تنسيق وتحقيق وتعليق كوليت الخوري، ج ١، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧، ص ٥ و ٦٠-٦٢ و ٨٦ و ١٤٥.

١٩. شاركت سورية في مؤتمر سان فرانسيسكو المؤسّس لمنظمة الأمم المتحدة ووقّعت قانونها الأساسي في ٢٦ حزيران/يونيو ١٩٤٥، فكانت من الدول المؤسّسة الواحدة والخمسون لتلك المنظمة، قبل إعلان استقلالها السنة التالية، إلى جانب المملكة العربية السعودية ومصر والعراق ولبنان.

٢٠. ظلّت حكومة الصين المنفية في جزيرة فورموزة (أي تايوان) الممثلة الوحيدة للصين في منظمة الأمم المتحدة بين سنتي ١٩٤٩ و ١٩٧١، إلى أن أقرّت الجمعية العامة للأمم المتحدة استبدالها بجمهورية الصين الشعبية بقرار رقم ٢٧٥٨ (٢٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٧١).

إلى اليوم نحو ألفي سنة وهم بعيدون عنها، وليس لهم صلة ما. واليهود لم يكتفوا بهذه المساحة الواسعة بل عادوا وأغاروا سنة ١٩٤٨ على إقليم عكا والناصرة واللد والرملة ورأس العين وبئر السبع وألحقوها بما خصهم به قرار التقسيم، الذي أبرمته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧، [٢١] وذلك بعد أن طردوا سكانها منها، واستساغوها لأنفسهم غنيمة باردة، كما أخرجوا العرب من منازلهم واستولوا على أملاكهم وحقولهم وبساتينهم وجميع ما يملكون من منقول وغير منقول في مجموع ما يحتله اليهود من الأقاليم الفلسطينية، وهي أقضية يافا وحيفا وطبريا والناصرة وصفد وبرية سينا ومعظم القدس، مع الأماكن التي تربطها بيافا والساحل البحري. ولم يتركوا للعرب إلا أقضية نابلس وجنين وطول كرم والقدس القديمة. فبلغ عدد العرب المطرودين من منازلهم نحو المليون من النفوس، تقدر أموالهم التي خلفوها وراءهم بأكثر من ألفي مليون جنيه إنكليزي. [٢٢]

في كانون الأول سنة ١٩٤٨ تمكنّا من أخذ قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بوجوب تمكين من يختار من لاجئي العرب العودة إلى وطنه وتسهيل السبل له لذلك،

---

٢١. اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار التقسيم (أي قرار رقم ١٨١) في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧ بثلاث وثلاثين صوتاً ضدّ ثلاثة عشر صوتاً وإحجام عشرة عن التصويت. منح هذا القرار ٥٥٪ من فلسطين التاريخية إلى الدولة اليهودية و ٤٠٪ إلى الدولة العربية والباقي لمنطقة القدس تحت إدارة دولية.

٢٢. مرّت الحرب الأولى بين العرب والصهاينة بثلاث مراحل بين إعلان قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٤٧ ومنتصف سنة ١٩٤٩، فكانت المرحلة الأولى عبارة عن حرب داخلية بين الفلسطينيين والمتطوّعين العرب من جهة، والصهاينة من جهة أخرى، وأدّت إلى احتلال عكا وطبرية وصفد وحيفا ويافا وطرد ما بين ٣٥٠ و ٤٠٠,٠٠٠ من عرب فلسطين من ديارهم. وجاءت المرحلة الثانية بعد إعلان تأسيس دولة إسرائيل، بين ١٥ أيار/مايو و ١١ حزيران/يونيو ١٩٤٨، ثم بين ٩ و ١٨ تموز/يوليو ١٩٤٨، حين دخلت الجيوش العربية أرض فلسطين وأمّنت الضفة الغربية مع القدس، ولكنها لم تمنع الجيش الإسرائيلي (الهاجانا) من احتلال الرملة واللد والناصرية. أما المرحلة الأخيرة، فجاءت بين ١٥ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٨ و شهر حزيران/يونيو ١٩٤٩، حيث احتل الجيش الإسرائيلي الجليل ومنطقة بئر السبع حتى البحر الأحمر وطرد ما بين ٣٥٠ و ٤٠٠,٠٠٠ من عرب فلسطين آخرين. انتهت تلك الحرب بهزيمة عُرفت بالنكبة عند العرب وبتوقيع هدنة بين إسرائيل من جهة، وحكومات مصر ولبنان والأردن وسوريا من جهة أخرى، ذلك بين شهري شباط/فبراير وتموز/يوليو ١٩٤٩. انظر المرجع التالي :

خليفة، أحمد (ترجمة)، الخالدي، وليد (تقديم)، جبّور، سمير (مراجعة)، حرب فلسطين، ١٩٤٧–١٩٤٨، (الرّواية الإسرائيليّة الرّسميّة)، بيروت، مؤسّسة الدّراسات الفلسطينيّة، ١٩٨٤.

ووجوب التعويض على من لا يريد الرجوع إلى بلده تعويضاً عادلاً. [٢٣] وعادت الجمعية العامة بسبب امتناع اليهود عن تنفيذ هذا القرار فأكدته سنة ١٩٤٩ وثانية في سنة ١٩٥٠. ورغم هذه التأكيدات ما زال اليهود يضربون بهذه القرارات عُرض الحائط، ويعلنون تمردهم وإصرارهم على الرفض، فلا يسمحون بعودة لاجىء ولا يتخلون عن شبر أرض مما يحتلونه ولا يدفعون درهماً. وها نحن اليوم نكافح ونجاهد للحصول على تأكيد رابع لهذا القرار القاضي بالسماح للاجئين بالعودة إلى وطنهم، والتعويض على من لا يريد العودة منهم. ونحن نعلم أيضاً أن جميع هذه القرارات ستبقى صيحة في واد ونفخة في رماد. لأن اليهود يصرحون بكل قِحة أن أملاك العرب شغلها مهاجرو اليهود ولم يعد للعرب مكان يحلون به في الجمهورية الإسرائيلية، فعليهم أن يجدوا لأنفسهم موطناً آخر في البلاد العربية الواسعة. ومنذ أن فرّ العرب من فلسطين، وتركوا منازلهم، تدفق المهاجرون الجُدُد من يهود العالم إلى فلسطين فبلغ إلى الآن عدد هؤلاء الغزاة الجُدُد الدافقين إلى فلسطين نحو المليون انضموا إلى ثلثي المليون الذين كانوا في فلسطين يوم قرار التقسيم في أواخر سنة ١٩٤٩. [٢٤]

[ ٢ ] هذه الكارثة التي مني بها العرب تكاد تكون منقطعة النظير في التاريخ، أن ينجح نصف مليون من الغرباء بالنصر على سكان البلاد البالغين ضعفيهم عدداً والمؤيدين بنحو أربعين مليون من إخوانهم العرب في دول الجامعة العربية السبع. [٢٥]

تأمل أيها الأخ العزيز حالة هؤلاء اللاجئين العرب الذين استولى عليهم الذعر فتركوا دورهم وهم بالكسوة التي كانت على أجسادهم فقط، ووراءهم المطاردون يُجهزون على من يتلكأ في الفرار، تاركين وراءهم كل ما يملكون من ألبسة وأثاث

---

٢٣. اتّخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة هذا القرار (رقم ١٩٤) في ١١ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨ وينصّ في مادته رقم ١١ على حقّ عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم أو تعويضهم لمن يرغب منهم. رفضت إسرائيل أن تطبّق هذا القرار رغم تأكيده عدّة مرّات عند الأمم المتحدة

٢٤. يقصد سنة ١٩٤٧.

٢٥. كان عدد الجنود الإسرائيليين ونوعية السلاح المتوفّر لدى الجيش الإسرائيلي يتفوّقان على عدد جنود الجيوش العربية ونوعية سلاحهم خلال حرب ١٩٤٨. يذكر المؤرّخ الإسرائيلي بيني موريس [Benny Morris] مثلاً أن عدد الجنود بلغ ٤٢,٠٠٠ جندي إسرائيلي مقابل ٢٨,٠٠٠ جندي عربي في حزيران/يونيو ١٩٤٨ وأن هذين العددين ارتفعا إلى ١١٥,٠٠٠ مقابل ٦٠,٠٠٠ في ربيع سنة ١٩٤٩. ويُذكر أن الحكومة الإسرائيلية كانت قد اشترت سلاحاً وطائرات حديثة من بعض الدول الأوروبية (ومن بينها تشيكوسلوفاكيا) بينما كانت الدول العربية تعاني من الحصار الدولي.

ونقود ومجوهرات وحقول وغلات وقصور وحدائق وبيوت، وهاموا على وجوههم لا يلوون على شيءٍ إلى مأمن يصلون إليه في البلدان العربية المجاورة. وهم منذ أربع سنين وإلى الآن يعيشون على الصدقات في الخيام أو في الملاجيء أو في ظلال الأشجار، يفتك بهم الجوع والعري والمرض وبرد الشتاء وحرّ الصيف بينما أموالهم الوافرة مباحة لشذاذ الآفاق [الواغلين] على فلسطين من أبعد البقاع.

نحن ما زلنا نكرر الشكوى لهذه المنظمة لتنظر في نتائج جرائمها وتتلافى ما يمكن تلافيه من الفواجع التي صبتها على العرب من جام أطماع قادتها وأغراضهم البشعة.

وبلغ بهم الجور والاعتساف أنهم جاؤوا هذا الأسبوع بمشروع قرار وقعته أميركا وبريطانيا وفرنسا وتركيا يوصون العرب أن يحترموا الأمر الواقع، ويحلوا مشاكلهم بالتسامح والتساهل على قاعدة العطاء والأخذ لإنشاء صلح دائم بينهم، وبدون أن يشيروا إلى حق عرب فلسطين القوي بالرجوع إلى دورهم واسترداد أملاكهم وأموالهم، فهم بمشروعهم هذا ينصحون العرب أن يتساهلوا مع اليهود مجدداً علاوة على ما سلبه اليهود منهم، بحيث لم يتركوا لهم شيئاً يتساهلون به. ويصرّ هؤلاء المقترحون الأربعة على العرب أن يكونوا واقعيين ويحترموا الحال الحاضرة، ومعنى ذلك أن اليهود وضعوا اليد على أملاك العرب ومنازلهم وأموالهم ولم يعد تحصيل ذلك منهم سهلاً فيحسن تركه لهم وأما المليون عربي فليس من الممكن رجوعهم وإسكانهم في فلسطين فأسكنوهم خارجها في بلادكم، فكأن الواقعية التي ينصحوننا بها تقضي بإقرار الناهب والغاصب والسارق على نهب وغصب وسرق. أقمنا عليهم الحجة وأيدنا حقنا بالدليل القاطع مراراً وتكراراً حتى قال الملاحظون المنصفون : إنّ خمسة بالمئة من حجج العرب تكفي للحكم لهم عند أرباب العدل. ولكن هذه الوفود قلوبهم معنا وأصواتهم علينا، وذلك أن حماة اليهود العظام يملون إرادتهم على حكومات الدول الصغرى في عواصمها لحماية اليهود في دولتهم الجديدة بحجة أن ما أخذته لازم لها لتعيش وتستقبل مهاجريها الملايين من يهود العالم ليحلوا محل العرب المطرودين [من] منازلهم يستعملون ألبستهم وأثاث بيوتهم وثمرات حقولهم وكرومهم وبساتينهم وبياراتهم بينما أصحاب هذه الأموال يلتحفون العراء ويفترشون الثرى والصخور ويستظلون بأفياء الشجر.

كنت مرة في السنة الماضية أطالب بإخلاء اليهود المناطق التي اغتصبوها سنة ١٩٤٨ خارج الحدود اليهودية المثبتة في قرار التقسيم، فقال لي أحد أعضاء الوفد

الأميركي : "كيف تريد أن ترد عقارب الساعة إلى ما قبل سنتين" قلت له : "تستنكر هذا ولا تستنكر أنكم أنتم رددتم عقارب الساعة إلى الوراء لمدة ألفي سنة، فقد أعدتم اليهود إلى بلد تركوه منذ عشرين قرناً" فخجل وسكت.

كان وزير خارجية إسرائيل [٢٦] يتكلم مرة في مجلس الأمن ويمنّ على العرب أنهم تركوا لهم أربعين بالمئة من أرض فلسطين التي هي لهم وحدهم. كأن اليهود هم أصحاب الأرض الشرعيون. فقلت للمجلس إن حالنا مع هؤلاء اليهود يشبه حال ذلك الرجل مع اليهودي الذي طلب إليه أن يقرضه عشرة دولارات، فقال : "معي ستة فقط"، فقال اليهودي : "هاتها ويبقى لي عليك أربعة "، فتأملوا دعاوى هؤلاء [الوقاح] الذين لا حدّ لمطامعهم [٣] واستحلالهم المحرمات.

أنا لا أستغرب تحيز الأميركان والإنجليز لليهود على العرب بقدر ما أستغرب تحيز الأتراك لليهود، يقرون لهم بانتزاع قطر عربي فيه الأقداس الإسلامية والمسيحية، وهم لا يطيقوا ضمن حدودهم عنصراً أصيلاً في [أرضهم] كالأرمن الذين كانوا أصحاب البلاد يطأها الأتراك. فكيف أجازوا لأنفسهم أن ينصروا الغزو اليهودي لقطر من أشرف الأقطار الشرقية التي كانوا هم مشتركين في حمايتها منذ انتحالهم الإسلام قبل نحو ألف سنة؛ وكانوا وما زالوا يقرون لها بالقدسية الدينية. فهلا اعتبروا بما استنه السلطان عبد الحميد عند طرد زعيم الصهيونية من حضرته يوم جاء في آخر القرن التاسع عشر الماضي يعرض عليه ملايين من الذهب لقاء تمكين اليهود من إنشاء وطن قومي لهم في فلسطين. [٢٧] ويليق بالأتراك أن يذكروا فضل العرب الذين أخرجوهم من

٢٦. كان موشيه شاريت [Moshe Sharett] أوّل وزير خاريجية لإسرائيل في حكومة بن غوريون، سنة ١٩٤٩، وهو الذي مثّل دولته بعد انضمامها إلى منظمة الأمم المتحدة في ١١ أيار/مايو ١٩٤٩.

٢٧. قد يقصد الكاتب زعيم المنظمة الصهيونية، أي تيودور هرتزل [Theodor Herzl]، الذي زار السلطان عبد الحميد الثاني في أيار/مايو ١٩٠١، وذلك بعد محاولتين فاشلتين وبفضل الحاخام الأكبر في استنبول موشيه ليفي [Moshe Lévy]. في تلك المناسبة، اقترح هرتزل أن يسدّد المموّلون اليهود ديون الدولة العثمانية مقابل اتفاق السلطان على تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين، لكن عبد الحميد الثاني رفض ذلك الاقتراح، متمسّكاً بالسياسة التي كان قد اتخذها سنة ١٨٨١ في منع هجرة اليهود إلى فلسطين وحصرها في باقي الامبراطورية العثمانية، بشرط أن يأخذ المهاجرون اليهود الجنسية العثمانية. وبالرغم من هذا القانون، استطاع بعض اليهود المطرودين من روسيا أن يستقرّوا في فلسطين قبل انقلاب سنة ١٩٠٨. انظر المراجع التالية :

GEORGEON, François, *Abdülhamid II*, Paris, Fayard, 2003, p. 320–373.
LANDAU, Jacob M., « Les Jeunes–Turcs et le sionisme : une reconsidération », dans

مجاهل آسيا الوسطى المغولية وجاؤوا بهم إلى عواصم الخلافة، ودربوهم إقامة الدول وأساليب الحكم، حتى جعلوا منهم ملوكاً وسلاطين، وعن هذا الطريق وصلوا إلى الخلافة وحلوا محل العرب في إمبراطوريتهم الواسعة.

ما عدا كارثة فلسطين تشغلنا اليوم مشاكل أخرى تتعلق بالبلاد العربية أخصها مشكلة مراكش ومشكلة تونس خصوصاً بعد أن أعلن استقلال ليبيا وهي دونهما في الرقي واستحقاق الاستقلال. فقد كافحنا في الماضي لأجل ليبيا وانتهى الأمر إلى استقلالها في نظام اتحادي بين أقطارها الثلاثة طرابلس وبرقة وفزان وأصبحت منذ أول هذا الشهر يتبوأ عرشها الملك أحمد السنوسي،[٢٨] وعما قريب تدخل عضوية جامعة الدول العربية، ويصبح عدد الأعضاء ثمانية وهم ستة عروش وجمهوريتان. ولا بد أن تستقل مراكش وتونس في القريب العاجل فيصير عندنا عشر دول في الجامعة منها ثمانية عروش.[٢٩]

ومعي في نفس الفندق الذي أنزله (الكونتيننتال) رئيس وزراء ليبيا السيد محمود المنتصر[٣٠] ومعه نائبه وزير العدل السيد فتحي الكيخيا نشترك معه في تمهيد العقبات لقبول ليبيا في عضوية المنظمة. وقد يحول دون هذا القبول استعمال حق

---

Edhem Elden (ed.), *Première rencontre sur l'Empire ottoman et la Turquie moderne*, Istanbul, Paris, éditions Isis, Varia Turcica XIII, 1991, p.385–395.

٢٨. المقصود هنا الملك محمد إدريس السنوسي (١٣٠٧–١٤٠٤هـ / ١٨٩٠–١٩٨٣م) فهو ابن السيد المهدي (ت ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م) الذي نشر الدعوة السنوسية قبله. أما السيد أحمد الشريف السنوسي (١٨٧٣–١٩٣٣)، فهو ابن عم محمد إدريس ووصيّه وهو الذي قاد الحركة السنوسية بين سنتي ١٩٠٢ و١٩١٥ وقاوم الإيطاليين وحلفاءهم الإنكليز إلى أن انهزم وترك قيادة الدعوة السنوسية إلى ابن عمه. تفاوض الأمير محمد إدريس مع الإيطاليين بعد الحرب العالمية الأولى، ثم حاول توحيد طرابلس وبرقة تحت سلطته ولكنه ذهب إلى المنفى في مصر سنة ١٩٢٢ وترك قيادة المقاومة لعمر المختار. عاد محمد إدريس السنوسي إلى ليبيا بعد انسحاب الجيش الإيطالي سنة ١٩٤٤ وأسّس الجمعية الوطنية التي وضعت دستوراً ملكياً أواخر السنة ١٩٥١. انضمت المملكة الليبية إلى جامعة الدول العربية سنة ١٩٥٣ وإلى هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٥٥ وظلّ محمد إدريس ملكاً حتى انقلاب سنة ١٩٦٩.

٢٩. انضمّ كلّ من تونس والمغرب منظمة الأمم المتحدة في ١٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥٦ وذلك بعد استقلالهما عن فرنسا. وبينما ظلّت المغرب مملكة في يد السلالة العلوية، أصبحت تونس جمهورية يرأسها الحبيب بورقيبة في ٢٥ تموز/يوليو ١٩٥٧.

٣٠. أول رئيس وزراء لليبيا في عهد الاستقلال (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٥١ – شباط/ فبراير ١٩٥٤).

الرفض من قبل المندوب الروسي. إذ أن قبول الأعضاء يتوقف على قرار إيجابي من مجلس الأمن بموافقة سبعة على الأقل من أعضائه الأحد عشر بشرط أن يكون الخمسة الدائمون من جملة هذه السبعة. والدائمون هم روسيا والصين وفرنسا وأميركا وبريطانيا. واحتمال رفض روسيا لدخول ليبيا ليس عداء لليبيا فهم قد اعترفوا باستقلالها بل إحراجاً للدول الغربية لحملها على قبول جميع الدول الطالبين وهم أربع عشرة دولة بينها خمس دول شيوعية وهي ألبانيا وبلغاريا وهنكاريا ورومانيا ومنغوليا. والتسعة الباقون محسوبون على الجبهة الغربية وهم البرتقال وإيرلندا وإيطاليا والنمسا وفنلندا والأردن وسيلان ونابال وليبيا. ونحن نرى وجوب قبول الجميع، وعسى أن ننجح بإقناع الغربيين بقبول نظرة التعميم أو إقناع روسيا بإفراد ليبيا دون غيرها، وهذا غير مأمول في الوقت الحاضر.

أما مراكش وتونس فهما ضمن الحماية الفرنسية. مراكش منذ ١٩١٢ وتونس منذ ١٨٨١ ولكن فرنسا تتعدى حقوق الحماية إلى الحكم المباشر بأشد وأضيق مما كان حالنا عليه في عهد الانتداب. وأرجح أن الفرنسيين سيضطرون إلى التسليم بمطالب الأهلين عاجلا أو آجلا. كل هذه الاحتلالات محكوم عليها بطبيعتها [٣١] أن تزول وتعود البلاد إلى أهلها. أما كارثة فلسطين فليست من هذا في شيءٍ بل فيها احتلال شأنه الدوام والاستعمار المستمر، وإخراج العرب من أرضهم لإحلال غيرهم محلهم، كما جرى في إسكندرونة، ولا ينقذ العرب [ ٤ ] من اليهود إلا اتحادهم واستعدادهم للدفاع عن كيانهم أمام العدوان والغزو اليهودي، أصلحنا الله وهدانا سبيل الرشاد (ا هـ).

[وقد أخذت من أحد كبار علماء المشرقيات كتاباً أشار فيه إلى تلاعب الدول [العظمى] بعضها مع بعض تلاعباً في أمور الشرق قال: كل يوم نسمع في المذياع ونقرأ في الجرائد أن [الدول الأربع العظمى تفاوضت] في باريز في [موضوع] حمل الصحة إلى العالم المريض بعد الحربين وهم يسرون غير ذلك ويتلمسون الطرق إلى خداع أحدهم الآخر والله أعلم بأسرار القلوب. ومما يخيفني دخول الأميركيين في تدبير الدول من كل جانب بواسطة الدولارات التي تدفع دون أمل في إعادتها وفي إيران وباكستان ومصر مثال من جور هذه الدول، [هذا و] ليست لإحداها قوة عسكرية ولا مالية [توصلهن] إلى جميع [مآربهن] وليس من سبيل إلى الإنصاف والعدل فيما لهن وما عليهن (ا هـ).]

---

٣١. في الأصل: بطبيعها.

فصل ٥/ ملف ٢٤
١٣ صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة
ومرقمة

Chapitre 5 / dossier 24
13 pages dactylographiées et numérotées

## أثر المدنية العربية القديمة في ثقافة مصر الحديثة [٣٢]

يتقاضانا النظر في الثقافة العربية في مصر قديماً أن نقف بالجملة على روح الفاتح العربي، وعلى حالة البلاد التي افتتحها، وعلى سياسة الفتح التي أدت إلى سرعة انتشار تلك الثقافة. والواقع أن العرب لم يفتحوا قطراً من الأقطار على صورة سهلة كما فتحوا مصر، فلم يتكبدوا في استصفائها من المال والرجال إلا ما لا بد منه في حصر بعض المواقع الحربية. وتجلت في هذه الحملة، وكان التيسير مؤاتياً لها من كل وجه، روّية عمر بن الخطاب الخليفة المنقطع القرين بعدله وبعد نظره، وبديهة عمرو بن العاص القائد الذي يحارب بدهائه أكثر مما يحارب بجيشه. ومن الذين تولوا معاونته من رجال الصحابة في الفتح وبعد الفتح زمرة كان الواحد منهم مقام الألف، ومنهم الزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعمّار بن ياسر، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن عمرو، وعبد الله بن عمر، وعبادة بن الصامت، وخارجة بن حذافة، ومسلمة بن مخلد الأنصاري، ومعاوية بن حديج، وقيس بن أبي العاص وعبد الله بن سعد، وعقبة بن نافع، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، والمقداد بن الأسود، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وأبو الدرداء عويمر بن عامر، وعقبة بن عامر، والمغيرة بن شعبة، وأمثالهم ومنهم من تولوا بعد الفتح إفريقية وجزائر البحر الرومي وقضوا على أُسطول الروم عقبى واقعة الصواري. ومن هؤلاء الصحابة من كان هبط مصر لغرض التجارة في الجاهلية، واتجر فيها القائد الأول عمرو بن العاص بالأدم والطيب فتعرف مداخلها ومخارجها، وكان يعرف أن "أهل مصر مجاهيد قد حمل عليهم فوق طاقتهم" وهو الذي حسن للخليفة الثاني فتحها، وسهل عليه الأمر، وقال له : إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم، وهي أكثر الأرض أموالاً وأعجز عن القتال والحرب. [٣٣]

واتفق أن كان سئم قبط مصر، وهم كثرتها الغامرة، أحكام الروم البيزنطيين لما أرهقوهم به من المظالم والمغارم، ولما ساموهم من الخسف والعسف مدة اثني عشر

٣٢ .[ محاضراتنا في الجامعة الأميركية في القاهرة] (للمؤلف)

٣٣ . قد يكون ابن الأثير مصدر بحث كرد علي هنا. انظر : ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي، أسد الغابة في معرفة الصحابة (القاهرة، ١٢٨٠ م) وهو كتاب تراجم لمعاصري النبي محمد، ومن بينهم عمرو بن العاص.

قرناً ثم حاولوا إدخالهم في مذهب الكنيسة الملكية، وأرادوهم على أن يصبؤوا [٣٤] عن مذهب النصارى اليعاقبة، فأهلكوا منهم نفوساً، وخربوا بيوتاً، وأتوا على بيع وأديار والخلاف على أشد ما يكون في مسألة المشيئة الواحدة أو المشيئتين في السيد المسيح، يضطهد كل من لا يشايع أهل دين الدولة الحاكمة، والروم في دور انحطاطهم يرتكبون كل منكر، ويأتون كل شناعة، وعامة [الأقطار] التي تخفق عليها أعلامهم في حالة تشبه مصر في تبرمها وتظلمها. وتناصرت الأخبار في مصر على أن العرب، أصحاب الدولة الفتية التي فتحت الشام والعراق وبعض فارس، هم على جانب من العدل والرحمة في أحكامهم فاشرأبت الأعناق إليهم، وود الناس لو أنقذوهم مما هم فيه.

وكان الرسول بعث إلى المقوقس أكبر عامل للروم [من] القبط كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام، فتلطف في جوابه وأهدى إليه جارية قبطية اسمها مارية بني بها صاحب الرسالة فولدت له ابنه ابراهيم وعُدّت من أُمهات المؤمنين. ذكر عمرو بن العاص في إحدى خطبه قال : حدثنا عمر أمير المؤمنين أنه سمع رسول الله يقول (إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً [فإن] لهم [منكم صهرا] وذمة) [وفي رواية فاستوصوا بالقبطيين خيراً لأن لهم رحماً وذمة] ولطالما أوصى الرسول بأهل الذمة وقال (من آذى ذمياً فأنا حجيجه ومن قتل قتيلاً من أَهل الذمة لم يُرَح رائحة الجنة) وقال : (من قتل نفساً معاهدة بغير حلها حرم الله عليه الجنة أن يشمها) وجعلت الشريعة دية المعاهد كدية المسلم ألف دينار، ولطالما قُتل المسلم بالذمي، ولطالما خان الروم وغيرهم عهد العرب فقال المسلمون : (وفاء بغدر خير من غدر بغدر) وقد حاسن المسلمون النصارى خاصة، منذ انبعثت دعوتهم في جزيرة العرب، لأن نصارى نجران اليمن كانوا أول من أدى الجزية ولم يَجْلُهم عمر عن أرضهم، ويوصي بهم أهل العراق والشام إلا لما أكلوا الربا، وكان شرط عليهم الامتناع [٢] عنه، أما اليهود فحاسنهم الرسول أيضاً ولكنهم آذوه مرارًا فأجلاهم في حياته من الحجاز إلى الشام. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص : "أهل مصر أكرم الأعاجم كلها وأسمحهم يداً وأفضلهم عنصراً، وأقربهم رحماً بالعرب وبقريش خاصة".

ورأينا الروم يصفون العرب بأنهم "فرسان في النهار رهبان في الليل يدوون بالقرآن إذا جن عليهم الليل دويّ النحل، وهم آساد الناس لا يشبهون الأسود". ولما عاد رسل المقوقس من عند عمرو بن العاص قال لهم : كيف رأيتم هؤلاء قالوا : "رأينا قوماً

---

٣٤. في الأصل : يصبأوا

الموت أحب إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إلى أحدهم من الرفعة، ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة، إنما جلوسهم على التراب، وأكلهم على ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد منهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون في صلاتهم" وربما كان من أهم العوامل في فتح مصر كون العرب يمتازون بصفات لا مثيل لها في دولتي فارس والروم، ومنها صدق [ العهد ] وصحة الإيمان، وأنهم ما كانوا يفرقون بين الرفيع والوضيع والموافق والمخالف في تطبيق قانونهم، ويدينون بالطاعة لرؤسائهم ويصبرون ويصابرون، ويبتعدون عن عيش البذخ والإسراف، ويعرفون الهدف الأسمى الذي يرمون إليه، ويستنبطون من أحوال الشعوب التي ينزلون عليها أكثر مما تعرف هذه الشعوب من أحوالهم.

---

وفي الحق إن مصر كان لها موقع من نفوس العرب ويكفي أن يحببها إليهم ذكرها في الكتاب العزيز في أربعة وعشرين موضعاً، منها ما هو بصريح اللفظ، ومنها ما دلت عليه القرائن والتفاسير، ولم يقع مثل هذا لمصر من الأمصار. وما كانت مصر بالبلد الغريب كثيراً عن العرب عامة، فإن أجدادهم القدماء كانوا احتلوا أماكن منها، وغزوها مدداً متطاولة. وعثر المتأخرون في اللغة المصرية القديمة على ألوف من الألفاظ العربية. والغالب أن غزو العرب مصر كان أيام القحوط والجدوب التي طالما أُصيبت بها [ أرض ] العرب، فكانوا ينتجعون ما جاورهم من الأصقاع، فإذا تبرم بجوارهم أَهلُها غزوهم. ثم إن [ أقاليم ] العرب تخرج أصنافاً من الزراعة لا توجد في غيرها، وتجار العرب ينقلون تجارة أقطار الشرق إلى الشام ومصر وإفريقية، والعرب كسائر الساميين تجار أقحاح منذ عرف تاريخهم، والتاجر من شأنه التعرف إلى الناس و[ الممالك ].

ويكتب أبو ميامين أُسقف القبط بالإسكندرية إلى جماعته يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة، وإن ملكهم قد انقطع، ويأمرهم بتلقي عمرو بن العاص، فيقال إن القبط الذين كانوا [ بالفَرَما ] كانوا يومئذ لعمرو أعواناً، ثم توجه عمرو لا يدافع إلا بالأمر الخفيف. وكان عمرو لما نزل على بِلْبِيس[٣٥] قتل بعض من كان بها وأسر جماعة وانهزم من بقي ووقعت في أسره ابنة المقوقس فأرسلها إلى والدها مكرمة في جميع مالها. ولما نزل عمرو على القوم بعين شمس [٣٦] قال أهل مصر لعاملهم : ما تريد إلى قوم فلوا

---

٣٥ . مدينة قديمة في جنوب شرقي الدلتا بمصر.

٣٦ . مدينة مصرية قديمة، واليوم حي من أحياء القاهرة يقع في شرق العاصمة المصرية ويطل على مصر الجديدة. كان الإمام محمد عبده يسكنها بعد رجوعه من المنفى، ويستقبل فيها تلاميذه

جيوش كسرى [ وقيصر ] وغلبوهم على بلادهم، صالح القوم واعتقد منهم ولا تعرض لهم ولا تُعرّضنا لهم. وأرسل صاحب الإسكندرية إلى عمرو إني قد كنت أُخرج الجزية إلى من هو أبغض إليّ منكم معشر العرب لفارس والروم، فإن أحببت أن أعطيك الجزية على أن ترد عليّ ما أصبتم من سبايا أرضي فعلت. وكانت السبايا قد أرسلها عمرو إلى الحجاز واليمن فردها الخليفة إلى قراها وصيرهم وجميع القبط على ذمة. والسبب في سبيهم أن أهل مصر كانوا أعواناً لعمرو بن العاص على أهل الإسكندرية إلا أهل بَلْهيب وخَيْش وسُلَطَيْس وسَخَا وغيرهم فإنهم أعانوا الروم على المسلمين وسباهم عمرو وخيّرهم عمر بين الإسلام ودين قومهم، فمن اختار منهم الإسلام فهو من المسلمين، ومن اختار دين قومه وضع عليه من الجزية ما يوضع على أهل دينه فدخل كثير منهم في الإسلام.

[ ٣ ] وإذا عطف الفاتح على القبط للأسباب التي ذكرناها فذلك لأن جمهورهم حاسنه وما خاشنه، ولذلك شاهدناه يضاعف الجزية على الروم الواغلين على [ القطر ]، ويأخذ من القبط الجزية دينارين على كل حالم إلا أن يكون فقيراً، وقد أقر النصارى واليهود على ما بأيديهم من أرض مصر يعمرونها ويؤدون خراجها، وألزم كل ذي أرض مع الدينارين ثلاثة أرادب حنطة وقسطي زيت وقسطي عسل وقسطي خل، رزقاً للمسلمين تجمع في دار الرزق وتقسم فيهم، وألزم لكل رجل جبة صوف وبرنساً أو عمامة وسراويل وخفين في كل عام أو بدل الجبة الصوف ثوباً قبطياً. وما كان الخراج يجبى منهم إلا في إبانه مخافة ( أن يَخْرَق الوالي [ بهم ] فيصيروا إلى بيع ما لا غنىً لهم عنه ) ووقع بعد ذلك الدور بعض الحيف على من عاهدوا على حسن الطاعة وارتضوا بالجزية ثم ما عتموا أن عمدوا إلى أساليب للتفلت من أدائها ، كأن يدّعي بعضهم أنه من رجال الدين يعتصم بالديرة والبيع، حتى اضطر عبد العزيز بن مروان أن يحصى الرهبان فأُحصوا، وأخذت الجزية عن كل راهب دينار. وهي أول جزية أُخذت من الرهبان، ومنهم من كان يهجر بلده وينزل بلداً آخر، حتى اضطر الولاة بعد القرن الأول أن لا يجوزوا انتقال أحد من قريته وبلده إلا بجواز الحاكم، وانتقض بعضهم غير مرة مدفوعين بعوامل كثيرة، فما وسع الدولة إلا أن تردهم إلى الطاعة. والسبب في [ كل هذا ] كما قال المؤرخون من غير المسلمين أن المال كان عزيزاً على قلوب أهل [ مصر ] يستحلون لأجله ما كان ينكره دينهم عليهم. وهو القائل ( أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ).

---

وزملاءه كمحمد رشيد رضا ومحمد كرد علي.

وترك الفاتح القبط وشأنهم في كنائسهم وأديارهم، وأعاد إليهم ما كان أخذه الروم الملكيون منهم، وأطلق لهم الحرية في أن يبنوا منها ما طاب لهم. ولما هدم في القرن الثاني علي بن سليمان بعض الكنائس احتج موسى بن عيسى والي مصر من قبل الرشيد بأن هذه الكنائس مما بُني في عهد الصحابة والتابعين وأفتى الليث بن سعد وعبد الله بن لَهِيعة من أحبار الأمة بإرجاعها إلى سالف عهدها وقالا هي من عمارة البلاد، أما الأصنام والتماثيل فقد صدر أمر الخليفة في سنة ١٠٤ هـ. بكسرها ومحوها [في] مصر لأن دين التوحيد لا يحتمل شعار الوثنية، وقد جاء للقضاء عليها. وما يتناغى الروم بحبه لا يستلزم أن يشايعهم العرب عليه، وهو ليس من طبيعتهم ولا من أصل دينهم. والإسلام كما قال عمرو بن العاص يهدم ما كان قبله. قال هذا لما أبطل سنة المصريين في النيل، وكانوا يعتقدون أنه لا يجري إلا إذا ألقيت فيه كل سنة جارية بكر وزينت بأفضل ما يكون من الحلي والثياب، ولما استقر عمرو بن العاص على ولاية مصر كتب إليه عمر بن الخطاب أن صفْ لي مصر فكتب إليه :

"ورد كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه يسألني عن مصر . إعلم يا أمير المؤمنين أن مصر قرية غبراء، وشجرة خضراء، طولها شهر وعرضها عشر، يكنفها جبل أغبر، ورمل أعفر، يخط وسطها نيل مبارك الغدوات ميمون الرَّوْحات، تجري فيه الزيادة والنقصان كجري الشمس والقمر، له أوان يَدِرّ حِلابه ويكثر فيه ذبابه، تمده عيون الأرض وينابيعها، حتى إذا ما اصلخمّ عجاجه، وتعظمت أمواجه، فاض على جانبيه، فلم يمكن التخلص من القرى بعضها إلى بعض إلا في صغار المراكب، وخفاف القوارب، وزوارق كأنهن [في] المخايل ،وُرْقُ الأصايل. فإذا تكامل في زيادته نكس على عقبيه، كأول ما بدا في جريته، وطما في درته، فعند ذلك تخرج أهل ملة محقورة، وذمة مخفورة، يحرثون بطون الأرض، ويبذرون فيها الحب، يرجون بذلك النماء من الرب، لغيرهم ما سعوا من كدهم، فناله منهم بغير جَدّهم، فإذا أحدق الزرع وأشرق، سقاه الندى، وغذاه من تحته الثرى، فبينما مصر يا أمير المؤمنين لؤلؤة بيضاء، إذا هي عنبرة سوداء، فإذا هي زمردة خضراء، فإذا هي ديباجة رقشاء، فتبارك الله الخالق لما يشاء. الذي يصلح هذه البلاد ويُنَميها، ويقرّ قاطنيها فيها، ألا يقبل قول خسيسها في رئيسها، وألا يستأدي خراج ثمرة إلا في أوانها، وأن يصرف ثلث ارتفاعها في عمل جسورها وترعها، فإذا تقرر [ ٤ ] الحال مع العمال في هذه الأحوال، تضاعف ارتفاع المال، والله تعالى يوفق في المبدأ والمآل (١ هـ)."

فلما ورد الكتاب على عمر قال: لله درك يا ابن العاص لقد وصفت لي خبراً كاني أشاهده.

---

الآن وقد ألممنا الماعة خفيفة بموضوع الفتح وصلات العرب بمصر [وما امتازت به أرضها وما يصلها] ساغ لنا النظر في الثقافة التي حملها العرب الفاتحون إلى هذه الديار، وهي ثقافة دينية وأدبية معاً، مازجتها بعد حين ثقافة علمية واجتماعية، كان أن خرج من مجموعها لون من ألوان الثقافة لا يشبه ما كان من نوعه في الأمم الأخرى، وانتهت بإعراب مصر وإسلامها، فقد كان من عمر بن الخطاب وهو في صدد الفتوح في الشرق والغرب أن لا يغفل عن إرسال البعوث الدينية إلى كل بلد أظلته الراية الإسلامية. يرسل الفقهاء والقراء والقصاص يفقهون المسلمين ويُقْرِئونهم [٣٧] ويقصون عليهم في كل مُمْسَى ومُصْبَح ما يرق قلوبهم، ويختارهم من أفقه الصحابة وأقرئهم [٣٨] وأبلغهم ليتأدب العامة والخاصة بأدب الدين ويُجمع المسلمون إلى فطرتهم الذكية معارف كسبية.

كان أول من قرأ القرآن بمصر ممن شهد فتحها أبو أمية المعافري، ومن فقهائها جبلة بن عمرو، وعقبة بن الحارث الفهري، وحيان بن أبي جبلة، ومن قضاتهم كعب بن يسار، كان قاضياً في الجاهلية، وهو أول من أُسند إليه القضاء في مصر، وتولى بعد القضاء والقصص فيهم سُلَيْم بن عِتر التُّجيبي (٣٩ هـ) وهو أول من أسجل بمصر سجلاً في المواريث. ومن حكماء الصحابة أبرهة بن شرحبيل، ومن فصحائهم أيمن بن خُرَيْم، وكان يسمى خليل الخلفاء لإعجابهم به وبحديثه لفصاحته وعلمه، أما الشعر فكثير من الصحابة ومن بعدهم كانوا يقرضونه بالفطرة، ويخطبون الخطب البليغة من دون ما تعمل ولا تكلف.

قلنا إن العرب كانوا ينتجعون مصر ويغزون أطرافها وربما أقاموا بها زمناً في بعض الأدوار، ولكن العرب في مصر وقد فتحتها دولتهم قد تبدل مقامهم فيها، فسما لهم شوق إلى الرحيل إليها لينزلوها ويستعمروها، وتكون لهم ولذراريهم موطناً. ولما لم يرضَ الفاتح أن يسلب الأرض من أهلها الأصليين، وأقرهم عليها يؤدون عنها الخراج، خص النازلين من القبائل العربية بأرض ارتحل عنها أصحابها فأحيوها. وجاءت قبائل العرب وبطونهم يحطون رحالهم في الريف يعتملون الأرض، ويتخذون من الزرع

---

٣٧. في الأصل: يقرؤنهم

٣٨. في الأصل: وأقرأهم

معاشاً وكسباً. ومنهم من اختار سكنى المدن يخرجون إلى مصايف لهم، وقد تكون لهم تلك المصايف مساكن دائمة، وكان أكثر من نزل مصر من العرب من سكان بوادي الحجاز، تفرقوا في طول [القطر] وعرضه، واتسعت معايشهم لخصب تربة مصر، ولما شملهم الفاتح من رعايته وكان يَحْظُر على الجند لأول الفتح أن يعتملوا للأرض لئلا تخرجهم الزراعة عن القيام بأعمالهم، فانصرف إلى الزراعة أهلها. وما أسرع ما بنى العرب منازلهم حتى أن من الصحابة من اختط له داراً في أرض مصر، واختط عمرو بن العاص داراً لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب عند المسجد بالفسطاط فكتب إليه عمر: أنّى لرجل بالحجاز يكون له دار بمصر، وأمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين، وكثرت هجرة العرب إلى مصر في عصور مختلفة، والمورد العذب كثير الزحام. وما فتئت الجزيرة في [القرون] التالية تمد مصر بالرجال، يُكثِرون سواد سكانها، حتى أصبح القبط إلى قلة في القرن الثالث. وكان عدد من وجبت عليهم الجزية في الفتح أربعة ملايين رجل وعدّ الروم ثلثمائة ألف.

وانتشرت اللغة العربية بين السكان منذ البدء فلم يمض زمن طويل بعد الفتح إلا ورأيت رجال الكهنوت القبطي يكتبون بالعربية ليفهموا قومهم. ظاهرة غريبة في الإسلام، ذلك لأن مصر لم يسبق لها أن غيرت دينها سوى مرة واحدة ، غيرته بحد السيف، وما غيرت قط في التاريخ لغتها إلا في الإسلام. وفي الإسلام غيرت دينها ولسانها معاً من دون إكراه وشدة، بل بالحكمة والموعظة الحسنة.

[ ٥ ] كان الفاتح يستوفي حقه برمته من أهل ذمته، ويشملهم برأفته وعنايته. ذكروا أنه رفع إلى عمرو بن العاص أن غرفة بن الحَرْث الكندي، وكان من الصحابة الذين سكنوا مصر، ضرب رجلاً نصرانياً فوق أنفه، فقال عمرو للصحابي : إنا قد أعطيناهم العهد، كأنه [ يريد ] أن يؤاخذ الصحابي بما فعل. فقال غرفة : معاذ الله أن نعطيهم العهد على أن يظهروا شتم النبي، وإنما أعطيناهم العهد على أن نخلّي بينهم وبين كنائسهم، يقولون فيها ما بدا لهم، وأن لا نُحمّلهم ما لا يطيقون، وإن أرادهم عدو بسوء قاتلنا دونهم على أن نخلي بينهم وبين أحكامهم إلا أن يأتونا راضين بأحكامنا فنحكم بينهم، وإن غُيِّبوا عنا لم نتعرض لهم. فقال عمرو : صدقت.

انقاد جمهور القبط إلى الإسلام، واختلطت أنسابهم بأنساب المسلمين، لتزوجهم لما أسلموا [من] المسلمات، وبالمجاورة فقط يتعلم المغلوب لسان الغالب، فكيف إذا اختلط دمه بدمه، وتألفت مصلحته بمصلحته. وللرجل إذا أسلم ولو كان في سن عالية من إقامة الشعائر فقط أعظم دافع إلى تلقف العربية. يسمع خطب الخطباء في الجمع

والمواسم وأيام الحَفْل، في موضوعات يهمه تفهمها، ثم يستمع إلى قَصَص القصاص في المساجد والمعسكرات، وكان يجتمع إلى قصاص العامة النفر من الناس يعظونهم ويذكرونهم. ويكون القصاص كالخطباء من أمثل العلماء على الأكثر، ويتولى خطبة الجامع الأعظم أمير البلد، ومن يتولى الصلاة يرجح على من يتولى الأموال، فإذا جمع بينهما لواحد كان الأمير كل الأمير.

---

وكانت الجوامع والمساجد مجامع ومدارس لتعليم البنين والبنات، يختلف إليها [النساء] كما يختلف إليها [الرجال]، والجوامع منتديات القوم ومحال تقاضيهم يخطب فيها في المهمات، وتلقى فيها دروس خاصة وعامة، وتتخذ للعيادة في أوقات الصلوات، وقلّما يخلو جامع من إقامة كتّاب على مقربة منه لتعليم الأولاد، وجاء [من] النساء المحدثات والواعظات والأديبات والشاعرات، وعددهن بالطبع أقل من عدد الرجال في هذا الشأن، وكان لهن من تربية أولادهن ما يشغلهن في بيوتهن عن أمور يقوم بها الرجال، وتتعلم المرأة مهما كانت منزلتها سوراً من القرآن وما يلزمها من أصول الدين، وتحفظ الأشعار والأخبار، وتحضر القصص والوعظ، وتأتم بالرجال في المساجد. والغالب أنه كان الرسم منذ القديم أن لا تخلو دار أحد من أرباب اليسار من فقيه يختلف إليها يعلم الأبناء والبنين ويتفقه به الصغير والكبير، أو من قارىء يتلو حصصاً من الكتاب العزيز في الليل أو النهار. وكانت العادة أن من بركة كل بيت مهما علت مكانة أصحابه أن يتعلم بعض أبنائه العلم الديني على الأصول ويتخرج بالشيوخ. ويأخذ عن القراء، وحفظ القرآن من الأمور التي شاعت في القطر شيوع العقائد الراسخة. ثم إن من واجب المسلم أن يعلم جيرانه ويفقّههم [٣٩] ويفطنهم، ومن مصلحة القبطي والرومي أن يتعلما لغة العرب للتفاهم وللاتجار.

والغريب عن اللغة قد لا يحتاج إلا إلى أشهر قليلة حتى [يتلقف منها ما لا بد من تلقفه]، واللسان كان مذ وجد الإنسان، يعلم بالتلقين والتلقي، ويرسخ بالسماع والانطباع، أكثر من قراءة الصحف والكتب، وهذه ما كانت تصل في الصدر الأول إلى غير أيدي الخاصة من الناس لغلائها وعزتها. وفي حدود ثماني وثمانين من الهجرة فقط اتُّخذ الكاغد أي الورق من القطن فرخص ثمن الطوامير والقراطيس. وكانت الصحف تكتب على لباب البَردي وهو غال ثمين. ويطلقون اسم الصَّحَفي على من لم يلق العلماء ويأخذ علمه عن الصحف. فالعلم الإسلامي وإن بدأ تدوينه في زمن الصحابة

---

٣٩. في الأصل: يفقهم

إلا أن المسلمين كانوا يخزنون علمهم في الصدور، أكثر مما يرقمونه في السطور، وربما لم تبلغ أُمة من الأمم شأو العرب في الرواية والدراية.

ولعله كان من الخير للفاتحين ونشر تعاليمهم ولسانهم كونهم ما تصعبوا في إشراك أبناء الذمة في [المصالح] العامة. فاستعملوهم منذ أول الفتح في بعض شؤون الدولة ولا سيما في جباية الأموال وصرفها. ومنذ القرن الأول كان جميع عمال الأرياف من القبط. وكان ناظر مالية الدولة الأموية على عهد معاوية نصرانياً، وتولى ذلك [٦] بنوه للخليفة من بعده. ولما نقلت الدواوين إلى العربية على عهد عبد الملك بن مروان، ونقل ديوان مصر من الرومية والقبطية إلى العربية، كما نقل ديوان الشام والعراق من الرومية والفارسية ضنّ الفاتحون بأرباب الكفايات من العمال [السابقين] فما صرفوهم من التصرف، وما كان يشترط للعمل غير معرفة لسان الدولة والأمانة للسلطان حتى يوليه ثقته. وحدثنا التاريخ أن عمرو بن العاص كان أول من اتصل بالعلماء من القبط والروم، وأنه كانت له صحبة مع يحيى غرماطيقوس أي النحوي الفيلسوف وأعجب كلاهما بصاحبه، وأن خالد بن يزيد الأموي عالم قريش وحكيمها لجأ إلى علماء من القبط لما أراد نقل بعض العلوم إلى العربية، فنقلوا شيئاً في الطب والكيمياء وغيرها، وكان يفضل عليهم وعلى العلماء الآخرين من الروم والسريان كثيراً، حتى نقلت له مبادئ الصناعات والعلوم والنجوم والحروب.

---

وتدين مصر لبني أُمية خاصة بأوضاع من العدل والعمران كثيرة. ذلك لأنهم كانوا يرسلون لإمارتها أمثل رجالهم، وتطول إمارتهم فيها ليتمكنوا من معرفة ما يصلحها. ومن كعمرو بن العاص بإدارته الحسنة وسياسته الرشيدة، ومن كعتبة بن أبي سفيان شقيق معاوية، وكان من أخطب خطباء العرب يطفئ في ولايته القصيرة الفتنة وينشر السلام، وكان بعض أهل مصر من العرب اشتركوا كأهل الكوفة والبصرة بمقتل عثمان بن عفان الخليفة الثالث. ومن كعبد الله بن سعد في حسن سيرته ومعرفته بسياسة الملك، وفيها طالت أيامه كما طالت إمارة مسلمة بن مخلد خمس عشرة سنة، وطالت أيام عبد العزيز بن مروان إحدى وعشرين سنة. وفي أيامه عمرت مصر عمراناً ليس مثله، وبنى في حلوان الدور والمساجد وغيرها أحسن عمارة وأحكمها وغرس كرمها ونخلها. وهو والد أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الخليفة العادل الذي أشبه جده لأمه عمر بن الخطاب بعدله وإحسانه، وهو الذي كتب إلى عامله على مصر وقد شكا إليه نقص الجباية لإقبال الناس على الدخول في الإسلام : إن الله بعث محمداً

هادياً ولم يبعثه جابياً. وهو الذي جعل الفتيا بمصر إلى ثلاثة رجال رجلين من الموالي ورجلٍ من العرب فأنكر العرب فعله فقال: ما ذنبي إذا كانت الموالي تسمو بأنفسها صعداً وأنتم لا تسمون. وهو الذي قال لأسامة بن زيد، وقد بعثه سليمان بن عبد الملك على ديوان جند مصر وحثه على توفير الخراج: "ويحك يا أسامة إنك تأتي قوماً قد ألحّ عليهم البلاء منذ دهر طويل فإن قدرت أن تنعشهم فانعشهم" كأنه كان يشعر وهو من مواليد مصر وأبوه أميرها، أن في إدارة الدولة شيئاً من الظلم تجب إزالته. ومثل هذه الشفقة والرحمة والعطف كانت تحبب الإسلام إلى القوم فيسلمون ويمتزجون [بالعرب القادمين] أو يبقون على دينهم لا يفتنون عنه، ولا تؤخذ كنائسهم، ولا يهان قساوستهم.

أصبح سكان مصر في القرن الرابع أخلاطاً من الناس مختلفي الأجناس من قبط وروم وعرب [وبربر] وأكراد وديلم وتتار وأرمن وحبشان وغير ذلك من الأجناس، وجمهورهم القبط، واختلطت الأنساب واقتصروا من الانتساب على ذكر مساقط رؤوسهم، وفي هذا القرن كان القبط يتحدثون بالقبطية على رواية المقدسي ولهم كما قال ابن حوقل البيع الكثيرة وهم أهل يسار وفيهم قلة شر وكثرة خير. ويقول الظاهري في القرن التاسع إن بالصعيد من الكنائس والديورة قريب ألف وغالب أهله نصارى أي أقباط. [٤٠]

إذا عرفنا هذا فليس ما يمنع من القول إن بوتقة مصر في الدول الإسلامية كانت تتمثل فيها العناصر الغريبة فتصبغها بصبغتها، تحيلها مصرية صرفة بعد جيل أو جيلين. وساعد على مزج الدخيل والأصيل فيها ورود النهي عن التفاخر بالجنسية والقومية، وعدم التفريق بين العربي والأعجمي إلا بالتقوى. ومن مصطلح العرب أن كل من أقام ببلدة ولو مدة وجيزة، ثم مات فيها عدّ من أهلها ونسب إليها. ولما كان ابن وادي النيل لَبِداً بطبعه مولعاً بمائه وهوائه، صعب عليه أن يهجره إلى أَقطار أُخرى ليكثّر سواد شعب غير شعبه. والمصري منذ القديم لا يبغي عن مصر حَولاً، فهو مغتبط بنيله، عاشق تربته، راض بما قسم له. فكأن مصر منذ عهد الفراعنة [٧] الأولين بلد

---

٤٠. هم أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي (حوالي ٩٤٥–١٠٠٠ م)، كاتب "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" (سنة ٩٨٥ م)؛ وأبو القاسم محمد بن حوقل (ت ٣٦٧ هـ)، كاتب "صورة الأرض" (الكتاب المعروف بعنوان "المسالك والممالك والمفاوز والمهالك"، نشر مطبعة بريل في ليدن، سنة ١٩٣٩)؛ وغرس الدين خليل الظاهري، كاتب "زبدة كشف الممالك وبيان طرق المسالك".

استيراد أكثر مما هو بلد استصدار. ولولا فريضة الحج في الإسلام ما خرج المصري إلى الحجاز أيضاً يفارق ما في داره من النعيم.

وكانت مصر في الدول العربية، [بفضل] أرباب الرحلات من المحدثين والفقهاء والأدباء والعلماء، أكثر اتصالاً فكرياً بالأقطار الأخرى من معظم الأمصار، لتوسطها بين البلدان العربية، ترسل إلى الأصقاع الأخرى ما لا يكلفها حمله كبير عناء من بضائع علمها وفنها وتفكيرها، وإذا هاجر أحد أبنائها فهجرته موقتة. والغريب قد تفتنه فيتخذها مسكناً دائماً. وقد كثرت هجرة العلماء إليها من أقطار الأرض بعد القرن الثالث، لأن الفتن اندلع لسانها ولا سيما في العراق والشام، والعلماء أحوج الناس إلى السلام، وكانت مصر ساكنة هادئة بفضل من استولوا عليها في ذاك الدور. ولما خرّب المغول بغداد في القرن السابع رحل العلماء منها إلى مصر، على نحو ما جرى لما استولى الأتراك على الآستانة في القرن التاسع فرحل منها إلى إيطاليا بعض علماء اليونان، وكانوا من عوامل نهضتها. وفي رحلات المرتحلين من مصر وإليها ضرب من ضروب تبادل العلم والأفكار، وكانت الجوامع تؤوى هذه الطبقات من المشتغلين، قبل أن تُنشأَ المدارس في القرن [الخامس]. وما خلت بيوت العِلية من الناس في كل محلة ومنزلة من قبول النزلاء على الرحب والسعة. والكرم ما انقطع من مصر في دور من أدوارها، ذلك لأن المصري كالعربي يعد الشح مثلبة وأي مثلبة. وفي قصة المرأة القبطية المشهورة مثال من هذا الكرم الفطري. ذلك أن الخليفة المأمون [مرّ] بقريتها طاء النمل لما وافى مصر، فسألته أن يقبل قِراها ولما اعتذر بكت بكاء كثيراً وقالت: لا تشمت بي الأعداء ولا تحرمني هذا الشرف الذي توليته وعقبي. فنزل عليها برجاله وجيشه، فأطعمته من فاخر الطعام ولذيذه. وبعثت إلى الخليفة في الصباح بعشر وصائف مع كل وصيفة طبق، في كل طبق كيس من ذهب فاستحسن ذلك وأمرها بإعادته، فقالت: والله لا أفعل. فتأمل المأمون الذهب فإذا به ضرب عام واحد كله. فقال: هذا والله أعجب، وربما يعجز بيت مالنا عن مثل ذلك. فقالت: يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا ولا تحتقر بنا. فقال: إن في [بعض] ما صنعت لكفاية، ولا نحب التثقيل عليك، فردي مالك بارك الله فيك، فأخذت قطعة من الأرض وقالت: يا أمير المؤمنين هذا – وأشارت إلى الذهب – من هذا – وأشارت إلى الطين – ثم من عدلك يا أمير المؤمنين، وعندي من هذا شيء كثير فأمر به فأخذ منها، وأقطعها عدة ضياع وأعفاها من بعض خراج أرضها.[41]

---

٤١. مصدر هذه الواقعة هو كتاب "المواعظ والاعتبار" للمقريزي.

رأينا العرب ينقلون من دار أعرابيتهم أساس الثقافة العربية على نحو ما جروا في كل قطر فتحوه، فيشخص إليها رجال القرآن والفقه والرواة من الحجاز واليمن وفيهم الجُهَني والفِهْري والتميمي والتَّنوخي والمخزومي والمُزَني والعبسي واللَّخمي والقرشي والخزاعي والقضاعي والأزدي والحضرمي، ثم صار يغشاها الجرجاني والنّيسابوري والمروزي والشّيرازي والدِّينَوَري والسَّمَرْقَندي والخوارَزْمي والبُستي والطبري والهمداني والطوسي والجويني والتبريزي والشّهرزوري والقَزْويني والغَزْنوي والهَرَوي والخراساني والنّسائي والبلخي والبيهقي والاصطخري والأهوازي والسيرافي والبغدادي والإربلي والكوفي والبصري والموصلي والحراني والواسطي والمصيصي والإسعردي والجَزَري والمارديني والطَّرَسوسي والتفليسي والدمشقي والحلبي والحمصي والبَعْلبكي والحموي والطرابلسي والنابلسي والصفدي والمقدسي والعسقلاني والأنطاكي والصنعاني والخَوْلاني، ثم الغرناطي والقرطبي والقيرواني والفاسي والتونسي والسوسي والصفاقسي والصقلي والمُيورقي والصنهاجي والتِّلِمْساني. فكان علماؤها والممتازون من رجالها من أصول عربية أو من المستعربة، وبعد حين صرت تسمع باسم الإسكندراني والدمياطي والرشيدي والتِّنيسي والمحلّي والأسيوطي والبويْطي والأسواني والطحاوي والطنطاوي والصدفي والبلقيني والبوصيري والإخميمي والسخاوي والقَلْقَشندي والإسنوي والإسنائي والصَّعيدي والقوصي والبُحَيري والقَلْيُوبي والطوخي والبيجوري والديروطي والشرقاوي والجيزي والجيزاوي والجرجاوي والدِّشناوي والدَّمنهوري والفيومي والقِفْطي والأرمنتي والزنكلوني والمُناوي والمنياوي والبلبيسي والأبياري والأدفوي والحوفي والشنطوفي والقِنائي [٨] والبَهْنساوي والبَهْنسي والأشموني والسمنودي إلى غيرهم من الرجال الذين نسبوا إلى مساقط رؤوسهم فأدركنا لأول وهلة أنهم من صميم المصريين.[٤٢]

---

عرفنا أن الثقافة التي انتشرت في مصر جمعت بين القرآن والسنة والشعر والأدب، ولما تعينت المذاهب انتشر فقه المالكي والشافعي، ثم فقه أبي حنيفة والفقه الحنبلي على قلة، ثم الفقه الإسماعيلي مذهب الفاطميين من آل البيت، انقرض هذا الفقه الشيعي أوائل عهد دولة بني أيوب، وانتشر التصوف أكثر من الفلسفة، وصرف الناس همهم إلى الدينيات، وعدوا من فروعها التصوف، ونابذ الفقهاء الفلاسفة، ولكن الأمصار ما خلت في عصر من الأعصار من مفننين وحكماء، لو وقع إلينا كل ما دون

٤٢ . انظر لائحة القبائل والمدن والأقاليم الموافقة لتلك الأنساب في ملحق هذا الكتاب.

في هذا الشأن لعرفنا طبقة كبيرة من هذه الأصناف. فعندنا طبقات المفسرين والمحدثين والحفاظ والشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة والأدباء والشعراء والأطباء والحكماء والصوفية، وما سقطنا في تركة السلف على طبقات المصورين والنقاشين والمهندسين والموسيقاريين، بل عرفناهم بالشيء القليل الذي جاء عرضاً في الكتب الباقية التي ما كسرت عليهم، ولو كتبوا هم بأنفسهم عن أبناء فنهم لاطلعنا من مخلفاتهم على أسرار في هذه المدنية التي نمت عنها مصانعهم وتجلت بها هندستهم الجميلة وتراتيبهم التي ما خلت من إبداع، وتم بذلك تاريخ التهذيب العربي وما أنتج من بدائع وروائع. ولا يعقل أن لا يترجم المفننون لرجالهم والغالب أن مدوناتهم فُقِدت في جملة ما فُقِد من ثروتنا العلمية والأدبية في الفتن والثورات والعوامل الأرضية والسماوية.

ولو وقع إلينا ما دونه أرباب الصنائع والفنون كما انتهى إلينا ما دونه علماء الشريعة والأدب والتاريخ لعرفنا جمهوراً نجهله من الناس. وكم من علم اندفن في صدر، ومن فن ما قدره الناس قدره فزهد الناس فيه. وهذه المصانع التي أبقت الأيام على خطوطها ورسومها في الفسطاط والقطائع وما في جوارهما من القاهرة المُعِزِّية من المدارس والجوامع والرباطات والمستشفيات شاهدة على الدهر بما أبدعت تلك العقول والأنامل التي حملت شيئاً كثيراً من العلم والعمل، وقد اشتركت الطوائف الدينية الثلاث على السواء في إخراجها للناس، وكان سواد الأطباء والمنجمين والمهندسين من غير المسلمين، وخاصة من اليهود بادىء بدء، فأصبح سوادهم الأعظم من المسلمين في الأدوار التي كثر فيها من انتحلوا الإسلام.

أخذ القوم في القرن السادس ينشئون المدارس، ينزلون فيها كل من يحب طلب العلم، ويُغدقون على الدارسين والمدرسين ما يقوم بهم على حد الكفاية : بدعة حسنة ابتدعها عقل صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب مصر والشام، وكثرت المدارس بعد ذلك حتى لا تكاد تخلو منها الحواضر الصغيرة، وضاع كثير من أخبارها في جملة ما أتت عليه الأيام، فقد كان في قوص في القرن السابع ستة عشر مكاناً للتدريس وبأسوان ثلاثة وبإسنا مدرستان وبالأقصر مدرسة وبأرمنت مدرسة وبقنا مدرستان. لا جرم أنه كان في المدن الأخرى كالإسكندرية وبلبيس ودمنهور والمنوفية وغيرها مجالس ومدارس لطلب العلم الديني، وعلوم العربية تابعة له ومعينة على تفهمه.

وكان الحاكم بأمر الله الفاطمي أنشأ في سنة ٣٩٥ دار العلم أو دار الحكمة في القاهرة، فجلس فيها القراء والفقهاء والمنجمون والنحاة وأصحاب اللغة والأخبار، ورتّب فيها قوماً يدرسون الناس العلوم، وسبّل عليهم خزانة كتب عظيمة فيها من كل

فن، وكان من جملة ما يعلم فيها الطب والرياضيات والمنطق وبقيت نحو ١٧٥ سنة عامرة وعاد الأفضل في آخر أيام العبيديين [٤٣] فأسس دار العلم ٥٧١ واستخدم فيها مقرئين ولم تزل عامرة إلى انقراض الدولة الفاطمية. وكان القائد جوهر الصّقلّي فاتح مصر باسم الفاطميين أنشأ الأزهر فأصبح منذ عهدهم إلى اليوم مصدر العلوم الشرعية ومباءة الآداب. أنشؤوه [٤٤] لنشر التشيع، وظل على ذلك طول أيامهم، وكان غرامهم كثيراً في الدعوة لمذهبهم تقرأ على رئيسه ويسمونه داعي الدعاة كتبهم بدار العلم، وطبيعي أن يتبع تعليم المذاهب تلقين العربية على أصولها لأن البراعة في الشريعة تتوقف على البراعة في الفنون العربية والمنطق والجدل والحكمة القديمة.

[ ٩ ] وغير الناس في مصر يستفيدون من كل ما تأتيهم به الدولة الحاكمة. والواقع أن كل دولة حكمت مصر، ولو حقبة صغيرة من الدهر، أبقت أثراً من آثار غيرتها على العلوم والصناعات وعُنيت بنشر الآداب، يتراءى ذلك من النظر إلى المصانع والآثار، وما دوّن المدونون من تاريخ وأخبار، وكان غرامهم ظاهراً بإنشاء المساجد، وقد ضاقت مرة بيوت الأموال من مال الخمس في مصر فصدر أمر الخليفة ببناء المساجد واستغنى الناس أيام كافور الإخشيدي ولم يجد أرباب الأموال من يقبل منهم الزكاة فأمرهم أن يبنوا بها المساجد ويتخذوا لها الأوقاف، وما كانوا يغفلون مع هذا عن بناء القناطر والجسور والعمائر النافعة لجلب السعة إلى المصريين، ولئلا يقل الارتفاع إذا أهمل أمرها. وبعد فمن كان يظن أن دولة الأيوبيين التي خلقت وماتت في الحروب الصليبية، وبها كانت الشام ومصر في أمر مَرِيج، تُعْنى أيضاً بالعلوم والصناعات وأعمال العمران. هذا والدولة في حالة تقلقل عظيم لدفع صائل أهل أوربا عن هذا القطر والديار الشامية. وقد وصف ابن جبير في القرن السادس مفاخِر الإسكندرية وعدّ منها المدارس والمحارس أي الأبراج الموضوعة فيها لأهل الطلب والتعبد، [٤٥] يفدون من الأقطار النائية فيلقي كل واحد منهم مسكناً يأوي إليه، ومدرساً يعلمه الفن الذي يريد تعلمه، وإجراء [ما] يقوم به في جميع أحواله، قال واتسع اعتناء السلطان، أي صلاح الدين بن أيوب، بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إلى ذلك، ونصب لهم

---

٤٣ . هم الفاطميون: سلالة شيعية تنتسب للفرقة الإسماعيلية، حكمت تونس ومصر والشام بين ٩٠٩ و ١١٧١ م.

٤٤ . في الأصل: أنشأوه

٤٥ . كتب أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني بن جبير (٥٣٩-٦١٤ هـ / ١١٤٥-١٢١٧ م) رحلته المشهورة سنة ٥٨٢ هـ / ١١٨٦ م بعنوان " تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار".

مارستاناً لعلاج من مرض منهم، وقال في كلامه على مصر والقاهرة: وما منها جامع من الجوامع، ولا مسجد من المساجد، ولا روضة من الروضات المبنية على القبور، ولا محرس من المحارس، ولا مدرسة من المدارس، إلا وفضل السلطان يعم جميع من يأوي إليها ويلزم السكنى فيها، تهون عليه في ذلك نفقات بيوت الأموال، وأنه أمر بعمارة محاضر ألزمها معلمين لكتاب الله عز وجل يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة، وتجري عليهم الجراية الكافية لهم. وذكر غيره أن جامع مصر بين العشاءين [٤٦] كان غاصاً بحَلَق الفقهاء وأئمة القراء، وأهل الأدب والحكمة، ولا ترى أجلّ من مجالس القراء به، وأن هذه المجالس كثيرة [وربما] لا يكاد يخلو مسجد كبير من مجلس يسمع فيه الناس علماً وحكمة وعظة. ويقول المقدسي في الفسطاط إنه ليس في الإسلام أكبر مجالس من جامعه. وأنه معدن العلماء، وأن نغمة أهل مصر بالقرآن حسنة.

بل من كان يظن أن دولتي المماليك [البرجية] والبحرية، وفي إدارتهما بعض العهدة، تعنيان بالآداب والمعارف على مثال الدول العربية السالفة، حتى كثرت في أيامهم المدارس والجوامع والترب كثرة عجيبة، وارتقى فن البناء وظهرت علائم الترف، وكثر المؤلفون والباحثون، وزادت علاقات مصر بدول الغرب وعلاقاتها بدول الشرق. نعم في أيامهم تنافس الأمراء في تشييد الزوايا، وكانت كل زاوية بمصر معينةً لطائفة من الفقراء، وفي عهد بعض ملوكهم تنافس الأمراء والكبراء في بناء المساجد وزادوا وغلوا، لأن أمير الوقت كان يغلب عليه الصلاح، وحبيب إلى قلبه أن يرى ذلك من رعيته ورجاله، والناس على دين ملوكهم. وما نراه في بعض الأحياء القديمة في القاهرة من قيام الجامع إلى جانب أخيه، هو أثر من آثار هذه العناية، ولو كان اجتمع جماعة على بناء الجامع الواحد بدل اختصاص كل فرد بعمله، لجاء العمران بمصر وغير مصر صورة عظيمة من صور التضامن الاجتماعي، ولكتب البقاء للمصانع الكبرى أكثر من غيرها.

---

وأكثر ما نفع مصر في علمها، وجعل لمعظم مظاهر العقل فيها مظهراً خاصاً، أنها تمتعت من العهد الأموي والعباسي بأجمل أيامها، وكان لها أبداً شبه إدارة خاصة، ولطالما نزعت إلى الاستقلال الجزئي أو الكلي. وباستقلال ابن طولون [٤٧] بها عمرت عمراناً غريباً ما عهدته منذ قرون. ومن أهم ما حفظ لمصر شخصيتها، وأبقى عليها

---

٤٦ . في الأصل: العشائين

٤٧ . انظر: "سيرة أحمد بن طولون لأبي محمد عبد الله البلوي"، تحقيق محمد كرد علي، دمشق، ١٩٣٦.

آثارها قيام صحراء التيه في طريقها إلى الشرق، فتحامى كثير من الفاتحين اقتحامها من البر، وكان من الصعب اقتحامها من طريق البحر في عصور سفن الهواء، ومن سعادة مصر أن بيت المقدس بعيد عن حدودها، فما غزاها الصليبيون مئتي سنة لاستخلاصه كما وقع في الشام. ومن حسن الطالع أيضاً أن أشرار الفاتحين أمثال [١٠] جنكيز وهولاكو وغازان وتيمورلنك ما حدثتهم أنفسهم في التقدم لاحتلالها فنجت من تخريبهم على ما خربوا كل بلد نزلوه من [ديار] الإسلام في القرن السابع والثامن والتاسع، ومنها ما دمروه عن آخره ولم يبقوا من أهله دياراً.

وأبت الأقدار إلا أن تساهم مصر بأخرة سائر الأقطار العربية في حظها من الفاتحين. فجاء سليم الأول العثماني المدعو [بياوز] (الجبار) من طريق صحراء التيه يضرب على أيدي المماليك فيها، وكانت نفوس المصريين قد سئمت أحكامهم أواخر أيامهم، ونمي إلى المصريين من أخبار الدولة العثمانية ما يغري بها، فعلقوا على انضمام مصر إلى الأتراك آمالاً طوالاً، بيد أن الاحتكاك بالترك العثمانيين أظهر أن طبيعة المغول واحدة، لأنهم والترك من جنس واحد، وهؤلاء لا يفضلونهم إلا لأنهم دانوا بالإسلام، [وقد] تحاموا تخريب [الأقاليم] التي يحتلونها على الغالب [وما تحرجوا] من إدخال الوهن على مقوماتها، فقد [قام] السلطان سليم في هذا القطر [بأمور] نابية عن حد الإنصاف، ومن أهمها أنه أخذ إلى القسطنطينية الممتازين من رجالها، والنابغين من أرباب الصناعات فيها، فبطلت فيها خمسون صنعة، هذا إلى ما حمله معه من ذهبها وجواهرها وعادياتها وكتبها وأعلاقها. واتفق قبيل [الفتح العثماني] أن كان البرتقاليون وفقوا إلى الطواف حول إفريقية. ففتحوا طريق رأس الرجاء الصالح، وحولوا تجارة الشرق عن مصر، وكانت سوقها الكبرى دهراً طويلاً، وبحر القلزم أهم منفذ لها، وكان من هذا الاختلاط والتمازج مع أهل الأقطار الأخرى فائدة لمصر، فلما ضعفت تجارتها افتقرت كمعظم هذا الشرق القريب. ومتى دب الفقر في أمة تفتر على الأغلب أعمال العقل في بنيها. وكان من عوامل التقهقر أيضاً انتشار الأوبئة كل مدة، لا تبقي من الناس ولا تذر، ولئن قلت زلازل مصر فما أكثر ما كانت طواعينها الجارفة.

كانت الحكومات التي سبقت العثمانيين مهما كان لونها تفكر في خير مصر، لأنها تأكل منه وتستمع به فتعطف على رجال الأدب وحملة الشريعة وتنشط الصناعات والتجارة والزراعة. ومنذ فتح الفاتح مدينة القسطنطينية حاول أن ينشئ له مدينة إسلامية تضاهي على الأقل مدينة مصر في عهد المماليك، فأخفق لأن استعداد أمته للصناعات العلمية والعملية كان ضعيفاً، وأمته حربية صرفة. وربما عد

الأتراك أعمال اليد والفكر مما لا يتناسب عظمة الأُمة الحاكمة، فتركوا العناصر [ غير] الإسلامية وشأنها تنتج وهم يتمتعون. وما كان هم الدولة في مصر غير جمع المال من رعاياها، وإغناء طبقة خاصة من رجالها، على نحو ما كان من رجال رومية على عهد دولة الرومان، فتركت القطر غرض الرماة من الولاة، وكثيراً ما كانت تنصبهم [ أشهراً] قليلة لئلا يخرجوا بطول الزمن عن طاعتها، ومن كان منزله منزل قُلْعة كيف يتسع له الوقت ليفكر في إصلاح مختل وإيجاد مفقود، هذا إن كان على استعداد لعمل الخير للناس. وظل بقايا المماليك على كثرة من قتل منهم في الفتح العثماني حكام مصر بالفعل، ولا تكاد تقع في أهل هذه الدولة الأعجمية على شيءٍ اسمه ثقافة أو أدب أو عمران، واضمحل في عهدها كثير من مشخصات الأمم، وأصبحت المدارس اصطبلات ودوراً، وبطل التدريس فيها، واستصفيت الوقوف التي كان أهل الإحسان من الملوك والأمراء والأغنياء حبسوها عليها، وانحط الأزهر في أيامهم إلى التي ليس بعدها، ورفع منه معظم ما يفتح الذهن من الفنون فجمدت وتعقدت طريقة التعليم فيه، فصارت قواعد [ العلوم] ألغازاً وأحاجي حملت الكتب منها أحمالاً، وضاع الجوهر النافع في غمار الحواشي والشروح والتعاليق والاختلافات، وشيبت العلوم الدينية بما لم يكن [ منها] فضلت الأفهام لزهد العلماء في كتب الأقدمين السهلة الواضحة، وتعلقهم بكتب المتأخرين وما فيها من خبط وخلط أحياناً، تضيع في حل رموزها الأعمار جزافاً، وسقط الشعر إلى الدرك الأسفل، وأسمى النثر أبرد من عَضْرَس، وآض الطب والهندسة وسائر الفنون اسماً بلا مسمى.

نعم ضعفت الآداب حتى ما تكاد تعد مصر بعد القرن الثامن من الشعراء من يجدر بالناس أن يتناقلوا كلامهم، وفسدت الكتابة بالسجع السخيف. وفي الكتب نموذجات من كل عصر لا ترضيك منها السلطانيات ولا [ ١١ ] الإخوانيات، أي ما صدر عن الملوك والأمراء وما صدر عن الأفراد من الأدباء. وعلى تلك النسبة انحطت الخطابة وكان لها في عصور الارتقاء مواسم جنية الثمرات، تنفع في رفع مستوى العقول في الأخلاق والسياسة ومعظم المظاهر الاجتماعية، فأصبحت في هذا العهد عاملاً من عوامل الزهد والتوكل وتسويد الدنيا في وجوه من يسمعونها، وتعليمهم الرضا بالدون من العيش. فأماتت الهمم، ونزعت الشمم، ولقنت الناس منازع لو سار عليها المسلمون في قرونهم الأولى لما أنشؤوا[٤٨] مدنية جميلة، ولا أسسوا ملكاً ضخماً، بل كانوا بلا مراء أحط من زنوج إفريقية.

---

٤٨. في الأصل: أنشأوا.

وتخدرت الأعصاب فوهنت المدنية، وهل المدنية غير ابنة الأعصاب القوية، وذلك بما انتشر في أرجاء القطر من أهواء جديدة علمت الناس الكسل وأبعدتهم عن حياة العمل، فراجت الخرافات والترهات، واعتقد من اعتقد بالكرامات، وكثر الاستمداد من أهل القبور والنذر لها والاجتماع حولها، بما لم يعهد له مثيل في بضعة القرون الأولى للإسلام، كأن المتأخرين عرفوا من روح الدين ما لم يعرفه جماعات الصحابة والتابعين وتابعوهم. وبطل حكم العلوم المادية وما عادت الآداب تنفع في إنارة الأفهام وتحسين حال المجتمع، وخلت ممن يستحسنها أو يستهجنها، وممن يقرها أو ينقدها، وكان الشعر في الدهر الغابر يقيم القبيلة ويقعدها، والخطبة الواحدة تعقد الصلح أو تشهر الحرب. وغدا الناس لا يتفاهمون في مصالحهم الجزئية مع عمالهم إلا بواسطة التراجمة، والقضاء تركي، والإدارة تركية، والروح تركي، ومئات الألوف [من] أهل مصر لا نقض لهم ولا إبرام في [نظام] بلدهم وموارد حياتهم.

يقول مؤرخو الترك إن السلطان سليماً فاتح مصر و[أرض] العرب كان ينوي أن يجلي غير المسلمين عن [مملكته] بحيث تصبح إسلامية صرفة فمنعه من ذلك شيخ الإسلام زنبللي علي افندي وقال ليس لك أن تزحزحهم عن أرضهم ولا حق لك في غير الجزية منهم، وأنه كان من أماني هذا السلطان أن يجعل اللغة العربية لغة الدولة الرسمية، ولكن الأجل لم يساعده على إنفاذ أمنيته لما شغل به مدة حكمه من الحروب [و] الغارات. ومهما أحسن الظن بما كان من نيته، فالعبرة بإخراج أفكاره من حيز القول إلى ميدان العمل. ولو كان بدأ على الأقل بأن يكتب أوامره إلى [الولايات] العربية بلغتها لقلنا إنه يمهد السبيل لما يرى فيه سلامة الدولة والأمة، وإلا فالتفكيرات كثيرة والمناهج لا حد لها، وقد يُبَيِّت آحاد الناس أفكاراً جيدة لا تعد في معرض العمل إلا من عالم الخيال، وبعض أفكار العامة أيضاً إذا طبقت كانت شيئاً مذكوراً.

وما زالت حال القطر المصري إلى تقهقر خلال القرون الثلاثة التي حكمت الدولة العثمانية فيه مباشرة حتى قيض له رجل أعجمي صحت عزيمته على تأسيس مملكة عربية. عنينا محمد علي الكبير. فسار في ملكه بسيرة من ملكوا في الإسلام من أجناس الترك والشركس والكرد والبربر والفرس والديلم،[٤٩] أي أنه لم يتخذ غير العربية لغة، وترسم خطى من سبقوه إلى حكم مصر من غير العثمانيين. وعني عناية خاصة بنشر الثقافة الغربية ينقلها عن فرنسا وغيرها فأحيا رمماً كادت تفنى، وأدخل روحاً إلى

٤٩ . من منطقة ديلام التي تقع في جنوب بحر القزوين وفي غربها. الديلم هم الشعب من أصل فارسي الذي سكن ديلام.

جسم علق يبلي ( والعلم مذ كان محتاج إلى العلم ) فالتهم المصريون العلوم المادية التي أتاهم بها المصلح الجديد، وما قاوم رجال الدين التيار الذي انساب إليهم فأغضوا عما لم يستحسنوه كثيراً في باطنهم، خلافاً لما كان [ممن] انتظموا في مثل سلكهم في فروق عاصمة الخلافة، فإنهم قاوموا الطباعة، وأفتى بعضهم بتحريم طبع القرآن، وقاوموا العلوم المادية وحظروا تعلمها، وقاوموا اللباس الغربي والطربوش كما كانوا من قبل حرموا القهوة والدخان، فقتل في هذه السبيل أولاً وآخراً ألوف من الخلق. والعربي على ما يظهر أكثر الشعوب الإسلامية تسامحاً وحرية، وكان العرب [و]ما زالوا منذ عصر صاحب الرسالة دعاة الدين وأمناءه وتسامحهم مع من يخالفهم موضع العجب.

دخل الإصلاح ديار مصر يتناول أكثر الفروع والمظاهر، فشغل المدنيون ببث ثقافتهم والحكومة من ورائهم [ ١٢ ] تحميهم وتنصرهم. ولم ير الدينيون بعد قليل من التلكؤ إلا أن يسايروا الزمن ورضوا أن يدخلوا في أنظمتهم وتراتيبهم شيئاً من الجديد المفيد، ونبذوا أو كادوا ما وضع من الكتب في عصور الانحطاط الفكري. وأنشؤوا [٥٠] يطبقون مفاصل الإصلاح على طرائقهم ببطءٍ وتأن، وفتحوا السبيل إلى أن يتذوق طلاب العلم الديني لماظة من العلوم التي دعوها بالعصرية، وكان الأولى أن تسمى القديمة كالرياضيات والطبيعيات والفلك والتاريخ وتقويم البلدان، فخرج من الأزهر وسائر المعاهد الدينية في القطر علماء تعلموا في الجملة على غير الطريقة التي كانوا يمارسونها قبل ثلاثة أجيال، وكانت تضعف العقل، وتثلم الحواس.

وكان الفضل الأعظم في إيجاد هذه المجموعة الجديدة من الثقافة وإحياء الآداب العربية، لمدارس الحكومة على اختلاف درجاتها، حتى يصل الطالب إلى الجامعة، وأخرجت دار العلوم تلاميذ كان منهم أقدر العلماء والأدباء. ويحمد أيضاً قصد المدارس الخاصة التي تؤهل طلابها للحياة الحرة، لا جرم أن وزارة المعارف منذ تأسيسها لم تأل جهداً في تحقيق رغبتها في نشر العلم، ولذلك كانت تساير الزمن في نشوئها وارتقائها، ومنذ انتظم أمر البعثات إلى مدارس الغرب، ترسلها الحكومة أو الأفراد، دخلت ثقافة مصر في طور جديد، وأصبح فريق الدينيين وفريق الدنياويين، لا ينظر كل منهما إلى صاحبه النظر الأول، وربما أضمر الواحد للثاني حرمة وحدثته نفسه لو شاركه في كل ما وعى ودرس، وقام في مصر أرقى رجال العهد القديم الذين تخرجوا بالتعاليم الدينية، وأرقى طبقة من رجال العلم الحديث أثقفوا أحدث الأساليب الغربية، واستساغ كلاهما طريقته، وقام بقسطه من تربية أبناء مصر، وتساندا

---

٥٠. في الأصل: وأنشأوا

وتعاونا إلى أقصى حد ممكن، وتوشك ألا تبقى ناحية من نواحي العلوم والفنون لم يعالجها المصريون ويبرزوا فيها، بقدر ما سمحت قرائحهم وساعدهم انتباههم وأصبح الإخصاء، وهو العلة الأولى في ارتقاء العلم في الغرب، مما يحرص على الأخذ به المتعلمون، وكان من يطلق عليه اسم العالم في القرون الغابرة نُتفة يدعي معرفة كل شيء ولا يكاد يتقن مسألة من المسائل.

ومن نظر اليوم في المدارس على اختلاف درجاتها، وعارضها بما كان من نوعها منذ جيلين من الناس، وأمعن النظر فيما تخرج اليوم من الطلاب المجهزين بأجمل جهاز عقلي، وما [ كان ] يصدر عن المؤلفين والكتاب والشعراء من الآثار، وما يخرجون للناس منها لعهدنا، وما كانت عليه الصحافة المصرية زمن الخديوي إسماعيل وعهد ابنه فؤاد الأول، وكيف كادت صحافة مصر في هذه الأعوام القليلة تضاهي صحافة الأمم التي بدأت بالنهضة منذ أربعة قرون ـ ومن رأى هذا يسجل فخوراً بأن قرناً واحداً، تخللته فترات وهجعات، كفى هذا القطر بأن [ يصطنع ] له ثقافة فيها كل الخير لحياة مصر في مادياتها ومعنوياتها.

الجوامع والبيع، والمدارس والمحاكم، والأندية والصحافة، ودور التمثيل والغناء غيرت لهجات القوم حتى قربت اللغة العامية من الفصحى قرباً غريباً. وليت إديسون اخترع الحاكي في القرن الماضي فحفظت لنا في أسطواناته لهجة الناس منذ مئة سنة لنقارنها بلهجتهم اليوم، ونستمع كيف كانت أحاديثهم في المجالس والمدارس ومواعظهم في الجوامع والكنائس، وخطبهم في الأندية، وقضاؤهم في المحاكم. وعسى أن لا ينقضي جيل أو بعض جيل حتى تصبح لغة التخاطب كلغة التكاتب، والكمال في ذلك مضمون كلما [ تسلسل ] الترقي في أبناء مصر، واستوفوا نصيبهم من المعارف، ودأبوا على التحصيل والإتقان حباً بالعلم للعلم، لا رغبة في نيل الشهادات والألقاب واعتلاء المناصب والمراتب فقط، وعندها [ يجلون ] عن أنفسهم ويقنعون من كانوا إلى أمس ينكرون، بعوامل جنسية أو دينية أو سياسية، فضل المصري في تقدمه أشواطاً في طريق الحضارة العالمية.

وبعد فلا علينا وقد أجملنا الأدوار التي تقلبت على ثقافة مصر أن نوجز في تعريف هذه النهضة الحديثة التي نمت في ظل الدولة العلوية الكريمة وفضل من اختارتهم من خيرة المصريين. وما جماع ما يقال فيها إلا أنها إصلاح ثقافة [ ١٣ ] قديمة، واقتباس ثقافة حديثة ضُمت إلى جملتها، فكانت سيرة الدولة المصرية في هذا الشأن سيرة الدولة العباسية في أول أمرها، ارتقت فيها العلوم النقلية والعلوم العقلية

معا، ونظرت في عامة علوم الدين وما ينبغي لها، واقتبست علوماً مادية كانت راسخة عند من تقدموها في الأخذ بمذاهب الحضارة فصحّ أن تدعى الثقافة المصرية الآن ثقافة عربية غربية إسلامية تحس فيها روح العرب وروح الغرب وروح الإسلام، وفيها أثر حكمة القدماء والمحدثين ومن كل معنى طرب. [٥١]

---

٥١. يوجد توقيع مطبوع على الآلة الكاتبة مشطوب للكاتب ("محمد كرد علي") في نهاية هذا النص.

# تخريف المتعلمين

من مقالة للدكتور زكي نجيب محمود في "الثقافة" المصرية (إننا لم نزل على حالة ابتدائية تملأ الخرافة رؤوسنا) نتشاءم ونتفاءل ونؤمن إيمان العجائز. واسمع القصة الآتية واسخر: أقمنا ذات يوم حفلا نودع به راحلاً ونستقبل قادماً، وجلس على المائدة أمامي رجل صناعته تدريس الفلسفة في الجامعة، فأخذ هذا الفيلسوف يقص علينا كيف يفعل الإيمان الأعاجيب. قال: وكان في شبرا [٥٢] شيخ تقي صالح له مريدون كثيرون، وكنت أحضر جلساته أحياناً، وقد أخذ يفهم تلامذه كيف يقولون البسملة بإيمان ثم يمشون بعد ذلك على سطح الماء، فإذا هم يدوسون بأقدامهم على سطح أصلب من الحجر، وحدث ذات مرة لبائع فجل "ولست أدري لماذا وقعت الواقعة لبائع الفجل وحده، ولم يقم مثلها لزميله الأستاذ الفيلسوف" وكان من تلاميذ الرجل أن فرغ من بيع بضاعته، وأراد الرجوع إلى داره في إمبابة،[٥٣] وسار على قدميه شوطاً، ثم تنبه فجأة إلى دروس أستاذه الشيخ، فوقف على شاطيء النيل وأغمض عينيه، وقال بكل قلبه (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم مشى فإذا هو الماشي من النهر على أرض يابسة. هكذا قص علينا الفيلسوف قصته، ولو لا أني أتمنى له السلامة لتمنيت عندئذ أن يقوم الآخر بالتجربة عينها، ليتخفف الشعب من عامل من عوامل التخريف، وإن كان هذا شأن القمة العليا من طبقة المثقفين فماذا تكون حال الملايين من السواد (اهـ).

العلم صناعة يتعلمها كل من يدرسها ويبرز فيها من يتقنها، والعقل المنخوب [منذ] الصبا بالتخريف من الصعب أن يسلم صاحبه من لوثاته في الكبر. ويبلغنا أن من كبار علماء الغرب من يقول بالتنويم المغناطيسي، و[منهم] من يعتقد باستحضار الأرواح، ومن يطلب بركات القديسين، ويتوسل إليهم في قضاء حاجاته وشفاء أسقامه، كما يتوسل بعض المنحطين عندنا بالأولياء والصالحين، فكيف لمدرس الفلسفة أن يسلم من التخريف، وقد نشأ في بؤرته، ومعظم من حوله من أهله وجيرانه ومشايخه ومعلميه مغموسون في الخرافات انغماساً مخجلاً. الفلسفة ما نفعت ذاك المدرس لأنها لم تدخل شغاف قلبه وكانت عبارة عن قواعد وضعها غيره وحفظها هو رددها لسانه كما تردد الببغاء كلام بني آدم. وكم من متوسط في ثقافته ينبذ بذكائه الفطري كل

---

٥٢. أحد أكبر أحياء القاهرة، يقع في شمال العاصمة المصرية.

٥٣. في الأصل: أمبابه. مدينة في محافظة الجيزة، شمال غربي القاهرة.

ما يصدر عن الدجالين والمخرفين أكثر من المتفلسفين المتحذلقين. ورأينا من كان يظن فيهم صحة العقل مأخوذين بما غذيت به عقول العامة من المعتقدات الفاسدة، ومنهم بعض المنظور إليهم من مشايخ الأزهر.

فصل ٧/ ملف ٢٣-٢ *Chapitre 7 / dossier 23-2*

## دعوة جديدة

ظهر في الهند رجل من تلاميذ الحكيم غاندي اسمه فينوبابهان دعا إلى أخذ أراض من المتوسطين والأغنياء وإعطائها إلى الفقراء بمعدل فدان واحد لكل شخص، وهو يقول لنفرض أن لصاحب المزرعة الكبيرة أربعة أبناء ثم رزق ابناً خامساً ألا يضطر إلى أن يقسم مزرعته الواسعة إلى خمسة أجزاء بدلاً من أربعة، فأنا أطالب صاحب تلك المزارع بأن يعتبرني بمثابة [ وارث ] جديد، وأن يمنحني نصيبي حتى أعطيه للفقراء والمحتاجين. وهو يوزع في اليوم ثلاثمائة فدان، وقد وزع أكثر من عشرين ألف فدان، وبذلك يرجى أن يوزع من أراضي الهند الصالحة للزراعة سدسها وهو خمسون مليون فدان، ومن برنامجه إنشاء الآبار في القرى بدلاً من مشروعات الريّ الضخمة، وتنمية الصناعات الريفية بدلاً من المصانع الكبيرة، وزيادة إنتاج الحبوب لتلافي المجاعات.

هذه ثورة يظهر أن الحكومة الهندية الحاضرة تريد نجاحها، [بدليل أنها] تعاون صاحبها على مقصده الشريف، وإذا نجحت كما يرجو صاحبها ويرجو له كل عاقل يوفر الرزق للفقراء فيقل البؤس في الهند، وبذلك يكون من هذا الفدان الذي يأخذه الفقراء من الأغنياء كل خير، على نحو ما كان من نفع مغزل غاندي أستاذ صاحب الدعوة الجديدة وانتهى باستقلال [ الهند ] و[ نجت به ] من الاستعمار.

فصل ٨/ ملف ٢٣-٣ *Chapitre 8 / dossier 23-3*

## رجل سياسة

كان أحد رؤساء الوزارات في وزارته الأولى يطلب إلى خاصته أن يوافره بقوائم فيها أسماء رجال يصلحون لخدمة الحكومة ويكونون من طبقة لا يطعن في أمانتها.

وقد تولى الحكم غير مرة في عهد الاستقلال مقام بأمور نافعة.[٥٤] ولو كتب له أن يخالف وهو في الحكم [ معظم ] الوزراء في سياستهم من غضهم الطرف عن الفاسدين من الموظفين، وهم قادرون على إصلاحهم أو صرفهم بالتي هي أحسن، لكان مثال الحاكم المصلح، ولكن النقص من طبيعة البشر وما خلا عظيم من مغامز توجه إليه.

فصل ٩/ ملف ٢٣-٤ *Chapitre 9 / dossier 23-4*

## عاقبة التوظّف

لو أقبلت الأمة على كل أمر فيه خيرها إقبال أبناء مصر والشام والعراق لعهدنا على التعليم لتولي الوظائف في حكوماتنا لكنّا من أرقى أمم العالم. وبالإكثار من الموظفين تنتشر روح الاتكال في السكان، وفي ذلك من الخوف على مستقبل ذرياتنا ما لا ينكره ذو بصيرة. ونحن مهما سررنا بهذا الإقبال على المدارس لا نراه إلا مؤدياً في العاقبة إلى ضعف الاستقلال الشخصي، وأي ضعف أعظم تأثيراً في الاستقلال [ الذاتي ] من أن نشهد من تعلّم الميكانيكيات مثلاً أكثر ما يرغب في التوظف، ومن يدرس الطب لا أرب له في غير التوظف، ومن تعلم الزراعة [ أو ] الكيمياء لا يختار غير التوظف. وقل جداً في الدارسين من يفكر في تعاطي صناعة حرة [ ناجياً ] من قيود الخدمة [ وذلك لأنه يتوهم أن الاستخدام يعود عليه بربح مضمون وإن قلّ ].[٥٥]
ومن أعجب ما سمعته من أديب كبير كان يتوسط لأحد أصحابه لتوسد إليه إحدى الوظائف قوله لصاحب الشأن : وهل يتعلم الإنسان إلا ليوظف في الحكومة، وكان من يلتمس توظيفه من الأغنياء، لو عني بمشارفة أملاكه مشارفة خفيفة لجنى أَضعافُ أَضعاف ما كان يُمني نفسه أن يناله من راتب الاستخدام في [ الدولة ].

---

٥٤. قد يشير الكاتب هنا إلى خالد العظم (١٨٩٥–١٩٦٥)، الذي تولّى منصب رئيس الوزراء ثلاث مرّات بين الاستقلال وسنة ١٩٥٢ (أي سنة كتابة هذا النصّ) : أوّلاً، في عهد الرئيس شكري القوّتلي، بين كانون الأوّل / ديسمبر ١٩٤٨ و انقلاب حسني الزعيم (في ٣٠ آذار / مارس ١٩٤٩)؛ ثمّ في عهد الرئيس هاشم الأتاسي والعقيد أديب الشّيشكلي، بين كانون الأوّل / ديسمبر ١٩٤٩ ونيسان / أبريل ١٩٥٠، ثمّ بين آذار / مارس وتّموز / يوليو ١٩٥١.

٥٥. هذا الهامش بخط اليد على جانب الصفحة تحت الرقم ١١.

بدأت عقلية اختيار المتعلمين سلك التوظف منذ وضع أساس أول مدرسة أُنشئت في مصر في القرن الماضي وسرت فكرة التوظف في الشام والعراق ومصر إلى النفوس منذ عهد الترك في هذه الأقطار. وحبذا لو بحثت وزارات معارف الدول العربية في إيجاد دواء لداء التوظف القتّال فإن خزائن هذه الدول لا تتسع لكل من تعلموا [ ، وإذا جرى توظيف كل متعلم، ] تحرم المهن الحرة من الأذكياء الاستقلاليين.

فصل ١٠/ ملف ٢٣-٥ *Chapitre 10 / dossier 23-5*

## الفرق بين الغرب والشرق

أسدى الغنيان الأميركيان (كارنيجي وروكفلر)[٥٦] من ضروب الخير لخدمة الإنسانية والعلم ما لم يفكر في شيءٍ منه الهنديان المسلمان (نظام حيدر آباد وآغا خان) أعظم أغنياء العالم. صرف الأميركيان ثرواتهما الضخمة على الملاجىء والمستشفيات والمخابر وبيوت العلم وخزائن الكتب، [ وغير ذلك ] ولم يصرف المثريان الهنديان ما يذكر بالحمد في هذه السبيل. فخلد اسم الأميركيين العظيمين بما جادت به نفسهما الكريمة، ويذهب الهنديان من الدنيا بصفقة المغبون كأنهما ما ملكا ولا عاشا. جمع الأميركيان العظيمان من الصناعة والتجارة ما جمعا بكدهما ونبوغهما ثروة عظيمة، وأحسنا إنفاقها كل الإحسان، وجمع الهنديان أموالهما من الصدقات والزكوات، وشتان بين مآل طاهر شريف، ومال تعافه النفس، لأنه جمع من الدناءات والدجل.

إذا جاد الأغنياء عندنا فجودهم على التافهات، لا تحدثهم أنفسهم أن يبنوا ملجأ أو مستشفى أو مدرسة تكون صدقة دارة عليهم، وآية شرف لبيوتهم. وكان المسلمون أيام كانوا يعملون بتعاليم دينهم على قدم الغربيين في التفكير بالخير العام والصدقة الجارية. ومن غريب ما ذكرته الصحف مما يتصرف تحت هذا الباب أن غنياً من مصر

٥٦ . هما أندرو كارنيجي [Andrew Carnegie] (١٨٣٥–١٩١٩) وجون دافيسون روكفلر [John Davison Rockfeller] (١٨٣٩–١٩٣٧): صناعيان ورأسماليان أميركيان؛ اختص الأول في الفولاذ والثاني في النفط. أسّس كلاهما جمعيات خيرية ومعاهد علمية تحمل اسمهما.

تبرع بتسعة عشر ألف جنيه مصري لتشييد ضريح أحد أوليائهم في بعض القرى، وأن إخوة ثلاثة من الأعيان تعهدوا أن يتبرعوا للحكومة بخمسة وسبعين ألف جنيه إذا وجهت إليهم رتبة الباشوية ثم هم يتركون مناصبهم في خدمة شريفة يعانونها [ أي النيابة ( كان ذلك قبل إلغاء الرتب والألقاب ) ].

فصل ١١/ ملف ٢٣-٦ *Chapitre 11 / dossier 23-6*

## من صادر صودر

جرت العادة قديماً أن يصادر الملوك من يغتنون من رعاياهم ويجمعون ثروات من عمالهم. ومتى تنازل الملك [ من المحدثين ] عن عرشه أو خلع ونزعت السلطة من يديه تصادره حكومة بلاده فتعيد ما جمعه إلى بيت المال. ملك الخديوي إسماعيل نحو ثلث مصر فلما تنازل عن الحكم بيع بعد حين ما كان يملك من مزارع، وكذلك الحال كان لما نحي حفيده عباس عن إمارة مصر، بُدد ما كان يملك من عقار [ وأراضي ] ومثل هذا يقال في أملاك السلطان عبد الحميد الثاني [ وأملاك فاروق الأول ]. ومن العبث أن يتعمد ملك بعد الآن إملاك ثروة تتجاوز حد المعقول ويستأثر برزق ملايين ويسكت شعبه عنه.

فصل ١٢/ ملف ٢٣-٧ *Chapitre 12 / dossier 23-7*

## التدجيل والتضليل

يستحق قطع اليد على ما اجترح من إلقاء التفرقة بين أرباب المذاهب [ و ]على تهجمه [ على ] أشرف عظماء التاريخ، لغاية كلها تضليل وصغر عقل، لا أن يحتفل به على ما يحتفل بمن أفاد الصناعة والآداب والمدنية. لبنان غريب في مبالغته بأعمال من يتعمد تعظيمهم، بالأمس أقام حفلة تأبين رسمية لصاحب فندق، كان معروفاً في

حياته بأنه سفير المتعاشقين، واليوم يكرم رجلاً كان يؤذي الأفكار وينشر التعصب، وكانت مجموعة أعماله في نظر العارفين تشبه [ما تجمعه] ربة بيت قليلة التهذيب والذوق [مما تمور] من أدوات منزلها فتطرحها في غرفة جعلت منها مستودعاً لكل ما يتلف. فتجد فيها قدراً من النحاس مخروقاً ومقلى ومصفاة وأطباقاً أكل الصدأ وسطها وأطرافها وخرق بها خروقاً، وآنية وصحافاً وكؤوساً وفناجين ومرطابانات وأصاصي وجراراً [مخرومة]، ومنضدة مخلعة ومقعداً وكراسي وصناديق وأخشاباً مكسرة، وصفائح كانت تستعمل للزيت والسمن والنفط والمربيات والمحفوظات ولعب أولاد من الخشب والمطاط والجبس، وأحذية ومباذل وقباقيب مختلفة الحجوم، وستائر ممزقة يتعذر على نظرك أن يحكم على لونها الأصلي، لكثرة ما شبعت قبل أن بليت من الغبار والأوساخ، ومناديل كلها قاذورات تنبعث منها روائح كريهة، وأكياساً من غليظ الخيوط ممزقة مرقعة. وإلى جانب هذا العفش[٥٧] قطع من بساط [و]بلاس ومماسح أكل الدهر عليها وشرب، و[فوق ذلك] فراش لا تدرك العين مهما حدقت فيه إن كان محشواً قبل أن تبليه الأيام قطناً أو صوفاً أو خرقاً أو حشيشاً أو ريشاً أو ورق ذرة، ولحافاً ومساند لو حلفت أنها ما غسلت منذ خرجت من يد المنجد قبل ثلاثين أو أربعين سنة ما حنثت ولا كذبت. هذا الوصف يصدق على مجموعة دجال الأدب والنافخ في بوق العداوات بين العرب.

فصل ١٣/ ملف ٢٣-٨ *Chapitre 13 / dossier 23-8*

## تبدل المرافق

عشت الربع الأول من حياتي في مدينة لا أسمع فيها ليل نهار إلا أذان المؤذنين، وأصوات المهللين والمكبرين، في المآذن والجوامع، وفي الطرق والمنعرجات، [يضاف إلى ذلك] وضرب طبول أرباب الطرق في الزوايا، وأصوات أذكارهم [وأناشيدهم] حتى إذا مدّ [أول] خط حديدي بين بلدتي ومينائها أقبلت أسمع صفير بخار القاطرات في الغدوّ والآصال. ثم جاء الترام الكهربائي بهزاته ورجفاته، وسيارات النقل

---

٥٧ . كلمة من العامية السورية بمعنى: الأثاث.

والشحن والمحركات من الأوتوموبيلات والأتوبوسات و[الأوتوكارات] والموتوسيكلات والتراكتورات والموتورات إلى آخر ما نتج من بديع المخترعات.[٥٨]

تطورت مرافق السير والسفر والحمل والنقل [والزرع] كما تطور كثير من [مصطلحات] البشر، فقد كانوا [مثلاً] يكتفون في استصباحهم بالشموع وسرج الزيت، يستمتع بأنوارها الفقير والغني في المدن والقرى. وكان الناس لا يعرفون للتدفئة غير الحطب والفحم ويتحملون ما فيهما من الأضرار بصحتهم، وكربون الحطب ككربون الفحم قتّال، ثم أتت أوربا بهذه المدافئ السهلة تُحمى بالنفط أو الحطب أو الفحم الحجري أو الكهرباء أو المازوت، وهكذا أتى الغرب بكل ما يفيد في الحياة، ويقتصد من النفقة، وتحفظ به الصحة، فزادت الرفاهية وعمت السعادة وتبدلت المرافق.

فصل ١٤/ ملف ٢٣-٩ *Chapitre 14 / dossier 23-9*

## نعمة الحرية

نعمة لا تعادلها نعمة، استمتاعنا بحرية القول وحرية النشر، وبهما تجلى كل شيءٍ على حقيقته، وخفتت أصوات المموهين والمدلسين. وكان أعظم الأذكياء [في] العصور الغابرة لا يعرف من العالم أكثر مما يراه في داره وعند جاره، ولا يجسر أن يصرح بما يغضب الحاكمين ولا يرضى المتنفذين، فضلاً عن أن يدونه إن كان ممن يحسن التدوين ويألف التفكير. كان القوم أشبه ببهائم خرس لا تنهق ولا تصهل، وعلى ذلك داموا أحقاباً الله أعلم بعددها.

---

٥٨. إن أوّل خطّ حديدي افتتح في سورية هو خطّ بيروت–دمشق في ٣ آب/أغسطس ١٨٩٥ بعد أعمال دامت ثلاث سنوات نفذتها شركة البناء باتينيول [Batignolles] الفرنسية، محطتاها الرئيسيتان في دمشق في البرامكة والميدان. أمّا الترام، فبدأ يشتغل في دمشق سنة ١٩٠٦، حيث افتتح خطّان من محطّة القدم في الجنوب حتى حارتي الصالحية (أي شيخ محي الدين اليوم) والمهاجرين على سفح جبل قاسيون.

فصل ١٥/ ملف ٢٣-١٠ *Chapitre 15 / dossier 23-10*

# تواضع مصري

قلت لصديقي الأبرّ الأستاذ مصطفى بك حنفي من كبار رجال القضاء في مصر: لماذا لم توجه إليك رتبة الباشوية مع أن آخر مناصبك كانت وكالة وزارة العدل، ومكانة هذا المنصب عظيمة في عرف الدولة، على حين شهدنا غيرك ممن أعتقد أن ليس له اقتدارك، ولا حسن خدمتك، قد وصل إلى الباشوية، ولو كان وراءها رتبة أعلى لطالها. فأجابني رحمه الله جواباً لا يصدر إلا عن عالم متواضع أشبع روحه بحب الحق والعدل. كان صاحبي [العالم] من النوادر في أبناء مصر الذين زهدوا في المظاهر ومنها الألقاب والرتب لكثرة ما ابتذلت.

فصل ١٦/ ملف ٢٣-١١ *Chapitre 16 / dossier 23-11*

# العربية في تركيا

لم يرض جمهور الشعب في تركيا عن سياسة كمال آتاتورك رئيس جمهوريتهم الأول،[٥٩] بإدخاله الأوضاع الشاذة على الدين، وإبطال اللغة العربية في العبادات والمعاملات. ولما جاء عصمت إينونو للرئاسة علقت الأتراك آمالها عليه، لإعادة الشعائر الإسلامية إلى ما كانت، فما أعار ذلك اهتمامه، وحافظ على سياسة سلفه، وبانتخاب الرئيس الثالث جلال بايار [٦٠] ثار القوم يريدون الرجوع إلى اللغة العربية في الأذان والخطبة والصلاة فلم يسع الرئيس الجديد، وهو المتدين المتمدن، إلا مراعاة عواطفهم. واغتبط إخواننا الأتراك أن عادوا إلى إقامة صلواتهم بلغة القرآن، كما هي في جميع ديار الإسلام وبذلك نجا سكان تركيا من تبدل كاد يؤدي إلى خروج أبنائهم

٥٩. خلال رئاسته للجمهورية التركية بين سنتي ١٩٢٣ و ١٩٣٨، قام مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١–١٩٣٨) بإصلاحات علمانية عديدة كإلغاء الخلافة والمحاكم الشرعية وتعدد الزوجات وإدخال الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية وفرض الزي الأوربي.

٦٠. محمود جلال بايار (١٨٨٣–١٩٨٦): رئيس الجمهورية التركية بين سنتي ١٩٥٠ و١٩٦٠.

من الإسلام. فاستحق الرئيس جلال بايار ثناء المسلمين كافة، بإجابة أمته إلى مطلبها المعقول.

ومن جميل ما جاء من أخبار الإصلاح الجديد ما روته جريدة (الأيام)[٦١] من أن معظم الأتراك ولا سيما أبناء الأناضول يعتقدون بأن الحروف اللاتينية التي أُدخلت إلى بلادهم ما هي إلا غشاء رقيق لا يستطيع أن يصدّ اندفاع الأتراك عن الثقافة العربية أو الحروف العربية. قالت وقد قبضت شرطة الآستانة على بضعة أشخاص من الأتراك اتهموا بتهريب الكتب العربية والكتب التركية المطبوعة بالحروف العربية من مصر وسورية والعراق وبيعها في المدن التركية، وإن [الأندية] السياسية والعلمية في أنقرة دهشت من ضخامة عدد الأسفار المهربة وتقدر بالملايين.

ويرجى بعد هذه الرجعة أن تعود العربية إلى تركيا أرفع مقاماً مما كانت عليه زمن العثمانيين، وأن تقضي الحروف العربية على الحروف اللاتينية في كتابة اللغة التركية، لأن السواد الأعظم من الأتراك لا يرضون بغير الرجوع إلى القديم. وإرادة الأُمة إذا أَجمعت على الخير لا تردّها قوة.

فصل ١٧/ ملف ٢٣-١٢ *Chapitre 17 / dossier 23-12*

# سبب الانحطاط

روى الأستاذ أبو الحسن الندوي (مجلة الحج م ٥ ج ٧) عن شاعر الهند العظيم محمد إقبال رحمه الله قوله: مما جنى على الشرق الإسلامي، وبه تخلف عن ركب الحياة، عكوفه على مباحث ما بعد الطبيعة، وانصرافه عن دراسة العلوم الطبيعية وزهده فيها، وأقبل الغرب على دراسة العلوم الطبيعية، وضنّ بأوقاته وجهوده على علوم ما بعد الطبيعة التي لا تجدي نفعاً، فغير بذلك مجرى الحياة وأخضع إليه القوى الطبيعية. وكان ذلك من أسباب انتصاره على الشرق وسيادته العالمية. قال وكان الدكتور محمد إقبال يؤمن بأن الإسلام دين الجهاد والكفاح والبطولة والرجولة، وكان

٦١. جريدة الأيام: جريدة يومية سياسية، أصحاب امتيازها هاشم الأتاسي وإبراهيم هنانو ولطفي الحفّار وعارف النكدي وسعد الله الجابري وفخري البارودي، صدرت في دمشق بين سنتي ١٩٣١ و ١٩٦٣.

شديد الإنكار على الأفكار العجمية التي تسربت إلى التصوف، وتغلغلت في أحشاء الجسم الإسلامي، فانسحب المسلمون من ميدان الحياة، وانطووا على أنفسهم، وآثروا العزلة عن الحياة الاجتماعية. قال وكان محمد إقبال شديد الحرص في الأيام الأخيرة على انتشار اللغة العربية في الهند، والعمل على نشر الثقافة الإسلامية، ولا يقصر في توجيه ملوك المسلمين وإرشادهم وبذل النصيحة لهم. ويظهر أنه كان حريصاً على أن يضع سمو نظام حيدر آباد بعض أمواله الكثيرة فيما ينفع الإسلام والمسلمين. وكان يتخوف من مصير هذه الثروة الضخمة إذا لم تستثمر ولم يحسن استعمالها. حدثنا أنه اجتمع بالنظام وكان مجلساً خاصاً، وكان النظام يتكلم بالإنكليزية حتى ما يطلع أحد من الخدم على ما يدور في المجلس. قال : قلت لسموه : يا صاحب السمو إنك لا تعرف قوتك. قال : وما هي قوتي ؟ قلت هذه الثروة العظيمة التي تملكها قال : ماذا أفعل بها، قلت : إني أرى أنك إذا وفقت إلى مشروعين كان لك النفوذ العظيم في العالم، ورهبك من ترهبه. قال : وما هما ؟ قال : تنشئ صحيفة إنكليزية عالمية وتنشئ مصرفاً دولياً فتستدين منك الدول والشعوب، وتحسب لك الحكومات حساباً كبيراً. وهنا قطع النظام كلامه وقال : إنك لا تدري ما أنا صانع بهذه الثروة. وانتقلا إلى موضوع آخر وكل يعلم الآن كيف صدقت فراسة محمد إقبال.

وبعد فما من عاقل في الأرض يخالف رأي العلامة محمد إقبال في أسباب تقهقر المسلمين، وكان العامل الأكبر في تراجع أمرهم عمى قلوب ملوك المال وأرباب الحكم منهم، ولعل من العبر التي مرت بطواغيت الزمان ما تستفيد منه الفئات القابلة للخير.

فصل ١٨/ ملف ٢٣-١٣ *Chapitre 18 / dossier 23-13*

## الاستعمار البريطاني

قالت جريدة (نيويورك تايمس) : من الحقائق الأولية التي يتفق عليها الخبراء السياسيون أن بريطانيا خرجت مطرودة من إيران، وأمسى مركزها في قنال السويس [٦٢] متأرجحاً، وبدأت العراق تطالب بتعديل المعاهدة العراقية البريطانية، وأضحى الميناء البريطاني العام في الشرق الأقصى (هونغ كونغ) تحت رحمة الصينيين الشيوعيين

٦٢ . هكذا في الأصل.

وكذلك ( سنغافورة ) حيث تعمل العصابات الصينية على نهك قوة ستين ألف جندي بريطاني. وليس من شك في أن بريطانيا خسرت على الرغم منها الهند وبورما كما بدأت سيلان تنزع نحو التحرر من نير الاستعمار البريطاني. ويلاحظ أن بريطانيا تصادف عقبة عنيفة في آسيا وإفريقية حيث يجتمع حوالي ( ٥٠٠ ) مليون نسمة على تحطيم السلاسل البريطانية. ويجزم الخبراء السياسيون والدبلوماسيون بأن بريطانيا العظمى ليست هي العظمى التي كانت أول الدول الاستعمارية في القرن التاسع عشر وحتى النصف الأول من القرن العشرين، فقد فقدت مركزها الحربي في حوض البحر المتوسط، وهو المركز الذي حرصت على التمتع به زمناً غير قصير، فأصبح في لغة الكثيرين بحيرة أميركية. ولعل حركات التحرير هي التي حدت بالجنرال فرانكو على المطالبة بجبل طارق الذي يحتله الإنكليز.[٦٣] ويتضح بعد هذا كله أن بريطانيا بدأت تتفكك شيئاً فشيئاً كما يحدث بطبيعة الحال لكل دولة استعمارية لا تلتفت إلا إلى مصالحها ولا تكترث بمطالب الشعوب.

ومثل هذا ما يحدث للبرتقال وكانت أقوى دولة استعمارية في القرن الخامس عشر ووقع لإسبانيا التي تبوأت الزعامة الدولية بعد البرتقال.

وختمت الصحيفة الأميركية مقالتها بأن هذا الانحلال البريطاني بدأ منذ انتهت الحرب الأخيرة فاضطرتها الحالة التي جابهتها بعد التخلي عن الهند أكبر مستعمراتها. وكانت أثارت فيها بريطانيا دون سائر [الممالك] أكثر الحروب [الأهلية بين] مختلف الطوائف. قالت ويجزم كثير من الدبلوماسيين المطلعين أنه كان للولايات المتحدة يد طولى في هذا الانحلال، وليس من العسير معرفة الدوافع الكامنة وراء ذلك. فقد ظل الأميركيون شعباً مستعبداً للإنكليز نحو قرنين ونيفاً من الزمان، حتى وقعت حرب الاستقلال التي امتدت من عام ١٧٧٦ إلى عام ١٧٨٣ وكان فيها انتصار أميركا انتصاراً مدهشاً بفضل القائد واشنطن الذي قدر له الشعب الأميركي خدماته فعينه أول رئيس للجمهورية.[٦٤] لا جرم أن الحرب الأخيرة كانت أكبر عامل في انحلال

---

٦٣. احتلت إنجلترا جبل طارق سنة ١٧٠٤ وأكدت معاهدة أوتريخت [Utrecht] هذا الاحتلال سنة ١٧١٣. طالبت إسبانيا رسمياً استرجاع جبل طارق من خلال الأمم المتحدة في عهد الجنرال فرانسيسكو فرانكو بهامونده [Franco] ( ١٨٩٢–١٩٧٥ ) ولكن سكان المستعمرة رفضوا إلحاقهم بإسبانيا عبر استفتاء سنة ١٩٦٧.

٦٤. جورج واشنطن [George Washington] ( ١٧٣٢–١٧٩٩ ): قاد جيش المتطوعين الذين ثاروا ضد الإنجليز خلال حرب استقلال الولايات المتحدة حتى انتصارهم سنة ١٧٨١. بعد اعتزاله

الإمبراطورية، لأن بريطانيا العظمى قامت بأعظم قسط فيها حتى غلب الحلفاء دول المحور. ويستشم مما قاله الكاتب الأميركي رائحة الشماتة بأبناء جنسه السكسونيين.

فصل ١٩/ ملف ٢٣-١٤ *Chapitre 19 / dossier 23-14*

# الإسماعيلية

ولدت الإسماعيلية الباطنية في الشام وباضت وفرخت في المغرب الأقصى وترعرعت واكتهلت في القطر المصري. وما كان في الظن أن يبقى في مصر إلى اليوم من يقولون في الدولة الإسماعيلية ما لا يقول أكثر منه أعظم المتشيعين لهم في عصرهم، ويبغضون جميع أهل القبلة ويغمطون حق الدول التي قام رجالها بمجد الإسلام ونشروه تحت كل كوكب. وبهذا ظهر أن المذاهب إذا تأصلت في إقليم لا تنقرض منه دفعة واحدة، ولو كان الذي قرضها رجل من عيار السلطان صلاح الدين، ومضى على انقراضها قرون كثيرة.

فصل ٢٠/ ملف ٢٣-١٥ *Chapitre 20 / dossier 23-15*

# وقار الحكومات

لم يبق للدول والحكومات تلك الروعة التي كانت تتمتع بها في الزمن السالف، أيام كان الوقار ينتظم العامل الكبير والعامل الصغير، ترى الملوك من مصلحتها اصطناع هذا الوقار، ليكون لها من السلطان في نفوس رعاياها ما يعينها على حكم العامة والخاصة. زادت سلاطة الصغار على الكبار، وفسد ما بين الحاكمين والمحكوم عليهم، والأمم تساس بالإيساس واللطف، أكثر مما تساس بالعسف والعنف، أما إذا جهل كل إنسان حده فالرأي الأصيل لأرباب الوقاحة يتطالون إلى ما هم منحطون عنه، فلا

عن الجيش، رجع واشنطن إلى العمل السياسي ليوقع الدستور سنة ١٧٨٧؛ انتخب أول رئيس للولايات المتحدة (١٧٨٩-١٧٩٦).

ينفعون ولا ينتفع بهم، والصغير إذا ظن نفسه مساوياً للكبير تكون حال المجتمع إلى الفوضى.

*Chapitre 21 / dossier 23-16* **فصل ٢١/ ملف ٢٣-١٦**

## الشيوعية الجديدة

[من نحو ألف سنة قال أبو حيان التوحيدي:[٦٥] الناس يكتسبون على رأس كل مائة سنة عادة جديدة وخليقة غير معهودة. وبدء هذه المئين هو الوقت الذي فيه تنعقد شريعة وتظهر نبوة وتفشو أحكام وتستقر سنن وتؤلف أحوال بعد خصام شديد وتلكّؤ واقع ثم على استنان ذلك يكون ما يكون.

وهذا ما يصدق على الشيوعية وقائدها الجديد.][٦٦]

[قال] الأستاذ محمد عبد الله عنان في مجلة الثقافة تحت عنوان (حقائق الشيوعية)[٦٧]: يعرف من درس تاريخ الثورة البلشفية وتاريخ النظام السوفيتي أن روسيا السوفيتية قد قاست في ظل النظام الشيوعي الأول (من سنة ١٩١٨ - ١٩٢٤) شر الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، وأنها كادت تنزلق إلى هاوية الخراب والمجاعة من جراء التطرف في تطبيق سياسة التأميم المطلق، وأنه لم ينقذها من هذه المحنة سوى العدول عن المضي في تطبيق التجربة الشيوعية المتطرفة، وعادت فأباحت الملكية في حدود خاصة، ثم جاء الدستور السوفيتي (١٩٣٦) فتوسع في إباحة الملكية الخاصة وحقوق المرأة[٦٨] (ا هـ). نعم كان قانون الشيوعية في روسيا أيام الرئيس لنين بعيداً عن العقل معقداً يصعب الانتفاع به، لأنه كان على ما بدا لنا مرتجلاً لم يُدرس الدرس الواجب ولم تُراع فيه اعتبارات لا تُدرك غالباً إلا بعد التجربة فساءت لذلك النتائج.

---

٦٥. علي بن محمد بن العباس، المعروف بأبي حيّان التّوحيدي (ت. ٤١٤ هـ). انظر ما كتب عنه محمد كرد علي في "أمراء البيان"، ج ٢، ص ٤٨٨–٥٤٥، وفي "كنوز الأجداد"، ص ٢١٠–٢٢٠.

٦٦. هامش بخط اليد تحت الرقم ٦٦٦.

٦٧. والعنوان الكامل هو التالي: عنان، محمد عبد الله، "حقائق عن الشيوعية يجب أن يتدبرها الشباب"، الثقافة (مجلة)، العدد ٦٧٣، ١٩ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥١، ص ٦–٧.

٦٨. في الأصل: "حقوق الميراث".

ولما عدّل الرئيس ستالين السياسة الشيوعية وقضى بإباحة الملكية في شروط معينة،[٦٩] رجع الشيوعيون بعض الرجوع إلى القانون الطبيعي في التملك. ولا معدى لروسيا في المستقبل عن تبديل بعض أوضاعها وأصول حكمتها وإدارتها، وستعلمها الأيام أن المجتمعات البشرية لا بد فيها من وجود ثلاث طبقات غنية ومتوسطة وفقيرة، تعمل كل طبقة في نطاق طبيعتها، وليس في طاقة القوانين أن تخرجها منها، هذا على شرط أن يكون غنى الغني وفقر الفقير مما يُحتمل، وأن تُعالج الملكيات الكبيرة بالتقسيم وأخذ الفضل من الثروات الكبيرة ليُنفق بالنهوض بأبناء الدولة [لا في] حروبها وشرورها.

فصل ٢٢/ ملف ٢٣-١٧ *Chapitre 22 / dossier 23-17*

## مكافحة البطالة

فشا التبطل في ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى - وأذكر أنه بلغ فيها عدد المتبطلين يومئذ ستة ملايين - فسنّت الحكومة الألمانية قانوناً يحظر على الرجل تعاطي أكثر من حرفة، حتى ينفسح المجال لكل وطني أن يجد رزقاً، بمعنى أن الطبيب يبقى في طبه فقط لا يمارس الزراعة ولا التجارة، ويحظر على المالي أن يتجر أو يستخدم في الحكومة أو في شركة، وعلى صاحب العقار أن يفتح معملاً وأن يؤلف شركة. وهكذا قسمت الدولة موارد العيش بين رعاياها، وزادت على ذلك أن نقلت المعامل من جوار المدن إلى الأرياف ومنحت كل عامل قطعة من الأرض يزرعها عياله فتأتيهم ببعض مؤونتهم.

وفي الشرق شهدنا الخياط موسيقاراً، والمزارع يندس في عمال الحكومة، والمحامي يرابي. وعهدي بمحام يمارس مع حرفته خمس حرف، وبملك يتجر ويقتني سفناً ينقل عليها تجاراته، وبآخر يدير مزارعه على حسابه، ولا يستطيع من في جواره من الرعية أن يبيعوا حاصلاتهم في الأسواق قبل أن تباع حاصلات الملك. فلو سرنا على القانون

---

٦٩. الرئيس لنين (١٨٧٠-١٩٢٤) هو الذي قرّر تغيير السياسة الإقتصادية سنة ١٩٢١ وتعديل الشيوعية. أما الرئيس ستالين (١٨٧٩-١٩٥٣)، فترك هذه السياسة وشدّد تأميم الأراضي وأدخل التخطيط الاقتصادي بداية من سنة ١٩٢٨.

الألماني لوزعنا الثروة العامة على الطبقات، ولقضينا على البطالة، ولأدخلنا التحسين على الصناعات.

فصل ٢٣/ ملف ٢٣-١٨ *Chapitre 23 / dossier 23-18*

# لصوص صغار

كان أولاد الحيّ إذا قرب نضج ثمار حديقة داري [٧٠] يشنون حملة عليها فيأخذون برشقها بالحصا ليلتقطوا ثمرها ولما ينضج. فلما مللت من اعتدائهم على الثمر والورد والزهر، لم أر بداً من قطع الشجرات المثمرة وإقفال باب الحديقة إقفالاً محكماً حتى لا يدخلها كل من تحدثه نفسه بقطف الورد وحمل طاقة من الأزهار. وأعتقد أن الصبيان والبنات ما كان يدفعهم إلى الجسارة على سرقة الجار إلا أمهاتهم يضحكن لهم إذا أتوهن بهدية من هذا القبيل، وربما كنّ هنّ الحاملات أولادهن على السرقة مع توصيتهن بأن يجتهدوا ألا يراهم صاحب الحديقة. أما في القرية فالخطب أعظم إذ يتشابه الأطفال والرجال والبنات وأمهاتهن في الاعتداء على كل ما تطول أيديهم إليه من الأزهار والورد والغلات والثمرات، ولا يكتفون بقطف الورد بل يقلعون شجراته من أصولها، وقد تنقل الشجرة المثمرة برمتها من [ موضعها ] إلى أرض سارقها.

كلما شاهدت هذا الأذى ـ ومن ذلك هجوم بعض سكان الحاضرة على الحدائق المحيطة بها في الربيع يقطفون زهرها ويقصفون أغصانها ـ أذكر ما رأيت في الغرب، [٧١] وما رآه من أطالوا مقامهم فيه من الأمانة الماثلة في المدن والقرى، ومن امتناع الغربي عن جس ما ليس له فضلاً عن أخذه أو إفساده، وآسف لاستحلال الصغار والكبار عندنا هذا النوع من الدناءة، وأغبط الغرب على ما خص به أهله من عزة النفس وفرط الأدب.

---

٧٠. يقصد داره في قرية جسرين في غوطة دمشق. كان محمد كرد علي، في آخر عمره، يمضي النصف الأول من كل شهر في دمشق، حيث كان يدير المجمع العلمي العربي، والنصف الثاني في قرية جسرين، حيث بنى له ابنه طريف فيلا في بستان سنة ١٩٤٠. وكان محمد كرد علي قد ألّف فيها بعض كتبه ودرّس لبعض أبناء القرية مثل الشيخ عبد المالك الحمصي رحمه الله وكان يستقبل فيها أقاربه وزملاءه وأصدقاءه. انظر الصور التي تذكر تلك اللحظات في ملحق هذا الكتاب وفي كتاب "أوراق فارس الخوري"، ج ١، ص ٣٣٠.

٧١. انظر كتاب "غرائب الغرب" لمحمد كرد علي، جزءان، القاهرة، ١٩١٠ و١٩٢٣.

*Chapitre 24 / dossier 6*
*5 p. imprimées et corrigées par l'auteur*

**فصل ٢٤/ ملف ٦**
**٥ صفحات مطبوعة ومنقحة بخط يد الكاتب**

# جبار بني العباس [٧٢]

[طُلب إليّ الإدلاء برأيي في سيرة هارون الرشيد فكتبت ما يأتي :]

كان الرشيد من أفضل خلفاء بني العباس خُلُقاً وخَلْقاً، وعلماً وأدباً، وفصاحة ورجاحة.

أخذ العلم والأدب عن شيوخ مشهورين. وتمت ثقافته وهو يتمرس بالسياسة والإدارة. تولى وهو لما يزل يافعاً الولايات الجليلة والقيادات الصعبة، فوفق ونصر، لما فطر عليه من الحزم، وبعد النظر، والمعرفة بما تنطوي عليه نفوس الناس وما يصلحها ويشقيها.

تولى الشام والفتن يندلع لهيبها فقضى عليها على أكمل وجه وأعاد إليها الطمأنينة والأمن، وغزا الروم وهو ولي العهد أيضاً، فوصل إلى أسكدار من ضواحي القسطنطينية وتغلغل في بلادهم، وأمعن في كشف قواتهم، وغامض أسرارهم، فلما وسدت إليه الخلافة عاد فغزاهم وأخذ منهم هرقلية، [٧٣] فاضطر ملكهم أن يبعث إليه بالجزية عن رعيته، وعن رأسه ورأس ولده وبطارقته، واشترط عليه أن لا يعمر هرقلية، وأن يكون الحمل في السنة ثلاثمائة ألف دينار. وأكد المؤرخون أنه لم يكن في عمله هذا ظالماً للروم، بل كان صاحبهم نقفور هو الظالم لنفسه ولقومه، لنقضه العهد الذي كان أعطاه، فجازاه الرشيد على عمله.

ولما أشجى الرشيد الروم وقمعهم سُمي "جبار بنى العباس"، وكان من أكبر همه أن لا يدع الروم يتنفسون الصعداء، وأغزى ابنه القاسم بلاد الروم مرة، فقتل منهم خمسين ألفاً، وأخذ خمسة آلاف دابة بسروج الفضة ولجمها، وأقام من الصناعة أي من عمل السفن الحربية ما لم يقم مثله قبله، وقسم الأموال في الثغور والسواحل، واختزل الثغور من الجزيرة وقنسرين [٧٤] وسماها العواصم. وكان جيشه بتدريبه وترتيبه

---

٧٢. نُشِر هذا النص سابقاً بعنوان "جبار بني العباس ليس بالمستهتر الماجن" في مجلة "الهلال"، المجلد ٦، السنة ٤٨، نيسان ١٩٤٠، ص ١٠٩٩–١١٠٣.

٧٣. وقع ذلك في عام ١٩٠هـ/ ٨٠٦م ؛ تقع هرقلية اليوم في ولاية كونيا في تركيا.

٧٤. مدينة قديمة، أُسست في العصر اليوناني باسم شالكيس Chalcis de Belos وتسمى اليوم العيس؛ يقع آثارها جنوب غربي مدينة حلب، على بعد ٣٠ كم تقريباً.

أقوى جيش عهد للعباسيين، وهو تحت الطلب أبداً.

[ ٢ ] فالرشيد الذي كان هذا بعض هداه : يدير ملكا طوله بضعة أشهر وعرضه كذلك، ويدبر أمة عظيمة مختلفة العناصر واللغات، منوعة المذاهب والغايات، وينظر في كل شيء بنفسه بمن أمور الملك ـ يستحيل أن يكون كما صورته كتب المحاضرات والمجون، وكتب المنحرفين عن أهل السنة والجماعة، وكانوا منذ أول أيامهم، ولا أرب لهم إلا نزع الملك من بني العباس وبني أمية، وما رضوا حتى عن الراشدين ولا عن غيرهم.

وكيف صوروه ونالوا منه ؟ صوروه مستهتراً ماجناً، وسلبوه فضائله وخصائصه. صوروه شريباً خميراً لا يصحو ليله ونهاره، وزير نساء عابثاً لاهياً لا تهمه دنياه ولا آخرته، والله يعلم أنه الخليفة المظلوم. وما كان الرشيد بالخليفة المتزمت على مثال إنسان القرن الأول والثاني. كان يأخذ من الحياتين ما لا يعبث بأصل من أصول الشرع، ويأتي رخص الدين وعزائمه، كان متديناً ممدناً في آن واحد.

كان يحب المرح، ومرحه لا تبذل فيه، وما كان في شيء من المحرم ولا من المنكر. وكيف، لعمر الحق، بلغت بهم السلاطة أن يصموا عظيماً كهذا بما وصموه به ؟ وكان كما أجمع مدونو سيرته يغزو سنة ويحج أخرى ، ويصلي كل يوم مائة ركعة، ويتصدق من صُلب ماله كل يوم بألف درهم بعد زكاته، وإذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم، فإذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الفاخرة.

وإذا كان الرشيد يلهو ويطرب في الأحايين، وقد يجتمع إلى المسمعات والمسمعين، والعازفين والضاربين، فليس معنى ذلك أن هذا كان دأبه وأنه يفعل المحرمات ولا يبالي. لا جرم أنه كان مجتهداً، وأن رأيه في الطرب غير رأي المتعصبين والناسكين في عصره، وقد شهد له بالتقوى جمهور العلماء الذين كانوا يختلفون إلى مجلسه، ويرقبون سيرته عن أمم، وما كان هؤلاء الأئمة ممن يصانع عن دينه ويشهد الزور حسبة وهم المأمونون الثقات أعجبوا به حياً وميتاً، وشهادة واحد منهم تعدل ألف شهادة صدرت عن الفساق والمجان، وما أحسن ما قاله فيه أبو المعالي الكلابي :

| | |
|---|---|
| فمن يطلب لقاءك أو يرده | فبالحرمين أو أقصى الثغور |
| ففي أرض العدو على طمر | وفي أرض البنية فوق طور |

[ ٣ ] ليس الرشيد بالرجل الذي صوروه مع أبي نواس الشاعر ! وما كان أبو نواس هذا كما صوروه أيضاً به من الفحش والدعارة ! الرشيد كان رقيق العاطفة نبيلاً في حبه، ولا تقدح في عدالته أبيات ثلاثة عزيت إليه وهي :

ملك الثلاث الغانيات عناني وحللنّ من قلبي بكل مكان
ما لي تطاوعني البريّة كلــها وأطيعهـنّ وهـنّ في عصياني
ما ذاك إلا أن سـلطان الهـوى وبـه قوينّ أعـزّ مـن سـلطاني

والحب الشريف كان منذ الأزل مثال كمال النفس وجمال المذهب، أن من حاولوا تشويه سيرة الرشيد واستحلوا بالتقول عليه الخروج عن منطق الأشياء، قد وضعوا أيضاً في خيرة رجال بني أمية أخباراً أوهى من خيوط العناكب، وما الحيلة فيمن سولت لهم أنفسهم أن يضعوا الأخبار الكاذبة على الرسول، ويعزوا إليه ما هو ظاهر البطلان، تأييداً لدعوتهم، والسياسة ما زالت تسوّد الأبيض وتبيّض الأسود.

هذه الطائفة من الناس هي التي كانت من كل ما يأتيه الخليفة العباسي لصيانة ملكه من الزوال ذريعة إلى النيل منه، تفسره بغير ما يريد به، وتحمله على غير محمله على نحو ما كان منهم يوم قتل بني برمك لأنهم كانوا يأتمرون عليه وعلى سلطانه، فقال أعداؤه إنه قتلهم لأن أحدهم تزوج العباسة أخته على صورة لم تعجبه، والمعقول أن يقتل من لم تُرضه فعلته لا أن يقتل أسرة بأسرها، ولم ينج من سيفه وبطشه إلا واحد فقط لم يدخل فيما دخل فيه أهله قد يستجيز بعض أرباب الكذب على الخصم السياسي، ولكن الكذب على هذه الصورة محرم في نظر كل دين وعقل.

حاز الرشيد في الغرب شهرة دونها كل شهرة كتبت للملك من ملوك العرب، ولا سيما بعد أن نقلت قصة ألف ليلة وليلة إلى اللغات الأوربية.[٧٥] ومعلوم أن ذكره ورد في هذه القصة مثالاً على سعة العيش، ونضرة الحياة، وانبساط العمران في بغداد، فكان من ذلك أن اشتهر اسم الرشيد بما في تلك القصة من الغرائب المدهشة، والمبالغات النابية عن طور العقل، البعيدة إلا عن خيال واضعيها. وغريب ألا تخلده أعماله العظيمة بين قومه وغير قومه، كما خلدته تخريفات وتقولات ! ما اشتهر من طريق السياسة والإدارة، ولا عرف ببلاغته وسعة علمه. ولا بكرمه وجميل عاطفته، بل أحاطت به المهازل والملاهي، والنعيم والزهو !

وبدأت شهرته في الغرب منذ بعث وفداً إلى شارلمان ملك فرنسا وجرمانيا وايطاليا، [ ٤ ] يريد تقوية صلاته السياسية بأعظم ملوك عصره، ليستعين به على الأخذ بخناق دولة الأندلس العربية، فينال من بني أمية كما نال منهم جده المنصور، ثم ظهر عجزه عن القضاء على دولتهم. ولكن ملوك الافرنج يومئذ كانوا من الضعف

---

٧٥. كان أنطوان غالاّن [Antoine Galland] أول مترجم لحكايات ألف ليلة وليلة إلى الفرنسية، نشرها بين سنتي ١٧٠٤ و ١٧١٧ تحت عنوان Les Mille et une nuits.

بحيث ما استطاعوا على ما يظهر أن ينفذوا خطط الرشيد، ويبيدوا مملكة قوية فتية. هذه الاخبار أغفلها مؤرخو العرب، لأنها كانت بالطبع تجري تحت ستار التكتم الشديد، [وأشار إليها] بعض مؤرخي الغرب.

هذه هي النقاط البارزة في حياة الرشيد. بقيت هناك مسألة أهم من كل هذه في نظر من يؤرخ للسياسيين ويترجم لهم. ونعني بها ما ادّعاه صديقنا العلامة سترستين [في معلمة الإسلام][٧٦] من أن الرشيد كان مبدأ انحطاط دولة بني العباس، على حين عرفنا معرفة لا مجال للشك فيها أن الرشيد وابنه المأمون كان أرقى عصور بني العباس، ومن أسعدها على الناس، دعاه المؤرخون من الافرنجة بالعصر الذهبي. ولعل السيد سترستين استنتج ذلك من كون الرشيد عهد لإبراهيم بن الأغلب بإمارة إفريقية أي تونس مقابل أربعين ألف دينار كل سنة، وينزل عن المعونة التي كان سلفه يأخذها من مال مصر، وقدرها مائة ألف دينار، وان تجعل الإمارة وراثية تتناقل في أعقاب ذلك الأمير وبهذا أصبحت إفريقية مستقلة في داخليتها، بالخلافة العباسية في أمورها الخطيرة فقط. لا تتعدى صلتها بالحضرة حد الاستشارة، وانسلخت بهذه الطريقة ممالك كان بعضها يخضع بالاسم للعباسيين.

وكل من أمعن في تحليل هذه القضية، أي منح الرشيد استقلالاً إدارياً على قاعدة اللامركزية [أو الحكم الذاتي] لابن الأغلب، ليكون حاجزاً بينه وبين أكبر أعداء دولته خليفة الأندلس الأموي، يدرك أن القصد من ذلك أن يتفرغ الخليفة من مسائل إفريقية إلى مشاكله العظيمة في الشرق. على أن إدارة العباسيين ومن قبلهم الأمويون والراشدون لم تكن في لحمتها وسداها إلا اللامركزية. ومحال أن تدار مثل هذه الممالك العظيمة بغير هذا الأسلوب لتنائي الأقطار، ولأن أهل كل بلد يحرصون على الأغلب أن تصرف أموالهم في أرضهم، وأن تكون أقضيتهم واختلافاتهم سريعة التنفيذ، والحاضر أبداً يرى ما لا يراه الغائب.

ولو لم يكن الأغالبة على شيء من الاستقلال الذاتي ما تيسر لهم أن يقاتلوا الإباضية الخوارج [٥] أصحاب الدولة [الرستمية بتاهرت][٧٧] في الجزائر، ولا يقفوا

---

٧٦. يقصد الموسوعة الإسلامية. انظر المرجع التالي في الطبعة الأولى من هذه الموسوعة:

ZETTERSTÉEN, Karl Vilhelm, « Hārūn al-Ras͟hīd » dans *Encyclopédie de l'Islam*, 1ère édition, tome 2, 1927, p. 288.

٧٧. مدينة تاهرت أو تيهرت، تسمى اليوم تيارت. أسسها عبد الرحمن ابن رستم سنة ٧٦١م وأصبحت فيما بعد عاصمة الرستميين، وهم السلالة من الإباضية التي حكمت في الجزائر بين سنتي ٧٧٦ و ٩٠٨ م.

بالمرصاد لبني إدريس بن عبد الله الظاهر ملكهم يومئذ في طنجة من بلاد المغرب الأقصى ولا أن يفتحوا صقلية ومالطة وجزائر البحر [و]لا أن يعمروا ما فتحوا عمراناً لا يقل عن عمران الأمويين في أرض الأندلس.

وعلل العلامة فازليف عمل الرشيد بمنح الاستقلال النسبي تعليلاً جميلاً قال: إنه لما انتدب أعظم قواده هرثمة بن أعين لإعادة الأمن إلى نصابه في إفريقية نصب إبراهيم ابن الأغلب أميراً عليها، فرأى هذا بعد عودة هرثمة أن الاضطرابات عادت إلى سابق حالها، فكتب إلى الخليفة يقول إنه يرضى بأداء خراج معين على أن تكون البلاد طعمة له، وإقطاعاً لأخلافه من بعده، وإذ كان الرشيد مشغول البال بقتال الخزر [٧٨] وبإطفاء نار ثورة عظيمة في فارس قبل هذا الاقتراح مضطراً.

هذا ما قاله وليس من الحكمة في شيء أن يحارب الخليفة عدة حروب داخلية في آن واحد، ولا أن يوزع قواه في إخضاع شعوب في القاصية، إن سهل عليه أمرهم لا يسهل على أعقابه، وقد كان رأي أمير المؤمنين عمر بن العزيز الأموي [٧٩] أن يجلي المسلمين من الأندلس ويكتفي بما فتح الله على العرب من [ديار] الشرق، ويحل مشاكله مع دولة الروم، ليصرف وكده في عمران مملكة عظيمة. وهذا ما أدركه الرشيد على ما يظهر بالعمل، ورام انقاذ ملكه من تبعاته في المستقبل.

قال ابن الطقطقي: "كانت دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها وقاراً ورونقاً وخيراً وأوسعها رقعة مملكة: جبى الرشيد معظم الدنيا، وكان أحد عماله صاحب مصر" وقال غيره إن الناس سموا أيامه أيام العروس لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها، وإنه خلف من المال "ما لم يخلف أحد مثله منذ كانت الدنيا". خلف من الأثاث والعين والورق والجوهر والدواب سوى الضياع والعقار ما قيمته مائة ألف ألف وخمسة وعشرون ألف ألف دينار، هذا مع أنه لم ير خليفة قبله أعطى منه للمال، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن، ولا يؤخر ذلك، إلى ما ضارع ذلك من الصفات الطيبة.

---

٧٨. هم شعوب تركية قديمة ظهرت في القرن السابع ميلادي في جنوب القوقاز وامتدت إمبراطوريتهم في منطقة الفولغا السفلى بين القرنين الثامن والعاشر، وكانت إتيل (في فم نهر الفولغا) عاصمتهم. هاجموا على ثغور الخلافة الإسلامية سنة ١٨٣هـ/ ٧٩٩م واعتنق ملكهم (الخاقان) والطبقة الحاكمة اليهودية. أما الشعب، فاعتنق المسيحية في القرن التاسع والإسلام في القرن العاشر.

٧٩. هو عمر (الثاني) بن عبد العزيز بن مروان: ثامن خليفة أموية، حكم الدولة الإسلامية بين سنتي ٩٩/ ٧١٧ و ١٠١/ ٧٢٠.

خلفاء بني العباس ثمانية وثلاثون خليفة، لم يعرف لواحد منهم قبر سوى قبري الرشيد وابنه المأمون. وقبر جبار بني العباس كان في طوس، وقبر عالم بنى العباس كان في طرسوس.[٨٠]

٨٠. تقع مدينة طوس القديمة في الخراسان بإيران، على بعد ٢٥ كم من مدينة مشهد؛ أما مدينة طرسوس، فهي واقعة في جنوب الأناضول بتركيا، على بعد ١٥ كم من مدينة مرسين.

فصل ٢٥/ ملف ٣
١٧ صفحة مطبوعة ومنقحة بخط يد الكاتب

*Chapitre 25 / dossier 3*
*17 p. imprimées et corrigées par l'auteur*

# المستعربون من علماء المشرقيات [٨١]

جرى الاصطلاح عند المتأخرين من كتاب العرب أن يطلقوا اسم المستشرقين على من يعنون بالبحث في لغات الشرق وعلومه، وأطلقوا اسم "الاستشراق" على عملهم هذا. ولما كان الاستشراق واسع المدى متشعب المقاصد قضت الحال بأن يقال لمن يعنون خاصة بدراسة مدنية العرب والإسلام "المستعربون" تمييزاً لهم عن سائر من يعنون بلغات الشرق وعلومه.

نشأ الاستشراق في الغرب بعامل ديني أولاً وانقلب بعد إلى عامل مدني. وكان سبق أن بعض ملوك أوروبا وباباواتها أخذوا العربية عن علماء الأندلس وصقلية وتعلم الصليبين وبعض قوادهم اللغة العربية في الشام أيام غزواتهم الطويلة .

ولما قام الباباوات بإنشاء [الرهبانات] لبث الدعوة الدينية في الشرق، بدا لهم أن يعلموا الرهبان لغاته ولاسيما العربية وبعض اللغات السامية كالعبرية والسريانية وهذا لتفهم العهد العتيق، فقضى مجمع فينا سنة ١٣١١م برياسة البابا اكلمنتس الخامس[٨٢] أن تؤسس في باريز وأكسفورد وبولون وصلمنكة أي في عواصم العلم في فرنسا وايطاليا وإنكلترا وإسبانيا يومئذ دروس عربية وعبرية وكلدانية وسريانية. وكانت المدرسة الطبية في مونبليه في فرنسا سبقت فأنشأت سنة ١٢٢٠م دروساً عربية ليتسنى لها تدريس الطب في كتب العرب، وفي سنة ١٢٥٤ أنشئت أول مدرسة عربية في اشبيليه من أرض الأندلس.

وظل الاستشراق العربي في الغرب ضعيف الأثر إلى القرن الثامن عشر وما قوي إلا

---

٨١. [محاضرة ألقيتها في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية يوم ١ و٧ آذار ١٩٤٨] (للمؤلف).

نُشرت هذه المحاضرة في نسخة خاصة من مجلة كلية الأدب لجامعة فاروق الأول، المجلد ٤، الإسكندرية، مطبعة التجارة، سنة ١٩٤٨.

٨٢. اكلمنتس الخامس (ت. ١٣١٤م): هو البابا المائة والثالث والتسعون (١٣٠٥-١٣١٤م)، وهو الذي انتقل من رومة إلى أفينيون في جنوب فرنسا (سنة ١٣٠٩م) بسبب الحروب في إيطاليا وتأثير الملك الفرنسي فيليب الرابع. أجبره هذا الأخير على أن يقضي بإلغاء رهبانية فرسان الهيكل خلال مجمع فينا (١٣١١-١٣١٢م).

بقوة الاستعمار وفي غضون تلك الحقبة دخل في طور العلوم المنظمة، وقضت [ ٢ ] بعض الدول الغربية وفي مقدمتها بريطانيا العظمى على عمالها في [ديار] العرب أن يتعلموا اللغة العربية فكان من تعلموها من أبنائها أكثر عدداً من غيرهم من الأمم. [و] من طبع الإنكليزي المتانة في الصناعات وما خرج الاستعمار عن كونه صناعة أيضاً. وأنشأت النمسا سنة ١٧٥٣ مدرسة لتعليم لغات الشرق يَدْرس فيها القناصل والتجار وحذت فرنسا حذوها فأنشأت مدرسة اللغات الشرقية لمثل هذا الغرض سنة ١٧٩٥ وشادت ألمانيا مثلها في برلين سنة ١٨٨٧ ثم تبعتها روسيا وإيطاليا وإنكلترا فأسست كل منها مدرسة لمثل هذا الغرض.

[وتقدمت] جامعات ألمانيا [لتدريس] العربية منذ أكثر من ثلاثمائة [٨٣] سنة وكذلك بعض جامعات بولونيا وبريطانيا العظمى. وهكذا بدأ الاستعراب في الغرب ونبغ مئات من بنيه في العربية وآدابها كانوا من العوامل الكبرى في النهضة العربية الأخيرة بما [أحيوا] من كتب العرب القديمة، وخدموها بمعارضتها على النسخ المتعددة، وبوضع الفهارس المنوعة لها ليسهل الانتفاع بها بسرعة، ومنهم تعلمنا هذه الطريقة واعتادوا أن يشرحوا غوامضها بلغة الناشر وباللغة اللاتينية لغة العلم المعتمد عليها إلى عهد قريب، فانتفعوا بما نشروا ونفعوا بما حوت من معارف كانت مجهولة، بل بهم تجلت مدنية العرب لأول مرة لأنهم طبعوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر في إيطاليا وهولاندة كتباً عظيمة من كتبنا كانت حجر الأساس في انبعاث العربية من رقدتها الطويلة، ويكفي أن نقول أن أوربا طبعت كتبنا بالحروف العربية قبل أن تدخل الطباعة إلى القسطنطينية والقاهرة بمائتي سنة ومن تصفح معلمة الإسلام (Encyclopédie de l'Islam)[٨٤] التي أصدرتها أوائل هذا القرن مطبعة ليدن[٨٥] الهولندية بلغات العلم الثلاث (الإنكليزية والألمانية والفرنسية) يتضح له

---

٨٣. في الأصل: ثلثمائة

٨٤. والمرجع الكامل لها هو التالي:

HOUTSMA, M. T., BASSET, R., ARNOLD, T. W. et HARTMANN, R.. (éd), *Encyclopédie de l'Islam : Dictionnaire géographique, ethnographique et biographique des peuples musulmans. Publié avec le concours des principaux orientalistes*, 4 vols. avec Suppl., Leyde: Brill et Paris: Picard, 1913–1938.

٨٥. هي مطبعة بريل (باسم مديرها الأول جوهالا بريل) التي تقع في مدينة ليدن في هولندا. تخصصت في نشر أعمال المستشرقين واشتهرت في هذا المجال منذ بداية القرن التاسع عشر ميلادي. انظر "غرائب الغرب"، ج ٢، ص ٥٦. قامت بنشر الطبعة الثانية لموسوعة الإسلام وقد تمّ هذا المشروع منذ سنتين باللغتين الانكليزية والفرنسية بعناية الأستاذ الهولندي فان دونزل Van Donzel.

مبلغ عناية الغربيين بالمشرقيات العربية ويتجلى لعينيه ما وصلوا إليه ببحثهم [٣] وإخصائهم في اللغات والعلوم. هذا إلى مئات من كتب أجدادنا نشروها وما قطع اطِّراد صدورها إلا الحرب الأخيرة .

ولقد أسعدني الحظ منذ نشأت أن تعرفت في مصر والشام وفي أوربا إلى بعض المستعربين من أمم [ الغرب ] اختلطت بهم وخاللتهم ووقعت على أساليبهم في البحث والدرس والتأليف والنشر وعاونوني في [ مواطنهم ] على درس المدنية الغربية، وعلى الكشف عما في خزائنهم ومتاحفهم من كتب العرب وآثارهم [ فعلى من ماتوا الرحمة وعلى الأحياء منهم السلام ]. [٨٦]

حداني على معالجة هذا الموضوع وعلى الإشادة بمن لقيتهم من المستعربين حديث وقع لي منذ سنين مع الأستاذ حافظ عامر بك من رجال السلك السياسي المصري وطلب إليّ لما تقوض المجلس أن أكتب نبذة فيمن عرفت من المستعربين فاعتذرت بأن المواد التي لديّ عنهم لا يتألف منها مبحث، فقال رحمه الله يكفي أن تدوّن ما على خاطرك منه فطلاب الفوائد يستفيدون منه على كل حال .

وبعد، فلا بد لي قبل أن أشرع في الكلام على من عرفت ممن يعنينا أمرهم أن أشير إلى أن أكثرهم جعلوا علمهم لخدمة دولهم وأممهم يخدمونها في سياستها بما تصل إليه أيديهم ويهديهم إليه اطلاعهم، ومن خرج قليلاً عن قواعد وطنية شعبه نبذته دولته فلا يتوقعنّ إذاً من مستشرق أن يخدم غير أمته، ولهم المعذرة في ذلك، أما نحن معاشر العرب فيقنعنا منهم أن يخدموا آدابنا بأمانة لا يتخذونها سلماً إلى الطعن بنا وبمقدساتنا ولا ذريعة إلى اغتصاب حقوقنا في الحياة على نحو ما فعل لامنس البلجيكي ومرجوليوث الإنكليزي وكراتشقوفسكي الروسي وهارتمان الألماني وكايتاني الإيطالي مع اختلاف بينهم في مقدار الطعن والداعي الذي ساق إليه. والأب لامنس سامحه الله كان أكثرهم تعصباً علينا لأن حياته على ما يظهر كانت متوقفة على هذه المطاعن حتى لقد سماه علماء الإفرنج المؤلف المتحزب ( L'historien partial ) .

[ ٤ ] أول من عرفت من هؤلاء المستشرقين المستعربين من الفرنسيس دوسو وماسينيون وكي ومالزاك جاء الأول إلى الديار الشامية يكشف عن آثار بلاد النصيرية ( العلويين ) وجبل الدروز والصفا واللجاة وقد ألف بضعة كتب في لغته بآثار هذه

٨٦. سافر محمد كرد علي أربع مرات إلى أوروبا، في سنة ١٩٠٩ و١٩١٣ و١٩٢١ و١٩٢٨: انظر ما كتبه حول تلك الرحلات وعلاقاته بالمستشرقين في "غرائب الغرب" وبعض فصول الجزء الأول من المذكرات، مثل "غاياتي من سياحاتي" و"علماء المشرقيات والإسلام" ( ص ١٨٤–٢٠٠ ).

الأقاليم الشامية وعرض لتاريخها ووصف آثارها وظل يخدم هذا العلم بإخلاص.[٨٧] ومقامه عظيم بين علماء الآثار و[بين] أمناء متحف اللوفر في باريز. وأصدر مجلة سيريا ( Syria ) ملأها بتحقيقاته وكان خير صلة بين بلاده وبلادنا لأنه لم يتدخل في شيء اسمه سياسة، صرف جل اهتمامه لعلمه ولم يخلط فيه غيره. ومن أهم ما كتب ( طبوغرافية سورية في القرون الوسطى ) و ( العرب قبل الإسلام )[٨٨] وهو فيما أعلم لم يكتب بالعربية بل أخذ من نصوصها واستعملها في تآليفه.

أما المستعرب الثاني الأستاذ ماسينيون فإنه انقطع إلى الأبحاث الإسلامية منذ نشأته وقال لي إن العلامة السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي رحمه الله كان له أعظم الفضل عليه بإرجاعه من الإلحاد إلى حظيرة الدين. وأنا أقول بل زاد على ذلك وأصبح متصوفاً وأذكر أني دعوته في إحدى رحلاتي إلى باريز لنشهد التمثيل ونتعشى معاً، فقال : العشاء أمره سهل ولكن من للمتصوف أن يشهد التمثيل. وهو صادق في قوله فإنه صرف جانباً عظيماً من عمره في نشر كتب التصوف، فنشر تآليف الحلاج وأخباره– وديوانه بالعربية كما نشر الأمثال البغدادية للطالقاني وتاريخ الاصطلاحات الفلسفية.[٨٩] ومعظم المقالات التي لها علاقة بالتصوف الإسلامي في معلمة الإسلام على عهدها الأخير هي من قلمه وهو لعهدنا المرجع بين المستعربين في مسألة التصوف في الغرب، إذا عز على أحد المشتغلين كشف غامض وحل مسألة صوفية فليس له إلا باب ماسينيون لأخذ الجواب. وهو اليوم عضو في عدة مجامع منها مجمع فؤاد الأول للغة العربية[٩٠] والمجمع العلمي العربي والجمعية الآسياوية[٩١] وهو

---

٨٧ . إنّ جميع المراجع المذكورة في هذا الفصل موجودة في فهارس المراجع باللغة العربية وباللغات الأوروبية في آخر هذا الكتاب.

٨٨ . تُرجم هذا الكتاب إلى العربية سنة ١٩٨٥ . انظر المرجع التالي :

ديسو، رينيه، العرب في سورية قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، القاهرة، لجنة التاليف والنشر، ١٩٨٥ .

٨٩ . أُعيد نشر هذا الكتاب ( وهو مجموعة دروس ألقاها لويس ماسينيون في الجامعة المصرية ) سنة ١٩٨٥ . انظر المرجع التالي :

ماسينيون، لويس، محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية، تحقيق زينب محمود الخضيري، القاهرة، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، ١٩٨٣ .

٩٠ . انظر الهامش رقم ١٠٣ في هذا الفصل، ص١٣١ .

٩١ . أُسست سنة ١٨٢٢ . من بين أعضائها الأوائل، سيلفستر دي ساسي Sylvestre de Sacy وجان فرانسوا شانبوليون Jean-François Champollion. تنشر منذ البداية الجريدة الآسيوية

أستاذ في كوليج دي فرانس وكتب مئات من الأبحاث والمقالات في المجلات [ ٥ ] الإسلامية والشرقية بالفرنسية ومنها المجلة الآسياوية ومجلة العالم الإسلامي ومجلة الدروس الإسلامية وهو يعاون طلاب العرب في باريز ويوجههم ويرشدهم .[٩٢]

أما الأستاذان كي ومالزاك فشغلا بمهام السياسة وأخذ وقتهما ما هما بسبيله من مصالح دولتهما وطافا معظم [ ممالك ] العرب والفرس في السلك القنصلي وانتفعا بمعرفة العربية والفارسية في الوظائف التي شغلاها، وهيأت لهما سبيل الانتفاع في عملهما ومعرفة هذا الشرق القريب . ويليهما أستاذان متقدمان على هذين القنصلين في العمر وهما السيدان أوتافي وبيات فإنهما كانا يجيدان العربية ويكتبانها كتابة سلسة صحيحة وقد توليا شؤون دولتهما السياسية، والسيد أوتافي كان أستاذه في العربية السيد برغش أمير زنجبار[٩٣] وكان قد قضى فيها أعواماً طويلة قنصلاً لفرنسا وكلاهما كان معجباً بالمدنية الإسلامية يصرحان بذلك أمام الموافق والمخالف وهما آية في [ إتقان ] تاريخ العرب ويعرفان الأقطار العربية كما يعرفها أهلها، [ ولم يبلغني ] إن كان اتسع لهما الوقت فألفا في العربية أو الفرنسية أو نشرا بعض كتبها العلمية والأدبية .

وعرفت السيد هوار مدرس العربية بمدرسة اللغات الشرقية في باريز وناشر كتاب البدء[٩٤] والتاريخ للمطهر بن طاهر ومقامات ابن ناقيا وديوان سلامة بن جندل وغير

---

*Journal asiatique* وتضمن ٧٠٠ عضو تقريباً .

٩٢ . توجد قائمة كاملة لمؤلفات لويس ماسينيون قبل سنة ١٩٥٦ في المرجع التالي :
MOUBARAC, Y., « Bibliographie de Louis Massignon, réunie et classée par Y. Moubarac », dans *Mélanges Louis Massignon*, t. 1, Institut Français de Damas, 1956, p. 1–56.

وفي الكتاب عينه، توجد نبذة عن حياة محمد كرد علي ( باللغة الفرنسية ) بقلم سامي الدهان، يشير فيها إلى الصداقة التي كانت تربط العالمين :
DAHAN, Sami, "Mohammed Kurd Ali (1876-1953). Notice biographique.", dans *Mélanges Louis Massignon*, tome 1, Institut Français d'Études Arabes de Damas, 1956, pp. 379-394.

٩٣ . برغش بن سعيد ( ت. ١٨٨٨ ) : سلطان زنجبار ( ١٨٧٠–١٨٨٨ ) بعد أن انفصلت تلك الجزيرة عن سلطنة عمان ( سنة ١٨٦١ ) . ظلّت زنجبار سلطنة مستقلة إلى أن وقعت تحت الحماية البريطانية سنة ١٨٩٠ .

٩٤ . وردت أسماء الكتب القديمة التي أحياها المستعربون المحدثون في بحث "علماء المشرقيات المستعربون" المنشورة في مجلة المجمع العلمي العربي ( المجلد

ذلك، وله تاريخ العرب بالفرنسية وعدة مقالات في معلمة الإسلام ومعلوماته مثل معلومات غودفروا ديمومبين ليست واسعة كثيراً أو ليس فيها شيء جديد ولا يعد كصاحبه من اللامعين المبرزين [فهو من عيار] السيد شاتيليه صاحب مجلة العالم الإسلامي الفرنسية وأستاذ علم الاجتماع الإسلامي في كوليج دي فرانس. وعرفت المستعرب مرسيه ناشر كتاب حلية الفرسان، وآمار ناشر مقدمة الوافي بالوفيات و[صاحب] المقالات الكثيرة في مجلات المشرقيات، كما صحبت [السيد] فران أحد مستعربيهم وناشر كتاب "الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد" لابن ماجد الملاح [٦] البصري وهو من المعجبين بمدنية العرب خدمها في نطاق اختصاصه وكان يجهر بذلك في خطبه وكتاباته.

ومن المستعربين الفرنسيين الذين عرفتهم ليفي بروفنسال وقد امتاز بأبحاثه في الأندلس ونشر عدة كتب ممتعة في تاريخها بلغته وهو الذي أعد الذخيرة لابن بسام للنشر وتنشرها الآن جامعة فؤاد الأول [٩٥] وهو المرجع الأول في الغرب بتاريخ الأندلس وما يتعلق به وقد تمم في معلمة الإسلام ما كان يعالجه من مقالات بلاد الأندلس ورجالها المستعرب الألماني [زيبولد].

وممن عرفتهم من [الفرنسيس] السيد بلاشير المتخصص في شعر المتنبي والسيد بريز العالم بالأندلسيات والصدر المتقدم في البلاغة العربية وصاحب الجولات الموفقة في آدابها وحضارتها. ومن أهم رجال الاستعراب [منهم] السيد مارسيه وهو يكتب العربية ويتكلمها كما يتكلمها أدباؤها أنفسهم ويكتبونها ويعد من مستعربي الدرجة الأولى من الأوربيين وقد نشر عدة أبحاث دلت على علو كعبه في العربية وآدابها واستفاد منه كثير من أدباء تونس ممن تخرجوا به كما استفاد طلاب الاستعراب من أبناء أمته. وعرفت أستاذاً مستعرباً صرف معظم حياته في مراكش وهو السيد ميشو بللير عاش عيشة المراكشيين وتزوج فيهم وله مقالات في مجلات المستشرقين. كما نشأت لي صداقة مع السيد بوفا وقد نشر أشياء كثيرة بالعربية وأكثر من ذلك بالفرنسية مأخوذاً من المصادر العربية وله أبحاث كثيرة لم تشتهر لأنها قليلة الجرم وان

---

السابع) [حاشية للكاتب]. والعنوان الدقيق هو التالي : كرد علي، محمد، "أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية"، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد السابع، الجزء العاشر، تشرين الأول ١٩٢٧، ص ٤٣٣-٤٥٦.

٩٥. جامعة فؤاد الأول هي اليوم جامعة القاهرة وأُسست سنة ١٩٠٨ تحت اسم الجامعة المصرية. انظر ما روى عنها طه حسين، وكان من أول طلابها، في الجزأين الثاني والثالث من كتاب "الأيام".

كانت عظيمة الفائدة. ويلحق بالفرنسيين العلامة مونتيه السويسري أستاذ العربية في جامعة جنيف وهو الذي نقل القرآن الكريم إلى الفرنسية وله أبحاث جليلة في الإسلام ومحاضرات وقد ألف كتاب "الإسلام" قلت فيه إن ما ينشره الأستاذ مونتيه الحين بعد الآخر في الإسلام يليق بعالم القرن العشرين لأنه يكتب وقد نزع منه [الأفكار] [٧] القديمة والتعصب الذي يتلبس به طوعاً أو كرهاً من نشؤوا [٩٦] في الغرب ولم يخالطوا أهل الإسلام ولا درسوا أصوله وقواعده وتاريخه إلا دراسة متقزز متحرز ومما قاله في الرسول في هذا الكتاب : إنه كثيراً ما حكمت عليه الأحكام القاسية ذلك لأنه ندر مثله في المصلحين من عرفت حياتهم بالتفصيل وإن ما قام به لإصلاح الأخلاق وتطهير المجتمع يمكن أن يعد به من أعظم المحسنين للإنسانية. وقال إن الإسلام يسير سيراً حسناً في نشوئه خلافاً لما يدعيه بعضهم، وإن الواجب على المسلمين أن يحتفظوا لقيام أمرهم بما حظرته الشريعة عليهم من تعاطى المسكرات.[٩٧]

هؤلاء معظم من عرفت من الفرنسيين أما الإنكليز والأميركان فعرفت بضعة منهم من العيار العالي فمن أوائلهم كرنيليوس فانديك وابنه إدوارد فانديك فإن كرنيليوس خدم لغتنا ونشر العلم في ربوعنا بما كتب بالعربية من أصناف العلوم كالطب والطبيعة والجغرافيا وقد أخلص في خدمة العرب حتى إنه استقال من التدريس في الجامعة الأميركية في بيروت [٩٨] [هو وزميله العلامة ورتبات] لما أرادت عمدة الجامعة أن تنقل التعليم من العربية إلى الإنكليزية [قال لها] إننا جئنا هذه الديار لنخدمها بلغتها لا بلغتنا. [٩٩] وتآليف [فانديك] على قدمها ما زالت متداولة يستفاد منها وكذلك ابنه إدوارد ألف في علم الكتب العربية كتاباً جيداً وله غيره ودرّس الإنكليزية في المدارس المصرية زمناً. ومن أعظم المستعربين من الإنكليز صديقي العلامة براون أستاذ العربية في جامعة كمبريدج فإنه نشر كتباً بالعربية وله بالإنكليزية تاريخ آداب اللغة العربية[١٠٠]

٩٦. في الأصل : نشأوا

٩٧. انظر في الأصل باللغة الفرنسية :

MONTET, Édouard, *L'Islam*, Paris, Payot & Cie, 1921, p. 18, 22, 150 et 155.

٩٨. أسّسها الدكتور دانيال بلس [Daniel Bliss] سنة ١٨٦٦ تحت اسم الكلية السورية البروتستانتية واستبدلت اسمها بالجامعة الأميركية في بيروت سنة ١٩٢٠.

٩٩. استقال كورنيليوس فان دايك [Cornelius Van Dyck] من الكلية السورية البروتستانتية في بيروت سنة ١٨٨٢.

١٠٠. قد يكون الكتاب المذكور حول الأدب الفارسي (لا حول الأدب العربي) وعنوانه :
BROWNE, Edward G., *A Literary History of Persia*, Cambridge, 1903.

وهو من أمتع ما كتب في موضوعه على ما قال لي من قرأه بلغته من أحبابي ومن رأيه فيه خطاباً لمن بهرتهم الآداب الفارسية، إن قصيدة واحدة من المعلقات السبع خير مما قاله شعراء الفرس. وكان في الحقيقة المدافع عن مدنية الفرس في الغرب والمحامي المتطوع في خدمة قضية العرب والفرس في [أوربا]، أخذ كثيراً عن الأستاذ الإمام محمد عبده وله أياد بيض على العرب وهو ممن امتازوا بمعرفة الإسلام معرفة ثاقبة، وتعمق فيه وحتى عليه وعلى [٨] أهله مثل رصيفه صديقي العلامة أرنولد مدرس العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن وناشر كتاب المنية والأمل للمرتضى في ذكر المعتزلة وهو إمام في الأبحاث الإسلامية لم تُعدَّ عليه هفوة واحدة في كل ما كتبه ولا سيما في معلمة الإسلام وكنا في مصر نتكلم بالعربية وهو في سن الشباب فلما عدنا واجتمعنا في إنكلترا تعذر عليه النطق بالعربية وآثر أن نتكلم بالفرنسية. ومنهم الأستاذ بفن مدرس العربية في جامعة كمبريدج وناشر مناقضات جرير والفرزدق في بضعة مجلدات كبيرة وفيها من التحقيق اللغوي ما يدهش، شهدت له بتبحره في أدب هذا اللسان وقوة ملكته في النقد حتى أذكر أني ذكرت له إعجابي بوستنفيلد ناشر معجم البلدان لياقوت وعشرات غيره من كتب العربية فقال لي إن التحقيق يعز في الكتب التي نشرها وأخرج لي جزءاً من هذا المعجم صحح فيه أماكن كثيرة في كل صفحة فاضطررت إلى الاعتراف بخطئي.[١٠١]

ومن مستعربي البريطانيين الأستاذ مرجليوث أستاذ العربية في جامعة أكسفورد وكان يكتب العربية كتابة سلسة نقل فيها التراكيب التي تشعر بعجمته وقد نشر من كتب سلفنا معجم الأدباء لياقوت[١٠٢] في بضعة مجلدات والأنساب للسمعاني ونشوار المحاضرة للتنوخي وديوان التعاويذي ورسائل المعري وغير ذلك وكان مقدماً في موضوعه وسبب اشتهاره بين لبناء صناعته انه تكلم في الإسلام بما لا يقره عليه العارفون فحظي عند العامة ونزلت منزلته عند الخاصة. وخليفته في أكسفورد اليوم الأستاذ جيب وهو رصيفي في مجمع فؤاد الأول للغة العربية [١٠٣]والمجمع العلمي

١٠١. في الأصل: خطأي.

١٠٢. عبد الله شهاب الدين، المعروف بياقوت الحموي (ت. ٦٢٦ هـ). انظر ما كتب عنه محمد كرد علي في "كنوز الأجداد"، ص ٣٠٤-٣٠٩.

١٠٣. أُنشئ مجمع اللغة العربية في القاهرة بمرسوم ملكي أواخر سنة ١٩٣٢، بفضل وزير المعارف آنذاك، أحمد لطفي السيد. عينوا أول أعضائه، وكانوا عشرين، بمرسوم ٦ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٣٣، من بينهم محمد توفيق رفعت (رئيس المجمع) والدكتور منصور فهمي (أمين للسر) من المصريين؛ وعينوا أيضاً خمسة علماء عرب من بلدان أخرى، هم محمد كرد علي وعبد

العربي يكتب العربية مثلنا وقد كتب أشياء كثيرة في الإسلام بلغته وهو يعد كتباً عربية أصلية لنشرها بلغتها التي كتبت بها.

ومن المستعربين اللاميركان المستر وطسون رئيس الجامعة الأميركية في القاهرة[١٠٤] وله تلاميذ [ وأصدقاء ] كثيرون في مصر كتب إلي يوم ١٩ ديسمبر ١٩٢٤ [ ٩ ] وكانت الجامعة الأميركية في محنة إذ كثر التقول عليها في مصر ورموها بأنها جامعة تبشير لا جامعة علم وكنت متعاقداً معها على إلقاء محاضرات وأردت أن أرجع عن تعاقدي فأبيت إلا إلقاءها[١٠٥] – قال : لعل اتصالكم بزملائي أعضاء مجلس إدارة الجامعة قد أطلعكم على رغبتنا الشديدة في خدمة مصر والعالم العربي ما وسعنا ذلك. وإنا لنعد معهدنا جسر صداقة بين العالم العربي والعالم الغربي يشاد على الرغبة الخالصة في أداء الخدمات المتبادلة بين العالمين فلئن كان في الغرب ما يستفيد منه الشرق فإن في الشرق ما هو خليق أن ينتفع به الغرب. ولا ريب في أنكم تبينتم من أناقة بناء قاعتنا الكبرى والصغرى مبلغ عنايتنا وتقديرنا للفن العربي الجميل وفضلا عن هذه الخدمات بين الشرق والغرب فإن مهمتنا الكبرى هي العمل على حسن التفاهم بين هذين العالمين، فهنالك من الأسباب ما دعا إلى الكراهية والنفور بينهما، والصلة التي تجمع عندها الشعوب والجماعات بحكم الثقافات هي المحبة والوئام.

ومن مستعربي الأميركان السيد الجليل دودج رئيس الجامعة الأميركية في بيروت فإنه ووالده من قبله قد أسديا إلى الأمة العربية يداً لا تنسى على ممر السنين وتخرج على يديه وفي جامعته مئات من أبنائنا من المصريين والشاميين والعراقيين، [ وغيرهم ] ولم تبق الأمور الإدارية للسيد دودج وقتاً يصرفه في الأبحاث التي غلبت عليه وهو آية في فعل الخير عرف [ به ] زمن الحرب العالمية الأولى فأنفق كل ما عنده على الفقراء ثم باع ما أمكنه بيعه ورهن أملاك جامعته وأخذ الفضل من ذلك فصرفه [ في ] إطعام

---

القادر المغربي والأب أنستاس الكرملي وعيسى إسكندر المعلوف وحسن عبد الوهاب؛ أما بالنسبة للمستشرقين، فكانوا خمسة أيضاً، ومن بينهم هاملتون جب ولويس ماسينيون وكارلو نلينو. وزاد عدد أعضاء هذا المجمع في الأربعينات ليضم أدباء مصريين بارزين مثل طه حسين وأحمد أمين وأحمد لطفي السيد وعباس محمود العقاد ومحمد حسين هيكل.

١٠٤. أسّس الدكتور شارلز وطسون [Charles Watson] الجامعة الأميركية في القاهرة سنة ١٩١٩ وظلّ يرأسها لمدة ٢٧ عاماً.

١٠٥. للمزيد من المعلومات حول علاقة محمد كرد علي بالجامعة الأميركية في القاهرة، انظر "المذكرات"، ج ١، ص ٣٠١.

الجياع. وهذا عمل فريد قلَّ أن عمل مثله رجل من رجال الدين، فهو كوطسون قسيس راق خدم دينه و أمته وخدم الإنسانية.

ويلحق بمستعربي الإنكلو سكسونيين مستعرب آخر عنيت به صديقي العلامة كرينكو ولد في قرية من قرى شمالي ألمانيا وأتقن في المدرسة الثانوية اللغات الألمانية والإنكليزية والفرنسية واللاتينية والأردية والفارسية [والعربية] وسكن في [١٠] إنكلترا وتجنس بالجنسية الإنكليزية وتزوج سيدة إنكليزية وكان له في الحرب الماضية معمل لصنع الأقمشة في ولستر [١٠٦] يشتغل فيه أكثر من ألف عامل وعاملة فلما نزلت الأسعار عقبى الهدنة وكان فقد ابنه الوحيد في الحرب، أثر ذلك في صحته وحمل إلى المستشفى ولما خرج منه كان أفلس من ابن الزلق فجاءه كتاب من الهند يطلب منه بعض أصدقائه في حيدر آباد الدكن أن ينسخ لهم ما يشاء من كتب العرب المحفوظة في المتحف البريطاني مقابل ثلاثمائة جنيه في السنة قال فأنا الآن أعيش بفضل لغتكم. درس [الأستاذ] كرينكو العربية بدون معلم على الكبر وهو يكتبها كتابة [مفهومة] إلا أنه يجد صعوبة في التخاطب بها لقلة من لقيهم من أبناء العرب. كتب لي مرة: وأنت تعلم أني تعلمت اللغة العربية والفارسية والهندية بلا معلم لبعدي في شبيبتي عمن يعلم شيئاً من هذه اللغات فاعتمدت على الكتب فقط إلى أن ورد صديقنا كاظم الدجيلي (إلى بريطانيا) ومنه سمعت أول كلمة عربية ثم سألني صديقي عماد الملك وزير سمو النظام سلطان حيدر آباد أن أعاون دائرة المعارف التي أنشأها هو في عاصمة حيدر آباد لإحياء العلوم العربية في الهند مخافة خمولها فأول كتاب هذبته كان جمهرة اللغة لابن دريد [١٠٧] في ثلاث مجلدات مع فهرسته في مجلد ضخم ...

يحسن العلامة كرينكو لغات أوربا بأسرها ويتكلم بها بسهولة ويعرف من لغات الشرق العربية والفارسية والأردية ومن لغات الشرق القديمة طرفاً من الحميرية والتركية [القديمة] والعبرية والآرامية وهو شاعر بالألمانية لغته الأصلية. وما كان يفارق المطالعة طول حياته وما منعه معمله عن الانصراف إلى التأليف أوقات الفراغ وقلت له في أكسفورد وأنا أدهش من كتاب ضخم لابن قتيبة [١٠٨] في [معاني] الشعر وقد صححه

١٠٦. قد يقصد الكاتب مدينة ليستر [Leicester] الواقعة شمال إنجلترا، ولا منطقة أولستر [Ulster] شمال إيرلندا.

١٠٧. أبو بكر محمد بن الحسن، المعروف بابن دُرَيد (ت. ٣٢١ هـ). انظر ما كتب عنه محمد كرد علي في "كنوز الأجداد"، ص ١١٩–١٢٤.

١٠٨. أبو محمد عبد الله بن مسلم، المعروف بابن قتيبة (ت. ٢٧٦ هـ). انظر ما كتب عنه محمد كرد علي في "كنوز الأجداد"، ص ٨٤–٩١.

وعلق عليه حواشي مفيدة ومتى أنجزت كل ذلك يا سيدي وأنت رجل صناعة ؟ فقال: كنت في بعض أيام الآحاد أترك امرأتي تتنزه وحدها وألزم البيت فأكتب وأصحح وأعلق وإذا نجوت ساعات قليلة في اليوم من حسابات المصنع أنقلب نحو دفاتري وكتبي .

[ ١١ ] وقد نشر السيد كرينكو عشرات من الكتب والرسائل والمقالات بالعربية والألمانية والإنكيزية ما لو نشر بعضه مجمع علمي في ثلاثين سنة لعد ذلك من مفاخره فمما نشر شعر أبي دهبل الجمحي وقصيدتان لمزاحم العقيلي وطبقات النحاة لأبي بكر الزبيدي [١٠٩] وديوان عمرو بن كلثوم التغلبي والمجتنى لأبي بكر بن دريد بن عبد العزيز العجلي والحارث بن حلزة البشكري [١١٠] وديوان طفيل الغنوي وكتاب الجمهرة وتنقيح المناظر لكمال الدين الشيرازي [١١١] وكتاب التيجان في تواريخ ملوك حمير لعبد الملك بن هشام وفي ذيله ما بقي من رواية عبيد بن شرية والدرر الكامنة في أعيان الثامنة [١١٢] لابن حجر العسقلاني ( مع الفهارس التي أبى الطابع نشرها اقتصاداً ) وهو في أربع مجلدات و الجماهر في معرفة الجواهر لأبي الريحان البيروني[١١٣] والمنتظم لابن الجوزي ( أربع مجلدات ) والمؤتلف والمختلف للآمدي ومعجم الشعراء للمرزباني ومعاني الشعر الكبير لابن قتيبة وأخبار النحويين البصريين للسيرافي وكتاب الأفعال لابن القطاع وتفسير ثلاثين سورة لابن خالويه وكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم [ وغيرها ] وهو اليوم يعد كتباً للطبع من تراث العرب العظيم، فله المنّة علينا بإحياء هذه المجموعة العظيمة من كتب أسلافنا.

أحب الأستاذ كرينكو العرب والإسلام محبة لا ترجى إلا من العريق فيهما، يتعصب للعرب على سائر أمم الإسلام من الفرس والترك والهند ويعتقد ( كما كتب لي في ٢٣ آذار سنة ١٩٣٥ ) أن زوال الدولة العربية أعني خلافة بني أمية وانتقال مركز الإسلام من دمشق إلى العراق وظهور الفرس على العرب كان أول سبب في الحيلولة دون انتشار الإسلام في الأمم النازلة في الشمال الغربي أي في أوروبا وأن الدولة العباسية

---

١٠٩ . عنوان هذا الكتاب هو: "طبقات النحويين واللغويين" . انظر فهرس المراجع.

١١٠ . هناك التباس في الأسماء والصحيح هو : المجتنى لأبي بكر بن دريد وديوان بكر بن عبد العزيز العجلي وديوان الحارث بن حلزة البشكري.

١١١ . هذا الكتاب لكمال الدين الفارسي ( وليس للشيرازي ) . انظر فهرس المراجع.

١١٢ . العنوان الكامل هو : الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة.

١١٣ . أبو الريحان البيروني ( ت. ٤٤٠ هـ ). انظر ما كتب عنه محمد كرد علي في "كنوز الأجداد" ، ص ٢٢٦-٢٢٨ .

قام بنيانها على دمن الدولة الأموية وأن دخول الفرس في المناصب العالية أدخل الغش والخيانة في الأعمال المالية وما كان الخلفاء إلا ما ندر يفكرون في شيء من أعمال الشام ومصر، ولا أذكر ما وراءها من البلاد مثل إفريقية والمغرب [ ١٢ ] والأندلس، اللهم إلا ما كان من نقل أموال الخراج إلى العراق لشراء الجواري والجواهر وإعطاء الجوائز للمغنين والشعراء و[من] ماثلهم. ولو تدبرت مثلاً أولاد الخلفاء لرأيت أن جميع خلفاء بني أمية [ما عدا] مروان بن محمد آخر ملوكهم كانوا أبناء حرائر وبالعكس كان خلفاء بني العباس فإن أكثرهم كانوا أولاد جوار مجلوبة من بلاد غير إسلامية. وآفة ثانية وهي جلب الغلمان الأتراك إلى بغداد ليجعلوا منهم عبيداً للدولة فأصبحوا أرباب الخلفاء أنفسهم في أقل من قرن. وآفة ثالثة وهي ما كان من الحروب التي نشأت بين أهل السنة والشيعة وظلت متصلة إلى زماننا هذا. وقد شاهدت ما غمني في الهند وهنا في إنكلترا عندما عيدنا عيد الفطر فامتنع بعض المتشيعين عن الصلاة خلف إمام سني المذهب. وكل هذا مما يهين أهل الإسلام في عيون الذين لا يعتقدونه. ويضاف إلى كل هذه الآفات وهو أعظمها في خمول الأمم الإسلامية استنجاد السلاطين والأمراء في حروبهم بالأمم النصرانية من مجاوريهم، وأول من ارتكب هذا الإثم خلفاء العبيديين في مصر عند استيلاء الصليبيين على الشام. قال ولو كتبت الأسبوع كله لما أتيت على آخر براهيني. ورأى أن على أبناء العرب اليوم أن يتحدوا في منازعهم وينزلوا عن الجدال في تحصيل الحرية الشاملة ويطبعوا في قلوبهم المثل الإنكليزي "إن أرحاء الله تعالى إذا طحنت ببطء فهي تطحن الجيد." [١١٤]

وبعد فإن من المتعذر الآن أن نلم بسيرة هذا المستعرب من عامة أطرافها فهو إلى أعماله العلمية العظيمة داعية متطوع في خدمة الإسلام الصحيح والحضارة العربية. هداه البحث إلى أمور نحن أبناء هذه الحضارة كنا غافلين عنها فقد رد مثلاً على من زعم أنه توجد نسخ من المصحف الشريف بخط الأئمة علي بن أبي طالب والحسن والحسين وهي مما يكثر بين الشيعة وقال لو فرضنا أنهم كتبوها فإنهم لم يكتبوها بالخط الكوفي بل بالخط المكي القديم الذي هو الخط المعتاد الآن. وفي رأيه أن [ ١٣ ] الخط الكوفي من اختراع مسلمة النصارى من الشاميين. وكتب لي مرة أنه لا يعتمد على مؤرخي الفرس لأنهم يخلطون ويخبطون خبط عشواء. حدثني صديقي الأستاذ

١١٤. ترجمة من المثل الانكليزي : « Though the mills of God grind slowly, yet they grind exceeding small »، وهو للشاعر الألماني فريدريش فون لوغان [ Friedrich Von Logan ] ( ١٦٠٤–١٦٥٥ )، الذي أخذه عن الفيلسوف اليوناني سكستوس امبريكوس [ Sextus Empericus ] ونشره مع مجموعة أمثال سنة ١٦٣٨.

خليل مردم بك أنه كان يسمر عند الأستاذ كرينكو فكان من جملة ما تحدث به في تلك الليلة أمام زوجته سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان من أمره مع النساء وما منحهن الإسلام من الحقوق مما لم تعط مثله أمة قبل العرب وبحث في علاقة رسول الله مع أزواجه ولا سيما عائشة أم المؤمنين. قال وما زال يتدرج في حواره حتى ذكر كيف خرجت روح الرسول الطاهرة وهو على حجر عائشة. فلما سمعت امرأته هذا الكلام شهقت بالبكاء وخرجت من الغرفة. فقال الأستاذ كرينكو إني أتعمد إسماعها مثل هذه الأخبار لأنها ليست محيطة بكل ما في الإسلام من محاسن.

و[ليس] للأستاذ ارتباط بجامعة ولا بجمعية وكل ما فرح به أن اختاره المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً فأكبر هذا التنويه به وعده فخراً له. كما كان من أكثر من اختارهم هذا المجمع أعضاء مراسلين له فإنهم أظهروا في كل فرصة تفاخرهم بانضمامهم إلينا وعدونا وعددناهم كأننا أبناء أسرة واحدة.

ومن مستعربي الأستراليين الأستاذ جفري [ناشر][١١٥] كتاب المصاحف للسجستاني وهو معروف في مصر كان يدرس في الجامعة الأميركية بالقاهرة. ومن أكبر المستعربين من الطليان الأمير كايتاني فإنه تفضل في سنة ١٩١٣ وقبلني في قصره في رومة أبحث في المصورات التي صورها عن المخطوطات العربية في تاريخ الإسلام ولقد قضيت في هذه المهمة ثلاثين يوماً رأيت منه عطفاً كبيراً واطلاعاً واسعاً وانقلبت من لدنه بمذكرات ثمينة استعنت بها على تأليف كتابي (خطط الشام)[١١٦] وهو يحسن سبع لغات ومنها العربية والفارسية وقد وضع بالإيطالية كتابه تاريخ الإسلام (آنالي دل إسلام) العظيم طبع منه بالإيطالية ستة مجلدات ضخمة وكان يرجو أن يفسح الله [١٤] في أجله ليكمل القرن الأول للإسلام فقط في خمسة وعشرين مجلداً وما كان يطبع من تاريخه أكثر من مئتين وخمسين نسخة وقد جعل شعاره في كتبه قول الشاعر العربي.

كفاف عيش كفاني ذل مسألة      وخدمة العلم حتى ينقضي عمري

يقول هذا وثروته قبل الحرب العالمية الأولى كانت تقدر بخمسة ملايين جنيه إيطالي ذهبي عدا ثروة الأميرة زوجته، كان ينفق على العلم فقط كل سنة عشرة آلاف جنيه إنكليزي، ونشر كتاب تجارب الأمم لمسكويه وكان يعد للنشر تراجم ثلاثين ألف عالم وأديب من المسلمين في الأندلس وهي جذاذات جمعها المستشرق الأسباني ريبرا. ومن كبار مستعربيهم السنيور جويدي وهو معروف في مصر وكان أستاذاً في

١١٥. إضافة هذه الكلمة لنا.

١١٦. انظر: كرد علي، محمد، خطط الشام، ٦ أجزاء، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٢٥.

الجامعة [المصرية] القديمة وحاضر في أدب الجغرافيا والتاريخ فأجاد من وراء الغاية وله كتب عظيمة في اللغات السامية ولا سيما الحبشية والأمهرية [١١٧] وكان يعد من مستشرقي الطبقة الأولى في الغرب كتب إليّ مرة :

"وإن كان شاعركم العربي قال :

وماذا تبتغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الأربعين

فأنا جاوزت حد الثمانين وما زلت أكتب وأؤلف." نشر جويدي من كتبنا شرح بانت سعاد لابن هشام وكتاب الأفعال لابن قوطية والاستدراك لأبي بكر الزبيدي وكتاب مهدي الموحدين محمد بن تومرت [١١٨] وديوان الحطيئة جرول بن أوس ومعاني النفس [١١٩] ومقالة في أسماء الله الحسنى لكاتب إسرائيلي قديم وغير ذلك عدا المقالات بالإيطالية وغيرها من لغات الغرب. وابنه ميكل أنجلو مستعرب مثل أبيه وكان يدرس في جامعة فؤاد الأول قبل الحرب الأخيرة. وممن عرفه العلماء والأدباء في مصر الأستاذ غريفيني ناشر فقه زيد بن علي وديوان الأخطل والطبقات لأبي بكر الزبيدي [١٢٠] ولمع القوانين المضيئة في دواوين الديار المصرية لعثمان بن إبراهيم النابلسي إلى غير ذلك من النصوص العربية ومنها قصائد لبعض شعراء الجاهلية.

[١٥] ومن الإيطاليين الممتازين بين المستعربين صديقي العلامة نللينو عضو مجمع فؤاد الأول والمجمع العلمي العربي ومدير المعلمة الإيطالية وصاحب المقالات الممتعة في معلمة الإسلام إلى غير ذلك من التآليف ومنها تاريخ علم الفلك عند العرب ألقاها محاضرات على تلاميذ الجامعة القديمة بالقاهرة وقد نشر كثيراً من كتب العرب منها زيج البتّاني في الفلك والبيان لابن رشد وكان يكتب ويخطب بالعربية ثم انقطع عن معاناة العربية مدة فصار يسهل عليه أن يكتب بالفرنسية وصعبت عليه الكتابة بالعربية وكان يحب الشرق وأهله، وقد امتاز بمعرفة بلاد شمالي إفريقية وجغرافيتها وآثارها وتاريخها ويعد من أعظم علماء المشرقيات عامة.

---

١١٧. في الأصل: الأمحرية.

١١٨. هذا الكتاب ليس من تحقيق جويدي بل غولد صيهر. انظر: ابن تومرت، محمد، كتاب محمد بن تومرت، مهدي الموحّدين، الجزائر، ولاية عموم الجزائرية، ١٣٢١ هـ/١٩٠٣ م.

١١٩. ليس جويدي الذي اعتنى بنشر ديوان جرول بن أوس و"كتاب معاني النفس" بل المستشرق المجري إينياس غولد صيهر. انظر فهرس المراجع.

١٢٠. إن فريتس كرنكو (أي سالم الكرنكوي) هو الذي اعتنى بنشر هذه الطبقات: انظر فهرس المراجع.

وعرفت من مستعربي الألمان والهولانديين والتشكيين والدانمركيين والسويديين والإسبانيين والبولونيين والمجريين جملة صالحة، فمن الألمان هرزفلد مكتشف آثار السامانيين [١٢١] وآثار سُرَّ من رأى ومنهم هوروفتس ناشر الهاشميات للكميت، درس العربية سنين طويلة في جامعة [عليغرة] في الهند [١٢٢] وكثير من رجال القضاء وحملة العلم من الهنود هم من تلاميذه ومنهم ريتر ناشر كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري[١٢٣] والوافي بالوفيات للصفدي،[١٢٤] ومنهم برتزل نشر طبقات القراء لابن الجزري مع برجسترازر. ونشر برتزل التيسير في القراءات [١٢٥] العشر لأبي عمرو الداني والمقنع في رسم مصاحف الأمصار من كتاب النقط له أيضاً. ونشر الدكتور مايرهوف مقالات في العين لحنين بن إسحق. ومن أعظم من عرفتهم من مستعربي الألمان العلامة بروكلمان صاحب تاريخ آداب اللغة العربية بالألمانية [١٢٦] وهو ناشر كتاب تلقيح فهوم أهل الآثار في مختصر السير والأخبار لابن الجوزي وعيون الأخبار لابن قتيبة وديوان لبيد وكتاب ما تلحن فيه العوام للكسائي. وعرفت من الألمان هوميل وميتفوخ وهارتمان والأستاذ هوميلٍ من أعظم المستعربين في الغرب وقد أثبت أن حمورابي صاحب القانون كان عربياً. ورأيت هوميل في مونيخ وهو [ ١٦ ] في الخامسة والستين يدرس لغة الجغطاي من لغات الترك القديمة، وقد توفر على درس ديوان ابن قيس الرقيات سنين بأمل أن يجد أسماء بعض الألبسة عند العرب، وبعد البحث الطويل ظفر بلفظين اثنين فاغتبط بهذا الاكتشاف. ومن المجريين غولد صهير نشر فضائح الباطنية للغزالي،[١٢٧] وكتاب المعمرين للسجستاني وغير ذلك، وكان يعد من

---

١٢١ . سلالة ايرانية حكمت الخراسان من عاصمتها بخارا بين سنتي ٨٩٢ و ٩٩٩ م.

١٢٢ . هي جامعة عليكرة. أسّسها الإصلاحي السيد أحمد خان سنة ١٨٧٥ تحت اسم الكلية المحمدية الإنكليزية الشرقية، على نموذج جامعة كامبريج، ثم اسبدلت اسمها بجامعة عليكرة الإسلامية سنة ١٩٢٠.

١٢٣ . أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت. حوالي ٣٣٠ هـ). انظر ما كتب عنه محمد كرد علي في "كنوز الأجداد"، ص ١٤٠–١٤٣.

١٢٤ . صلاح الدين خليل بن أيبك الصّفدي (ت. ٧٦٤ هـ). انظر ما كتب عنه محمد كرد علي في "كنوز الأجداد"، ص ٣٦٣–٣٦٨.

١٢٥ . في الأصل : القرآت

١٢٦ . تُرجِم هذا الكتاب إلى العربية سنة ١٩٧٧. انظر: بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ٦ أجزاء، ترجمة عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب، جامعة الدول العربية، دار المعارف، ١٩٧٧.

١٢٧ . أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، المعروف بالغزالي (ت.

أكبر رجال المشرقيات في الغرب كتب مئات من الأبحاث الإسلامية بالمجرية والألمانية والفرنسية والإنكليزية والروسية والسويدية والخرواتية [و]الصربية والعربية وكان يتكلم العربية جيداً درسها في الأزهر. ومن الهولنديين سنوك هرغرونيه وأراندونك وهوتسما وهذا نشر زبدة النصرة للعماد الأصفهاني وتاريخ اليعقوبي والأضداد لابن الأنباري وغيره من كتب العرب وكان مدير تأليف معلمة الإسلام، وقال لي مرة ترى أعيش وأشهد هذه المعلمة قد تمت وظهرت للناس فمتعه الله بالحياة ورآها تامة كما أحب.

ومن الأسبانيين الأب آسين بالاسيوس مدرس العربية في جامعة مجريط كتب مؤلفاً ضخماً بالإسبانية أثبت فيه أن دانتي شاعر الطليان [١٢٨] أخذ قصة المهزلة الإلهية من رسالة الغفران للمعري. [١٢٩] ونشر آسين بالاسيوس من كتب العرب المدخل لصناعة المنطق لابن طلموس وغيره.

ومن السويديين سترستين من جامعة أوبسالا نشر تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب وبيت المقدس وأمرائها لإبراهيم مغلطاي وقطعة من تهذيب اللغة للأزهري ومنهم بدرسن الدانمركي وسموغرجفسكي البولوني، ومنهم موسيل التشيكي وقد قضى سنين مع قبيلة الرولا في بادية الشام رسم خلالها أحسن المصورات الجغرافية وكتب كتباً عظيمة عن اكتشافاته وكان يدعى الشيخ موسى الرويلي ورأيته في الحرب العالمية الأولى يتقلد رتبة الجنرال ويصحب بعض أمراء ملوك النمسا في رحلة إلى الشرق القريب.

[١٧] هذا ما وعته الذاكرة ممن اجتمعت بهم وعرفتهم عن أمم و ذلك بالاختلاط بهم وبقراءة كتبهم وأبحاثهم وربما فاتني ذكر بعضهم وليس المقصود استقصاء أسمائهم كلهم بل الغاية التنويه ببعض أعمالهم ورسم الخطط لمن يحب العلم للجري على آثارهم، والسلام عليكم.

---

٥٠٥هـ). انظر ما كتب عنه محمد كرد علي في "كنوز الأجداد"، ص ٢٦٠-٢٦٨.

١٢٨. دورانتيه آليغييري [Durante Alighieri]، الملقب "دانتي" [Dante] (١٢٦٥-١٣٢١): ألّف كتابه المشهور "المهزلة الالهية" *La Divina Commedia* بين سنتي ١٣٠٦ و ١٣٢١، يروي فيها رحلة البطل بين جهنّم والجنة.

١٢٩. توجد ترجمة حديثة لهذا الكتاب إلى اللغة الفرنسية بعنوان:
ASIN PALACIOS, Miguel, *L'Eschatologie musulmane dans la Divine Comédie, suivie de Histoire et critique d'une polémique*, traduction par Bernard DUBANT, Milan, Arché Edidit, Bibliothèque de l'Unicorne. 1992.

# الدعوى والجهل

أدركت وزيرين على عهد الانتداب حاولا أن يكون لهما إلمام باللغة الفرنسية [فما نجحا ورأيا بعد حين] أن يدعيا معرفتهما، [فدأبا على أن] يهزا رأسيهما إذا كلمهما العميد أو المندوب أو المستشار [يشيران إلى أنهما فهما] ما قيل لهما. وربما سعيا أن يُكتب في جزازتيهما أنهما يعرفان الفرنسية تتمة لما هما عليه من الغش لئلا تنقص قيمتهما عند المنتدبين. [وهما] لا يعرفان لغتهما فضلاً عن لغة أخرى غربية، ولا يحسنان قراءة جريدة، وربما ما كان يفهمان إذا قرأا، وما كان يريان ستراً لجهلهما إلا الابتسام إذا تحدثا إلى أحد ولم يفهما منه.

ربما يُغتفر للوزيرين دعواهما المعرفة وهما [ما خرجا عن] طبقة العوام، ولكن ما قول القارئ إذا صدرت مثل هذه الدعوى بمعرفة الفرنسية مثلاً من عالمين، وهما [لا يخلان من هذه اللغة جملةً، وكانا إذا بحثا في بعض الكلمات أوردا ما يقابلها من الفرنسية ليثبتا معرفتهما بها. وأقل الناس معرفة بهذه اللغة يشهد أن الشيخين لا يأتيان بالألفاظ الإفرنجية في محلها، ولا يحسنان النطق بها، ومعظم ما يستشهدان به مغلط ينادي بأنهما [يفسران] الكلمة الافرنجية [130] قسراً ليدمجاها في الكلام الذي يعالجانه، ولا يرميان من ورائه إلا التفاصح والتنطس.

قد يغتفر هذا الخلق من ناشئ صغير أما من رجل يفرض فيه التحقيق والبعد عن [سفاف] القول [المستغرب والمستهجن]. ذلك لأن ما يصدر في هذا الشأن من رجل [يدعي علم ما لا يعلم] يورث الشك حتى فيما يحسن [من فنون العلم]. أَظن أَن قصد الأديبين من ادعاء [معرفة لغة لم يحذقاها]، الظهور بمظهر من تخرجوا من الجامعات ودرسوا الآداب على أُسلوب المعاصرين، وأَقبح ثم أقبح بهذه الدعوى التي تردها كل محكمة تعرض عليها.

---

١٣٠. في الأصل : الفرنجية

فصل ٢٧/ ملف ٢٢-٢ *Chapitre 27 / dossier 22-2*

# دول العرب والنفط

أصبح الشيخ عبد الله الصباح أمير الكويت [١٣١] أغنى رجل في العالم بالنفط المستخرج من أرضه، وحصته منه نحو خمسين مليون جنيه في السنة، وهي آخذة بالزيادة، وتقول المصادر الإنكليزية أنه سيخصص أكبر جزء من إيراده الضخم لرفاهية شعبه [وهم مئة وخمسون ألفاً]، فينشئ مصانع لتقطير الماء، ومحطات لتوليد الكهرباء، ومدارس ومستشفيات وعيادات طبية، ومصحة للمصابين بالسل. والرجاء بعد أن تنعم هذه الإمارة بما [تمتعت] قبلها العراق ونجد [والبحرين] بالنفط الذي نبع [فيها أن] يتحقق وجود هذا الذهب الأسود كما يسميه الغربيون في سورية واليمن [وغيرها لتنقلب] حال الأَقطار العربية من حيث الثروة والمدنية.

فصل ٢٨/ ملف ٢٢-٣ *Chapitre 28 / dossier 22-3*

# إظهار القوة

يشتد عجبي كلما رأيت بريطانيا العظمى وفرنسا تتصديان لإعلان حرب ثالثة. ومالية كلتا الدولتين في عجز عظيم يكاد يقرب من الإفلاس، ودولتان الآن تعيشان بالديون والرهون والمعونات الخارجية تقدمها لهما أميركا. [١٣٢] ولو قد عدلت هاتان

---

١٣١. الشيخ عبد الله السالم المبارك الصباح (١٨٩٥–١٩٦٥): أمير الكويت بين سنتي ١٩٥٠ و١٩٦٥.

١٣٢. إن المعونات والديون المذكورة هنا تدخل في إطار ما سمّي بخطّة مارشال بعد أن أعلن وزير الخارجية الأمريكي جورج مارشال [George Marshall]، يوم ٥ حزيران/يونيو ١٩٤٧ في جامعة هارفارد، خطّة الولايات المتحدة لمساعدة الدول الأوروبية في أعقاب الحرب العالمية الثانية. بعد توقيع الرئيس الأميركي هاري ترومان [Harry Truman] ذلك المشروع في ٣ نيسان/أبريل ١٩٤٨، وزّعت الولايات الأمريكية في بضع سنوات ما يقرب من ١٠٠ مليار دولار لست عشرة دولة في أوروبا الغربية، من بينها فرنسا وبريطانيا العظمى، تأييداً لإعادة بنائها ونموّها الاقتصادي. واشترطت الولايات المتحدة مساعدتها طالبةً من تلك الدول أن تكوّن منظمة اقتصادية ليبرالية

الدولتان مع أمتيهما لما فكرتا بالدخول في حرب قبل مرور مئة سنة لكثرة ما لقيتا من الخسارة في الحربين العالميتين الأخيرتين. ولعل في الدول من يذهبن إلى أن امتناعهن عن الحرب دليل انحلال أمرهن، وأن الحروب عنوان قوة وسيادة.

فصل ٢٩/ ملف ٢٢-٤ *Chapitre 29 / dossier 22-4*

## النقاد

كثيراً ما قلت لمن لهم اتصال بي [وفاتحوني بانتقاد] مواضع من هذه المذكرات أني أُرحب بكل ما يبدو لهم من الملاحظات على الطريقة التي جريت عليها فيما كتبت، أَنشرها وأنوه بفضل أبي عذرها، فكانوا يعتذرون ويجمجمون، وعندي أن من الجبن امتناع الناقد من كتابة ما يبدو له في الورق، والنفع كل النفع بالنصح والتعاون للوصول إلى الحقائق.[١٣٣] لا جرم أن جمهور القراء شديد الرغبة في سماع [ما يستهجن أكثر من سماع ما يستحسن]، ومن طبع القارئ التهام كل كتاب أو رسالة كان له حظ من النقد يستفيد منه ما يوافق ميله واستعداده. ولهذا كان لكتب النقد عند الإفرنج منزلة عظيمة ويعدونها من الكتب الخالدة. وفي تاريخنا العلمي طائفة ممن رزقوا ملكة النقد ودونوا آراءهم فيما قرؤوا،[١٣٤] فكتب لأسفارهم البقاء، وأصبحت من تراث الأمة الذي لا يستغني عن الرجوع إليه، يتناقل الجيل بعد الجيل، ومنها كتب الجاحظ والتوحيدي وابن خلدون والغزالي وابن تيمية وابن حزم وابن قيم الجوزية وغيرهم.

---

[Organisation européenne de coopération économique] وأن تستورد النتاج الصناعي الأميركي.

١٣٣. انظر نماذج من النصوص التي كتبت حول مذكرات محمد كرد علي، والردّ عليها، في الجزء الرابع من "المذكرات" (الفصل بعنوان "الناقدون والناقمون"، ص ١٣١٠–١٣١٥). انظر أيضاً في هذا الجزء الفصلين التاليين: "نقد أديبة" (فصل م١٠٣) و"رأي في المذكرات" (فصل م١١٧). انظر أيضاً لائحة مصادر البحث في نهاية هذا الكتاب.

١٣٤. في الأصل: قرأوا

*Chapitre 30 / dossier 22-5* **فصل ٣٠/ ملف ٢٢-٥**

# عواقب التعليم

كان من المتوقع أن ينشأ من نشر العلم ما تزيد به روابط الأمم ويحسن تفاهمهم، وإذا به يُباعد بينهم لا يجمعهم. وبقوة دعوة القوميات أخذت تنظر كل أُمة إلى الأمم الأُخرى بغير العين التي ينظر بها كل جنس إلى جنسه بل لقد أصبحت الشعوب العربية ينظر بعضها إلى بعض غير نظرتهم أيام استغراقهم في الأُمية. وربما زاد حذرها من أبناء جنسها إذا تقاربت الديار أكثر من حذر الشعوب المتباعدة بعضها من بعض. فسكان شمالي إفريقية يحبون المصريين والشاميين والحجازيين أكثر مما يعز ابن لبنان ابن سورية وابن مصر وابن الشام على ما يظهر.

ذكرني بهذا ما قرأته في مجلة (السنة السياسية والاقتصادية) [١٣٥] بمناسبة سعي بعض المعنيين بالسياسة عندهم في إنشاء دولة أُوربية واحدة تتألف من دولها الحاضرة المتخالفة بأنظمتها ولغاتها ومدنيتها ومذاهبها [١٣٦] قالت: إن تحقيق هذه الأُمنية متعذر الآن، ولا بد من مرور زمن حتى يكتب النجاح لمثل هذه الدعوة، وأعظم إشكال يحول دون تأليف الدولة المتوحدة [تلك] القوة الهائلة التي انبعثت من الشعور بالقومية. وما كانت هذه الفكرة كذلك في الأيام الغابرة، وكلما انتشر التعليم توطدت أركان الحريات العامة [و]تعينت الشخصيات الوطنية ثم تباعد بعضها عن الآخر. كانت الشعوب في القرون الوسطى تعتقد اعتقاداً دينياً واحداً وتخضع لكنيسة واحدة، واللغة اللاتينية لغة عامة منتشرة بين رجال الدين، وبها يسهل تراسل جميع المتعلمين. أما الآن فقد أصبح لكل أُمة أَدب على حياله، وقوي الشعوب بالقومية، وزادت الفوارق بين الشعوب.

---

١٣٥. [L'année politique et économique] (للمؤلف).

١٣٦. في الفترة التي كان محمد كرد علي يكتب خلالها هذا الجزء من مذكراته، وقّعت ست دول أوروبية (فرنسا، ألمانيا الغربية، إيطاليا، هولندا، بلجيكا واللوكسمبورغ) معاهدة في باريس يوم ١٨ نيسان/أبريل ١٩٥١ تؤسّس الجامعة الاقتصادية للفحم والفولاذ [Communauté européenne du charbon et de l'acier] وهي منظمة أوروبية تشمل مؤسسات نيابية تنفيذية وعدلية للاشتراك والمراقبة في إنتاج واستهلاك الفحم والفولاذ. كوّنت تلك الجامعة، التي بدأت عملها في ٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢، بذور الاتحاد الأوروبي.

فصل ٣١/ ملف ٢٢-٦ *Chapitre 31 / dossier 22-6*

# نهضة المسلمين

ذكرت جريدة (الأحد) أن جمعية الشابات المسلمات في بيروت [١٣٧] أخذت على نفسها رفع مستوى الأَخلاق والاجتماع فأنشأت تدرّب الفتيات على إدارة البيوت وما يتعلق بسعادتها، أَسّست مدرسة لمكافحة الأُمية تضم الآن مائتين وخمسين طالبة من مختلف الأَديان والمذاهب، وخرّجت ممرضات، وعلّمت بعض الطالبات الخياطة والتطريز [والنسخ] على الآلة الكاتبة والمراسلات التجارية ومسك الدفاتر.

وتفسير هذا أن المسلمات في بيروت شرعن في مجاراة جاراتهن المسيحيات، وذلك بانتشال بنات طائفتهن من الجهل، وتعليمهن صناعات يعشن بها شريفات. وإذا أضفنا إلى نهضة أهل السنة نهضة الشيعة والعلويين والدروز والإسماعيلية من الفرق الإسلامية [في الديار الشامية] كان من مجموع ذلك في أعوام قليلة نهضة إسلامية عامة.

كانت الجمعيات التبشيرية بابوية وبروتستانتية في سورية ولبنان تبث دعوتها الدينية والثقافية في ديارنا بحماية دولها ومعاضدة أهل الخير من شعوبها، ولما نُفّس بالحرية خناق المسلمين أخذوا يسعون بأنفسهم إلى تعليم أبنائهم وبناتهم، ولا يمضي زمن طويل حتى يغدو أبناء هذا الوطن الذي طالما شكا عقلاؤه من انتشار الجهل [فيه] أُمة تجمع بين أعضائها جامعة العلم [وأعظم بها من جامعة].

فصل ٣٢/ ملف ٢٢-٧ *Chapitre 32 / dossier 22-7*

# من الذلّ إلى العزّ

ذكر عارف بأَسرار المجتمع اللبناني أن فقراء جبل عامل [١٣٨] وغيرهم من شيعة لبنان كانوا يقصدون مدينة بيروت ليرتزقوا بالعتالة ومسح الأحذية، داموا على ذلك

---

١٣٧ . أُسّست هذه الجمعية في بيروت سنة ١٩٤٨ بمرسوم رقم ٣٨٧، بفضل مجموعة من السيدات من نخبة المجتمع البيروتي، من بينها زاهيي أرسلان وحبيبة شعبان يكن وكلثم طبارة. هدفها الرئيسي هو رفع مستوى المرأة العلمي والاجتماعي والخلقي، فتقوم بالعمل على مكافحة الأمية عند النساء. إنّها قائمة إلى حد الآن برياسة السيدة نجاح مغربي الشعار.

١٣٨ . منطقة يطلق عليها اليوم جنوب لبنان وقد ضمت إلى لبنان بعد إنشاء دولة لبنان الكبير سنة ١٩٢٠.

أعواماً حتى انتبه أذكياء طائفتهم، بما عهد فيهم من التكاتف والحزم، فأنشؤوا[١٣٩] لبنيهم مدارس، فجاء منهم بعد قليل تجار وأرباب الأعمال والأُدباء، وبعد أن كانت غاية من ينزل عاصمة لبنان اكتساب قوته بامتهان المهن الحقيرة أصبح لأبناء شيعتهم بضع صحف يومية وأُسبوعية (وقال عارف أيضاً : وعشرة بالمئة من أملاك تلك العاصمة) وإذا كتب لشيعة لبنان أن يغتنوا وتنتقل إليهم بعض الأملاك فذلك لأنه يقلّ فيهم المقامرون والمغامرون. ومن نجا من مرض القمار وأمسك عن المغامرات يغتني إذا عرف طرق الكسب وأساليب الادّخار.

فصل ٣٣/ ملف ٢٢-٨ *Chapitre 33 / dossier 22-8*

# حبّ الفضول

زارني في المجمع العلمي العربي الشقيقان تارو (جيروم وجاك) الأديبان الفرنسيان، والثورة السورية في أشد أيامها. ففتح أحدهما حديث الثورة ثم قال، والخطاب لي: ولماذا لا تنصحون للثوار بالكف عما فيه ضرر على بلادكم ؟ وأنتم ممن يُستمع لكلامهم، ومقامكم بين قومكم مقامكم. فسارع أحد الرصفاء وقال : لو عهدت إلينا الحكومة المنتدبة بهذه المهمة ما قصرنا في القيام بالواجب، أو ما هذا معناه. فنظرت إليه نظرة مستنكر لقوله، وبادرت فقلت لمخاطبي الأديب، وهل هذه وظيفتنا ؟ العلماء لا يدخلون في السياسة فما دخلنا بالثورة وما لنا والثوار. وما كان المتصدي للجواب على هذا السؤال الدقيق الذي لم يوجه إليه في حال يعرف به مقاصد الثورة، وليس له صلة برجالها، ولا بقادة الأفكار في الأُمّة، وما أوّلت جوابه إلا أنه محض مصانعة للمنتدبين، وسواء عنده قام بما ادّعى معرفته أم عجز عن إتمامه، وهو الأرجح.

أرادوني غير مرة أن أنصح للثوار فأظهرت العجز المطلق عن ذلك، لاعتقادي بأني لا أُرضي رجال الثورة ولا أصحاب الإنتداب. وقست مدى قوتي فرأيتني [على غير] استعداد للقيام بما يطلب مني. ومن عمل في نطاق طاقته كان حرياً ألا يضحك منه أحد عند الحساب على النتائج.

١٣٩. في الأصل : فأنشأوا

فصل ٣٤/ ملف ٢٢-٩ *Chapitre 34 / dossier 22-9*

# الإنكليز والقطن

سمعت من يقولون إن إنكلترا ما نشطت زراعة القطن في القطر المصري إلا لأن قطن مصر من أحسن الأجناس الصالحة للاستعمال في معامل لنكشير، ليخلصوا من ذلك إلى أن إنكلترا ما أهمها الأخذ بتحسين ثروة مصر بقدر ما أهمها إيجاد قطن لمعاملها. ليت كل دولة تنفع البلد الذي يكون لها سلطان عليه كما كان من إنكلترا في مصر نفعتها وانتفعت بها. ولا أعتقد أن عشب الحلفاء وزيت الزيتون، وهما موسمان عظيمان في الجزائر وتونس، يستفيد منهما منتجوهما كما يستفيد أهل مصر من قطنهم، ذلك لأن حكومة فرنسا تحمي تجارها حتى يستخلصوا هذين الصنفين من أيدي المنتجين بالثمن البخس. تنظر فرنسا إلى أهل الجزائر وتونس ومراكش نظرها إلى عبيد، وغايتها الأكيدة أن تنعم هي وأبناؤها فقط.

فصل ٣٥/ ملف ٢٢-١٠ *Chapitre 35 / dossier 22-10*

# بيزنطية والعرب

كانت بيزنطية أو مملكة الروم الشرقية الدولة القوية التي جاورت العرب، ووقفت في طريق تقدمهم إلى أوربا، منذ القرن الأول من الهجرة. ودامت الحرب سجالاً بين العرب والروم نحو ثمانمائة سنة حتى كتب لمحمد الفاتح العثماني الاستيلاء على القسطنطينية، وقرض دولة بيزنطية، بعد أن عاشت أحد عشر قرناً ونصف قرن تقوي وتضعف بحسب مقدرة من يتولون أمرها من الملوك، وذكاء من يسوسها من القواد.[١٤٠]

---

١٤٠. دخل جيش محمد الثاني (الفاتح) القسطنطينية يوم ٢٩ أيار/مايو ١٤٥٣م، واندثرت دولة بيزنطة في أعقاب موت الإمبراطور الأخير قسطنطين الحادي عشر وهو يدافع عن أسوار عاصمته.

وقد أخذت على نفسها دفع صائل البلغار والهون والأفار [١٤١] والصقالبة والروس من الشمال، والفرس والعرب والترك من الجنوب.

ومعلوم أنه لم يكتب للعرب التغلب على بيزنطية [إلا] لأنهم شُغلوا بمشاكلهم الداخلية من أول أمرهم، وما كانوا في أغلب أيامهم في حالة تمكنهم من جمع قواهم لإعلان حرب حاسمة، ولقيت دولة الروم من نصارى الحملة الصليبية الرابعة في طريقهم إلى الأراضي المقدسة ما خرج به الصليبيون عن حد الإنسانية، ولم يؤثر شيء من ذلك عن الفاتح العثماني، فقد عامل [الروم] ورجال الدين منهم خاصة بما تقضي به سماحة الإسلام.[١٤٢]

وذكر المؤرخون أنه كان في بيزنطية من التسامح ما لا أثر له في مملكة من ممالك الغرب يومئذ، وكان بعض ملوكها على جانب من المعرفة ومنهم من أبطلوا الخصاء وقتل القاتل، ومنهم من خففوا وطأة الرِق، وحظر رجال الكنيسة استخدام العبيد في الأديار. ومنهم من حاولوا تطبيق ما في دينهم من قواعد الرحمة والمحبة على علائقهم السياسية. وما انحلت بيزنطية إلا بتغلب الشهوات على بعض ولاة الأمر فيها، وتفرق كلمتهم بهجوم الدولة التركية عليها، في قوة أعظم من قوتهم وتدبير حربي محكم لا عهد للروم بمثله، وكان الروم في غفلة يتشاغلون بما سموه العبثيات البيزنطية Byzantisme [١٤٣] ويراد بها [التشاغل] بالمسائل التافهة الصغيرة ومنها المجادلات الدينية. وكان الفاتح رحمه الله يعرف ما في بيزنطية من علائم الضعف وبيزنطية لا تدرك ما عنده من مقومات العظمة.

---

١٤١. هم شعب بدوي من سلف الترك ومن سلالة الهون، كانوا يعيشون في جوار الصين بالقرب من جبال الألتاي، ثم هاجروا إلى الغرب واستقروا شمال نهر الدانوب في القرن السادس ميلادي. تعامل الأفار مع البيزنطيين إلى أن انقلبوا ضدهم وهاجموهم سنة ٦٢٦م لكنهم انهزموا وانحصروا في هونكاريا. قاتلهم شارلمان وانتصر منهم سنة ٧٩٥م. من ثمة، بدأ انهيارهم وزالوا بعد عشرين سنة.

١٤٢. انطلقت تلك الحملة الصليبية الرابعة، بعد دعوى البابا إينوسانت الثالث [Innocent III]، من البندقية العام ١٢٠٢م. كان هدفها غزو مصر ولكن البنادقة وجّهوها إلى القسطنطينية ودخلوا المدينة العام ١٢٠٣ وأطاحوا الإمبراطور أليكسي الثالث [Alexis III] لصالح ابن أخيه (أليكسي الرابع). حاصر الصليبيون والبنادقة القسطنطينية مرّتين بعد ذلك التاريخ ونهبوها العام ١٢٠٤، ثمّ أسّسوا بدل الامبراطورية البيزنطية إمبراطورية لاتينية وممالك تابعة لها دامت حتى العام ١٢٦١.

١٤٣. التعبير الصحيح باللغة الفرنسية هو byzantinisme.

# حزب الشعب

كان حزب الشعب في أول أمره حزباً معقولاً أكثر من حزب الكتلة الوطنية [ في سورية ]، استلم زمام الحكم بإحراز الأكثرية ولم يصرف غير بضعة أشهر فيه، فقام بإصلاحات طفيفة وربما كان يتم على يده من الإصلاح ما لم توفق إليه الحكومات التي طالت [ من قبل] مدة حكمها. [١٤٤] والحكومات الصالحة إذا وقع لها غلط على غير قصد أشبه بناسخ ينسخ عدة صفحات من كتاب إذا أعاد النظر عليها انتبه إلى أنه سها عن نقل سطر أو كلمة فيعود لإصلاح ما غلط فيه، وهذا لا يقدح في عمله ولا ينبئ بجهله. وما زلت من القائلين بتطويل آماد الوزارات في الحكم وأذهب إلى أن من عيوب الحكومات الدستورية أنها لا تمهل الوزارات كثيراً. ومهما بلغ من صلاح حكومة إذا لم تبادر في الحال إلى تحقيق ما ترجو الأُمّة منها تحقيقه يبدو عليها الضعف ويزيد اليوم بعد اليوم، وكل حكومة لا تبادر إلى تطبيق قوانينها تسقط وتتراجع.

١٤٤ . أُسّس حزب الكتلة الوطنية رسمياً في مؤتمر حمص في تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٣٢ وحاول أن يتفاوض مع المنتدبين الفرنسيين حيث أنّ قادته شاركوا في الانتخابات وسافروا إلى باريس العام ١٩٣٦ ليوقّعوا المعاهدة الفرنسية السورية. ثم فازوا في الانتخابات وكوّنوا أوّل حكومة وطنية في عهد الانتداب، في كانون الأول/ديسمبر ١٩٣٦، ظلّت حتى شباط/فبراير ١٩٣٩. حوّل الرئيس شكري القوتلي الكتلة الوطنية إلى الحزب الوطني سنة ١٩٤٧. أمّا حزب الشعب الثاني (غير حزب الدكتور الشهبندر الذي دام سنتين فقط خلال الثورة السورية الكبرى)، فهو منشقّ عن الكتلة الوطنية، أُسّس سنة ١٩٤٨ وضمّ إليه أعيان سورية الوسطى والشمالية، وعلى رأسهم هاشم الأتاسي الذي استلم رئاسة الجمهورية عدّة مرّات في عهدي الانتداب والاستقلال.

*Chapitre 37 / dossier 22-12* **فصل ٣٧/ ملف ٢٢-١٢**

# المتوسّطون

في الناس من يتعلمون ما يظنون معه أن فيه ضمان عيشهم، وهم في أنفسهم لا يخلون من ذكاء وحسن حيلة، وتمضي أعمارهم ولا يلمع اسمهم، ولا يظهرون للملأ بحسنة، وتراهم إذا أطلت النظر فيهم لا يخرجون عن الرجل العادي وما ذلك إلا لنقص فيهم من عدم الثقة بالنفس، وفقدان الشجاعة والإقدام وقلة الثبات والدؤوب.

*Chapitre 38 / dossier 22-13* **فصل ٣٨ / ملف ٢٢-١٣**

# يصلّون ويصومون

سئمت وايم الحق من ذكر من خدعوني وخدعوا من حولهم بتقواهم واستقامتهم. وخاب ظني في الحكم على بعض من كنت أَعدهم مثال الاستقامة، ومنهم رجل عظيم في مصر اشتهر بالعدل وحب الحق حتى إذا منع بالسلطة المطلقة نزع ثوب التقوى وظهر بمظهر من يهزأُ بالأخلاق والقوانين ليستولي وأهله وأنصاره على ما تصل إليه أيديهم من أوقاف وأراض ومناصب. فرجعت أقول إنه سياسي وما أحب إلا أن يشارك معظم السياسيين في سيرتهم. وياما غشت دعوى التقوى أرباب القلوب السليمة.

فصل ٣٩ / ملف ٨ *Chapitre 39 / dossier 8*
٢٦ صفحة مطبوعة ومنقحة بخط يد الكاتب *26 p. imprimées et corrigées par l'auteur*

# مجالس أناتول فرانس [١٤٥]

كان في كل حضارة قامت في الأرض، وكل اجتماع [كاد يبلغ] حد الكمال، شأن عظيم لمجالس أرباب العقول والقرائح [يعلمون] النابهين بالتلقين ما فاتهم تلقفه في دراسة الأسفار والآثار. هكذا رأينا المجالس العلمية والفلسفية والأدبية والصوفية في العصور العربية الراقية، ولو دوّنت كلها لصوّرت لنا مجتمعات الأجداد على جليتها، لعرفنا أكثر مما عرفنا طرق تفكيرهم وخوالج نفوسهم. [ومن] الشيء القليل الذي انتقل إلينا في كتب المسامرات والمحاضرات وقفنا إلى حد لا بأس به على روح تلك القرون الزاهية، ومن أهمها المجالس التي نقلها، فيما انتهى إلينا من تآليفه، أبو حيان التوحيدي. فقد صوّر لنا مجالس الفلاسفة والمتكلمين والأدباء في القرن الرابع في بغداد تصويراً يكاد يخيل [إلى من يقرؤوه] أن بغداد في عصرها الرابع للهجرة لم تكن في طرق البحث والنظر أقل من [مدن العلم في الغرب في هذا] القرن العشرين.

نعم كانت للقوم مجالس أو مجتمعات في قصور الخلفاء والملوك والأمراء والعلماء والأعيان يختلف إليها المتماثلون من عشاق الآداب والفضائل، فيتكلم فيها أرباب [الأفكار] والممتازون من كل رعيل، بما تمليه عليهم قرائحهم المبدعة، وكانت المنافسة على أتمها بين المتصدرين لهذه المطالب: يحفظون أحسن ما يقرأون، ويتكلمون [٢] بأجمل ما يحفظون. وهناك التفاضل، وهناك التنافس في اقتناء المحامد، واستفادة كل طالب وقاصد.

[وما أعظم حظ] من كانوا يختلفون إلى تلك الأندية، يطبقون ما يقرؤونه [١٤٦] على ما يسمعونه. ولغة الكلام المسموع، [أفعل] في النفوس من لغة المقروء في المخطوط والمطبوع، وصوت الحيّ يحيك في الصدور فيهيئ الملكات، أكثر مما تحيك

---

١٤٥. محاضرة ألقيناها يومي ٧ و١٤ أيار سنة ١٩٣١ في ردهة المجمع العلمي العربي (للمؤلف).

وقد نُشرت هذه المحاضرة بنفس العنوان في مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد ١١، سنة ١٩٣١، ص ٣٢١–٣٣٣ و ٣٩٣–٤٠٥.

١٤٦. في الأصل: يقرأونه

الرسوم و الأشكال من حروف وكلمات. وربّ كلمة تتلقفها عن عالم، تكون أشد تأثيراً في مجرى حياتك من مدارسة الصحف المكتوبة زمناً. رأينا مجالس الوعظ التي كان يعقدها أبو الفرج ابن الجوزي في بغداد ودمشق يستمع الناس لفصاحته وخلاصة تجاربه في الحياتين الدنيوية والأخروية، لم تكن في تأثيراتها في عصره أقل بكثير من تأثيرات علم الجاحظ بكتبه وتآليفه، على ما بين الرجلين من تفاوت في العصر وتفاوت في العلم. وشارك النساء الرجال في هذا الباب. هكذا كانت مجالس عُليّة و سُكينة وولاّدة، وهكذا كانت المجالس التي نقل أخبارها الأصفهاني[١٤٧] في الأغاني والتنوخي[١٤٨] في نشوار المحاضرة.[١٤٩]

والناظر في المجتمع الغربي منذ هب يتلمس [الحضارة]، ويتحضر بنور العقل والثقافة يراه على حصة موفورة في عقد مثل هذه المجالس التي كان للملوك والأمراء وأعيان الناس الفضل الأول في جمعها، فقد فتحوا قصورهم و صدورهم لمجالس كان من أوتوا العلم ورزقوا الفصاحة من أبنائهم، بلابلها المغردة، عرفنا منها غرام الإنكليز والفرنسيس بتلك المجتمعات منذ القرن الرابع عشر وإلى اليوم. وكل من تلمس أخبار مجالسهم في القرون الخمسة الأخيرة يقول معنا، إن مجالس الأدب الخاصة في كل مدينة من مدنهم، كانت من العوامل الكبرى في تهذيب الملكات، وبعث القرائح والعبقريات، [و]كان صاحب المجلس أو صاحبته يفاخر بمن قدر له أن يضم شملهم من أرباب المكانة والتجارب، يجمعهم في أوقات معينة من أيام الأسبوع، يتذاكرون صنوف العلم والأدب وينصتون لمن ميزتهم الطبيعة عن غيرهم، فيحمل الصغير عن الكبير، وينقل الخلف عن السلف من ضروب الآداب، ما هو مفخرة الأجيال والأحقاب. ويبلغنا لهذا العهد عن الإنكليز أن حب البلاغة تمكن من طبقاتهم العليا، حتى إنهم أمسوا إذا اجتمعوا في ناد أو إلى مائدة لا يتكلمون إلا بأفصح ما يعرفون،

---

١٤٧. علي بن الحسين، المعروف بأبي الفرج الأصفهاني (ت. حوالي ٣٥٦ هـ). انظر ما كتب عنه محمد كرد علي في "كنوز الأجداد"، ص ١٥٢–١٥٦.

١٤٨. أبو علي المحسِّن بن علي التّنوخي (ت. حوالي ٣٨٤ هـ). انظر ما كتب عنه محمد كرد علي في "كنوز الأجداد"، ص ١٨٧–١٩٥.

١٤٩. انظر: أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين، كتاب الأغاني، تحقيق عبد السلام هارون وعلي محمد البجاوي وعبد الكريم العزباوي وعلي النجدي ناصف، بيروت، دار إحياء التراث، ١٩٨٧؛ التنوخي، أبو علي المحسن بن علي، كتاب جامع التواريخ المسمى بـ: كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، الجزء الأول، تصحيح د.س. مرجليوث، القاهرة، مطبعة أمير هندية، ١٩٢١.

فترى أحاديثهم مجموعات أدب، ودروس [ ٣ ] فصاحة و بلاغة، أما الفرنسيين، [ وقد اشتهروا بطلاقة ألسنتهم فشأنهم ينازعهم كثير من الأمم ].

وآخر من انتهى إلينا خبره بل أخباره من هذا القبيل كاتب فرنسا الأكبر ( أناتول فرانس )، فقد كان له صديقات من أرباب اليسار يرين من أعظم مفاخرهن أن يجالسهن في قصورهن في باريز، يلقي عليهن و على جلسائهن ثمار قريحته وتجربته، فيفيد بها النساء والرجال علماً يأخذ منه كل مستمع على قدر مبلغه من شهوة العلم، واستعداد للانطباع بالأفكار [ المثمرة ]. وما خلت مجالسه في بيته وبيوت صويحباته منذ اشتهر بنبوغه من أناس نقلوا عنه ما رواه في ردهاتهم، فنشروا [ مروياتهم ] للناس بعد وفاته، وكانت صورة من بلاغة لسانه وازت بلاغة قلمه التي شهد بها كل عارف قرأها في أصلها.

كان أناتول فرانس مولعاً بالقرن الثامن عشر يحيي آثاره، وينعم في تقيّل خطى أهله، ومن زاروه في داره أثبتوا أنه لا يختلف عن رجال ذاك القرن في المسكن والملبس والرياش والأثاث والعادة والمنزع إلا فيما لا بال له، ولم يفترق عن أعاظم أرباب العقول المفكرة من أهل [ ذاك العصر ]، إلا بما فطرت عليه نفسه من [ استمتاعه بحرية ] الفكر في مجالسه إلى أقصى حد يصل إليه ابن القرن العشرين، وفي مدينة مثل باريز وما يحمل إليها من ثمرات الأدب الفرنسي خاصة والأدب الغربي عامة.

شبهت معلمة لاروس ( أناتول فرانس ) بفولتير[١٥٠] على اختلاف قليل بينهما، فقد كان لهما ذوق واحد بمباهج الحياة، ونفرة متحدة من الألم، وتشابهاً في قلة الصبر على احترام ما يحترمه الناس، وطال عمرهما كلاهما، وكان كل منهما في عصره ملكاً على الآداب. وقالت إن فرانس إذا كان في كلامه على السيدات صريحاً فإنه كان يطرّس على آثار قدماء اليونان واللاتين ومصوريهم في هذا الشأن، فهو مأخوذ بالقديم ويريد إحياءه بما فيه من وثنية ووضوح. وأناتول فرانس على ما ظهر أخذ ما وضعه فولتير باليمين وقدسه وشرحه، وكانت صلته برنان كبيرة، فالأحرى أن يقال إن رنان خلف فولتير، وأناتول خلف رنان، ورث كل منهم من صاحبه منازعه في الحرية ونقمته على المجتمع، أسلوب استطابه من استطابه، وبعض الناس له منكرون.

---

١٥٠. فرانسوا ماري آرويه [ François Marie Arouet ]، المعروف بفولتير [ Voltaire ] ( ١٦٩٤–١٧٧٨ ): كاتب وفيلسوف فرنسي مستنير، اشتهر بكفاحه ضدّ التطرّف والخرافات الدينية. كتاباته متنوّعة، فيها الشعر والمسرحيات والنقد الأدبي والتاريخ والرسائل والرواية الفلسفية. عاشر كبار أمراء عصره وشارك في مشروع معلمة ديدرو [ Diderot ]. عين مديراً للمجمع العلمي الفرنسي.

[ ٤ ] وممن نقلوا أفكار [أناتول فرانس] وأطواره بعد وفاته أمين سره جان جاك بروسون كتب كتاباً سماه (أناتول فرانس في مباذله) أي في بيته.[١٥١] وكان نقولا سيغور[١٥٢] ألزم لأناتول فرانس من شعرات قصه، نقل حكايات أناتول في مجلد، وأحاديثه في مجالسه في مجلدين، وهذه المجلدات الثلاثة لم تنقل إلى العربية، وعليها نعتمد في التحدث إليكم بنموذجات من مجالس نابغة أدباء هذا العصر غير مُدافع.

وها قد حان الوقت لننقل جملاً مما فاه به أديب [فرنسا] في حياته، ودوّنه عنه [قومه] ونشروه بعد وفاته، لأن من لم يعرفوا فضل الأديب الكبير في حياته أكثر ممن شاغبوا عليه ونقموا منه أشياء لم تدخل أو لم يريدوا أن يدخلوها في قلوبهم ويعوها في صدورهم، وشاعرنا قال:

| | |
|---|---|
| ترى الفتى ينكر فضل الفتى | لؤماً وخبثاً فإذا ما ذهب |
| لجّ به الحرص على نكتة | يكتبها عنه بماء الذهب |

قال أناتول في المجد الباطل : "إياك يا صاح أن تثق بالمجد والعبقرية، فإن المرءَ إذا فكّر فيهما تهتز أعصابه. ولا شيء في هذه الدنيا كما يقول مونتين، والدنيا هذه هي الأرجوحة المستديمة، أدعى إلى التضعضع والتذرية من شهرة عظماء الرجال، فقد يوشك [ ٥ ] بعضهم أن يتنامى أمرهم [وما كانوا عليه من سوء الطالع]، وهكذا ترانا

---

١٥١. [نقله إلى العربية صديقي العلامة الأمير شكيب أرسلان] (للمؤلف).
والعنوان الأصلي باللغة الفرنسية هو التالي :
Jean-Jacques BROUSSON, *Anatole France en pantoufles*, Paris, G. Crès et Cie, 1924.

١٥٢. Nicolas Ségur, *Conversations avec Anatole France ou les mélancolies de l'intelligence*.
أحاديث [مع] أناتول فرانس أو سويداء الذكاء لنقولا سيغور.
Nicolas Ségur, *Dernières conversations avec Anatole France*.
أحاديث أناتول فرانس الأخيرة لنقولا سيغور.
Nicolas Ségur, *Anatole France Anecdotique*.
أناتول فرانس القصاص لنقولا سيغور. (للمؤلف)
اعتمد محمد كرد علي على تلك المراجع في معظم استشهادات هذا الفصل. انظر العناوين الكاملة لهذه الكتب في فهرس المراجع.

نحب الشاعر رونسار[١٥٣] الذي دفنا ذكره مع أن دو بارتاس كان هو الشاعر العظيم ومثال العبقرية في ذاك العصر،[١٥٤] وكان كيتي الشاعر يعجب به إلى الغاية، وهذا [كان] على شيءٍ من الذوق مثلنا. إن من أحرزوا شهرة لا يستمتعون بها أبداً، فإن مصافق (بورصات) القيم الأدبية على ما أرى أكثر اضطراباً وأقل ثباتاً من مصافق المضاربات المالية، وكل قرن يهزأُ بما تعبّد به قرن آخر، والقرون تتعجب بما أعجبت به قرون قبلها، والأسماء الكبيرة قد تصغر. وإذا قدر لنا أن أحببنا ما أحبه الماضي، فإنا نأتي ذلك عرضاً أو لأسباب أخرى، خلافاً لما كان يذهب إليه آباؤنا، وكل فكر يموت في الحقيقة بموت الزمن الذي ولد فيه.

"وليس أدعي إلى الهزء والمذلة من تاريخ زعموا أنه "أسمى التآليف" على وجه الدهر. مثّل لنفسك العجب الذي يأخذ دانتي الشاعر لو قُدر له أن يلقي نظرة على هذا الركام من الزيادات التي أثقل بها الشراح روايته الهُزَيْلى الإلاهية. [١٥٥] وانظر هوميروس الشاعر لو عاد إلى الأرض فنظر إلى التحريفات والزيادات والترهات المصنعة بأيدي العلماء التي علقت بالإلياذة. [١٥٦] وتصور شكسبير الشاعر يستمع إلى ألوف من التأويلات في رواية هملت. [١٥٧]

لا جرم أن هؤلاء الشعراء يجنون إذا شهدوا ما تم لشعرهم بعدهم، وبعمل المعجبين بأنفسهم الذين يتمثلون الأشياء على الأغلب ويجعلون من تفاسيرهم الكاذبة ما يهيئون به السبل إلى تلك التآليف السامية حتى تدوم شهرتها، فهم أبداً يكهربونها ويجددونها، فتزيد بهم على [الأيام] جدَّة و صقالاً.

"وليت شعري كيف نعتقد بحقيقة المجد وقد رأينا القرن العريق في المدنية أي قرن فولتير قد احتقر هوميروس ودانتي، ووصف شكسبير بأنه متوحش خشن، ولذلك يجب ألا يكون البحث إلا في شهرة زائلة قامت على المصادفات والأوهام،

---

١٥٣. بيير دي رونسار [Pierre de Ronsard] (١٥٢٤–١٥٨٥): شاعر فرنسي من عصر النهضة الأوربية، لقبه معاصروه "أمير الشعراء". عادت شهرته للظهور بعد غياب قرنين كاملين بفضل التيار الرومنسي في القرن التاسع عشر.

١٥٤. غيّوم دو سالوست [Guillaume de Salluste]، المعروف بالسيد دو بارتاس [Du Bartas] (١٥٤٤–١٥٩٠): شاعر فرنسي بروتستانتي ومحارب تحت قيادة الملك هنري الرابع. ينسب شعره الديني المنظّم إلى التيار الباروكي.

١٥٥. في الأصل: الالهية

١٥٦. قام سليمان البستاني بأول ترجمة للإلياذة إلى العربية (القاهرة، سنة ١٩٠٤).

١٥٧. انظر مثلاً ترجمة جبرا ابراهيم جبرا (بيروت، ١٩٦٠).

ونشأت من المهارة في اكتساب الصيت. قال: لما كنت متحفزاً إلى الدخول في المجمع العلمي لفت نظري لودفيك هاليفي إلى رصفائنا [الفضلاء] قائلاً: إن الواجب يقضي أن أرعاهم باحترام زائد، لأنهم كانوا أدعى إلى الإعجاب من غيرهم، إذ كاثروا الجماعة وهم في الحقيقة لا قرائح لهم. قال: إنهم جد أقوياء، جد أقوياء، فإياك وإياهم. نعم يا صاح إن ستاندال[١٥٨] الذي لم يكن على شيء من العبقرية، [و]على جانب عظيم من صفات الملاحظة والحذاقة، [٦] قد ظل خاملاً طول حياته لقلة مهارته، ولضعف [بادٍ] في عشرته، فالمجد يكتب لمن يتطلبونه، ولا أزال أُسائل نفسي كيف استطاعت الوصول إلى ما وصلت إليه وأنا إلى القصور، في استبطان هذه الأمور. ولقد حظني الحظ ببعض الأصحاب فرفعوا من شأن ما كنت أكتب أمثال "كاتول مانديس" و"كوبيه" . وكتب فيّ "لميتر" مقالات نوّه فيها بما أنشأت، فجزت القنطرة الصعبة حتى أصبحت في مأمن من نقد البله المُغرورين. و[أنت إلى هذا] إذا كنت تعتقد أنني اغتررت بفهم المعاصرين لي فقد ضللت ضلالاً بعيداً. إن كتبي وإن عريت من المعاني العظيمة لا تستحق هذا الإقبال عليها، الذي لا يغتبط به إلا طابعها، وهي لا تلابسني إلا بما تحوي في مطاويها من المعاني الباطلة، والاستطرادات التي تتخلل في تضاعيفها وتبدو بين سطورها ...

"ما من أحد فهم أحداً حق الفهم، ومن يفهم كلامهم [فهماً جيداً] في العادة، هم الذين يتحمس الناس للثناء عليهم، وهذا سر المجد المؤلم. وأعني بقولي المجد الذي ناله سوفقلس ودانتي وشكسبير بقوة التسلسل وبدون تمحيص، وأصاب منه إبسين الشاعر النروجي، وإن كان إلى القصور وغير جدير بما بلغه. فهذا هو المجد الذي يرفع الناس به أناساً لم يفهموا ما قالوه وهم يقدسونهم. لأن أولئك العظماء قلّما يقرأ كلامهم، وما تتناقله الأمم بسرور عظيم حقيقي لا شوب فيه هو ما كتبه في الدهر الغابر أناس منذ عهد المصريين مثل ساندريون والبوسة الصغيرة، [١٥٩] والناس يقدرون غير مداجين بعض الكتب المتوسطة الاعتبار، مدفوعين إلى ذلك بما عمّ هذا العصر من التفاهة ...

"وما يدريك أن المقالة الشديدة التي كتبتها على خلاف عادتي في جورج [أونة] قد كان فيها شيء من الحسد، بيد أنه كان ألمعياً مجيداً إن انصفنا، وهو جدير بهذا

---

١٥٨. هنري بايل [Henri Beyle]، المعروف بستاندال [Stendhal] (١٧٨٣-١٨٤٢): كاتب فرنسي رومنسي، صاحب رواية "الأحمر والأسود" . أقام في إيطاليا لمدة عشرين سنة حيث اشتغل قنصلاً وتأثر منها في أدبه. بحث طيلة حياته عن الحب والمجد.

١٥٩. قصتان للكاتب الفرنسي شارل بيرو (١٦٢٨-١٧٠٣) نشرهما سنة ١٦٩٧.

المجد، ولم يكن الغرض العمل [على] الحط منه، فقد كانت القلوب كلها تخفق بالإجماع لما يخفق له قلبه. كان نابهاً متأثلاً وأقل مهارة في صناعته من فوليه، مبجلاً للأدب والمصانعة الاجتماعية، وهو غاية [في] الكمال [مع الناس قاطبة]، كان يعطف على الفضيلة ويشجب الرذيلة، يؤيد حقوق الأشراف والأغنياء والشعب، ويسرّ قراءه ويحسن انتقاء العبارات التي في مكتبهم كلهم أن يكتبوها، وهي ملك دائم لهم جميعاً. وإن العبرات المخلصة لتسيل من مآقي بل على نحور من كنّ يقرأن رواية "لميتر دي فورج" [١٦٠] ولا يجرح هذا الأدب القراء بجديد [٧] يأتيهم به كاتبه، ولا يقلقهم بحقيقة يحملها إليهم، ولا يهينهم بشخصية أحد، ولا يسقطون في كلامه على خشونة الإبداع التي تتعلق بها الإفهام على غير رضى، ولا تسيء إلى الجهل الظاهر، قلّما يهتم الناس بالأقاصيص البشرية التي يقصّها أرباب العقول الكبيرة، ولكنهم يهتمون كل الاهتمام بما يطرز به كثير من [مهرة] الكتاب المسائل العالمية والمالية وحوادث الجنايات حيث تبدو الفضيلة والمال والحرمة الممزقة الإهاب والشهوة المتعذرة أو المحققة الحين بعد الآخر. إن واحداً في العشرة الآلاف من القراء يتأثر لهمليت ويتفهمه، ولكن سكريب يرضى عنه جميع الأذكياء، فلا تصعب الإحاطة بكنهه، بل هو على طرف الثُّمام من كل قلب، وقراءته مدعاة اليسر والسرور.

فقال له روايته: ومع هذا فقد قضيتم على شهرة [أونة] بضرباتكم الدامية. فأجابه: ليس الأمر بقدر ما تقدره فلا تداجيني. وان مات فقد خلفه غيره ممن "دهن بزيت القداسة في زجاجة التفاهة" وهذا الجنس دائم لا يفنى. ثم انتقل إلى الانحطاط العقلي في أوروبا فقال: إذا قلت لك إن العبقرية معدومة فأنا ذاكر لك الماضي، لأن القرائح هي نتيجة التهذيب والثقافة والثمرة المجتناة من القرون البراقة الفائقة، ولكن ما عمّ أوروبا من الجهل والمادية المسلوفة وحب التسلق والتصلف لا يسمح للمرء أن يتكلم في العبقرية الآن وربما كانت الحال كذلك غداً. أصبحت الكتابة صناعة يسهل على الناس تعلمها، لأنها لا تتطلب إلا حِذقاً [ومهارة]، والأديب أو الكاتب هو بمثابة مرآة لعصر يخلده، والعبقرية وهي سرّ الماضي ومنار المستقبل، لا تلبث أن تزول وتضمحل. فالثقافة تتوارى والرغبة في استقصاء كنه الأُمور تنقص، ونحن ننظر إلى القرون الماضية كأنها قرون فنيت، اللهم إلا أن يحدث حدث يضرب العقول ويجدد المواد، فندخل في دور قصير فعلي يشبه دور القرون الوسطى في الأدب والفن."

---

١٦٠. العنوان الأصلي باللغة الفرنسية هو التالي:
OHNET, Georges, *Le maître de forges*, Paris, Ollendorff, 1882.

وعاد فرانس في مكان آخر وكرر هذا المعنى من كره التمجد، وأبان اشمئزازه من الشهرة مخاطباً رجلاً كان يمتدح إليه آخر كتاب له بقوله : إياك والمبالغة، فقد قلت مراراً إن الحظ واتاني بأن عضدني بعض الأصحاب مثل لميتر و كوبيه و مانديس فكتبوا فيّ المقالات ونوّهوا بكتبي، فنبه ذكري بعد خموله وقال : إن أكثر ما كان يشمئز منه رسائل كانت تتوارد عليه وهي لسميه[١٦١] هكتور فرانس،[١٦٢] وكان هذا كاتباً أيضاً يكتب [٨] قصصه فيّ إجرام العبيد، فكانت نفس أناتول تتألم من نسبة الناس إليه أموراً ليست له. حتى قال لأحد أصحابه : إنه يودّ أن ينتحر كما فعل روبنستين المزوّر فقتل نفسه، لكثرة ما وجه الناس إليه من المديح عن القطع الموسيقية التي كان يضعها روبنستين الحقيقي. ثم قال : وإني لأنزل عن هذا المجد كله مقابل قليل من الجمال، إن إهاجة أجسام النساء أفضل من إثارة أفكار الرجال.

ولأناتول مواقف مع النساء وآراء بشأنهن قد لا تروقهن، ونحن قد نستعظم صدور مثل هذه الأقوال من رجل عظيم كهذا : [بيد أننا ننقل] بعض آرائه في هذا الشأن لأنها صورة من مجتمعه، عرضت لخاطره فباح بها بلسانه، وهي أشبه بما يدعوه الأوربيون الأدب المكشوف [أو الواقعي]. وكان للعرب شيء منه يصرحون به من غير نكير. ولكن من أهل المجتمع الحديث من ينكرونه، ويعدونه خروجاً [على] قواعد الأخلاق واللياقة. ورب كلم يقبل في مجلس أو مجمع، ويعدّ من البذاءة أو السلاطة التفوه به في مجلس أو مجتمع آخر. وحرية الغرب اليوم لا تشبه حرية الشرق، ومصطلح أمّة لا يوائم مصطلح أخرى والبشر مهما تكتم لم يبرح بشراً، وإن كان منه من يسرّ ومنه من يعلن.

وقع لأناتول في أحد مجالسه أن غنت فيه فتاة بولونية قطعة لشاعر الطليان دانونزيو فعلت الوجوه مؤثرات دلّت على التبسط في اللذة، وأخذت النفوس بما اهتزّت له طرباً. وحاول أناتول أن يخلو في زاوية من الردهة بالفتاة يكلمها، ولكن صاحبة الدار أبت على أناتول إلا أن يكون حديثه علنياً، وشق عليها أن تراه يخرج عن [روح] الجلسة، فانتحى أناتول جانباً من الغرفة وقال في جملة ما قال : أي أسف أن يودّع المرء شبابه، فإن الإنسان عندما يصبح حقّاً يعرف كيف يحبّ لا يستطيع الحب ولا يكون محبوباً. يجب أن يكون الحبّ من عمل الشيخوخة، هذا ما قلته وأقوله، ولو كنت

١٦١ . الخط المرسوم للكاتب.

١٦٢ . هكتور فرانس (١٨٤٠–١٩٠٨) : كاتب فرنسي شعبي من منطقة اللورين. نشر روايات واقعية غزلية.

أشارك المولى في إرادته، [ لجعلت ] الحبّ [ للإنسان ] في أواخر الحياة لا في مباديها، والخالق تعالى رأى ذلك فجعل من بعض الحشرات ما يحب قبل أن يموت، ثم بدل هذه الطريقة، ولو كان لي من الأمر شيء لخصصت الأعمال والمشاق للإنسان في الوقت الذي يشبه فيه دودة الفراشة حتى إذا وافته الشيخوخة يغدو كالفراشة، وتكون أيامه سعيدة ووقفاً على الحبّ، فإذا قوي ساعده وعلت ثقافته يحسن الحب ومتى كثرت تجاربه يعرف العناق.

[ ٩ ] وذكر في أحد مجالسه أن رجلاً فرنسياً من أهل القرن السابع عشر اشتبه في امرأته [ أنها ] تخدعه ففكر ودبر مراراً، وصح عزمه بعد ذلك على أن يفاتحها بالأمر، ويحمل إليها كأساً من السم يسقيها نصفه ويشرب النصف الآخر ليموتا معاً، فرأت المرأة نفسها بريئة مما نسبه زوجها إليها، ولكنه اضطرها إلى تناول الكأس وقال لها : إنني استدعيت أهلي وأهلك ليشهدوا مصرعنا، وجلبت الكاهن لتعترفي له، وما كادت امرأته تشرب ما ناولها زوجها حتى أتى الكاهن فحلفت له بكل محرجة من الإيمان أنها ما كانت خائنة في زواجها، وأنها إذا غازلت أحدهم أو غازلها فما كان ذلك في غير محرّم، فلما سمع الزوج قولها أيقن أن غيرته كانت في غير محلها، فقفز من سريره الذي كان اضطجع عليه، وقبل زوجه ورضي عنها، وقال لها في الحال : ليس لك أن تخافي فليست الكأس التي شربتها سماً بل هي مادة مرة.

فسأله راويته وكيف شعرت المرأة بالسم وما هو به، فأجابه بأنها توهمت الكأس سماً زعافاً، فإن كل شيء في الوجود وعالم المعنويات عبارة عن أوهام واستهواء، فربّ مريض ينام بحقنة ماء وهو يتوهمها أفيوناً، وكم من امرأة ظنت نفسها حاملاً ولا تزال تعتقد أن في أحشائها ولداً إلى الشهر التاسع حتى يتجلى لها وهمها. وليت شعري أما كان الشهداءُ في العصور الأُولى يحسّون أَن الملائكة تمسح وجوههم وهم يحرقون.

---

[ كان ] أناتول ممن شاكسوا الطبقات المتغلبة على المجتمع فأورثوه ذلاً وصغاراً، [ وكان ] أجمل ما وصف به نفسه وعمله ومنزعه قوله : هنالك حقائق مرة المذاق على الطبقات المتأثلة والحكم الحاضر والمفهوم العام، فمثل هذه الحقائق يجب عرضها على الناس بصورة تدل على عدم الاعتناء، [ إنا ] نكتب للملأ وهم في الواقع القراء، فَلا تُهْتَكنَّ ستر الهيكل بيد خشنة. بل اهتكه تدريجياً واخرقه بثقوب صغيرة خفية وبحجة أنك تريد أن ترقعه. اقطع من هنا ومن هناك خرقاً واعمل منها [ لعب ] صبيان، وسهل على القارئ أن يقيم هو نفسه ما لم ترد أن توضحه له... يظنوني ماجناً

ويقولون عني أحياناً مشعوذاً وأحياناً سفسطائياً... والحقيقة أني قضيت حياتي أُفرق "ديناميتاً" في قصاصات ورق.

[ ١٠ ] وبينا تجد الأمّة الفرنسية تمجد جان دارك وتحتفل لها كل سنة يقول عنها أناتول إنها لو ظهرت هذه الأيام لكان نصيبها السجن أو المستشفى أو وضع الماء البارد على رأسها... [(وقد ألف مجلدين ضخمين في سيرتها)] وبينا تمجد تلك الأمة عبقرية نابليون تراه لا يصفه هو بما يخرج عن وصف المؤرخ المنصف ولا ينسب إليه شيئاً من الأعمال ولاسيما العلمية، كمجموعة قوانينه المدنية، [يقول] إنها من صنع من كانوا حول نابليون ومن عمل غاشيته. وسُئل مرة عن غمبتا[١٦٣] خطيب فرنسا فقال فيه : قد هاجم فرنسا بسيل من جمله الفارغة، ولقد كان [أبداً] مهذاراً عظيماً، وما أثر عنه أنه قرأ كتاباً، لأنه لو قرأ لمنعته قراءته عن الكلام.

وذكرت في مجالسه مسألة دريفوس ومدح كليمانسو وجرى ذكر فيكتوريا ملكة الإنكليز. فقال هرفيو وكان في المجلس : إن عهد الملكة فيكتوريا يعد من حيث السياسة والأدب من أحسن العهود، فهو حريّ بأن يشبه عهد الملكة أليصابات،[١٦٤] وإن عهود النساء كزنوبيا و أليصابات وماريتريز وفيكتوريا وغيرهن قد كانت بالنسبة لعهود الملوك أكثر تعقلاً، وإن عدد الملكات اللائي كانت عهودهن ممجدة كثير. فقال فرانس : النسبة معروفة لا تنافر فيها، وهلا أدركت شرح ذلك من نفسك يا عزيزي هريفو، فإن النساء والنديمات على عهد الملوك هن الحاكمات فتجري الأمور على طريق وسط. ويكون عهد الملكات أكثر مجداً لأن الرجال يصبحون فيه أصحاب الشأن فيكون العشاق والمستشارون هم الحاكمون، فافهم ذلك وفقت إلى الخير. فضحك هرفيو من هذا الجواب.

[حطّ] فرانس ذات يوم من قدر العلوم ولا سيما من بعضها كعلم الجنايات (Criminalogie)،[١٦٥] الذي وضعه لومبروزو الإيطالي مدعياً أن المجرمين يعرفون بسيماهم في الماضي والحاضر والمستقبل وقال إنه شهد بعض القضايا المهمة من الجنايات

---

١٦٣ . ليون غامبيتا [Léon Gambetta] (١٨٣٨-١٨٨٢): رجل سياسي فرنسي من التيار الجمهوري اليساري، عارض الإمبراطورية ولعب دوراً هاماً في تأسيس الجمهورية الثالثة من خلال إقرار القوانين الدستورية سنة ١٨٧٥ . ظلّ يعارض الملكيين في مجلس الشعب إلى أن أصبح رئيسه سنة ١٨٧٩ وعين رئيس الوزراء لمدة قصيرة سنة ١٨٨١

١٦٤ . أليصابات الأولى (١٥٣٣-١٦٠٣): ملكة إنجلترا (١٥٥٨-١٦٠٣)؛ في عهدها تطوّرت الحضارة الإنجليزية تطوّراً هائلاً من الناحية الاقتصادية ومن الناحية الأدبية والفكرية.

١٦٥ . المصطلح الصحيح في اللغة الفرنسية هو : criminologie

في المحاكم، فكانت الحياة على الأكثر من جمال الوجوه على جانب، ومن الدعة ما يشبه دعة الحملان، ومن الهشاشة والبشاشة ما هو موضع الإعجاب. وقال: إن الفرص تخلق اللصوص، ثم التربية، ثم جناية المجتمع على بنيه. وقال إنه هو نفسه كان وجهه غير متناسب الأعضاء، وإن سقراط كان مشوه الوجه أيضاً، وهو ما كان جانياً وكذالك الفيلسوف اليوناني، وإن ما يأتيه المجرمون قد يأتيه بعضهم بسائق عرضي [طارئ].

[١١] ورأى العالم أشبه بما يصنعه الفاخوري من الأوعية والأواني وقال: إن منها ما لا يصلح لشيء بل يلقى كما تلقى القمامات للأسمدة، وإن على الأرض قلائل جداً من المخلوقات الحية وما عداها دويبات موقتة لا تعرف نفسها أنها تعيش، ولا تعيش إلا على صور مضحكة، وعليهم يطير كثير من الطيور الغريبة، ومن هذه الطيور هي أوهامهم، وإن سماء البشر مغشاة برفرفة الأوهام، فإن أوهامنا مؤلفة من كل ضرب من ضروب الألوان، من الضاحكة كالندى وصوت العندليب إلى الألوان القاتمة كالظلمات والحزن، فإذا جمعت أجنحتها طرفاً إلى طرف يظلم العالم من أوهام البشر. أما من يحيون حياة حقيقية وهم الذين يفكرون في ملكوت السموات والأرض، ممن تجردت عقيدتهم عن الأوهام إلا قليلاً، ونظروا إلى السماء مجردة فإنهم قلائل يعدون على الأصابع.

وقال مرة يعجب الناس بسعة اطلاعي وأما أنا فما عدت أريد أن أكون واسع الاطلاع إلا في مسائل الحب فالحب قد أصبح اليوم مبحثي الوحيد الخاص، وعلى الحب أريد أن أحبس ما بقي من حرارة قريبة الخمود. ولا أراني ملياً بنص كل ما يقذف في روعي من هذا الموضوع. فروح الطهر والصيانة أصبحت غالبة على آداب الدرس. إن المرأة صارت عندي كتاباً يقرأ وليست كتاباً مفسداً كما قلت لك. ولا بد لكثير التصفح فيه أن يسقط على موضع منه يجد فيه مكافأته على أتعابه. فأنا أتصفح وأتصفح كثيراً يا حبيبي. ومتى أظفرني الله بمخلوقة من مخلوقات الله فإنني أطالع هذا الكتاب البديع سطراً فسطراً ولا أجوز منه نقطة ولا شكلة وقد أضيع فيه أحياناً نظاراتي.

ويرى أناتول أن البدع تؤيد الشريعة وكان يقول: [ليس هناك] محصنون وإنما [هناك] مراؤن و[هناك من سلبت عقولهم وهناك] مرضى و[هناك] مجانين. أعلم أنه بدون شهوة لا يوجد شعور وبقدر ما نكون شهوانيين [نصبح] أذكياء وأحسن فصول الحياة هو فصل اللذّات. فالحكيم من يجتهد في إطالة هذا الفصل. بعض الناس

يسخرون من الشيخ الذي يعشق، فيا للحماقة البالغة. أما أنا فأقلب قضية ديكارت [و]أقول أُحب إذاً أنا موجود،[١٦٦] ما عدت أُحب ما عدت إذاً في الحياة شيئاً.

وتكلم في أحد مجالسه متصنعاً في يأسه فقال: إن الاشتراكية متعذر تحقيقها، [١٢] فكونوا على بينة من أمركم، [و]إن التقاليد المالية "الرأسمالية" التي تشرف الثروة هي في الغاية من السلطان ويستحيل علينا أن نغلبها. والفقراء أنفسهم يحترمون هذه التقاليد أشد من احترام الأغنياء لها. انظروا ما حدث لي فإن منازعي وأفكاري اشتراكية، ولكن أي فائدة من ذلك ما دام كل من يحيطون بي معارضين لي في هذه السبيل، فقد جاءني منذ مدة نجار يرتب خزانة كتبي، [فحاول] أن يضع المجلدات ذات التجليد النفيس في مكان تأخذه العين، وأن يخفي المجلدات التي كان جلدها ساذجاً في داخل الخزانة على الحائط، له الويل أنه يخجل من الكتب الفقيرة [!] وكذلك حال الوصيفة فإنها تلقي في الحال في سلة سقط المتاع كل كتاب مخرّق حاكمة عليه بمنظره، حتى أن كلبي أو كلب مدام كاليافيه في الباب ليَعوي في وجوه الفقراء ويريد أن يمزق بأسنانه كل من لا تكون بزتهم حسنة. فكيف والحالة هذه تتوطد أركان الاشتراكية. ولقد أراد تولستوي ـ الفيلسوف الروسي ـ أن يعيش بحسب قواعد الإنجيل أي عيشة اشتراكية فلم يسعه إلا الفرار من داره. [و]المرء متى ملك داراً أو كلباً وكان له أناس من حوله يصبح مالكاً فيشعر بالقوة التي تأتيه من [المواضعات] الرأسمالية. وثقوا بأن روتشيلد متفوق علينا أبداً هو آخذ بعنان الأموال، وجالس على عرش الماضي، وحالته متأصلة وأي تأصل بعادات ألوف من السنين، لم يكن [خلالها] غير الحرمة للغنيمة المستحصلة، على حين ترانا نحن لا نقف على غير أرجلنا صعاليك ولا مال لنا، ورأس مالنا بعض مقالات في الصحف، وبعض أوهام معششة في رؤوسنا، فالمنافسة بيننا وبينهم ليست على أتمها. على أننا لا يجب أن نفقد قوتنا، وربما كتب لنا النصر يوماً، والغمامة تكون بحجم منديل الجيب تنشر العاصفة، وشيعة قليلة من المجانين صدرت منها النصرانية القادرة (ا هـ).

وقال أنا لا أرجو أن تكون الغلبة الدائمة للاشتراكية في عهدنا، فالاشتراكيون كثير عددهم، على حين يؤلف أرباب رؤوس الأموال أقلية صغيرة، وبذلك كانت قوتهم، [لأن في مكنتهم] أن يحسنوا البحث أكثر من الاشتراكيين وكان من الطبيعي أن يقل فيهم البله المعجزون، ويستطيعون أن ينفذوا خططهم في الخفاء وبدون ظهور وضجة وبشيء من الصبر. ثم إن المثلاء يدافعون عن حوزتهم وأموالهم

---

١٦٦. وهي بالأصل: "أفكّر إذاً أنا موجود"

[فهم] يستميتون في دفاعهم، وعلى هذا يكونون إلى التماسك وتكون صفوفهم متراصة، على حين [١٣] لا يفادي صعاليك الاشتراكيين إلا بما لا يملكون، ولهذا ينقصهم النظام، ولا يحفلون بما يأتون. هم يدافعون بصدورهم، وبأوهام ومقالات في الصحف، وبآمال لهم في المستقبل أما خصومهم فيدافعون بسندات على المصارف وبأسهم مالية وببيوت وحلي وصاحبات وسيارات. فحماسة الصعاليك ظاهرة. وعبثاً تزداد وتحدث ضجة الخ.

وذكَّرته صديقته بمشهد من الأصحاب بقصة الغني الخجول فقال: وهل في العالم غني خجول، الخجل من شأن الفقراء، لأن الأغنياء سلبوهم نعمتهم، ومع هذا يلجؤون إليهم كأنما يلجؤون [١٦٧] إلى خالقهم والأغنياءُ لا يخجلون، فهم لا عمل لهم، يطفحون سكراً بالخمور، وتكتظ معدهم بالمآكل، ثم تحدثهم أنفسهم أن يستولوا على كل ما فيه الجمال، ويقتنون بدائع الصنائع، وكان من حقها أن تكون وقفاً على الناس، وهم لا يعطون شيئاً لمن هم الأصل في غناهم، وأرى أنه كان عليهم أن يخجلوا، [لما] يتجسد فيهم [من] الظلم وقلة المساواة وشرور المجتمع الإنساني [عامة]. ثم قال: كان رجل إنكليزي اسمه ديلي أعجوبة في أطواره، وذلك قبل عهد الملكة فيكتوريا لا يحلم ليله ونهاره إلا في إغاثة المحاويج ويرقب الفقراء في غدوه ورواحه. ولا يستمع إلا لأصوات البائسين، ولا يهتم إلا لأرباب الأحذية البالية والألبسة الممزقة والسحنات الجائعة، فيعطي ويطبّ ويغيث. فبصر ليلة برجلين يتكلمان في [بعض] المنعطفات، فأنصت إلى حديثهما، وكان فحواه أن أحدهما يحتاج إلى مائتي جنيه وأنه إذا خانه السعد ولم يسدد بهما ديونه يفلس لا محالة، ويكون مصيره الانتحار غرقاً، وقال له صاحبه إنه من المستحيل أن يحرز هذا المبلغ، فأجابه المحتاج ليس إلا ديلي هو الذي يمكنه أن [ينجدني] بالمال المطلوب، فاقترب منهما ديلي وقال إنني سمعت حديثكما. وأنا أعرف ديلي شخصياً، ولكن أريد [ألا] يذهب عنكما أن في المدينة أناساً كثيرين على شاكلة ديلي يحبون عمل الخير، [فإني] أعدكما إلى المقهى الفلاني غداً لإعطاء المحتاج مائتي جنيه على أن لا يفوتكما أن الخير في الناس عندنا لا ينقطع. وهكذا كان.

[١٤] كانت مجالس أناتول تغص [بكبريات النساء] عقائل وأوانس، وسادات مشهورين من رجال السياسة إلى الأدب إلى رجال الفن إلى الصحافة والطباعة إلى الشعراء والشاعرات والكتاب والكاتبات إلى المشتغلين بالمشرقيات، وكانت هذه

---

١٦٧. في الأصل: يلجأون

الطبقة ملازمة له كل أربعاء، ومنها من يتناول الطعام على مائدته، ومن جملة من كان يغشى مجلسه المفيد جوريس وطومسون وكليمانسو وبريان ولوتي وسوللي برودوم وريجان ولويي فوللر وهالفي وبريال، ولم ينقطع عن مجلسه سوى لميتر وباريس وموریاس وكوبيه لأنه تطوع في قضية دريفوس فأصبح في نفوسهم شيء منه، ومع هذا كان يجعل لكرام العقائل والغادات الفاتنات نصيباً من الكلام وربما فاه أمامهن بأمور قد تستنكرها العادة والعرف.

[ حضرت مجلسه غادة دعجاء في الثلاثين من عمرها من أصل أميركا الوسطى، وكانت ألفت الحضور إليه، وهي تمت إلى الآداب بصلة، وأناتول يشجعها على ما أخذت نفسها به. فذكرت له أن شاباً بالأمس خلا بها وخرج عن حد الأدب معها، وألحّ في نيل شيء منها، فقال لها : ولماذا لا تتركي لنساء العالم القديم هذه الأوهام وهذه الأغلاط ؟ وليت شعري أي حرمة تقدم الجمال أكثر من الرغبة فيه. ولماذا تنكر بي على الشاب تشبثه، وتعديه ما حاوله أمراً نابياً عن اللياقة. وإني أقص عليك ما قالته عقيلة عظيمة من عقائل أسبانيا، كانت امرأة أميرة عاشت قبل مئتي سنة، وكان لها على ما أرى من الذكاء الصحيح والرأي الصائب ما ليس لنا قبله في تصور الحب والغرام. قالت لإحدى صُويحباتها إن رجلاً يكتب له الحظ أن يخلو بها ولا ينقض على جسمها في الحال تعدُّ ذلك منه إهانة، ولا تتأخر عن طعنه بخنجر. ومن الأسف أن وصيفتها كانت ملازمة لها على الدوام بحيث لا يفسح المجال لأن يحترم جمالها على الصورة التي تختارها وتراها لائقة بها. وأنت يا سيدتي لماذا تتعجلين الحرمة لك فإن هذا الاحترام الذي تودين أن تستمتعي به الآن سيكون لك بعد مئة سنة، وإن جمالاً كجمالك يدوم على الأقل مئة سنة فإذا انقضت هذه الأيام يبالغ الناس بعدها في احترامك وعند ذلك تشعرين بمرارة هذا الاحترام. أما الآن فدعي الناس وما يرغبون منك لأنك لم تُخلقي إلا لذلك. وإذا رأيت الشبان يجنّون بالنظر إليك فارحمي جنونهم. وهل أنت من السذاجة بحيث تعتقدين أن الطبيعة خصتك بهذه العيون التي تقدح شرراً، وهذه الجبهة الفتانة التي تفيض نوراً، وهذا المبسم الذي يشير إلى القبلات الطيارة، قد خلقتك على هذه الصورة لتجعلك موضع الاحترام.

فنظرت إليه السيدة الأميركية مدهوشة ثم أغرمت في الضحك وقالت : لو كنت متزوجاً ما كنت تريد فيما أحسب أن تحترم امرأتك على هذه الصورة فقال : نعم لو كنت متزوجاً ما كنت أكثر توحشاً من بطرس الأكبر، ومن العقل ألا يكون المرء قيصرياً

أكثر من إمبراطور روسيا بأسرها. أتعلمون ماذا كان من بطرس الأكبر[١٦٨] في مثل هذه الحال؟ كان يوماً في مجلس أنس مع أحد خاصمته فأراد أن يبعث رسالة معجلة إلى القيصرة وهي الغانية كاترينا الأولى[١٦٩] فكرع مع السفير أقداحاً من الشراب يقاوم بها برودة الجو ثم أقبل يعدو على حصانه. وبلغ القصر فنادى أنه يحمل رسالة من القيصر إلى القيصرة فأدخلوه إلى غرفتها. وكانت القيصرة أوت إلى فراشها وكان من الشراب الذي احتساه السفير ومن الدفء الذي أحسّ به في القصر، ومن الطيوب التي تشم في مساكن النساء، وما رآه من جسمها الذي خلق للحب، وهي على حالتها من التبذل ولبسة المتفضل أن نسي المهمة التي جاء من أجلها، بل نسي الدنيا وما فيها، وهل هو إلا إنسان صار إلى حضرة امرأة مستلقية فاقترب منها في الحال وقبل أن تصرخ أو تقاوم كان قد تم كل شيء. أتدرون ماذا كان من القيصر لما بلغته هذه الواقعة؟ قال: إن هذا أمر طبيعي وإن من يشاهد كاترينا حقّ له أن يحبها ولو كنت في محل السفير لأتيت ما أتى. ثم إن القيصر حبس سفيره أشهراً انتقاماً منه في الصورة الظاهرة وبعد ذلك أطلق سراحه وأعاده إلى منزلته السابقة. وما كان هذا إلا لأن القيصر كان على مثل اليقين أن جسم المرأة لا تلمعه إلا القبلات وأن الفم كما يقول بوكاس[١٧٠] يتجدد كالقمر بفعل الدلال. ولذا كان عليك أيتها العقيلة أن تكوني إلى الإنسانية ولا تخافي من الإهانات اللهم إلا ما كان إهانة السنين من سائر الإهانات ثم تلطف وتناول يدها بكفه وقربها من شفتيه كالأول وقبلها تقبيل عبادة وإخلاص.

وقص يوماً على أصحابه قصة قال إنه سمعها من فم رنان الفيلسوف وخلاصتها أن هذا كان يطوف في بستان فأُخبر أن راهبة في أحد الأديار ترقي المجانين ومن بهم مسّ من الشيطان فأراد أصحابه على أن يدخلوه عليها فأدخلوه على أنه ممسوس فكان من عجائبها أنها أراجته في الحال ورقته حتى ذهب ما به وشم منها ولا سيما من وسطها

---

١٦٨. بطرس الأكبر (١٦٧٢–١٧٢٥): إمبراطور (أي "تسار") روسيا (١٦٨٢–١٧٢٥)؛ حارب مع شارل الثاني عشر ملك السويد (١٦٩٧–١٧١٨) بين سنتي ١٦٩٩ و ١٧٠٩ وأسّس مدينة سان بطرسبرج على ضفة بحر البلطيق، التي أصبحت عاصمة روسيا سنة ١٧١٥.

١٦٩. كاترينا الأولى (١٦٨٤–١٧٢٧): كانت عشيقة بطرس الأكبر وأصبحت زوجته في الخفاء سنة ١٧٠٧ ثم في العلن سنة ١٧١٢. وبعد وفاة زوجها، أصبحت إمبراطورة روسيا (١٧٢٥–١٧٢٧). قامت خلال حكمها القصير بافتتاح المجمع العلمي بسان بترسبورج.

١٧٠. جيوفاني بوكاسيو [Giovanni Boccaccio]، المعروف ببوكاس [Boccace] (١٣١٣–١٣٧٥): كاتب وشاعر إيطالي، عاش في نابولي وفلورانس. من أهم مؤلفاته "الديكاميرون" (١٣٤٩–١٣٥٣) وهي مجموعة قصص قصيرة هزلية.

رائحة زكية أشعرته وقال إنها كانت من الجمال على جانب وإن روح القدس تزورها. قال وبعد مدة مررت بديرها فرأيته خراباً، وتبين أن الروائح العطرية كانت تأتي الراهبة من مجرى أرضي.] [171]

تكلم مرة على البكارة في العوانس وهزأ بها ضمناً، وقال [كيف يطلب من] الفتاة إذا بلغت الثلاثين وهي بهذا الاختلاط أن تحتفظ بعفتها الخ. وذكر في مجلسه ذات يوم أن فتاة خطبت وانتظرت خطيبها مدة الحرب أربع سنين لم [يسمع لها صوت خلال ذلك]، وقالوا إن من كانت على هذه الصورة لا بد أن تحفظ العهود الزوجية، فقص أناتول قصة شاب إنكليزي [غني] من أصحاب الأطوار الغريبة. قال إنه خطب فتاة وكان غيوراً جداً وادعى ليلة البناء [بها] أنه طُلب إلى مكان بعيد وأن شرفه يقضي عليه بالإسراع. فزوّد خطيبته مالاً تعيش به [وأخذ يضرب] في الأرض خمس سنين، ثم جاء لندرا وعاد ثانية [بعد مدة]، ثم [رجع] إلى بلده واكترى دكاناً في حي خطيبته وأخذ يستقري أخبارها، فعرف أنها صابرة على الفراق تنتظر أوبته، وأنه دخل عليها الدار بعد مدة وقد علاه المشيب وقال إنه وإن أضاع كثيراً من السنين في البعاد إلا أنه يرجو [١٥] أن يعيش في السنين الباقية له [سعوداً]. قال أناتول : إن هذا الرجل بعد التجربة الطويلة يكون من حظه أن لا تخونه زوجته، إما أن يكون على ثقة من ذلك فليست موضوع بحث.

كان [أناتول] عجباً في نقده المجمع العلمي الباريزي، يصف أعضاءه [بالرجعية]، وأنهم يؤلفون دولة في وسط دولة، وأنهم يتألفون رجال السياسة بلباقة. ولا يعنون بالإنشاء والتأليف وأنهم أعداء الحكم الجمهوري، وهم يسكنون في قصر من قصور الأمّة، ويتمتعون بامتيازات طيبة، و[تغدق] الوصايا على مجمعهم من كل صوب وحدب، فهم أغنياء لا تخضع موازنتهم لمراقبة الدولة، وينفقون الأموال والجوائز على الجمعيات الدينية وعلى الناقمين وأرباب الثقافة التافهة، والمجمع آلة فساد أدبي لغوي، وأشهر ساسة فرنسا يقدمون على أنواع الدناءات والسفاسف لينالوا شرف الدخول فيه.

وسألته امرأة أميركية لها صلات كثيرة بالماليين ـ وكان يهزأ بها في باطنه، فإذا غشيت مجلسه يسألها عن أسهم شركات الذهب وعن أسعار الأوراق المالية والسندات ـ قائلة إنني لم أذهب قط إلى المجمع العلمي فما تصنعون هناك إذا اجتمعتم. وكان

---

١٧١ . هذا المقطع لحاشية طويلة بخط اليد أضافها الكاتب على جانب الصفحة وعلى ظهرها تحت الرقمي ٥٥٥ و ٩٩٩.

[أناتول] منقطعاً عن المجمع منذ مدة، فتلقى كلماتها بدهشة وأجاب بقوله : إننا أيتها العقيلة نخوض في الموضوعات السامية، ونحاول أيضاً أن نحل المسألة التي طالما ذهبت فيها الآراء مذاهبها، وأعني بها خلود الروح، وأحياناً نلقي نظرات وتأملات في الجمال على ما عرفه أفلاطون، فنحن أبداً في نظام غير مادي، نبحث فيما وراء المادة، وحديثنا في السموات العلى. فدهشت السيدة لمقاله، وأعجبت بهذه الجلسات التي يجلسها رجال المجمع، فعاد هو وعقب على قوله : لا يا سيدتي ليست جلسات المجمع على شيء من الجمال، فلا تصدقي شيئاً من ذلك، فإنا في الحقيقة نتكلم قليلاً ونظل سكوتاً هناك وكثيراً ما نشعر بالبرد لعدم التدفئة في قاعات المجمع. ولما كانت جمرتنا من الشيوخ [فالكآبة تعلو وجوها] فإنا هناك نحمل معنا أحقادنا وهمومنا القاسية، ونحن مخلوقات على صغرنا أي نحن أناس يقل فينا الذكاء، فجلسات المجمع العلمي موحشة لا تخلو من رقاعة.

وقال مرة إنه لم ينتفع من لقب المجمع العلمي إلا يوماً واحداً وذاك أنه كان مع فتاة في مكان لا تسوغه القوانين العامة فجاء الشرطي فلما اقترب منه، أخرج [أناتول] من جيبه [١٦] بطاقته وشفعها بريال ودفعها له، فسلم الشرطي تسليم إجلال، وقال : ولكن يا سيدي إن فسطان السيدة أحمر وهو يبدو عن بعد كأنه عَلَم فقال : لا بأس. فإن الفسطان سيرفع عما قريب. وهذا من غرائب [أناتول] ويستدل من كثير من وقائعه أنه كان يعبث بمصطلحات المجتمعات ويضحك من القوانين والعادات وتغلب عليه أمور الحس.

[أطلق أناتول لنفس العناية في مجالسه وفي أواخر أيامه خاصة. روى ذات يوم بالمناسبة أن البندقية وإيطاليا كانتا ميداناً للغرام، وأن امرأة إيطالية من طبقة الأشراف اسمها غاستالا[١٧٢] أشار عليها أحد رهبان الكبوشيين أن تنشئ أخوية يقضي على الداخلين فيها أن يتغلبوا على شهواتهم الجسدية، ويمتحنون لذلك بأن يجعل الداخل مع فتاة جميلة عريانة ويأويان إلى فراش واحد ليلة بطولها، على ألا يفصل الرجل عن الفتاة شيء غير الصليب. فيبيت من تطيب نفسه لتكثير سفراء تلك الرهبنة يلمس به من الفتاة وينظر إليها زاهداً فيها وبما حوى جسمها من المحاسن الشهية

---

١٧٢. هي لويز تورلّي [Louise Torelli]، كونتيس دي غواستالا [comtesse de Guastalla] (١٥٠٠–١٥٥٩ أو ١٥٦٩) : سيدة أرستقراطية إيطالية أسست عدة رهبانيات في ميلانو وجوارها، من بينها رهبانية "الأنجيليكيات" سنة ١٥٣٢ التي ظلّت تعمل بالمشاركة مع أخوية "البارنابيت" حتى سنة ١٥٥٧، حيث قرّر البابا بولس الرابع وضعها في أديرة منعزلة.

الشيطانية. بيد أن هؤلاء الرهبان لم يطل أمرهم كثيراً. فولد لمن قاسوا هذه المحنة بعد أشهر معدودة من الليلة التي قضوها، وأخذت حكومته تضطهدهم وألغت الرهبنة. قال : من الصعب مقاومة الفتنة فقد كان للقديس أنطونيوس صلة بالنساء، ولكنهن كن ينقلبن إلى كبريت ودخان إذا حاول لمسهن، فالخطب في ذلك كان سهلاً أما شيطانات غاستالا فكن من لحم وعظم فتعذر أن يرقيهن الصليب وأن يتغلبن على شهواتهن وهن يجتمعن إلى إنسان وقد غاب الرقيب ]. [١٧٣]

تكلم يوماً على الشاعر فقال إنه أكبر من ملك، وهو رب في الأرباب فإن قريحته توليه سلام القلب وأفراح الفكر، فهو [من] دون أن ينقلب من سريره يكتشف مثل خريستوف كولمبس قارات جديدة، وبدون أن يتحرك يفتح مثل شارلمان بلاد الأمم الأصلية الأربع، ومن دون أن يبتعد عن منضدته يحب جميع النساء مثل دون خوان. فالناس من أجله يكشفون الجمال، وينفذون المشاريع العظيمة، وهو الذي يرى أن هيلانة فتانة وكليوباترا ملولة، وهو يلتقط جميع الحركات، ويرى جميع ضروب الحياة، ويستمتع بكل ما في العالم من سرور وهو من القدرة على التصرف بحيث يجمع الكلمات ولكنه يبدد صورة العالم.

وقال مرة أثناء كلامه على فيني الشاعر: [١٧٤] ما من أحد يتلو شعره ولكن الناس كلهم يعرفون اسمه، وهذا المجد خاص بالشعراء عامة فهم أداة تعين العشاق على الحب وهم سماسرة من الطراز الأول، والناس اليوم يحبون قليلاً، يتلاقون ويتضامون ولكنهم قلما يحبون ولذلك تخلوا عن تلاوة أقوال الشعراء. وأي امرأة تستطيع اليوم أن تكرر كلمة شقيقة شاتو بريان وهي تحتضر قلقة أمام الراهب بقولها : آه أيها الأب ماذا أقول للمولى إذا مثلت أمامه وأنا لا أعرف غير أبيات من الشعر. أي أنها كانت تحاذر أن تلقى الله وهي لم تتعلم غير الغزل.

---

كان أناتول خلال الحرب العامة يلتزم الصمت ولا يجاهر بأفكاره بعد أن رأى [اغتيال] صديقه جوريس، بل كان كثيراً ما يصانع القائمين بالحرب ويمتدحهم ويثني على أعمالهم. وقد رأى ذات يوم فتاة لصديقه وراويته تحمل إليه [طاقة] زهر فتذكر

١٧٣ . هذا المقطع بخط اليد أضافه الكاتب على هامش الصفحة تحت الرقم ٧٧٧ .

١٧٤ . الكونت ألفريد دي فيني [Alfred de Vigny] ( ١٧٩٧-١٨٦٣ ): شاعر وكاتب مسرحي وروائي فرنسي، يعبر في أعماله عن تشاؤمه بأسلوب فلسفي ويركز فيها على مسألة القدر

قصة وقال : هل في وسع الفتيان والفتيات أن يقضوا يا ترى بتأثيراتهم على الحرب، فقد حدث في الحرب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت أن الهوسيين في فاجعة كوتزبو [١٧٥] [١٧] ضاق خناقهم من محاصريهم، فأرسلوا ذات يوم أولادهم ذكوراً وإناثاً من سن السادسة إلى الثانية عشرة يحملون أغصان الزيتون، فدهش المحاصرون من هذا المشهد، وكفوا عن الطعن بحرابهم ونشابهم، وتصالح الإخوان المتقاتلون على الدين، وكان ذلك أول مرة تغلبت فيها الشفقة على القسوة. وقال : إن عصر الهوسيين كان متوحشاً، ونحن ارتقينا منذ ذلك العهد، ولا نستطيع أن نتصور اليوم أن جيشاً من الأطفال ذاهباً إلى الألمان، فإنهم قبل أن يلمحهم العدو تكون المدافع قد أتت عليهم بحملتهم، وإذا ساغ تحريك عواطف الجندي القديم فهل في المكنة تحريك عواطف السياسيين وأرباب الأموال، فنحن قد تمدنا ولذلك ليس للعواطف سلطان علينا.

حدث راويته قال : إن أناتول كان ذات يوم يمتدح الماضي بفصاحة زائدة وإنه كثيراً ما كان يحب المتناقضات ويوردها مختاراً قال أصبحنا بارتقائنا أقل صبراً من أجدادنا وأقل قابلية لتحمل المكاره، فإن المدينة لا تساعد على توسيع الأمل، وتحمل الشدائد، لأنها تظهر الحقيقة على علاتها، ولذا يذهب بي الفكر إلى الأسف على الماضي، وعلى الرغم مما تم من المخترعات والمظاهر والمعارف المنوعة، وعلى الرغم مما اخترع من الطيارات والغواصات والأسلاك البرقية، لا أرى أننا بلغنا من حيث المعنويات ما بلغه أجدادنا. فقد كان للمجتمعات قديماً شراب مسحور عجب في إسكاره، وبلاسم مؤثرة تعينها على الاحتمال. ولم يكن الأمل والحرية قد أفقرت منهما الأرض، وكان آباؤنا يعترفون مثلنا أن الحياة ممزوجة بآلام، بيد أنهم كانوا يرون أنه لا بد أن يعقبها سرور دائم، فكان الشر في نظرهم كظل صورة جميلة ملئت بالمنازع، والألم شارة اصطفاء، والموت ممر إلى النور، وكانوا على ثقة إذا رفعوا عيونهم خلال صلواتهم أن عيوناً أخرى تأتيهم من السماء فتقابلهم. وأي عزاء للنفس أحسن من الاعتقاد بأن صوتاً إلهياً

١٧٥. ليست فاجعة بل دراما كتبها أوغست فون كوتزبو [August von Kotzebue] (١٧٦١-١٨١٩) وهو كاتب مسرحي ألماني وكان مدير مسارح فينا وفايمر وسان بترسبورغ. يروي قصة تلك المعركة التي جرت أثناء حروب الهوسيين (بين سنتي ١٤١٩ و ١٤٣٦) في مسرحيته المشهورة "بُغض البشر وندم" [Menschenhass und Reue] (نشرت سنة ١٧٨٩). والكنيسة الهوسية مذهب مسيحي إصلاحي انشق عن الكنيسة الكاثوليكية، أسّسها يان هوس [Jan Hus] (١٣٧٠-١٤١٥) سنة ١٤٠٢ واتهم بالهرطقة فقتل سنة ١٤١٥، ولكن أنصاره نجحوا في تطبيق عقيدتهم في مملكة بهيميا حتى بروز البروتستانتية في منتصف القرن السادس عشر.

ينادينا يوم الحشر في قبورنا، ويتجلى لنا تعالى ولو ليعاقبنا بما جنينا. وأحب أيضاً أن أعتقد أن الأرض خلقت خلقة إسمية وأنها متصلة بالسماء كل الاتصال وذلك بطائفة من الملائكة أو وسطاء الشياطين وأنها في وسط الوجود... ولكم كانت الأوهام عذبة في مذاق من يعانون المصائب، ونحن نعلم الآن أن هذه الكرة الأرضية ليست سوى نقطة من الطين في محيط غير متناه مما يتألف منه العدم. نعرف هذا ونعرف أن الإنسان ليس من العوالم [ ١٨ ] المختارة، بل هو درجة من السلم الكبيرة في العوالم.... ولم يبلغ الإنسان من النظام مبلغاً يؤهله إلى فهم الحقيقة ولا يرى ولن يرى أبداً شيئاً من الحق فهو مخدوع وسينخدع على الدوام. وأوصله ذكاؤه إلى معرفة الفناء، وهو في الواقع ذكاء محدود لا يطلعه على شيء اللهم إلا على أوهام الحواس.

"بقيت مسألة الوجدان فإنها ما زالت منذ عهد ( كانت ) الفيلسوف موضع نظر الفلاسفة الملحدين، يدعون أن صوته يسمع فينا، وهو يملي علينا واجباتنا، وينادينا حيّ على المعنويات، ويدعونا إلى أن لا نعمل بالغير ما لا نريد أن يعمله معنا. وهكذا فإنا نشاهد الفيلسوف رنان مثلاً يريد الاحتفاظ بمظهر المقصد الأسمى، فبعد أن أنكر وجود أدنى أثر للإرادة الإلهية في العالم صادق على فكرة الوجدان الذي يستلزم فكرة وجود الإله تعالى. وهذا يذكرني ببعض الفلكيين الذين ظلوا على نصرانيتهم يقومون بما تفرضه عليهم ويؤكدون أنه اقتضى للنور مليون من السنين حتى وصل إلينا، وأن الشمس ونظامها تسيران في اللانهاية منذ مليارات من القرون، ومع هذا فإنهم لم يبرحوا يعبدون الأكاذيب التي أتى بها ذاك الشيخ اليهودي الذي زعم أن الأرض خلقها في سبعة أيام ويؤكد أنه أدار الشمس حول الأرض وأن أصل الخليقة لا يرد إلى أكثر من سبعة آلاف سنة.

وقال يوماً : الناس في غفلة عن أن العالم ينقض ويتداعى فهم لا ينظرون إلى ما يحدث مع أن الحالة بادية محسوسة فالعالم بل وكل عالم لا يعيش إذا لم يجعل الكمال له غاية الغايات، بيد أن المقصد الأسمى على ما يظهر آخذ بالنفاد، مشرف على الانتهاء. وما من أمر يأخذ بيدنا، وما تمدننا المرائي سوى ركام من المظالم آخذ بالخراب، فقد كان الناس فيما مضى يعيشون بالمعتقدات والرجولية والذكاء، فكان عيشهم وحشياً، ولكنهم يعيشون بقوة ونشاط. ولا يعيش الناس اليوم إلا بالمال، وكل أمانينا منصرفة إلى الاستمتاع. كانت الكلمات المحبوبة التي تتعالى في القرون الوسطى عبارة عن تأليف الأغاني وعن الابتعاد عن الاختلاط. وأقصى غاياتنا اليوم أن نبلغ ما نريد وأن نخادع ونخدع وأن نضارب ونضرب ولا شيء يكبح من جماحنا. والناس

لا يحسنون التفكير ولا يجيدون الكتابة. وما خلا هذه البلاغة السياسية التي هي فن الغش بالألفاظ وصوغ الوعود بدون [تحقيقها]، وإلقاء البارود في العيون، والاختفاء وراء حجاب لا شيء يبقى ويدوم.

[١٩] لقد خلف أرباب الأموال فرسان القبر المقدس وكبار العلماء وعظماء المحاربين والقديسين والأبطال وأصبحت المجتمعات في ثورة متقدة لأنها لا تقوم على أساس، ولأنها خالية من رأس مال حقيقي في الأخلاق وكل إنسان يطالب بالسعادة، ويعتقد أنها عبارة عن أن يأكل طيباً وأن يقتني مركبات لحسابه، أما الأمل والمفاداة والصبر والشعور وإنه فرع من أسرة [هي] مجموع العالم فهذا ما لا بال له. ولا نزال نتبجح بكلمات مبهمة لا محصل لها كالحب و الإخاء، ولكننا أضعنا معناها أو وضعنا لها معنى نرتجله وهو الفدامة بعينها. أصبح المجتمع على خطر لأنه ضعف ضعفاً طبيعياً وتبدل لمكان المدينة من التسرب إليه وهو يقضي بأمراض السرطان والسل، وهو إلى المرض أدبياً لأنه لا يقوم على أساس راهن. وتكثر في هذا المجتمع المصائب والنوائب، ولذا كان حرياً بالهلاك، وذلك لأن كل ما هو ماثل لا أثر فيه للفضيلة. وعزّ فيه ظهور العظماء من الناس وانقطعت الحماسة الحقيقية.

ولما قال له مخاطبه : إن حكمك على هذا العصر قاس يا سيد، أجاب : وبعد فما أعمل وأنا لم أرزق ملكة الاستسلام للأوهام، وهي من العوامل المساعدة على الحياة. ولما كنت أنظر إلى الأمور نظراً واضحاً فقد أرى أناساً ليست لهم أقل قيمة في الأخلاق والعلم وهم مع هذا يضطهدون غيرهم. وإذا طمحت المجتمعات إلى أن تظل قائمة بتعذيب الضعاف فعلى الأقوياء أن ينتجوا ويبرّزوا ويخلصوا لما هم بسبيله ليكونوا أهلاً لما امتازوا به من الخصائص، بيد أننا لا نفتأ نعيش في الظلم على حين نتساوى في التوسط والاعتدال، وفي كل مكان نجد للاتجار بالسلع الرديئة رواجاً، وأينما تطلعت ترى الطمع في [متع الحياة] على صورة بشعة مفرطة آخذاً بأعنة الناس. قال : وإني لأرى المصانع القديمة آيلة إلى مرض شديد ولا أعتقد أن في المكنة إحياء الأموات، وأرى شعلة الدين والحكم المطلق، وكانت مما يعزّ على بلزاك، قد أخذت تنطفئ، أما الجمهورية التي هي طراز من الحكم طالما دعوت إليه، فالظاهر أنها لا تحوي عناصر لمقاومة الأعاصير، بيد أن تبديل الحكومات ليس إلا ظاهرة من الظواهر، والأزمة عمت وطمت، فنحن يا صاح في حالة تشبه حال العالم الروماني غداة غارات البرابرة. عالم ينتهي وآخر يبتدئ.

[ ٢٠ ] ومن آرائه : ليس التاريخ بعلم بل هو فن ولا ينجح فيه إلا صاحب المخيلة، ينسخ المؤرخون بعضهم عن بعض فيكفون أنفسهم العناء ولا يتهمون بالغرور. اِقتد بهم ولا تكن مبتكراً، فالمؤرخ المبتكر موضع ريبة واحتقار واشمئزاز عند الناس كافة. ومما قاله إن التاريخ ليس مجموعة أقاصيص أخلاقية أو مزيجاً من الحوادث والخطب البليغة فقد لا توجد فيه قطع جميلة [من البيان] ولكن لا ينبغي أن نلتمس فيه حقيقة، لأن الحقيقة هي إظهار ما بين الأشياء من نسب لازمة ولا سبيل إلى إثبات هذه النسب لأن المؤرخ عاجز عن إتباع سلسلة العلل والمعلولات. فليس التاريخ إذاً بعلم لأنه مقضي عليه بعيب في طبيعته أن يلزمه غموض الكذب وأن يعوزه السياق والاتصال اللذان لا معرفة حقيقية بدونهما. التاريخ ليس بعلم لأن الثورات والحروب لا تضبط بحساب. قال : على مَ [١٧٦] تؤلف تاريخاً وليس عليك إلا أن تنسخ من أشهر كتب التاريخ كما هي العادة، إن كان عندك فكر جديد أو رأي خاص، أو كنت تظهر الناس والأشياء من وجهة غير مألوفة. فإنك إذاً تباغت القارئ والقارئ لا يجب أن يباغت. هو لا يلتمس في التاريخ إلا الحماقات التي يعرفها فإذا اجتهدت بتعليمه كانت ثمرة جهدك أن حقرته في عين نفسه فأغضبته. لا تحاول إنارة فكره وإلا صرخ قائلاً : إنك تسفه عقائده.

وقال إن الحرب اليوم عار الإنسانية وكانت من قبل فخرها، لقد أوجبتها الضرورة على الممالك فكانت مربية النوع البشري الكبرى. بها مارس أبناء آدم الفضائل التي تشاد عليها الحضارات وتدعم بها قواعدها، علمتهم الصبر والحزم والاستهانة بالمخاطر ومجد [التضارب]. ويوم دحرج الرعيان قطع الحجارة الضخمة ليبنوا منها سوراً يحامون وراءه عن نسائهم وثيرانهم، أُنشئ أول مجتمع إنساني وضمن ترقي الصناعات. وهذا الخير العظيم الذي ننعم به أعني الوطن أو المدنية أو ذلك الشيء الجليل الذي عبده الرومان ورفعوه فوق الآلهة إنما هو ابن الحرب.

وقال في هذا المعنى : لا مراء في أنه ستقع أيضاً حروب كثيرة فإن الغرائز الوحشية والأطماع الفطرية والكبرياء والجوع التي أتلفت العالم خلال عصور متطاولة ستستمر على إقلاقه أيضاً. وهذه الكتل البشرية الكبرى الآخذة اليوم في التألف لم تجد بعد قاعدتها ولم توفق إلى توازنها. وكذلك لم ينتظم تداخل الشعوب بعضها في بعض الانتظام الكافي [ ٢١ ] لضمان الرفه العام بحرية المبادلات ويسرها، كما أن الإنسان لم يَعُد محترماً في نظر الإنسان ولم تتساو أجزاء البشرية في دنوه من روح الاشتراك

١٧٦. هكذا في الأصل

والتعاون لتكون جميعاً كالحجيرات والأعضاء في الجسد الواحد، وليس بمقدر حتى لأحدثنا سناً، أن يشهد ختام عهد السلاح. بيد أن تلك الأيام السعيدة التي لم نعرفها نحن نحس بمجيئها، فإذا مددنا إلى عالم الغيب هذا الخط الذي نرى بدايته كان في وسعنا أن نرى مواصلات أوفر وأكمل بين الأمم والشعوب، وشعوراً أعم وأقوى [بالتكافل] الإنساني، وتنظيماً أفضل للعمل، وبالنهاية قيام (الدول المتحدة) في العالم بأسره، وسيتحقق السلم العام ذات يوم لا لأن البشر يصبحون خيراً مما كانوا (هذا لم يؤذن لنا أن نرجوه) بل لأن نظاماً شديداً للأشياء وعلماً جديداً وضروريات اقتصادية ستلزمهم بحالة السلام.

هذه بعض جمل أثرناها مما نقل من كلام أناتول فرانس في مجالسه ونظن أنها تمثل لكم روحه ومنازعه في الحياة ويتلخص منها أنه من أصحاب الشكوك يشك في كل شيء ويقدح في المدنية الحاضرة ويسيء الظن فيها، فليس هو إذاً من القصصيين العاديين الذين أنبغهم الغرب، بل هو عالم يحسن بث علمه في الجمهور، وعمله هذا تقرؤه في قصصه منثوراً نثر الذهب على نمارق من مختلف الزهور، ولا تتفهمها على جليتها إلا إذا قدرت لك تلاوتها باللسان الذي كتبها به أبو عذرها، وهو الغاية في الإبداع والبيان وجمال المأتى.

وإذا رأيت الكاثوليكي المتدين قد تنقبض نفسه لذكره فاعرف أن أناتول لم يترك للصلح مكاناً مع أهل الأديان. وإذا سمعت بأن مالياً غنياً يحتقر أفكاره فاعرف أن أناتول حاول أن يسقط هذه الطبقات لأنها جائرة على ما يرى على المجتمع. ومعظم ما أصابه من الشرور كان بصنعهم وكزازة أيديهم، وما ارتكبوه من الموبقات للاحتفاظ بمكانتهم والاستمتاع بشهواتهم. وإذا قيل لك إن بعض طلاّب [التسلط على] المماليك أحصوا عليه أنفاسه في حياته، وخافوه وعدوا موته نعمة عليهم فأيقن أنه حاربهم طول حياته، يريد أن يقنع كل مالك بملكه، وترجع كل دولة إلى حدودها الطبيعية. والحاصل أن أناتول عادى كل الطبقات في الباطن، وإن ألان لها في الظاهر أساليب الكلام، ولذلك قلّ [أنصاره] في قومه، وزامر الحي لا تطرب مزامره، ورحم الله عمر بن الخطاب إذ قال ما ترك الحق لعمر من صاحب، فالناس مذ كان أول اجتماعهم قد يرضون عمن [٢٢] يرائيهم، ولا يرضون بحال عمن ينقدهم ليقودهم إلى الخير والسلام.

وبعد كتابة ما مضى القول فيه حملت جريدة [ الأخبار الأدبية ] Les nouvelles littéraires الباريزية مقالة لروزني البكر من أعضاء مجمع كونكور العلمي،[١٧٧] جاء فيها أن امرأة من مدهشات النساء كانت الملاك الحارس لأناتول استولت زمناً على عقله، فكانت تصرفه كما تريد، وتعنى بمادياته عنايتها بمعنوياته، تتعهده في لباسه وهندامه، وتحمله على حضور جلسات المجمع العلمي، وتفصل في قضاياه مع المتجرين بأدبه لتحفظ له حقوقه بما تعقده لمصلحته من الشروط، ولتكسبه من قلمه أقصى ما يمكنه احتجانه من مال، وكانت تريده من حيث المعنويات أن يكتب كتابات حية، بعيدة ما أمكن من مقتبسات الكتب وقد وصف أناتول بأنه أرضة المكاتب أو جرذ الخزائن. ومع هذا حملت كتبه [ قدراً ] وافراً من آراء الناس وعتيق فلسفتهم. ذلك لأن أناتول كان بطبيعته مهملاً متوانياً يرضيه أن يضيع أوقاته في معالجة النصوص التي أكل الدهر عليها وشرب، وهو على نوع من البلاهة يحملق فيما يشاهد، ولا حظ له من أمور الدنيا، فكانت [ هذه ] العقيلة تشذب من حواشيه، وتحمله على الجادة لتخلد اسمه، وتدخل النظام في عمله، وتنحيه عن موضوع المحاورات الكثيرة فيما يكتب، وتبعثه على إدخال الحياة في كتاباته، وتجدّ كل الجد أن تلقي في روعه قصصاً حية قائمة على الملاحظة مملوءة بالغرام والحب، وكان معها إذا ضايقته يغضب ويقف باهتاً لا حركة ولا سكون، لأنه عرف بميله إلى الكسل، ولا يتلذذ إلا بقراءة المفكرات والأمالي القديمة، ينشر ما ينم عن تحقيق علمي ودقة في الانتفاع بالأسفار، والأخذ بمذاهب الفلاسفة.

وكان يضيق صدره من معالجة قصة جديدة وكثيراً ما يقول : أنا لا تطمئن نفسي إذا حاولت أن أقص شيئاً من عندياتي، بل خلقت فيّ حاجة لأن أقع على قصة كتبت بقلم غيري، وهيأت في الجملة. [ وكانت ] صديقته تعذله وتسوقه إلى وضع قصصه مباشرة من تلقاء نفسه، وتطلب منه عملاً وحباً، وبعملها ومراقبتها جوّد أناتول روايات تايس،[١٧٨] والزنبقة الحمراء،[١٧٩] وسلسلة قصص برجريه البديعة، وكان

---

١٧٧ . أُسّس هذا المجمع طبقاً لأمنية الأديب الفرنسي إيدموند كونكور [ Edmond Goncourt ] ( ١٨٢٢–١٨٩٦ ) سنة ١٩٠٠ ليجازي أعضاؤه كل سنة عملاً أدبياً خيالياً في النثر. يجتمع أعضاء المجمع العشر كل شهر للغداء في أحد المطاعم الباريسية.

١٧٨ . قدّيسة مصرية من القرن الرابع ميلادي، عاشت حياتها في دير بعد اهتدائها إلى المسيحية. اعتمد أناتول فرانس على سيرتها لكتابة روايته التي بعنوان "تايس" ( سنة ١٨٩٠ ).

١٧٩ . تأتي العناوين الأصلية لتلك الكتب ( الطبعة الأولى ) باللغة الفرنسية هكذا :

من إحسانه فيهامكافأة له ومكافأة لها، ولكن ذلك لم يمنعه من الرجوع إلى ما يحلو له من القصص البالية. وبالجملة فقد كان لها تأثير حقيقي في فن أناتول، وهي لم تعدّل أصول علمه، ولا حسنت ذوقه، [ ٢٣ ] بل بددت فيهما، وحقنتهما بدم [ جديد ]، فأسدت إليه معروفاً لا يبلى على الأيام، حتى إذا أُطلق وشأنه أوشك أن يعود "جرذ كتب" مع ما يتخلل عمله من فترات وخلاعات. كان لا يتعب مما يدون من مطالعاته، ولا يربأ بنفسه أن يكون عبد الكتب القديمة، ومغرماً في التحدث بما كان يقرأ من الأسفار.

ولقد كان لهذا الملاك الحارس بعض التأثير في آراء أناتول السياسية الظاهرة. قلنا الظاهرة لأنه كان من المتعذر علينا أن نعرف حقيقة آرائه، وكيف يتصور في هذا السفسطائي العام أن يدخل في حزب أو يدين بمذهب اجتماعي، فقد رأيناه إلا قليلاً من حزب البولانجيين [١٨٠] لما كانت هذه العقيلة منها فلما حدثت قضية دريفوس وتحزبت له ماشاها أناتول أيضاً، وأصبح اشتراكياً عندما أخذ جوريس بعد من ندماء بيت السيدة، وكان في آخر مرحلة من حياته يميل إلى الشيوعية السوفيتية حتى قال علناً : إني أحب لينين حباً مازج قلبي. ويرى من المضحك أن يتشدد المرء في الاحتفاظ بمعتقده، وكل عمله خروج على المعتقدات، وما كان أمام المعتقدين إلا هازئاً أو مشفقاً أو خائفاً.

وقال، بعد أن وصف كيف كان ذاك الملاك الحارس يفتح قصره برضى زوجه لأناتول وضيوفه وكانوا علية الطبقات السياسية والعلمية والفلسفية وفيهم أجمل العقائل والأوانس : إن أناتول كان ناكراً للجميل وذلك أنه لما بلغ قنة الشرف، واغتنى بتآليفه، وأصبح يأتيه منها ريع عظيم، نفض يديه ممن عملت كل شيء للأخذ بيده ومزجت شخصيتها بشخصيته، فأصبح لا يحب أن يراها، وتركها كأنه لم يغن أمس في حماها. وما يدريك أنه كان حانقاً عليها على غير رضاه، لأنها حاولت دون سيره السير الطبيعي. وحقيقة أنها منذ أخذت بزمامه انشأ في الأحايين يبدو كأنه يحاول التفلت من قيد، ويسير على غير هواه وميله. لقد كان الكسل حبيباً إلى قلبه،

FRANCE, Anatole, *Thaïs*, Paris, Calmann-Lévy, 1890 ; FRANCE, Anatole, Le *Lys rouge*, Paris, Calmann-Lévy, 1894.

١٨٠ . يسمى هكذا نسبة للجنرال جورج بولانجيه [ Georges Boulanger ] ( ١٨٣٧–١٨٩١ )، الذي اشتهر بإصلاحه كوزير الحرب وبندائه إلى تغيير النظام السياسي في مجلس النواب بين سنتي ١٨٨٦ و ١٨٩١ . تابعه مجموعة كبيرة من السياسيين وأخذ شهرة هائلة عند الشعب، إلى أن اتهم بالتآمر على أمن الدولة واضطر إلى الفرار إلى بلجيكا. انتحر بعد فشل حركته على قبر عشيقته.

والعقيلة تحاول أن تطرد عن فطرته تشرده العقلي كما تطرد ربة الدار نسيج العنكبوت عن متاعها. إنها لم ترم إلى تهذيبه، أما هو فاستطاع بدون عائق ولا همّ كثير أن يتذوق طعم الجمع والبحث إلى آخر أيامه (ا هـ).

هذا ما قاله روزني في أناتول وكتب جورج لو كونت من أعضاء المجمع العلمي الباريزي [ ٢٤ ] في آخر عدد صدر من مجلة لاروس الشهرية المصورة خلال كلامه على القصاصين في فرنسا أن أناتول فرانس من الرجال الذين أحرزوا مكانة للخطة الجريئة التي ساروا عليها في المعارك السياسية [الداوية] التي وقعت في عهدهم. فهو بلا جدال كاتب مجود بالنظر لما يتخلل أفكاره من حرية تنطوي على جرأة جميلة، ولأدائه المعاني الجليلة المفرغة في ديباجة ناصعة كاملة، ولسعة معارفه الدقيقة. وإذا ذكر أناتول فلا يذكر إلا بالإعجاب والاحترام. وهو ممن رنّ صدى صوته الساحر في القاصية. وربما وضعوه في مكانة عظيمة قد يظن أن التاريخ الأدبي لا يقره فيها جملة. وبلغ من الناس بالنظر لما خصت به أقاصيصه من السحر البراق، ولأحكامه الحرة ولدعابته في نقده النفاق والمظالم الاجتماعية، أن أصبحوا لا يرون فيما خطته أنامله ما كان فيه ناسجاً على منوال غيره مقتبساً عن الكتب على سبيل الذكرى. ولا مراء في أن أناتول قد قيد نفسه في حدود خزائن الكتب أكثر من تقيده بمشاهد الحياة، فهو نظّار في الأسفار أكثر مما هو نظّار في الإنسان، هو مبدع في أحاديثه، رُزق ذاكرة مطواعة مجهزة أجمل جهاز علمي، وكان يطرب في التبسط في إيراد آرائه فيما يقرؤه من الأسفار، وفيما سقط عليه من أمور تافهة في ذاتها، وهو يوردها بأسلوب الحاذق الفنان، ولذلك قلّما كان يهتم ليستمع لما يقال، أو ليجول في علم الحال كل مجال. ولما كان يأتي بشيء كان مستمعوه الواقفون على طريقته في صناعته، وعلى نظامه في أفكاره، يتساءلون من أي كتاب مجهول صاد تلك النكته الشاردة، وحمل تلك الفائدة الدقيقة يا ترى. وما عدا كتبه التي أوحى بها تاريخ المعاصرين ما كان المعجبون به ينجحون أبداً في سلخ هذه الصورة عن كتاباته مهما بلغ من سحرها وجاذبيتها. ولذلك كانوا يدعون أن السخرية البادية في كتبه قد أخذها عن فولتير وعلى طريقته سار وبهديه اهتدى. أما لغته السهلة العذبة فهي لغة [أبلغ] كتّاب القرن الثامن عشر (اهـ).

هذان رأيان لأديبين كبيرين من معاصري أناتول وهما أحدث الآراء فيه. وإذا جاز لمثلي أن يلقي دلوه في الدلاء أمام أولئك الفحول، فأنا أنظر إليه من الوجهة التي تحدث أفكاره فيمن يطالعها من مطالعة إمعان لا مطالعة تسلية وتفكهة ساعات الفراغ. انظر

في تأثيراته بعد الذي تلوته من مجموعة تآليفه التي انتهت إليّ في العالم الغابر وهي في [أربعة] [ ٢٥ ] وثلاثين مجلداً، وفيها كتابه الذي اسماه ( الحياة الأدبية ) [١٨١] وهو يدخل في أربعة مجلدات عرض فيه لكتاب عصره وأدبائه وشعرائه وقصاصيه وممثليه، فجاءت في مقالاته عبقة من النقد الشهي نشرها أولاً في جريدة الطان أيام كان يتولى فيها منصب الناقد الأدبي.[١٨٢] ثم جعلها في مجلدات برأسها على نحو ما فعل صديقه من قبل جول لميتر، ونشر في الطان مقالات في أدباء عصره ثم كسرها على ثمانية مجلدات وسماها ( المعاصرون ).[١٨٣] ولهذه المقالات مدين أناتول فيما أحسب بالجزء الأعظم من شهرته الأولى.

والشهرة رأس مال الكاتب في الغرب، وكم كاتب لم تكتب له شهرة مستفيضة فبقي ذكره مطوياً عن أهل جيله والأجيال التالية. أما الباقي من أقاصيصه ورواياته فهي المرآة الصقيلة التي تعكس على أنظارنا نبوغه وعبقريته تراه تارةً يأتي بقصة قد تظنها تافهة بادئ الرأي حتى إذا سرت في تلاوتها شوطاً ورأيت أناتول يحلّيها بدوره الغوال التي ظفر بها خلال مطالعته وعدّ ذلك ( روزني ولو كونت ) المشار إليهما من موجبات مؤاخذته، تستعظم عمل المؤلف فلا نعرف بماذا تصف قصصه، إذ تشهده يورد عليك بالمناسبات مسائل اجتماعية و تاريخية وأخلاقية وعملية ومادية، وسدى أكثر ما يكتب و لحمته من هذا الطراز الممتاز، فهو ملمّ وأي إلمام بعامة علوم البشر ويعرف الناس من قرب ومن بعد لا كما حاول ناقدوه أن يصوروه ليسلبوه محامده، ويشوّهوا من طرفٍ خفي محاسنه المجسمة للفكر والنظر، ويعدوا غرامه في الأخذ عن القدماء واستخراج المدفون من الآراء من أسباب ضعفه، وربما حسب المتجرد عن الغرض أن ذلك كان من دواعي فخره وعظمته.

الكتاب الجيد هو الذي يقفك على فكرة جليلة، ويقرب من ذهنك علم ما لم تكن تعلم من أيسر سبيل، لا الذي تنتقل بين سطوره وصفحاته فتحدث لك تلاوته لذة موقتة ثم تنساه أو تتناساه بحيث لا يضرك علمه ولا جهله. يختص كل واحد

---

١٨١ . يأتي العنوان الأصلي لهذا الكتاب ( الطبعة الأولى منه ) هكذا :

FRANCE, Anatole, *La vie littéraire*, Paris, Calmann-Lévy, 4 vols, 1889-1892.

١٨٢ . بدأ أناتول فرانس عمله ناقداً أدبياً في جريدة "الطان" [ Le Temps ] سنة ١٨٨٧ وهي جريدة باريسية يومية مشهورة أُسست سنة ١٨٦١ وظلّت تصدر حتى عام ١٩٤٢ .

١٨٣ . العنوان الأصلي لهذا الكتاب باللغة الفرنسية هو التالي :

LEMAÎTRE, Jules, *Les contemporains*, Paris, Boivin et Cie, 7 séries, 1886-1899.

من القصاصين في الغرب اليوم بناحية من نواحي المجتمع الإنساني يلونون الكلام فيه، والقصة عندهم هي الأداة الكاملة التي تفعل في إصلاح الجماعات والأفراد فعلاً محمود الأثر في الجملة، ولكم هذبت من حواشي مجتمعهم وعلمت جاهلهم وأصلحت بما [قرّ] من معوجّ شؤونهم. أما أقاصيص أناتول فهي الأدب السامي والأفكار النضيجة الطريفة، والحرية المطلقة النادرة، ولذلك لم يرَ خصومه أو من كان في حكمهم، إلا أن ينالوا منه من ناحية ضعف تخيلوها فوصفوه بأنه [٢٦] ماجن هزأة هدّام للنظم الاجتماعية، والمنصف يتجلى له في تضاعيف كتب أناتول أن أُسلوبه الممتع لا يبلغ عقول من يريد تهذيب عقولهم إن لم يبرز بهذه المظاهر المنوعة العجيبة. ولطالما شُوهد كأنه يعبث وهو يجدّ وكم تخيل أنه يضحك وهو في الواقع يبكي.

للإصلاح طرق وطريقة أناتول راقت البعيد والقريب، بيد أن القريب قد يبدو منه بعض تأفف لدن سماعها، لمكان [العادات] والوراثة، وللحرص الداعي إلى الاكتفاء بما علم وتقرر في العرف، وللكسل المغروس في أغلب الخلق لا يتعبون أنفسهم للإجادة في عملهم، ويَلوكون ألسنتهم فيمن يستلذون [العبث] فيه. وهناك شيءٌ آخر يقال له الحسد يأكل قلب صاحبه، والحسد مسألة المسائل في كل مجتمع، والحساد يرون أن مما يسكن ثائر نفوسهم أن يطعنوا في مثل أناتول يحطون من أدبه ومكانته لأنه ينعم بنعمتهما. وكل ذي نعمة محسود. وما يدريك إن كان معظم الناقدين من الناقمين عليه لذهابه بفضل السبق دونهم، ولأن منهم من يحاولون إقامة بنائهم الضئيل على حساب مجده المؤثل، ليوهموا العوام ومن يعلو فوق طبقتهم بعض الشيء أنهم سباق في حلبة الأدب، وإن أناتول مهما بلغ من المنزلة وزيد بسطة في العلم لا يتطاول إلى مساماتهم ولديهم العلم الجم الذي لا يعرفه، ومن صحيح الأفكار ما تفردت به أذهانهم الثاقبة. وقلّما خلا مجتمع من حسد مرمض، والمعاصرة كما قيل حرمان، والناس معادن، والفضل لا يخفى مهما حاول المتنطعون ستره. والشهرة ربيبة الدرس الطويل، والبحث المتواصل، وقلّما سلب دعيّ شهرة غيره فاستأثر بها دونه، أو كتب له أن يتعدى طوره، ويخرج عن مقدار حجمه.

# القسم الثاني

# الفصول المكمّلـــــة

# ميزات الأمويين [١]

إن أمية تصغير أمة، والأمة المملوكة، والنسب إليه أُموي بضم الهمزة ومن قال أَموي بالفتح فقد أخطأ. وبنو أمية من أشرف قبائل قريش يلتقي نسبهم مع الرسول عليه الصلاة والسلام في جدهم عبد مناف. ومناف اسم صنم في الجاهلية مثل العزّى واللاّت ومناة وود وسواع ويغوث ويعوق ونسر. وأمية الأكبر هو من ولد عبد شمس بن عبد مناف وولده حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو، وهؤلاء يقال لهم العنابس أي الأسود. ومن ولده العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص، وهؤلاء يدعونهم الأعياص ؛ وأعياص قريش كرامهم، يقال ما أكرم عيصه وهم آباؤه وأعمامه وأخواله وأهل بيته.

وكان هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل أولاد عبد مناف بن قصيّ يذهبون في التجارة. يحمل هاشم الإيلاف لرؤساء القبائل؛ والإيلاف العهد وشبه الإجازة بالخفارة، وهو عبارة عن شيء من الربح، ويجعل لهم مع ذلك متاعاً مع متاعه، ويسوق إليهم إبلاً مع إبله، ليكفيهم مؤونة الأسفار، ويكفي قريشاً مؤونة الأعداء، فكان المقيم رابحاً والمسافر محفوظاً. وإلى هذا [ ٢ ] الإيلاف الإشارة في سورة قريش ( لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ) والمعنى انه تعالى منّ على قريش بما أنعم عليهم من الإيلاف الذي به كانوا يمتارون ويتجرون، يرحلون رحلتين رحلة في الصيف وأخرى في الشتاء آمنين من أصحاب الفيل الذين جاءوا من الحبشة إلى اليمن ليستولوا على البيت.

وكان هاشم يرحل إلى الشام ويقصد إلى غزّة، وبه سميت غزة هاشم وبها مات، كما مات حرب بن أمية أيضاً في الشام، وكان المطلب يرحل إلى اليمن، ونوفل إلى فارس، وعبد شمس إلى أكسيوم [٢] من أرض الحبشة. فبنو أمية هم الذين هيّؤوا [٣]

١ . [ محاضرة ألقيتها في مدرج الجامعة السورية. ] (للمؤلف).
نُشرت هذه المحاضرة بعنوان "ميزات بني أمية"، في مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد ١٦، سنة ١٩٤١، ص ٤٠٨-٤٢١ و ٤٥٠-٤٥٥.

٢ . هي أكسوم: مدينة قديمة في إثيوبيا، كانت عاصمة مملكة أكسوم المسيحية بين القرنين الأول والعاشر ميلادي واعتبرتها منظمة اليونسكو من مواقع التراث الإنساني منذ ١٩٨٠.

٣ . في الأصل: هيأوا

أسباب التجارة لقريش وأنقذوهم من الغصوب، أي أخذ مال غيرهم ظلماً وعدواناً. وأدخلوا مكة في طور مدني بعد أن كان عيش أهلها معقوداً بظبات السيوف وأسنة الرماح، وبهم عرفت قريش في أرض الروم والعجم والحبش، وعرفوا هم العراق والشام واليمن والحبشة، فبنو عبد مناف هم الذين كانوا إذاً يؤلفون الجوار ويجبرون قريشاً بميرهم، وكانوا لذلك يسمون المجبرين، والعرب تسميهم أقداح النضار لطيب أجسامهم وكرم فعالهم.

كان أبو سفيان (صخر بن حرب) - والد معاوية ويزيد وزياد وعتبة وأم حبيبة وجويرية - تاجراً عظيماً يجهز التجار بماله وأموال قريش إلى الشام وغيرها من ديار العجم، وكان يخرج أحياناً بنفسه، وكانت إليه راية الرؤساء التي تسمى العقاب. وإذا حميت الحرب اجتمعت قريش فوضعتها بيد الرئيس، والعقاب العلم الضخم يعقد للولاة. وقاد أبو سفيان قريشاً كلها يوم أحد ولم يقدها قبل ذلك رجل واحد إلا يوم ذات نكيف، قادها المطلب، ويوم نكيف وقيل ذي نكيف وقعة كانت قريش وبني كنانة يلملم من نواحي مكة، فهزمت قريش بني كنانة، وكان صاحب أمرها عبد المطلب أو المطلب. وأبو سفيان كان يوم أُحد [٣] ويوم الأحزاب رأس من حاربوا الرسول. ولما كان عائداً في تجارة قريش من الشام أمسك المسلمون عليه الطريق فأبلى بلاء حسناً حتى أنقذ أموال التجار، وكانت تقدر بخمسين ألف دينار. وكان إذا ورد بلاد الروم أكرمه الأمراء والأعيان لمكانته في قومه. وكان قبل الإسلام يملك في البلقاء جنوبيّ الشام ضيعة يقال لها نِقِنّس. وكان في الجاهلية هو وعتبة وأبو جهل أفضل الناس رأياً.

حارب أبو سفيان رسول الله يوم كان يصعب عليه، أول الدعوة، أن ينزل عن أرستقراطيته وإمرته. وقيل إن معاوية ويزيد أَسلما قبل أبيهما، وكتما عنه إسلامهما، وكذلك ابنته أم حبيبة واسمها رملة زوجة الرسول أسلمت قبل أَبيها.

وكان [أبو سفيان] قبل إسلامه هو وأولاده من المؤلفة قلوبهم، يُعطيهم الرسول من الغنائم والأموال ما يتألفهم به. وأسلم قبيل فتح مكة فقال العباس : يا رسول الله إنه (أي أبو سفيان) يحب الفخر فاجعل له شيئاً يكون في قومه فقال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل دار حكيم بن حزام فهو آمن. فلما دخل في الإسلام، حارب مع رسول الله يوم حنين والطائف، وحارب يوم اليرموك تحت راية ابنه يزيد، كان يقاتل ويقول : يا نصر الله اقترب، يا نصر الله اقترب. وكان يقف على الكراديس يقصّ أي يقف أمام سرايا العسكر ويعظ ؛ والقاصُّ الداعية .

[ ٤ ] تطور أبو سفيان لما أسلم، وأخلص في انتحال الدين الجديد، كما كان مخلصاً من قبل في دينه القديم، وأبدى براعة حربية في الإسلام كان يبدي مثلها في الجاهلية. قال أبو سفيان للنساء اللاتي مع المسلمين يوم اليرموك وكان كثير من المهاجرات حضرن يومئذ مع أزواجهن وأبنائهن وجلسن خلف صفوف المقاتلين : لا يرجع إليكن أحد من المسلمين إلا رميتنه بهذه الحجارة وقلن له : من يرجوكم بعد الفرار عن الإسلام وأهله، وعن النساء وهنّ أمام العدو. ولما حمي الوطيس واستقبل النساء سرعان من انهزم من المسلمين أخذن يضربن وجوههن بعمد البيوت أو عمد الفساطيط ويرمينهم بالحجارة ويقلن : أين، أين[4] عز الإسلام والأمهات والأزواج .

كان لنساء بني أمية وغيرهن مثل جُوَيرية ابنة أبي سفيان وكانت مع زوجها، ومثل هند بنت عتبة أُم معاوية بن أبي سفيان ومثل أُم حكيم بنت الحرث بن هشام، وهذه قتلت سبعة من الروم في مرج الصُّفّر بعمود الفسطاط وكانت عروساً، والخلوق على جسمها تنبعث رائحته – كان لهن من البلاء العظيم [في] اليرموك ما يذكر بالفخر على وجه الدهر : قاتلن بالسيوف حتى سابقن الرجال. وكان النساء في الجيوش العربية يعملن في طهي طعام المحاربين، وجلب الماء إليهم، وغسل ثيابهم، وتضميد جراحهم، وتمريض مرضاهم، وغير ذلك.

ما فتحت بلدة في الشام إلا وجد على أسوارها وفي أرباضها كثير من رجال بني أمية صرعى. وتدرب يزيد ومعاوية من أبناء أبي سفيان في السياسة والإدارة، وكان معاوية كاتب الوحي، وكان عمر إذا نظر إليه قال : هذا كسرى العرب. وعقد أبو بكر في خلافته [ ٥ ] ليزيد بن أبي سفيان، وكان يقال له يزيد الخير مع أمراء الجيوش إلى الشام ولما مات يزيد في طاعون عَمْواس، ضمّ عمر لمعاوية ما كان من عمل أخيه يزيد، وهو إمارة دمشق فصارت الشام لمعاوية. أما زياد [ ثالث أولاد أبي سفيان ] فكان من أدهى العرب، ومن أعظم رجال الإدارة الذين أنبغهم الإسلام، عزله عمر بن الخطاب فقال زياد : أعن عجز عزلتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة ؟ فقال : لا عن ذلك ولا عن هذا، ولكني كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك.

كان لأبي سفيان وأبيه حرب منة على العرب في الجاهلية، وذلك بنقلهما الخط إلى جزيرة العرب من الحيرة، وما كان الخط معروفاً في الحجاز، فأثبتا بهذا أن بيتهما النبيل مصدر حضارة أيضاً، ولأحد رجال بني أمية منّة أخرى في الإسلام تعد عظيمة جداً في بابها، وهي أن أمير المؤمنين عثمان بن عفان جمع القرآن، فنسخه من الصحف.

---

٤ . هكذا في النص.

وأرسل المصاحف التي كتبت منه إلى الكوفة والبصرة ودمشق ومكة والمدينة، وأبقى عنده مصحفاً سموه الإمام، ولولا عمله المجيد لضاع بعض آيات الكتاب العزيز لاعتماد العرب على الحفظ أكثر من الكتابة، وكان بعض الصحابة يحفظون ما لا يحفظه غيرهم، فإذا اتفق أن مات أحدهم يخشى أن يضيع ما كان يحفظه .

وكان عثمان يكرم حرملة بن المنذر الطائي، وكان شاعراً نصرانياً يعلم [سير] ملوك العجم. وأتى أمير المؤمنين معاوية بأمد بن أبد الحضرمي وبعبيد بن شرية الجرهمي من اليمن يقصان عليه أخبار ملوك العرب والعجم، وأمر بتدوين [٦] ما كانا يوردان عليه، فكان [على مبدأ] تدوينٍ التاريخ في الإسلام، واستصفى معاوية كعب الأحبار لكثرة علمه، وكان يعطف كثيراً على الشاعر سعيد بن عريض بن عادياء أخي السموءل بن عادياء من يهود الحجاز. وحفيد معاوية خالد بن يزيد، وكان يدعى عالم قريش، زهد في الخلافة كما زهد فيها أخوه معاوية الصغير من قبل، وصرف وقته في ترجمة كتب الفلاسفة والنجوم والكيمياء والطب والحرب والصناعات من اللغات القبطية والسريانية واليونانية، وهو أول من أنشأ خزانة كتب في الإسلام، والغالب أنها كانت في دمشق. وأمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الأموي هو الذي دوّن الحديث وأمر بترجمة كتاب في الطب.

ولو لم يكن بنو أمية على جانب عظيم من النبوغ ومعرفة ثاقبة بالحكم ما وسد إليهم الرسول الولايات والأعمال العظيمة، وقد انتقل إلى جوار ربه و[ثلاثة أرباع] عماله منهم، وما كان فيهم أحد من بني هاشم، وما استطاع الخليفتان الأولان أبو بكر وعمر أن ينقضا ما أبرمه الرسول من ذلك. وبنو أمية كانوا أُمراء في الجاهلية وكذلك كانوا في الإسلام، تناقلوا الحكم كابراً عن كابر .

---

تولى معاوية الشام أربعين سنة، عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة. وجاء عمر بن الخطاب إلى الشام مرة فتلقاه معاوية في موكب عظيم، فسأله عن سبب هذه الأبهة فقال : إننا في بلد لا نمتنع [فيه] من جواسيس العدو، فلا بدَّ لهم مما يرهبهم من هيبة السلطان، فإن أمرتني به أقمت عليه، وإن نهيتني عنه انتهيت، فلم يأمره به ولم ينهه. أي أن معاوية أقنع خليفة مثل عمر الذي كان لا يرى إلا الخشونة لنفسه ولعماله، بتقليد الروم في [مظاهرهم]. وما حاد معاوية عن [٧] الأصول التي وضعها ابن الخطاب في الإدارة، بل أدخل فيها أموراً اقتضاها الزمان والمكان، ففتح صدره لكل ما استحسنه مما كان عند الأمم المجاورة، وكانت العرب لا تعرفه، فأخرج الإدارة بذلك من سذاجة البداوة إلى بحبوحة الحضارة.

ما كان معاوية يصدر إلا عن مشورة ولا يأتمن في إدارة الولايات والأعمال إلا الكفاة من أهل بيته غالباً، ويستشير أرباب الرأي من أنصار دولته، وكان له منهم مجالس أشبه بمجالس النواب والشيوخ، ومجالس في الولايات يدعونها مجالس الوفود. واستخدم النصارى في مصالح الدولة، وكان عمر يمتنع من استخدامهم أو يُسلموا، فعهد إلى سرجون بن منصور ثم إلى ابنه منصور بن سرجون من نصارى الشام بإدارة أمواله، أي أن بني سرجون كانوا وزراء المال لمعاوية. وكان في جيشه الأنباط والجراجمة والعجم وغيرهم من العناصر غير العربية وغير المسلمة، فقام بتأسيس دولته بما تقوم به الدول ولا ينافي أصول الخلافة .

ومما يعرب عن سعة عقله وأنه عملي في جميع حالاته لا [ يعبأ ] بالظواهر متى أوحى إليه العقل رأياً سديداً ما ذكره المؤرخون من أن عبد الله بن قيس غنم من صِقِلّيّة أصناماً من ذهب مكللة بالجوهر فحملها معاوية من دمشق وأنفذها إلى البصرة ومنها إلى الهند لتباع فيها لأنه رأى بيعها قائمة أكثر لثمنها، ولم يبال انتقاد المتزمتين من المسلمين .

توفر معاوية على تحسين آلة الحكم وأدخل عليها ما ينفعها ويقويها، وتسامح ولم يضيق على نفسه ولا على أمته في إدخال التجدد. وعرض على جَبَلة بن الأَيْهم سيد بني غسان– لما هرب إلى الروم لأن عمر أراد أن يقتله بمن قتله – أن يعطيه الغوطة [٥] كلها إقطاعاً على أن يرجع إلى الإسلام، يريد بذلك أن يتلافى [ خطأً ] وقع من عمر في ذلك ويقوي الإسلام به. وبجميل سياسته أخرج الخلافة من آل عليّ إلى بني أمية وأخذها من الحسن بن عليّ، وكان بذلك عام الجماعة أي إجماع المسلمين على إمام واحد.

[ ٨ ] وابتكر معاوية أموراً رأى فيها فائدة عامة منها أنه أول من وضع الحشم للملوك، ورفع الحراب بين أيديهم، ووضع المقصورة التي يصلي فيها الخليفة منفرداً عن الناس، والشرطة على رأسه إذا سجد، وهو أول من اتخذ حرس الليل [ وأول من قيدت الجنائب بين يديه وأول من ركب في الجنازة وأول من نهى عن التمتع وأول من قدم الخطبة في العيد على الصلاة وأول من أمر بهدايا النيروز والمهرجان وأول من وضع الكتاب والمكتب لتعليم كلام العرب وأول من سلم عليه المؤذنون فصارت سنة سلامهم

٥ . غوطة دمشق: سهل خصب ممتد، يحيط بمدينة دمشق من الشرق والغرب والجنوب، تغذيها مجموعة من الأنهار الصغيرة وشبكة من قنوات الري؛ اشتهرت الغوطة كإحدى جنات العالم، وهي عبارة عن بساتين من شتى أنواع الفاكهة والخضار. انظر ما كتب عنها محمد كرد علي، وهو من سكانها، في كتابه "غوطة دمشق"، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٩ .

على الأمراء بالصلاة وكان لمعاوية بيت يسمّى بيت الحكمة فكلما وجد حديثاً ألقاه فيه،] [٦] وأول من غزا في البحر وأنشأ الأسطول في صناعة صور وطرابلس، وكان كثيراً ما يطلب من الخليفة الثاني أن يأذن له بصنع الأسطول [فـ]ما سمح بركوب البحر للمتطوعة يبحرون برضاهم غير مكرهين ولما جاء الخليفة الثالث انطلق معاوية في بناء السفن كما أراد، وكان معه في فتح رودس وقبرص ألف وسبعمائة سفينة، هذا عدا السفن التي أحرقت في طرابلس بأيدي أناس من صنائع الروم، وكان روم القسطنطينية في خوف من أسطوله في البحر، كما يحسبون ألف حساب لجيشه في البر.

ومن أهم ما قام به تنظيم الجيش، وإدخال الإصلاحات التي تزيد في قوته، و[تبقيه] أبداً تحت السلاح عند الطلب، فضاعف لذلك عطاءه وأرزاقه، ووقت أوقاتاً لتناول الرواتب، فهو أول من [جهز الجيش بـ]ما يلزمه، وجعل الجندي لا يستند في معاشه على غير رزقه. وكان لكل جند من أجناد الشام جيش خاص به من أهل الإقليم الذي يتألف فيه جند دمشق [و]جند الأردن [و]جند فلسطين [و]جند قِنَّسْرين. وأهم ما كانوا يهتمون له المرابطة على الحدود والثغور القريبة من أرض الروم. ولطالما أدهش معاوية الروم بصدقه كما أدهشهم بوفائه ودهائه. وقد ارتهن مرة رهائن منهم وضعهم في بعلبك، فغدر به الروم بعد مدة، فلم يستحلَّ قتل من في يديه من رهنهم وأخلى سبيلهم وقال: وفاء بغدر خير من غدر بغدر.

ومعاوية أول من [أصلح] البريد [وكان وضعه عمر]، أحضر رجالا من دهاقين الفرس فعرَّفهم ما يريد [٩] فوضعوا له البريد واتخذوا له بغالا بإكاف كان عليها السفر. وهو الذي اخترع ديوان الخاتم وحَزْم الكتب، ولم تكن تحزم، وجعل على كل قبيلة من قبائل مصر رجلاً يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول: هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم نازل؟ فيقال ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب أسماءهم، ويقال نزل بهم رجل من أهل كذا بعياله فيسميه وعياله، فإذا فرغ من هذا القبيل أتى الديوان حتى يثبت ذلك. وبهذا كان الخليفة يحصي السكان ولا يفوته خبر المتنقلين في ربوع بلاده.

كان لمعاوية أنواع من السياسات برّز فيها. كان لا يُوَلي إلا السيد المسوّد في قومه، ويستميل القلوب بالعطاء أو بالإقناع أو بالإغضاء، فإذا لم تنجع هذه الوسائل وتوجّس شراً ممن أغضى عنه وترضاه فلم يفلح عمد إلى القسوة وكان يقول لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني، ولو أن بيني وبين

---

٦. مقطع أضافه الكاتب على هامش الصفحة.

الناس شعرة ما انقطعت. ويقول أيضاً : إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا. أي أنه يطلق [للرعية] حرياتهم فإذا [أبدوا شراً] أذاقهم بأسه. وكان يبذل الأموال العظيمة للعلويين والهاشميين فإذا لامه أحد على هذا البذل أجابهم أن الحرب تستلزم نفقات أكثر من هذا العطاء. وكذلك كان ابنه وولي عهده يزيد : اعطي عبد الله بن جعفر أربعة آلاف ألف فقيل له : أتعطي رجلاً واحداً هذا ؟ فقال : ويحكم إنما أعطيتها أهل المدينة أجمعين فما يده إلا عارية .

واستخدم معاوية القصاص للدعاية السياسية يقعدون في المساجد والمعسكرات يدعون لدولته وينفرون من أعدائها، وهذه الدعاية لم تكن زمان النبي ولا زمان صاحبيه أبي بكر وعمر، وكان القاصّ إذا سلم الإمام من صلاة الصبح جلس فذكر الله وحده [ ١٠ ] ومجده، وصلى على نبيه، ودعا للخليفة ولأهل بيته وجنوده، ودعا على أهل حربه. واستخدم أيضاً الشعراء للدعاية، وزين لهم الدعوة إلى التفاخر بالقبيلة والأيام المشهورة، فكان جميع أهله خطباء، [وكذلك] قوادهم ورجالهم [كانوا] خطباء أبيناء. وخُطب زياد وعقبة والحجاج من أبلغ ما يؤثر عن خطباء العرب.

كان معاوية يخرّج عماله في الإدارة، ولا يعتمد إلا على العظماء والدهاة أمثال عمرو بن العاص والمغيرة [بن شعبة]. وكان من عادته إذا أراد أن يولي رجلاً من آله بني حرب ولاّه الطائف، فإن رأى منه خيراً وما يعجبه ولاّه مكة معها، فإن أحسن الولاية وقام بما ولي قياماً حسناً جمع له معها المدينة، فكان إذا ولي الطائف رجلاً قيل هو في أبي جاد، فإذا ولاّه مكة قيل هو في القرآن، فإذا ولاّه المدينة قيل هو قد حذق.

وله في سياسة العناصر ضروب من الإبداع منها أنه رأى النصارى كثرة غامرة في الشام فما أحب إجلاءهم؛ وما رأى من السياسة تركهم وشأنهم، فنقل إلى الساحل قوماً من زَطّ البصرة والسبابجة وأنزل بعضهم أنطاكية، ونقل قوماً من فرس بعلبك وحمص وأنطاكية الى سواحل الأردن وصور، ونقل [إلى الشام] من أساورة البصرة والكوفة (الأساورة قوم من العجم بالبصرة كالأحامرة بالكوفة). وأسكن حصن سفيان الذي بناه على أميال من طرابلس، جماعة كثيرة من اليهود، وأسكن الشام كله جمهرة من القبائل العربية مزجهم بأهلها الأصليين، فأصبح الساحل كالداخل غاصاً بالعجم والعرب وبالسود والبيض وبالمسلمين والنصارى واليهود.

[ ١١ ] خشي معاوية أن يهلك الحجاز إذا اعتمد [أهله] على الموسم موسم الحج، أو على صدقات المسلمين، فعني في جملة ما عُني به من أعماله بإصلاح الزراعة في الحجاز، فأحيا موات الأرضين، واحتفر الآبار للسقيا، وأقام سدوداً لخزن المياه والأمطار،

فعاشت الحجاز من أرضها قرناً لم تشهد مثله من قبل ولا من بعد . وسارت أسرته على قدمه في هذا الباب فما [أُسّس] عمله بل تعهدته ونمته. وتسلسلُ الفكر ماثل في بني أمية يُتم الآخر أبداً ما بدأ به الأول، لا ينقضه ولا يغيره. وأعظم ما فاز به معاوية أن رعيته من أهل الشام كانت تحبه محبة عظيمة، وبهم وري زناده وكتب له النصر على أعدائه.

---

وأين مثل مروان، وابنه عبد الملك وابنه عبد العزيز و[أين مثل] سليمان بن عبد الملك، والوليد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ؟ ولعمر بن عبد العزيز في أمور الدولة وسياستها وتنظيم إدارتها إبداع لم يعهد مثله إلا لجده لأمه عمر بن الخطاب، وكانت له في باب التقوى والزهد أعمال يتضاءل معها سيرة الزهاد المشهورين. [ ١٢ ] قال ابن الأثير : ولقد سمعت عن عمر بن عبد العزيز كلمة أعجبتني جداً، وهي أنه قيل له في الذي يخرجه ويطلقه من الأموال التي لا تسمح نفس بعضها فقال لهم : أنا فتحت الدكان بعد العصر، فاتركوني اعمل الخير فكم أعيش؟ وكذلك كان.

[كان الأمويون يراعون المصلحة في إدارتهم بل في الأحكام الفرعية التي لا تعبث بأصل من أصول الإسلام فقد قضى مروان بن الحكم بشهادة الغلمان وكان ابنه عبد العزيز أول من ضرب دنانير في الإسلام وابنه عمر بن عبد العزيز أول من سن الصداق أربع مائة دينار. وجعل معاوية دية المُعاهد نصف دية المسلم وكانت دية اليهودي والنصراني في زمن الرسول وأبي بكر وعمر وعثمان مثل دية المسلم فلما كان معاوية أعطى أهل القتيل النصْف وأبقى النصف في بيت المال وقضى عمر بن عبد العزيز بالنصف وألغى ما كان جعل معاوية. وهو أول من قضى أن يرث المسلم الكافر ثم قضى بذلك بنو أمية حتى كان عمر بن عبد العزيز فرد ذلك إلى ما قضى فيه النبي وهو أن لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر ثم رد هشام بن عبد الملك إلى قضاء معاوية وبني أمية. وهو أول من اتخذ من الخلفاء الخانات للمسافرين كما اتخذ دار الضيافة. ومما أثر عن الوليد بن عبد الملك أن طلب في معظم أيامه أن ينادى باسمه فقط إتباعاً لعمل الرسول خاف الألقاب والمصانعات التي قد يغرق فيها من يحبون التقرب من الخلفاء]. [٧]

---

٧. سطور أضافها الكاتب على هامش الصفحة تحت رقمي ٥٥ و ٥٦.

ومما امتازت به دولة الأمويين أنها كانت دولة عربية صرفة بدمها وأخلاقها وعاداتها ومراميها ومظاهرها، وكان أبناؤها كلهم يحرصون على التزوج من العربيات من بنات الأشراف، ولم يكن في جميع خلفائهم من أمه أم ولد غير مروان بن محمد آخر خلفائهم في الشرق، [وكان النساء] في دولة بني أمية [يتدخلن] في شؤون الدولة.

---

[١٣] ومما امتازت به دولة بني أمية غرام رجالها بالعمران، فقد أقام خلفاؤهم في المشرق أمثال الوليد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك [وعمر بن عبد العزيز] من الجوامع والمستشفيات والخانات ودور الضيافات والقصور والطرق والجسور والسدود وتمصير الأمصار وتحضير البوادي والقفار ما هو عجيبة [الأعصار]، وما زال الجامع الأموي بدمشق [وقصورهم المنتشرة] في [أرض الشام شاهدة] على تلك العناية الفائقة. قال أحد دهاقين خراسان لعاملها من بني أمية إنكم بنيتم الإيوانات في المفاوز، فيجيء الجائي من المشرق والآخر من المغرب فلا يجدان عيباً إلا أن يقولا: سبحان الله ما أحسن ما بُني.

أما ما قامت به دولتهم في الغرب من الأعمال العظيمة على يد مؤسسها عبد الرحمن الداخل وآل بيته، فأعاد به مجد آبائه، فالكلام عليه يطول. ولا نغالي إذا قلنا إن ثلث ما تم للعرب من [١٤] حضارة قام في الأندلس بفضل بني أمية، والثلثان الآخران قاما في بغداد ودمشق والعواصم الأخرى.

وبما عرف به الأمويون من مرونة سياسية وإدارة حكيمة رشيدة انتشر الإسلام وانتشرت اللغة العربية في القاصية من دون ما دعاية ولا تبشير مبشرين، وامتد ملكهم الواسع في [أصقاع] تبلغ مساحتها نحو ثلاثة أرباع مساحة أوربا، وقدرها بعضهم بثلاثة آلاف وسبعمائة فرسخ وذلك من سواحل الأطلنطي إلى تخوم الصين، ومن جبال القوقاز وما وراءها إلى خط الاستواء وما وراءه. وفي عهدهم دخلت في الإسلام أمم كثيرة من السلالة السامية (العرب والسريان والكلدان) ومن السلالة الحامية (المصريون والنوبيون والبربر والسودان) ومن السلالة الآرية (الفرس واليونان والإسبان والأهاند) والأهاند أو الهنادك [هم الهنود]، ومن السلالة التورانية (الترك والتتار) وكانت تقام شعائر الإسلام ويقرأ القرآن في قرطبة وفاس كما تقام الصلوات في السند وسمرقند، وتتلاقى العناصر المختلفة في الموسم بمكة، وفيهم الأسود والأحمر والأصفر والأبيض تجمعهم جامعة الإسلام والطاعة لبني أمية. وأصبحت دمشق هذه في نظر المسلمين كرومية في نظر أهل النصرانية.

[ ١٥ ] وما كان خلفاء بني أمية فقط ممتازين بأمور تفردوا بها على من سواهم، كان رجالهم وقوادهم وعمالهم يشتغلون لدولتهم [ فقط ولا ينظرون إلى مصالحهم الخاصّة على الأكثر ] . وعلى ما ظهر من تعصب الأمويين، وكانوا لا يوسدون الولايات إلا للعرب، ولا يأمنون على سياستهم إلا للعرب، كنت تراهم في المسائل الأخرى أعجوبة في تساهلهم. آخذ بعضهم عبيد الله بن زياد لاعتماده على الفرس في مسائل الأموال فقال مدافعاً عن نفسه : "كنت إذا استعملت العربي كسر الخراج، فإن أغرمت عشيرته أو طالبته أوغرت صدورهم، وإن تركته تركت مال الله وأنا أعرف مكانه، فوجدت الدهاقين أبصر بالجباية، وأوفى بالأمانة، وأهون بالمطالبة منكم، مع أني قد جعلتكم أمناء عليهم لئلا يظلموا أحداً."

وما كان يخلو قائد من قواد الأمويين من مزايا، فقد اشتهر الحجاج مثلاً على عظيم سياسته بأمور [ منها ] إصلاح الموازين والخراج والزراعة، ووضع الحركات والإعجام في المصاحف، لئلا يلتبس شيء من الآيات على من لا يعلم القرآن [ وهو أول من كتب القرآن على درهم، ] واتخذ دار الضرب لسك النقود فكان يضرب المال للسلطان مما يجتمع له من [ ١٦ ] التبر وخلاصة الزيوف والستوقة والبهرجة، ثم أذن للتجار وغيرهم في أن تضرب لهم الأوراق، واستغلها من فضول ما كان يؤخذ من الأجرة للصناع والطباعين وختم أيدي الطباعين. وهو أول من أجرى في البحر السفن المقيّرة المسمرة غير المخرزة والمدهونة وغير ذوات الجآجئ ( [ الصدور ] ) وأول من عمل المحامل [ وهو الذي وضع أيمان البيعة رتبها مشتملة على أمور مغلظة من طلاق وعتق وصوم ونحو ذلك. ]

[ وأُثرت له غرائب في أعماله كان يستوحيها من حوادث تقع له منها أنه نظر يوماً على المائدة إلى رجل وجأ عُنُق رجل آخر قد عابهما، فقال للواجئ : علام صنعت ؟ فقال : غصّ بعظم فخفت أن يقتله، فوجأت عنقه فألقاه، فسأل الآخر فقال : صَدَق ؛ فدعا بالطباخ فقال له : أتَدع العظامَ في طعامك حتى يَغصَّ بها فقال : إن الطعام كثير، وربما وقع العظمُ في المَرَق فلا يُزال قال : تعبُّ المرق على المناخل. فكان يفعل. ] [٨]

وكان من زياد بن أبي سفيان مثل ما كان من الحجاج : بنى في البصرة دوراً وأحياء ومساجد وحفر ترعاً وأنهاراً وكل ما بنى فيها أو صنع فإنه نسب إلى غيره. قال عمر بن عبد العزيز : قاتل الله زياداً جمع لهم كما تجمع الذرّة ، وحاطهم كما تحوط الأم البرة، وأصلح العراق بأهل العراق، وترك أهل الشام في شامهم، وجبى العراق مائة ألف

٨. سطور مخطوطة أضافها الكاتب على هامش الصفحة تحت الرقم ٦٦ .

ألف وثمانية عشر ألف ألف. وهذا عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية وأخطب رجل في بني أمية كان يطفئ الفتن ببلاغته أكثر مما يطفئها بجيش دولته. وهذا موسى بن نصير فاتح الأندلس ما التوى له علم منذ خرج من مصر في جيش ضئيل حتى وصل إلى الأندلس ففتحها.

[وكان] مسلمة بن عبد الملك على جانب عظيم من العقل والسياسة والعلم والأدب. غزا الروم غير مرة وأثخن فيهم. وفتح [ببعض] الأُمهات من مدائنهم، وتولى الأعمال الجليلة ومنها العراقان وأرمينية، فأبان في كل مكان عن كفاءة منقطعة النظير وعن حب للخير غريب في بابه، وأوصى بجزء من ماله عظيم لأهل الأدب قائلاً إنهم أهل صناعة مجفوة. ولولا [١٧] أنه ابن أمة لكان من المحتّم أن يجلس على عرش الخلافة الأموية كسائر إخوته الأجلاء [لفرط علمه وبعد غوره وقويم سياسته.]

حكم الأمويون في الشرق ألف شهر، وحكموا في الغرب نحو ثلاثة قرون، وكانوا في الشرق والغرب يتحرون جداً في الأموال لا يأخذ الخليفة ما لا يحلّ. وكانوا لا ينقلون مالاً من بلد إلى بلد حتى تسد ثغره وخصاصة أهله بما يغنيهم، فما فضل منه نقلوه إلى البلد الآخر الذي يليه.

[وكان] عمالهم طبقة مختارة من أصحاب الشرف وأرباب البيوتات من العرب. وما ذكر التاريخ أن قائداً أُموياً أو وزيراً أُموياً صودر على مال، كما كان يصادر قواد العباسيين وولاتهم [١٨] ووزراؤهم؛ والسبب في ذلك انتظام طرق الجباية وقلة أنواعها عند الأُمويين. وكان هشام بن عبد الملك في تنظيم [موازنة] الدولة المثل الأعلى وموازنته خير موازنة عرفت. ثم إلى هذا كانت الأخلاق في العصر الأموي أرقى مما آلت إليه في العصر العباسي، كان في عمال الأمويين الصحابة والتابعون وتابعو التابعين، وكلهم غاية في فهم روح الدين، والبعد عن الصغائر والسفاسف. ودخل في عمال العباسيين أخلاط الزّمر، ومنهم من لا يعرف أبوه ولا أُمّه، ومنهم من أظهر الإسلام وأبطن خلافه، كبعض الأتراك والفرس ظلوا في باطنهم على عبادة الكواكب أو عبادة النيران.

---

الذكاء يورّث وينتقل بالدم، والعلم خاص بدارسه [لا يورث ولا يباع]، وابن الذكي ذكيّ، وابن البليد بليد على الأكثر. [و]للرجل المنسوب إلى جدّ [ذي] شأن عظيم [من المكانة ما ليس] مثله لرجل عادي كان، والدم الطاهر ينم عن صاحبه ولا يكذب رائده. [وبنو] أُمية لم يظهر ما ظهر منهم من الصفات الغرّ في الجاهلية

والإسلام إلا بدم نقي انتقل من الأجداد إلى الأحفاد، وتسلسل العقل والذكاء في رجالهم ونسائهم، وانتقلت الشجاعة والنجدة في بنيهم وبناتهم. وفي الحديث : الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا .

[ ١٩ ] وبعد فقد طال أمر هذه الدعوى الملفقة على الأُمويين، ومن الغريب أن يمتد النظر فيها إلى هذا العصر وكان المأمول أن يسهل على القضاة جمع الوثائق لإصدار حكم صحيح عليهم مدعوماً بالأدلة التي لا تقبل النقض. وواجب العارفين بعد توفر الأدلة إنقاذ شرف المتهمين من تهمة أتت من خصوم ألدّاء وتفننوا في أساليب إسقاطهم، وكلما رجا المعتدلون أن يخفف الزمن حدة هذا الحقد وهذا الكيد والنقمة زادت الضغائن قوة فأصبحت عقيدة وديناً وكان الكذب الفاحش في الأوائل والأواخر آخذاً بعض بركاب بعض.

نعم إن من غلوا في الحط من الأمويين كانوا دعاة مذهب سياسي استحلوا كل كبيرة في تحقيق آمالهم ووصلوا إلى غاياتهم فكانت دولتهم المصبوغة بمذاهبهم المنحرفة على مستوى الدول التي قامت في بلاد الإسلام بإدارتها وسياستها إن لم تكن أحط منها .أما وقد طوي الآن ذاك البساط بما عليه جملة وأصبح النظر فيما وقع من حق التاريخ فقط فالواجب أن نعيد النظر فيما جرى بعين الإنصاف ونعطي من أعلوا كلمة الحق والعروبة في الشرق والغرب ما هم أحرياء به من الحمد والثناء.

وبعد، فلولا أميّة ما قامت به دولة بني العباس على هذه العظمة في أول أمرها، فبفضل الأمويين رأى العباسيون أقطاراً منظمة ودولة قائمة ومدنية راسخة فانتفعوا بما وقعوا عليه، وأكلوا من ثمرات غرسها لهم من تقدّموهم، طرّسوا على آثارهم في تشييد دولتهم ثم مجدوا بيض أياديهم عليهم وكفروا بالنعمة التي صارت إليهم، وعادوا فبددوا هذا التراث العظيم وبسوء سياستهم وضعف إدارتهم أذلوا الأمة وكانت عزيزة الجانب.

ولو لا انتشار العلم في الدولة العباسية أكثر من انتشاره على عهد الدولة الأموية ـ وكان في هذه دور الحضانة الأولى وحضانة العلم في الأمم قد تطول ـ لقلنا إن الدولة العباسية ليست سوى دولة خلفت دولة وعاصمة تبدلت بعاصمة وأشخاص ذهبوا فأتى غيرهم. وإذا كان المعيار في الحكم على الدول ما قام في عهدها من جلائل الأعمال. فأعمال الأمويين تربو كثيراً على أعمال دولة بني العباس التي كانت أيامها كثيراً، هذا إذا أغفينا عما تلبست به الدولة الخانعة من المفاسد التي ما كان مثلها في السالفة.

كانت أيام الدولة الأموية عهد رخاء ورجاء وعهد الدولة العباسية، ما عدا عصرها الأول، عهد بؤس ونحس. كانت الدولة الأموية من أولها إلى آخرها نمطاً واحداً في القوة والتقدم أما الدولة العباسية فبدأت قوية ثم أخذت الآكلة تسري إلى جسمها. وكانت مدة مرضها وهي تصرخ وتئن حتى قضي عليها القضاء الأخير، ولا وجه للشبه بين جسم عاش في صحته ما قُدّر له أن يعيش وآخر قضى أيامه الطويلة في أسقام وآلام.

بدأت الدولة الأموية عربية وانتهت عربية عربت العناصر المستظلة بظلها وبدأت الدولة العباسية فارسية عربية وانتهت فارسية تركية كردية خزرية ديلمية بربرية ذات مسحة خفيفة من العربية في مظاهرها ومراسمها. كان من عاش في دولة بني أمية يحرص على سلامتها لاعتقاده أنها دولته وبها عزّه وغبطته، وبعض من عاشوا في دولة بني العباس عملوا على تقويض دعائمها وعلقوا آمالهم على غيرها. جَماع أيام العباسيين محن وفتن ومجموع أيام الأمويين سلام وأمل.] [٩]

ورحم الله صديقي شوقي [ يندب ] الأمويين بقوله :

بنو أمية للأنباء ما فتحوا ... وللأحاديث ما سادوا وما دانوا
كانوا ملوكاً سرير الشرق تحتهم ... فهل سألت سرير الغرب ما كانوا
عالين كالشمس في أطراف دولتها ... في كل ناحية ملك وسلطان
يا ويح قلبي مهما انتاب أرسمهم ... سرى به الهمّ أو عادته أشجان
بالأمس قمت على ( الزهراء ) أندبهم ... واليوم دمعي على ( الفيحاء ) هتان
[ ٢٠ ] في الأرض منهم سماوات وألوية ... ونيرات وأنواء وعقبان
معادن العز قد مال الرّغام بهم ... أو هان في تربه الإبريز ما هانوا
لولا دمشق لما كانت طليطلة ... ولا زهت ببني العباس بغدان
مررت بالمسجد المحزون أسأله ... هل في المصلى أو المحراب مروان
تغير المسجد المخزون واختلفت ... على المنابر أحرار وعبدان
فلا الأذان أذان في منارته ... إذا تعالى ولا الآذان آذان

٩. مقطع بخط يد الكاتب على هامش الصفحة تحت رقمي ٩٩٩ و ١٠٠٠.

*Chapitre C2 / dossier 4*
*13 p. dactylographiées*

**فصل م٢ / ملف ٤**
**١٣ صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة ومرقمة مع تصحيح الكاتب**

# الهزل في الجد [١٠]

الهزل في الجِدّ والجد في الهزل ضرب من الأدب ولو من ألوان البيان، عرفه الإفرنج بأنه عبث ينطوي على ظاهر من الجد، وأظهر مظاهره التهكم تدعمه بديهة جميلة، وليس [هذا الضرب من الأدب] خاصاً بعنصر من العناصر ولا بعصر من العصور. ولقد برز كثير من أدبائنا الأقدمين والمحدثين في التهكم أو الاستخفاف وتبارى فيه الشعراء والكتاب على السواء، واستطابه أُناس لما فيه من فائدة للمتعظ وفكاهة للملول. وتنفيس عن المهموم والمغموم، وإضحاك للعبوس القطوب [ويتقدم في] هذا النوع [من الكلام] من كان [التهكم في فطرته]، ومن كان له طبيعة مَرِحة [تميل إلى] المزاح. وقد دوّنت العرب منه شيئاً كثيراً ترونه مبعثراً في بطون كتب الأدب والسير ودواوين الشعر. وسيد من كان له التقدم في التهكم أو الهزل في الجد من المتقدمين عمرو بن بحر الجاحظ. [١١] جوّد في هذا الأسلوب من [وراء] الغاية. [٢] ومن أبدع ما أبدع فيه رسالته التي سماها التربيع والتدوير وهي التي هزأ فيها بأحمد بن عبد الوهاب الكاتب.[١٢] بدأها هكذا: "قال عمرو بن بحر الجاحظ كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر، ويدّعي أنه مفرط الطول، وكان مربعاً وتحسبه لسعة جفرته واستفاضة خاصرته مدوراً، وكان جعد الأطراف قصير الأصابع، وهو في ذلك يدعي السباطة والرشاقة، وأنه [عتيق] الوجه، أخمص البطن، معتدل القامة، تام العظم، وكان طويل الظهر، قصير عظم الفخذ. وهو مع قصر عظم ساقه، يدعي أنه طويل الباد، "الفخذ" رفيع العماد، عادي القامة، عظيم الهامة، قد أُعطي البسطة في الجسم، والسعة في العلم، وكان كبير السن متقادم الميلاد، وهو يدعي أنه معتدل الشباب حديث الميلاد. وكان ادعاؤه لأصناف العلم على قدر جهله بها، وتكلفه للإبانة عنها، على قدر غباوته عنها، وكان كثير الاعتراض، لهجاً بالمراء، شديد الخلاف، كلفاً بالمجاذبة، متتايعاً في

---

١٠. [من أحاديثنا تليت في راديو باري في إيطاليا] (للمؤلف).

١١. عمرو بن بحر الجاحظ (١٦٠–٢٥٥ هـ). انظر ما كتب عنه محمد كرد علي في "أمراء البيان"، ج ٢، ص ٣١١–٤٨٧، وفي "كنوز الأجداد"، ص ٧٢–٨٢.

١٢. انظر: سندوبي، رسائل الجاحظ، القاهرة، ١٣٥٢هـ /١٩٣٣م، والنشر الذي اعتنى به المستشرق الفرنسي شارل بلات فيما بعد.

العنود، مؤثراً للمغالبة، مع إضلال الحجة، والجهل بموضع الشبهة. قال : وكان قليل السماع غمراً ـ أي لم يجرب الأمور ـ وصحفياً ـ أي [ ينقل عن الصحف لا ] عن الرجال ـ غفلاً لا ينطق عن فكر وثيق بأول خاطر، ولا يفصل بين اعتزام الغمر واستبصار المحق، يعد أسماء الكتب ولا يفهم معانيها، ويحسد العلماء من غير أن يتعلق فيهم بسبب، وليس في يده من جميع الآداب إلا الانتحال لاسم الأدب." [١٣]

[ ٣ ][ وَهما أبدع فيه الجاحظ وصفه قاضي البصرة وصفه وصفاً لم يكتب لكاتب مثله فلعب بالعقول فكان وصفه من الكلام كما قال من أن الكلام مهذب قد يكون في لفظ الجد ومعناه معنى الهزل كما يكون في لفظ الهزل ومعناه معنى الجد. قال ]: [١٤]

"كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار، لم ير الناس حاكماً زميتاً ركيناً، ولا وقوراً حليماً، ضبط من نفسه، وملك من حركته، مثل الذي ضبط وملك. كان يُصلي الغَداة في منزله، وهو قريب الدار من مسجده، فيأتي مجلسه فيحتبي ولا يتكي، فلا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو، ولا يلتفت ولا يَحلُّ حبوته، ولا يُحِلُ رجلاً على أخرى، ولا يعتمد على أحد شقيه، حتى كأنه بناء مبني، أو صخرة منصوبة، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة الظهر، ثم يعود إلى مجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة العصر ثم يرجع إلى مجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة المغرب، ثم ربما عاد إلى مجلسه، ـ بل كثيراً ما كان يكون ذلك، إذا بقي عليه شيءٌ من قراءة العهود والشروط والوثائق، ثم يصلي العشاء الآخرة وينصرف.

[ ٤ ] "فالحق يقال لم يقم في طول تلك المدة والولاية مرة واحدة إلى الوضوء ولا احتاج إليه. ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب، كذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصرها، وفي صيفها وفي شتائها، وكان مع ذلك لا يحرك يداً ولا عضواً، ولا يشير برأسه وليس إلا أن يتكلم ثم يوجز، ويبلغ باليسير من الكلام إلى المعاني الكثيرة.

"فبينا هو كذلك ذات يوم في مجلسه، وأصحابه حواليه، وفي السماطين بين يديه، سقط على أنفه ذبان فأطال المكث، ثم تحول إلى موق عينه، فرام الصبر في سقوطه على الموق وصبر على عضته، ونفاذ خرطومه، كما رام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته، أو [ يُغَضِّن] وجهه، أو يذب بأصبعه، فلما طال ذلك عليه من الذباب، وشغله وأوجعه وأحرقه، وقصد إلى مكان لا يحتمل التغافل،

---

١٣. انظر: الجاحظ ، عمرو بن بحر، كتاب التربيع والتدوير، تحقيق وفهرسة وتقديم شارل بلات، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ١٩٥٥، ص ٥-٦.

١٤. تلك السطور أضافها الكاتب على هامش الصفحة تحت رقم ٩٩.

وأطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض، فدعاه ذلك إلى أن يُوالي بين الإطباق والفتح، فتنحى ريثما سكن جفنه، ثم عاد إلى موقه بأشدّ من مرّته الأولى، فغمس خرطومه في مكان، كان قد آذاه فيه قبل ذلك، فكان احتماله أقل، وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقوى، فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة، وألح في فتح العين، وفي تتابع الفتح والإطباق، فتنحى عنه بقدر ما سكنت حركته، ثم عاد إلى موضعه، فما زال يلحُّ عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده، فلم يجد يداً من أن يذب عن عينه بيده ففعل. وعيون القوم ترمقه، وكأنهم لا يرونه، فتنحى عنه بقدر ما رد يده، وسكنت حركته، ثم عاد إلى موضعه، ثم ألجأه إلى أن ذب عن وجهه بطرف كمه، ثم ألجأه إلى أن تابع ذلك، وعلم أن فعله كله يعين من حضره من أُمنائه وجلسائه، فلما نظروا إليه قال : أشهد أن الذباب ألجُّ من الخنفساء، وأزهى من الغراب قال : واستغفر الله فما أكثر من أعجبته نفسي، فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً، وقد علمتم أني عند نفسي وعند الناس من أرزن [ ٥ ] الناس، فقد غلبني أضعف خلقه ثم تلا قوله تعالى : "وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب" وكان بيّن اللسان، قليل فضول الكلام، وكان مهيباً في أصحابه، وكان أحد من لم يطعن عليه في نفسه ولا في تعريض أصحابه للمنالة" .

---

[ ٦ ] [ كان الرسول عليه الصلاة والسلام من أفكه الناس وهو القائل : روِّحوا القلوب ساعة بعد ساعة، وكان أصحابه يتمازحون حتى بحضرته وكذلك من بعدهم من التابعين والعلماء والأئمة . وكان ابن عباس إذا أُكثر عليه في مسائل القرآن والحديث يقول : أحمِضوا يريد خذوا في شعر وأخبار العرب، وقيل للخليل بن أحمد إنك تمازح الناس فقال : الناس في السجن ما لم يتمازحوا ] . [١٥] قالوا إن الأذن مُجّاجة وللنفس حمضة، أي إن الأذن لا تعي كل ما تسمع، وهي مع ذلك ذات شهوة لما تستطرفه من غرائب الحديث ونوادر الكلام.

قال الجاحظ : ولو استعمل الناس الدعابة في كل حال، والجِد في كل مقال، وتركوا التسميح والتسهيل، وعقّدوا في كل دقيق وجليل، لكان السفه صُراحاً خيراً لهم، والباطل محضاً أردَّ عليهم، ولكن لكل شيء قدر، ولكل حال شكل، فالضحك في موضعه، كالبكاء في موضعه، والتبسم في موضعه، كالقطوب في موضعه. والله

---

١٥ . تلك الحاشية أضافها الكاتب تحت الرقم ٢٤ .

سوّغ في المباح كما شدّد في المفروض، وجعل المباح جماماً للقلوب، وراحة للأبدان، وعوناً على معاودة الأعمال، وسبيل المزاح والجد، كسبيل المنع والبذل.

[٧] كان الجاحظ يحب النكتة الحارة جداً أو الباردة جداً، وعنده أن النادرة الباردة جداً قد تكون أطيب من النادرة الحارة جداً، وإنما الكرب الذي يخيم على القلوب ويأخذ بالأنفاس النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا هي باردة، وكذلك الشعر الوسط، والغناء الوسط وإنما الشأن في [الحارة جداً أو الباردة جداً].

عبث الجاحظ بكثير من القصاص والشعراء والمتأدبين من غير [إقذاع] ولا تفحش، وقف مرة وأحد أصحابه على قاصٍّ فأراد الاستخفاف به، فقال لمن حوله : إنه رجل صالح لا يحب الشهرة تفرقوا عنه، فتفرق الناس. فقال القاصّ : حسيبك الله ! إذا لم ير الصياد طيراً كيف يَمُدُّ شبكته. [٨] وفي نظره أنه ليس ينبغي لكتب الآداب والرياضيات أن يُحْمَل أصحابها على الجدّ الصرف، وعلى العقل المحض، وعلى الحق المرن وعلى المعاني الصعبة التي تستكلّ النفوس، وتستفرغ المجهود، وللصبر غاية، وللاحتمال نهاية، ولا بأس بأن يكون الكتاب موشحاً ببعض الهزل، على أن الكتاب إذا كثر هزله سخف، كما أنه إذا كثر جده ثقل، ولا بدّ للكتاب من أن يكون فيه بعض ما ينشط القارئ وينفي النعاس عن المستمع.

[٩] وروي أن رجلاً من أهل السواد يتشيع وكان ظريفاً فقال ابن عم له : بلغني أنك تبغض علياً، والله لئن فعلت لَتردن عليه الحوض يوم القيامة [ولا يسقيك، فقال: والحوض في يده يوم القيامة ؟] [١٦] فقال : نعم، فقال : وما لهذا الرجل الفاضل يقتل الناس في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالعطش ؟ فقيل له : أتقول هذا مع تشيّعك وتدينك ؟ فقال : والله لا تركت النادرة ولو قتلتني في الدنيا وأدخلتني النار في الآخرة.

ومن نكاته في بخل أهل خراسان وأهل مَرْوَ [١٧] خاصة قال : قال أصحابنا يقول المروزي للزائر إذا أتاه، وللجليس إذا طال جلوسه : تغديت اليوم ؟ فإن قال نعم قال: لولا أنك تغديت لغديتك بغداء طيب وإن قال : لا، فقال له : لو كنت تغديت لسقيتك خمسة أقداح، فلا يصير في يده على الوجهين قليل ولا كثير.

---

١٦. تلك الحاشية أضافها الكاتب تحت الرقم ٥٥.

١٧. تقع مدينة مرو (اليوم ماري) في تركمانستان، على طريق الحرير التاريخي. يُقال إنها كانت مدة أكبر مدينة في العالم في القرن الثاني عشر ميلادي. سجّلتها اليونسكو على قائمة التراث الإنساني العالمي سنة ١٩٩٩.

[ ١٠ ] وحدث عن ثمامة بن أشرس قال: لم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لاقط يأخذ الحبة بمنقاره ثم يلفظها قدّام الدجاجة إلا دِيَكة مرو، فإني رأيت ديكة مرو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحبّ. قال: فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد، وفي جواهر الماء فمن ثَمَّ عم جميع حيواناتهم. فحدث بهذا الحديث أحمد بن رشيد فقال: كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبيّ له صغير يلعب بين يديه، فقلت له: إما [عاتباً] وإما ممتحناً: أطعمني من خبزكم؟ قال: لا تريده هو مرّ فقلت: فاسقني من مائكم؟ قال: لا تريده هو مالحٍ قلت: هات لي من كذا وكذا قال لا تريده هو كذا وكذا، إلى أن عددت أصنافاً كثيرة. كل ذلك يمنعنيه ويُبغضه إليّ، فضحك أبوه وقال: ما ذنبنا؟ هذا من علّمه ما تسمع؟ يعني أن البخل طبع فيهم وفي أعراقهم وطينتهم.

قال وزعم أصحابنا أن خراسانية ترافقوا في منزل وصبروا عن الارتفاق بالمصباح ما أمكن الصبر، ثم إنهم تناهدوا وتخارجوا - أي أخرج كل واحد من الرفقة نفقة على قدر نفقة صاحبه - وأبى واحد منهم أن يُعينهم [ ١١ ] وأن يدخل في الغُرم معهم، فكانوا إذا جاء المصباح شدوا عينه بمنديل، ولا يزال ولا يزالون كذلك إلى أن يناموا ويطفئوا المصباح، فإذا أطفؤه أطلقوا عينيه.

[قال الجاحظ] ورأيت أنا حمّارة منهم زهاء خمسين رجلاً يتغدون على مباقل بحضرة قرية الأعراب في طريق الكوفة وهم حجاج، فلم أر من جميع الخمسين رجلين يأكلان معاً، وهم في ذلك متقاربون يحدث بعضهم بعضاً، وهذا الذي رأيته منهم من غريب ما يتفق للناس. وقال حدثني موسى بن عمران قال: قال رجل منهم لصاحبه وكانا إما متزاملين وإما مترافقين: لِم لا نتطاعم فإن يد الله مع الجماعة، وفي الاجتماع البركة؟ وما زالوا يقولون طعام الاثنين يكفي ثلاثة، وطعام الثلاثة يكفي الأربعة. فقال له صاحبه لولا أعلم أنك آكل مني لأدخلت لك هذا الكلام في باب النصيحة، فلما أن كان الغد وأعاد عليه القول، قال له: يا عبد الله معك رغيف ومعي رغيف، ولولا أنك تريد أكثر ما كان حرصك على مؤاكلتي، تريد الحديث والمؤانسة إجعل الطبق واحداً ويكون رغيف كل واحد منا قدام صاحبه، وما أشك أنك إذا أكلت رغيفك ونصف رغيفي ستجده مباركاً إنما كان ينبغي أن أكون أجده أنا ولا أنت.

[ ١٢ ] وقال: إنه ألف كتاباً في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل، ثمّ رجع عن ذلك وعزم على تقطيع ذلك الكتاب. قال: دخلت مرة مدينة فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة، [فسلمت عليه] فرد عليّ [أحسن] رد ورحب بي، فجلست عنده

وباحثته في القرآن فإذا هو ماهر فيه، ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول وأشعار العرب فإذا هو كامل الآداب فقلت : هذا والله مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب . قال فكنت أختلف إليه وأزوره فجئت يوماً لزيارته فإذا بالكُتّاب مغلق ولم أجده، فسألت عنه فقيل مات له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء، فذهبت إلى بيته وطرقت الباب، فخرجت إليّ جارية وقالت : ما تريد ؟ قلت : سَيِّدَك، فدخلت وخرجت وقالت : باسم الله، فدخلت وإذا به جالس فقلت : عظم الله أجرك، لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة . كل نفس ذائقة الموت، فعليك بالصبر، ثم قلت له : هذا الذي توفى ولدك ؟ قال : لا، قلت فوالدك قال : لا قلت فأخوك قال : لا، قلت فزوجتك ؟ قال : لا، فقلت وما هو منك ؟ قال : حبيبتي، فقلت في نفسي هذه أول المناحس. فقلت : سبحان الله النساء كثير وستجد غيرها فقال : أتظن أني رأيتها ؟ قلت : وهذه منحسة ثانية . ثم قلت : وكيف عشقت من لم تر ؟ فقال : إعلم أني كنت جالساً في هذا المكان وأنا أنظر من الطاق إذ رأيت رجلاً عليه بُرد وهو يقول :

| | |
|---|---|
| يا أم عمـرو جـزاكِ الله [ مغفــرة ] | رُدي علي فؤادي [ كالذي ] كانا |
| [ ١٣ ] [ ألست أحسن من يمشي على قدم | يا أصلح الناس كل الناس إنسانا ] |

فقلت في نفسي : لولا أن أم عمرو وهذه ما في الدنيا أحسن منها ما قيل فيها هذا الشعر فعشقتها، فلما كان منذ يومين مرّ ذلك الرجل بعينه وهو يقول :

| | |
|---|---|
| إذا ذهب الحمار بأم عمرو | فلا رجعت ولا رجع الحمار |

فعلمت أنها ماتت فحزنت عليها، وأغلقت المكتب وجلست في الدار. فقلت: يا هذا إني كنت ألفت كتاباً في نوادركم معشر المعلمين، وكنت حين صاحبتك عزمت على تقطيعه والآن قد قوّيت عزمي على إبقائه وأول ما أبدأ أبدأ بك إن شاء الله تعالى.

*Chapitre C3 / dossier 5*
*1 p. manuscrites*

**فصل م٣ / ملف ٥**
**صفحة واحدة بخط يد الكاتب**

# شعر الثورة

قام الشعر العربي من أول نشأته على المديح والهجاء، [والفخر والرثاء،] وسار على ذلك قروناً وفي أول هذا القرن بدأ المتعلمون [في ديارنا] يتأففون من المديح والهجاء وأخذوا يجعلون من الشعر موضوعات اجتماعية وسياسية وغيرها. كاد أدب العرب أن يكون شاعراً إلا أقله وشعراً يدور على المدح لا يقصر [ناظموه] غير استجداء الممدوحين وهؤلاء يكثر سوادهم في أرباب السلطان وتكون لهم من المساوئ على الأغلب ما لا تمحوه القصائد مهما كثرت.

وما قام قبل محمود سامي البارودي في مصر من ينقذ الشعر من وصمة المدح أي وصمة الديار ويدخل مدخل الصدق والحق ويطهر الأقطار العربية من [مداحين] وإذا لم يعطوا حتى يرضوا ينقلبون حالاً هجائيين يستحلون الصامد كل سبة [بهجوهم] كما استحلوا اختلاق كل منقبة كاذبة له عند مدحه فالمادح كذاب والقادح منافق. ولو كان جميع من مدحهم الشعراء على الصورة التي وضعوا بها لكان أرباب الزعامات القابضون على خزائن الأرض من الملائكة الأخيار الأطهار.

ما كان الشعر إلا أداة من أدوات التأثير في الجماهير ليس له شأن في الحقيقة إلا أن يُطبّل ويزمر لصاحب القوة أياً كان وكانت أخلاقه، ومن العادة ألا يجود الشعراء بشعرهم إلا على من يجود عليهم العطايا، وعلى نسبة العطايا يجود الشعر فالشعراء طلاب بُرّ وبِرّ لا يتوقعون منهم غير هذا وإذا وقع لأحدهم حكمة جميلة أو وصف صحيح فذلك من النوادر. [ورأينا] الشعر [لم يزك] إلا مع ملك ظالم وفي مستنقع وبيل، ولذلك تخلف الشعراء في مصر على عهد ثورتها الأخيرة عن الإشادة بها وكانوا في عهد الملوك وقفاً على اختلاف الأماديح لهم يتخذون منهم معاول للتخريب في أخلاق الأمة.

كان الشعراء [في مصر] يقرضون الشعر ويطيلون القصيد لأقل مناسبة وابتلاهم المولى بالصمت عند وجوب الكلام هذه الأيام كأنهم عزّ عليهم أن تقضي الثورة على أصنام عبدوها هم وآباؤهم [زمناً طويلاً] وهم يتوقعون أن يعود عهد سادتهم وتعود الحال لا قدر الله إلى ما يقدرون لها وترجع دولة الفجور والظلم التي كانوا تغنوا بذكرها وعطّروا المجالس بحمدها. ظهرت هذه المرة حقيقة ما يبطنه الشعراء وتعاموا أو عموا

عما أتت به الثورة من [الحسنات] ومنها الضرب على الغني الظالم ورأوا من اللائق بهم أن يظلوا في صفوف من كانوا يلتقطون صدقاتهم. ولو كنت من رجال الثورة لمنعت الصحف من نشر كل مديح على يقين الشعراء من سباتهم ولا يجدون من يبيعون منهم بضاعتهم المزجاة للمستحقين وغير المستحقين.

**فصل م٤ / ملف ٧**
**٩ صفحات بخط اليد**

*Chapitre C4 / dossier 7*
*9 p. manuscrites*

# ذكريات مصر[١٨]

[نقل صديقي الأستاذ] إبراهيم سليم نجّار [فكتب لي من ذكرياته في مصر ما يأتي :]

كان العقد الأول من هذا القرن العشرين حافلاً بالذكريات الصحافية والسياسية والأدبية التي قام بها رجال الأدب والصحافة [من أهل] سورية ولبنان، وقد قُدِّر لهم أن [يتبؤوا] مركزاً ممتازاً في المجتمع والصحافة في القاهرة والإسكندرية تذكر منهم شبلي شميّل،[١٩] [٢] رفيق العظم، عبد الحميد الزهراوي، رشيد رضا، داوود بركات، سليم سركيس، عبد القادر المغربي، محمد كرد علي، خليل مطران، إلياس فيّاض، وصاحب هذه الذكريات [٢٠] وغيرهم ممن لا يزالون في مصر [يتبوّءون المقام الأول] في صحافتها ومجتمعها، فقد كان الأولون يؤلفون حلقة تكاد تكون واحدة، [٣] [وكانت لهم] في معظم الصحف العربية الكبرى مراكز ممتازة تكاد لا تخلو صحيفة واحدة منهم كالأهرام والمقطم والمؤيد [٢١] والصحف اليومية الأخرى باستثناء جريدة اللواء لصاحبها مصطفى كامل الذي أراد أن يستغني عن أقلام اللبنانيين والسوريين. [٢٢] [٤] وقد استأثر [السوريون واللبنانيون] حتى بالأخبار [و]كان نجيب هاشم أكبر مخبر صحفي

---

١٨ . كان العنوان الأصلي لهذا الفصل : "ذكريات مصر في الصحافة والسياسة والأدب في صدر هذا القرن" فغيّره الكاتب.

١٩ . يلاحظ هنا أن الراتب "دكتور" شُحط، كما شُحطوا كل الألقاب (بك، أستاذ، افندي) من هذا النص.

٢٠ . يقصد هنا : ابراهيم سليم نجار

٢١ . ثلاث جرائد من أهمّ الجرائد المصرية في ذلك الوقت: أسّس سليم وبشارة تقلة جريدة الأهرام في الإسكندرية سنة ١٨٧٦ ؛ أُنشئت المؤيّد لصاحبيها أحمد مادي وعلي يوسف في القاهرة عام ١٨٨٩، وتبعتها في السنة نفسها والمكان نفسه جريدة المقطّم، التي أسّسها يعقوب صرّوف وفارس نمر ومكاريوس.

٢٢ . [السبب في ذلك أن من السوريين من استخدموا في الأمن العام بمصر على عهد الاحتلال الإنكليزي فارتاب المصريون في معظم من ينزلون عليهم من أصل هذه الديار (م.ك.)] (للمؤلف)

في القاهرة يعمل [٢٣] في صحفها الكبرى في المؤيد والأهرام وحيناً في المقطم، وكان له في كل منها مقام محمود.

[ ٥ ] وقد ألف معظم الذين ذكرتهم حلقة لهم في قهوة "السبلندد بار" [٢٤] فكانوا يجتمعون عصر كل يوم في حلقات. فكان [ طاهر الجزائري ]، رفيق العظم [ وسليمان البستاني ] ورشيد رضا، ومحمد كرد علي [ وخليل سقال وطانيوس عبده ونجيب شاهين ] [ ٦ ] يؤلفون حلقة واحدة. كما كان شبلي شميل وداوود بركات وسامي قصيري وسليم سركيس وأمين تقي الدين وصاحب هذه الذكريات، يؤلفون حلقة ثانية. فيتنادرون ويتحدثون. وكان اجتماعهم يكاد يكون يومياً دون انقطاع، ودون أن يعقد النصاب كمجلس النواب. وقد اشتهرت [ هذه الاجتماعات ] حتى أن زبن "السبلندد" كانوا يربطون كراسيهم من الصباح [ ٧ ] ليتمتعوا بسماع أحاديث هؤلاء الأعلام في الصحافة والأدب والعلم.

وكان يندر أن لا يحضر معهم بعض أعلام الأدب والشعر في مصر أمثال خليل مطران، وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبري:[٢٥] فتتناول أحاديثهم جميع فروع السياسة والصحافة والشعر والأدب.

وقد اشتهرت هاتان الحلقتان حتى كان يحضرهما بعض غرباء اللغة كلطفي فكري بك مبعوث دَرْتسم الذي كان [ ٨ ] محامياً في المحاكم الأجنبية في القاهرة أو عبيد الله أفندي مبعوث [ إزمير ]. وأصبحت لهما بعد مكانة عظمى في مجلس [ النواب العثماني ] الأول الذي اجتمع في أواخر سنة ١٩٠٨.

ومما لا جدال فيه أنه كان لرجال الأقلام السوريين واللبنانيين تأثير كبير في الحركة الفكرية في ذلك العهد، وفي حركة مصر الصحافية. فقد ارتقت بفضل أقلامهم وأفكارهم وانتشرت في ذلك الزمن انتشاراً كبيراً كان ذا أثر في نهضة مصر.

[ ٩ ] وكان العقد الأول من هذا القرن فاتحة النهضة الصحافية والأدبية التي اتسعت وعظمت في مصر، وكانت قهوة "السبلندد بار" أشبه بمجلس لهم لا يزال أرجاء مصر وسورية ولبنان يذكرونه بالخير إلى الآن.

---

٢٣. في الأصل : يحمل.

٢٤. موقع هذا المقهى كان في شارع عماد الدين أو شارع إبراهيم باشا، في القاهرة. انظر الجزء الأول من "المذكرات"، الفصل بعنوان: "الرجال الذين عرفتهم في مصر"، ص٢٥١-٢٥٧.

٢٥. خليل مطران (١٢٨٨-١٣٦٨ هـ/ ١٨٧١-١٩٤٩ م) وحافظ ابراهيم (١٢٨٧-١٣٥١ هـ/ ١٨٧١-١٩٣٢ م) وإسماعيل صبري (١٢٧٠-١٣٤١ هـ/ ١٨٥٤-١٩٢٣ م) : شعراء مصر من الطبقة الأولى. انظر ما كتبه عنهم محمد كرد علي في "المعاصرون"، ص٢١٣-٢٢٣، ١٦٢-٢٠٩ و١١١-١٣١.

# سرّ الأرض[٢٦]

لو لم تقذف الشام إلى مصر في القرن الماضي بفئة صالحة من أذكياء أبنائها لباتوا في بلدهم خاملين أو يكادون. ولما تم على أيديهم ما تم من جلائل الأعمال في الآداب والتجارة والصناعات الحرة. والأرض تعلي شأن أبنائها وتخفضهم، والبيئة الضيقة لا تشبه البيئة الواسعة، والعبقرية كالغرسة تقوى بنقلها من أرض إلى أرض فتجمع إلى ما ورثته[٢٧] من موطنها الأول ما خصت به تربة موطنها الثاني من القوى، وفي ذلك كل الفائدة للأصل والفرع يرفد أحدهما الآخر. كانت هجرة بعض رجال المال والأعمال وأرباب العلم والمعرفة من الشاميين إلى مصر عاملاً عظيماً في ظهورهم بالمظهر الذي أعدتهم الفطرة له ثم طبعهم القطر الذي نزلوه بطابعه، ومصر مشهور واديها بسرعة نمو الإنسان والحيوان والنبات والشجر.

وما برحت أستعظم ما كتبه في بيئته الضيقة (لبنان) صديقي مارون عبود في نقد الشعراء والكتاب ممن وصلت إليه ثمرات عقولهم، ثم رأيته ينقد القصة والمسرح بأسلوب حديث فيه سخرية ودعابة، وفيه تعليم وتثقيف وكل أولئك من دون ما تجريح ولا إجهاز. مخالفاً طريقة النقاد في القرن الماضي، وكان أكثر انتقاداتهم مهاترات يصعب على الكريم هضمها.

وفق الأستاذ عبود إلى أن يمزج أفكاره بتوابل وأفاويه يستطيبها أرباب الذوق السليم، وامتازت كتاباته بما يتجلى فيها من أدب النصرانية والإسلام يستشهد بحوادث الأرض، وفي هذا الضرب من الكلام يثبت أنه قرأ كثيراً وتمثل كثيراً وأحسن استخدام ما اعتقد فائدته من فنون القول وصور ما وقعت عليه عينه ووعاه قلبه، فأتى بما يشوق ويروق ونادى أن الإجادة في الصناعتين تتوقف[٢٨] على فطرة وذوق أو طبع وتطبع.

---

٢٦ . هناك هامش في أعلى الصفحة : "للمذكرات الجزء الخامس"

٢٧ . هناك نسخة ثانية لهذا النص (ملف ١١–١٥) يوجد فيها هذا التصحيح هنا : "ما علت بها"

٢٨ . في النسخة الثانية : "أولاً"

حملت كتبه ( دمشق وأرجوان ) و( في المختبر ) و( رواد النهضة الأخيرة ) و( على المحك ) و( صقر لبنان ) و( زوبعة العصور ) و( مجد دون مجترون ) و( الرؤوس ) الخ. [٢٩] مثالاً جميلاً من أمثلته وجهاده وثمرة طيبة من ثمار غرسه، ولطالما علم من يريد أن يتعلم بأنه لا تستقيم صيغ الكلام إلا إذا راعوا قواعد اللغة ووقفوا عند حدود بيانها. وغرامه في كل ذلك أن ينقى الزغل والزؤان من الغلات الجديدة لا يراعي فيما ارتآه صاحياً ولا يرهب في نقده كبيراً. وقد يقارن بين أدب العرب وأدب الإفرنج، ويسير مع خطة[٣٠] العصر من الغربيين في محاولتهم نبذ التفاهة من أدبهم.

ولو قدر لصاحبي العلامة أن ينتقل إلى أرض الفراعنة كما كان من بعض من اشتهروا فيها من أبناء وطنه لزاد الانتفاع بنتاج قريحته ولكثر قراؤه ومريدوه. ذلك لأن مصر في رواج الآداب بالقياس إلى الأقطار العربية الأخرى كالنهر العظيم إذا قيس بالجداول. ولو هبط الأستاذ عبود مصر لنجا من حساده وممن تناولهم قلمه بالنقد فأغضبهم. وفي نقد الكتب تمحيص العلم وحمله صافياً إلى عقول طلابه، و[ تعرية ] الحقائق من الأوهام فالنقد من أعظم الأعوان على نشر المدنية وبث العلم.

ويعجبني ما قاله مؤلف من أهل إسكندينافيا في [ وصف ] النقاد [٣١] قال : لا نجد في العالم مدينة أقامت تمثالاً لنقاد ، لأن النقاد أعداء المؤلفين في الأرض، والنقد يثقل على الطباع كلها ولا يرتاح إليه إلا من يرون فيه تسلية ومتعة، وطريقاً يصلون منها إلى باب من أبواب الإطلاع على العيوب. وعلى الغالب تشمئز نفوس المنتقدين ممن تناولوهم بالنقد، مهما كان الناقدون على حق في نقدهم، ومهما بالغوا بالتلطف مع من ينقدون كلامهم.

---

٢٩ . للاطلاع على العناوين الكاملة لهذه المؤلفات، انظر فهرس المراجع في آخر هذا الكتاب.

٣٠ . في النسخة الثانية : "على طريقة ( العصر )"

٣١ . في النسخة الثانية : "( في ) النقد ( قال )"

فصل م٦ / ملف ١١-١ *Chapitre C6 / dossier 11-1*

# صدق المجوس

من مبحث في ( ذي القرنين ) كتبه أبو الكلام آزاد من كبار علماء الهند ونشرته مجلة الثقافة الهندية أن من تعاليم زردشت صدق النية وصدق القول وصدق العمل. قال وكان ذو قرنين يدين [بالزردشتية] ويثبت له القرآن الإيمان بالله واليوم الآخر، بل يجعله من الملهمين عند الله. أفلا يلزم من هذا أن دين زردشت كان ديناً صحيحاً إلهياً ؟ وقد ثبت أن هذا الدين كان دين التوحيد والأخلاق الفاضلة، وأن عبادة النار والعقيدة الثنوية ليستا منه، بل من بقايا مجوسية ماني [٣٢] التي اختلطت بالزردشتية في العصور التالية [ا هـ]. أسرار لا يصل إلى كشفها إلا من بحثوا في الأديان بحث العالم المنصف كمولانا أبي الكلام، وربما كان ما يشاهد إلى اليوم من غلبة الصدق على مجوس فارس هو من آثار دين ذي القرنين أو الزردشتية القديمة.

فصل م٧ / ملف ١١-٢ *Chapitre C7 / dossier 11-2*

# الاستمداد من الموتى

كتب لي من القاهرة [منذ أربع سنة] صديق من أبناء الأعيان المثقفين يقول إنه زار مقام الشيخ عبد الرحيم القناوي في قنا من صعيد مصر وتوسل إليه ليستجلب رضا أولياء الأمور عنه فيوجهوا عليه رتبة الباشوية مدعياً أن أحد رؤساء الوزارة السابقين زار ضريح الشيخ القناوي فلم يلبث أن استدعي لتأليف الوزارة ثانية، وأن أحد العلماء، وكان من المغضوب عليهم، بشر بالوزارة لما زار القناوي. وختم صاحبي كلامه بأنه تفضل ودعا لي عند قبر الوليّ الصعيدي جزاه الله خيراً.

فأجبته أني عجبت لتحمسه للاستعانة بسكان القبور على قضاء حاجات الأحياء. ولو صح أن في مكنة دفين قنا أن يبلغ زواره أمانيهم [أو بعضها] لكنت في مقدمة المعتقدين بولايته، وولاية من سار على طريقته. أما الإسلام فلا يقول بهذه

---

٣٢. في الأصل : مادي

المعتقدات التي انتشرت في المتأخرين انتشار جراثيم الأمراض الوافدة، ونقل المخرفون من [المؤلفين] المصريين تخرصاتهم إلى العالم الإسلامي، في كتب ورسائل صادفت مرعى خصباً في [الأقطار] التي مُنيت بجهل الشريعة كبلاد الملايو [٣٣] وزنوج إفريقية. وإذا تعمقنا في بحث سيرة من اخترعوا هذه الخزعبلات، أو اخترعت لهم وعزيت إليهم، تجلى لنا أن أربابها ما كانوا إلا من الحشاشين أو المجذوبين.

وأنا على ثقة أن الوزيرين العظيمين لم يدّعيا أن زيارة قبر القناوي كانت وسيلة إلى تقلد الوزارة، وهما من صحة العقل ووفرة المعرفة بالمكان الأعلى، بيد أن من عادة رجال السياسة ألا يجابهوا العامة بأفكارهم ويبتعدوا ما استطاعوا عن مسّ شعورهم. وقد يظهر بعضهم بمظهر المعتقد المتماوت إذا اجتمع إلى سدنة القبور والقبوريين وأضرابهم من الحشوية[٣٤] ولذلك كنت في كل بلد أنزله ألتمس من المنورين من رجال الدين ألا يسكتوا عن إنكار مثل هذه المنكرات وألا يرضوا بإقرار هذا الشرك الظاهر. فقد عاش المسلمون في قرونهم الأربعة الأولى لا يعرفون إلا التوحيد الخالص، ولا يستمدون من الأولياء ولا يعتقدون بكرماتهم، فكانوا أقرب إلى روح الإسلام من أبناء العصور التي تفنن المخرفون بتخريفاتهم ونشروها في كل صقع. وما أدري كيف [يثبت] المعتقدون كرامات الأولياء وآيات الكتاب العزيز في توحيد المولى والتوجه إليه [وحده] صريحة يفهمها كل من يفهم الكلام العربي.

[يقول أبو حيان التوحيدي إنه أُدعي لأصحاب النسك ومن عرف بالعبادة والصلاح أي الصُّفر يُصَيَّر لَهُم ذهباً وشيئاً آخر يصير لهم فضة وإن لله عز وجل يزلزل لهم الجبل وينزل لهم القطر وينبت لهم الأرض وغير ذلك مما هو كالآيات للأنبياء الذين يأتون من قبل الله بالكتب والوصايا والأحكام والمواعظ والنصائح وربما يسعى كثير من الناس ما يظهر الزهاء والعباء من هذا الضرب كرامات ولا يسميها معجزات الحقائق مما تنقلب بالأسماء، فإن المسمى بالكرامة هو المسمى بالمعجزة والآية.] [٣٥]

---

٣٣. هي مجموعة جزر في المحيط الهادي، شمال استراليا، من بينها بابوا غينيا الجديدة وكالدونية الجديدة. وقد كانت تشمل أيضاً في اعتبار محمد كرد علي اندونيسيا والفيليبين وجزءاً من ماليزيا، وهي تنسب اليوم إلى جنوب شرقي آسيا.

٣٤. قرأت في مجلة (مسامرات الشعب) هذا النبأ الغريب: «حضر إلى الإسكندرية حسن علي موسى بك مدير قنا وقد حمل معه إلى رفعة الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا بركة سيدي عبد الرحيم القناوي يتقبلها رحمته ممتناً». (للمؤلف)

٣٥. كُتبت هذه السطور على هامش الصفحة بخط اليد تحت الرق ٤٤.

لم يتوقف العلماء العاملون على اختلاف الأعمار والأقطار عن إنكار هذه البدع في الخطب والدروس والكتب، وآخر من أجاد كل الإجادة في خوض هذه الأبحاث شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فإنه ألف في هذا الباب ما كان القول الفعل على أرباب هذه الضلالات ما ينكره [ الشرع و ]العقل.

فصل م٨/ ملف ١١-٣ *Chapitre C8 / dossier 11-3*

## الأغنياء بالأمس

ربما كان الفقراء في القديم يهضمون أغنياء عصورهم أكثر مما يهضم أمثالهم في عصرنا. ذلك لأن الأغنياء القدماء كانوا يعرفون واجبهم أكثر من هذا الخلف، يفيدون من أموالهم من يحتاج إليها، وينفقون في نصرة الدين وإحياء الآداب [ ما ] كانوا يعتقدون أن الأمة لا تحيا بغير البذل في سبيلها. كان [ الأغنياء ] يحاسبون أنفسهم ويرون من واجبهم أن يشاركوا الفقير في نعمتهم، يبنون بيوت العبادة وينشئون المصانع، ويعينون الأدباء والشعراء على ما شغلوا به أنفسهم، والفقهاء والمتحدّثين على نشر فقههم وحديثهم. ولو لم يكونوا على ذلك في معظم الأدوار ما وجدنا اليوم في ديار الإسلام جامعاً ولا مدرسة ولا مستشفى، ولا أدباً ولا علماً ولا فقهاً ولا شيئاً [ مما ] هو الدعامة الأولى في حياة الشعوب. كانت الطبقة العالية والتالية تقوم بهذه الخيرات لنفع الطبقة النازلة، ولا تقصد من ذلك إلا ثواب الله. وكانت الطبقة الثالثة أبداً موضع اهتمام سائر الطبقات.

فصل م٩/ ملف ١١-٤ *Chapitre C9 / dossier 11-4*

## دعوى النزاهة

كيف يقنع رئيس وزارة أو رئيس جمهورية شعبه بنزاهته في الحكم، وامرأته تستغل نفوذ زوجها وتسلب الرعية جهاراً حتى اغتنت غنىً [ ظاهراً ]، وأصبحت تملك

قصوراً [ فخمة ] ومزارع جسيمة وأموالاً عظيمة، وزوجها يظهر أنه لا علم له بما تقترف زوجه المصون، ويغضي عن الأهل والأنصار ليفسح لهم مجال الإثراء، فيزيد بذلك فقر الفقير وبؤس البائس. ومن الصعب تحليل عقلية هؤلاء الزعماء، [ وهم ] يتوهمون أن أعمالهم وأعمال حملة عرشهم تخفى على شعبهم. ويستحيل على صاحب الثروة مهما بالغ في إخفائها وتعفية أثر مصدرها أن يتم له ما أراد، إذ الثروة فضّاحة، وفي الهواء تنشر الرائحة الخبيثة كما تنتشر الرائحة الطيبة.

تعد حكومة العراق قانون ( من أين لك هذا ) وهو يقضي بأن يقدم الوزراء الحاليون والسابقون وموظفو الحكومة التفاصيل عن جميع ممتلكاتهم، وسيحاسبون إبتداء من عام ١٩٤٠ . أفلح الأعرابي إن صدق. ولعهدي برجال الدول العربية يخافون إذا ضايقوا لصوص العمال أن يثوروا عليهم فيتهموهم بمثل ما اتهموا وتظهر مساويهم على رؤوس الإشهاد. وقف على عهد الانتداب في إحدى محاكم لبنان عامل من الفرنسيس اشتهر بلصوصيته فقال له القاضي : إنهم يعزون إليك إرسال مبالغ عظيمة إلى فرنسا لا يتأتى أن تكون من وفر راتبك، فأجاب : نعم أرسلت ذلك ولي أمثال أرسلوا كما أرسلت ولم يُسألوا عما أَتوا. أتريدون أن أذكر لكم أسماءهم، ونظر إلى رئيس المحكمة نظرة استخفاف ذات معان، فما كان من هذا إلا أن قال ( رُفعت الجلسة ) مخافة أن يبوح المتهم بأسماء المتهمين الآخرين، وكان القاضي منهم على ما يظهر.

ولعل بمثل هذه العوامل يحجم أصحاب الشأن في بعض الأقطار العربية عن [ إنقاذ ] عقوبة السارقين من الرؤساء والمرؤوسين، حتى لا يُجابه بعض كبرائهم بقول ( وأنت من أين لك هذا [ ؟ ] ).

[ أعجبتني صراحة صديقي الأستاذ طه الهاشمي رئيس وزراء العراق السابق في مجلس الوحي على العرش أمام ثلة من رؤساء الوزارات والوزراء السابقين والحاليين في بغداد عندما قال : معظم الرؤساء والوزراء اغتنوا من طرق محرمة وما سئلوا عما كسبتها أيديهم. لذلك أرى أن تطبيق قانون من أين لك هذا أو الإثراء غير المشروع مما يتعذر تطبيقه في العراق كما يتعذر في غيره لأن معظم من تولوا الحكم لا يخرجون من معنى المثل العربي "أضئ لي أقدح لك" ].[٣٦]

٣٦. هناك هامش أضافه الكاتب في أسفل الصفحة.

فصل م١٠ / ملف ١١-٥ *Chapitre C10 / dossier 11-5*

# شرّ الحرية

أهديت على العهد العثماني أحد أصدقائي من تجار بيروت كتاباً فيه شيء من الأفكار الحرة، أرسلته إليه من القاهرة فضبط من البريد، وحجزت رسالتي إليه، وسئل عن علاقته بي أسئلة روّعته، فآخذت نفسي على ارتكاب ما كان سبباً في إزعاج صاحبي. [٣٧] وما كان القصد من إهدائه ما أهديت إلا فائدته، وحرمت بما أتيت صداقته لأني خجلت بعد هذه الغلطة أن أجتمع إليه، ثم أقسمت ألا أعود إلى إهداء ما كانت الدولة العثمانية تعده من الأدوات الضارة بالأفكار أكثر من السموم والقنابل في الأجسام، وساقني ذلك [بعد إلى] الإفراط في الاحتياط مخافة أن يُؤذى بسببي من أعرفه، فأصبحت إذا سُئلت عن إنسان، وقد يكون من معارفي أو أصدقائي، أنكر معرفته مخافة أن يجلب له اتصاله بي عنتاً. غفر الله لنا بقدر ما لقينا من حماقات حكومات الاستبداد.

فصل م١١ / ملف ١١-٦ *Chapitre C11 / dossier 11-6*

# عامل محتال

نصبت وزارة الداخلية العثمانية في أحد أقضية سورية قائم مقام من خريجي المدارس العالية، وكان في أخلاقه من الصنف الذي يطمع في جمع ثروة بأسرع ما يمكن ومن أي باب يُفتح أمامه. فما إن وصل إلى مقر عمله حتى سوّلت له نفسه أن يأتي بخاله يقف على بابه في دار الحكومة، ولا يمكن أحداً من الدخول عليه إلا إذا

---

٣٧. عُوقِب أيضاً بعض أصدقاء الإمام محمد عبده المصلحون في بلاد الشام، مثل محي الدين حمادة في بيروت وأخ محمد رشيد رضا في طرابلس وجمال الدين القاسمي في دمشق، ففتّشت بيوتهم سنة ١٩٠٥ بحجة أنهم يملكون كتباً أو مجلات أو رسائل معارِضة لحكم السلطان عبد الحميد الثاني. انظر المرجع التالي: محمد رشيد رضا، "محاربة الوهم للعلم"، مجلة المنار، المجلد ٨ (سنة ١٩٠٥)، ص ٣١٥–٣١٧، ولنفس الكاتب، "أنباء سورية المزعجة"، في المجلة نفسها، ص ٣٤٦–٣٤٨.

دفع إليه [ طالب الدخول ] بضعة قروش حلواناً، فكان يجتمع له مبلغ كل يوم، يأخذه من فقراء الفلاحين الجياع العراة. ودام [ القائم مقام ] على تقاضي هذه الجباية الغريبة مدة توليه أمر تلك العمالة.

يعد أرباب الشرف هذا الجعل سحتاً [ ودناءة ]، ويراه [ المحتال لأخذه ] مهارة وتجارة. لهذا ما كان يعبأ بما ينصح له الناصحون لأنهم بزعمه خياليون وهو عملي. كان منذ تولى وظائف الإدارة لا يعف عن ارتكاب كل ما يعبث بالمروءة إذا كان فيه منفعة خسيسة، وما نحي عن عمله إلا عندما ثبت لأهل الحل والعقد أنه غيّر في السجلات الرسمية، ولحس توقيعاً كان وقعه فنقض ما أبرم أولاً، مقابل جعل اجتعله. وفي نظره أن الراعي لا يبلغ سمعه ما يجري في القرب والبعد، والرعية جاهلة لا تقدر أن ترفع صوتها بالشكوى.

وكان هذا المحتال يذهب إلى أن للمرء أن يحقق جميع ما يجول في خاطره، ولطالما سمع منه من عاشروه في نشأته أنه سيسرق خمسة آلاف دينار من مال الدولة، ويفرّ بها إلى مصر ليعيش فيها حراً. وكان مرة عاملاً في قضاء وقد اقتنى آلة الحاكي تطربه وتسليه، فوضعها صباحاً في شباك بيته المطل على المسجد، والمسلمون يصلون صلاة العيد، فأرسلوا إليه يرجونه أن يكف عن استعمال آلة الطرب حتى تتم الصلاة، فما كان منه إلا أن شتم من أبلغه ذلك وطرده، فهاج الأهلون وهجموا على من امتهن حرمة الدين، وضربوه وسبوه وحطموا آلته، وما وسع الحكومة المركزية من الغد إلا أن تصرفه. كان هذا العامل من الزبانية التي خلقت للضرر والعبث والسرقة، وما ظهر من مساويه في كل ما تولاه من خدمات كان أقل [ مما ] تخفيه نفسه الشريرة.

فصل م١٢ / ملف ١١-٧ *Chapitre C12 / dossier 11-7*

# حقّ الاستمتاع

تحتل روسيا مملكة القياصرة أمس وجمهورية البلاشفة اليوم رقعة من الأرض تبلغ مساحتها نحو نصف القارة الأوربية، ومن أملاكها سيبريا، وتمتد من جبال الأورال إلى شواطئ المحيط الهادي، ومساحتها نحو نصف قارة آسيا، وتزخر هذه المملكة العظيمة بضروب الغلات والثروات والمعادن تزيد عن حاجة سكانها، ومع هذا كانت روسيا

من القديم تتوق إلى الاتصال بالبحر المتوسط لتتمتع بالأنهار الحارة، وتنال قسطها من الدفء في الأقاليم المعتدلة. ومن حق سكان هذه الدولة وهي مجموعة جمهوريات شيوعية يربو سكانها على مائتي مليون من الخلق، أن ينتقلوا في أرض غير [أرضهم]، ومن حق الأمم الأخرى [أيضاً] أن يشخص من يريد من أهلها إلى أراضي البلاشفة يتجر ويسيح ويتنزه.

فصل م١٣ / ملف ١١-٨ *Chapitre C13 / dossier 11-8*

## سخافة مصرية

ذكرت صحيفة مصرية أن رجلاً صالحاً من قرية من قرى الدقهلية (المنصورة) مات ولما ساروا بنعشه نحو المقابر أحسّ حاملوه أنه يجذبهم إلى أعلى وأنه يريد الانطلاق نحو الجو، فتزاحم الأهلون وتشبثوا به، لكن النعش جذبهم إلى المزارع ولم يتمكنوا من السير به في الطريق الزراعي، وظلّ يجذب حامليه ومشيعيه من مكان إلى آخر إلى أن وقف ابن الشيخ المتوفّى أمام النعش وقال له : إن المشيعين قد تعبوا. فاستجاب الروح الطاهر في صعوده إلى بارئه لضراعة الابن، وعاد النعش إلى سيره الطبيعي نحو المقبرة (ا هـ). ومن الغريب أن يبقى في هذا العصر من يصدق مثل هذا التخريف، والأغرب أن تنشر خبره جريدة رصينة. وقد عرف أنه لم تثبت لأحد كرامة على طول الأيام التي قضتها هذه الأمة في اعتقاد الأباطيل بفعل الدجالين والمشعوذين والمعتوهين والحشاشين.

فصل م١٤ / ملف ١١-٩ *Chapitre C14 / dossier 11-9*

## محكمة التحقيق الديني

ألف الباشاوات في القرون الوسطى محكمة سموها محكمة التحقيق الديني، وذلك في معظم ممالك أوربا ما عدا إنكلترا والسويد والنروج. واشتدت وطأة هذه المحاكم في إيطاليا وإسبانيا والبرتقال فحكمت بالقتل على أُلوف من النصارى واليهود

والمسلمين بتهمة الإلحاد، وممن قتل علماء أجلاء ما كان لهم من ذنب إلا أنهم رأوا آراء لا يوافق عليها المهيمنون على النصرانية يومئذ. فأثبت أصحاب رومية بهذه الأفاعيل أنه ما جاء في الأرض أقسى من قلوبهم، ولا أشد تعصباً منهم، وأنهم خالفوا بما اجترحوا من فظائع هدي دين يأمر بالرحمة والرفق، وما أفادوا من ذلك إلا إطفاء النور من العقول. وكلما كان الباباوات والكرادلة يوغلون في القسوة ويهلكون من استعملوا عقولهم لا يلبث أن يخرج غيرهم يجاهرون بأفكارهم لا يبالون الموت.

ما عهد في الإسلام شبيه لهذه المحاكم الظالمة، ولا مثيل لهذا التعصب الأعمى. وكان الملحد والزنديق والمرتد في ديار الإسلام يحاكم أمام قضاة عدول وكثيراً ما كانوا يحاولون [إيجاد] مخارج لتبرئة المتهم أو يستتيبونه ليتفادوا قتله. وكان قسم عظيم ممن يرمون بتزلزل العقيدة وتقطع أعناقهم بتهمة دينية في الظاهر [هم في] الحقيقة ممن لم ترض عنهم السياسة، فيتخذ جهلة الملوك ومتعصبة الفقهاء من اتهامهم باختلال إيمانهم حجة للخلاص منهم.

فصل م١٥ / ملف ١١-١٠ *Chapitre C15 / dossier 11-10*

# الوساطات والشفاعات

قال الأستاذ محمد خالد في (المصري) ليس بين المشاهد التي يفرضها الجاه أصعب ولا أقسى من الشفاعات والوساطات في مسائل الموظفين. تَطغى الشفاعات والوساطات على وقت أصحاب الجاه، وتشغل كبار الموظفين عن أعمالهم، فتراهم ولا همّ لهم إلاّ استقبال الزائرين، وتلقي ما لديهم من الشفاعات والعمل على تحقيقها. ولو [كان] هناك إحصاء دقيق عن الصورة التي يصرف بها كبار الموظفين في الدولة أوقاتهم في العمل الرسمي لدلّت النتيجة على أن معظم هذه الأوقات يذهب في التحيات والاستقبالات والشفاعات والوساطات.

كلام يصدّق على مصر [أمس] وعلى كل مصر [اليوم] في هذا الشرق العربي، وفيه برهان على انحطاط الحكومات وعلى قصورها بالتزام العدل في تولية الموظفين من أرباب الاقتدار والنزاهة، وأنها لا تطبق القوانين وتحمي [تحاول][٣٨] أنصارها وصنائعها

٣٨. قد يقصد: تحاول أن تحمي.

وتحاول التطويل والمماطلة في البت بالمسائل المعروضة عليها، فتضطرّ الرعية إلى الإلحاح في مراجعتها. وآه ثم آه من قلة معرفة الشرقي قيمة الوقت، وشدّة لجاجته عند حاجته، وولوعه بالحيد عن القوانين وقلة ذوقه وأدبه.

فصل م١٦ / ملف ١١-١١ *Chapitre C16 / dossier 11-11*

# الرؤساء

وسدت رئاسة الوزارة السورية إلى المالي النزيه حسن الحكيم (ص ٧٣٣ ج ٣ من المذكرات)[٣٩] فبدأ للحال بإصلاحاته، والإصلاح عنده يقوم بتنحية الفاسدين، ومن يزيدون عن الحاجة من المأمورين، وحذف كل نفقة تعد من الإسراف والبذخ، وصرف الأموال في الأمور النافعة كالجيش والأشغال والمعارف والصحة، ثم التخفيف عن المكلفين بإلغاء ما يرهقهم من الضرائب والمغارم. ومن الأسف أن مدة هذه الرئاسة لم تطل حتى يتم السيد الحكيم إصلاحه إلى النهاية.[٤٠]

وصديقي هذا لا يشبه غيره من رؤساء الوزارات فمنهم من كان لا يهتم بتضخم الموازنة لأن له مأرباً خاصاً في الاستكثار من الصرف ليأخذ منها حصته لنفسه ولحزبه، ومنهم من يكتفي بنظر المسائل الكبرى ولا يحب، على نزاهته، إزعاج خاطر أحد من المستخدمين، فيطلق لهم حريتهم يسرحون ويمرحون. وفي أيامه تكثر الرشوة ويستخف الموظفون بمراعاة [واجباتهم]، ويزيد سواد المستخدمين وتستحدث دواوين وإدارات جديدة، وكل ذلك ليكون رئيس الوزراء بمأمن على منصبه من أرباب السلاطة ويستريح باله [بتقليل عدد] المشاغبين.

ومثل ذلك يقال في رئيس وزارة أراد إرضاء الناس كلهم فلم يأت ما ينفع، وإن اشتهر ببعد نظره ووفرة تجاربه، ومنهم من حاول البداءة بالعمل وهو ومن انتقاهم

٣٩. فصل بعنوان "الكبار والصغار".

٤٠. يقصد هنا رئاسة حسن الحكيم الثانية (غير رئاسته في نهاية الانتداب الفرنسي سنتي ١٩٤١-١٩٤٢) وهي واقعة بين آب/أغسطس وتشرين الثاني/نوفمبر ١٩٥١ في عهد أديب الشيشكلي. استقال الحكيم آنذاك بسبب شقاق وزراء حكومته حول مشروع التحالف مع الدول الغربية.

لمعاونته في وزارته من أصلح الرجال ولكن اجتهد أن يحتاط كل الاحتياط في إصلاحه فلم تطل أيامه حتى يحكم عليه الحكم القطعي. ويسير معظم رؤساء الوزارات بحسب ما يوحي إليهم الرئيس الذي يوليهم ثقته [ والحزب الذي يأتي بهم للحكم ]. ورئيس الوزراء عندنا مهما بلغ من استقلاله الذاتي يساير الرئيس الأول في بعض المسائل.

فصل م١٧ / ملف ١١-١٢ *Chapitre C17 / dossier 11-12*

# المحتلون في مصر

قال أحد المفكرين من كتاب المصريين : سار الاستعمار في مصر وفي كل مكان على خطة واحدة أدنى إليه المنتفعين والمتربصين فزاد فيما عندهم من ثراء، وأضفى عليهم أكثر مما كان لهم من الجاه، وكانوا ولا يزالون أعوانه المخلصين، لا خدمة له بل خدمة لمصالحهم التي تزكو في ظله. قال إن المستعمرين هم المسؤولون عن [ تقصير] مصر في ميدان الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي، وإذا أصبحت الشيوعية فيما يدعون خطراً يهدد مصر فإنهم المسؤولون عنها أيضاً لأنهم بعد ستين سنة من الحكم المباشر لمصر نفضوا أيديهم منها كأنها لا تزال تعيش في القرون الوسطى. أفكان حكمهم إصلاحاً ونية طيبة ورغبة صحيحة في تقدم هذا الشعب أم كان خطة مرسومة ؟ وهي أن يظلّ غارقاً في أوهامه وخرافاته وفقره مشغولاً بها عن كفاحهم.

هذا رأيه ومن الإنصاف أن نحمل على الحكومة المصرية بعض هذا القصور في تخلف مصر عما كان يجب تحقيقه في باب الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي. وإذا قصرت إنكلترا في رفع مستوى عيش المصريين وما عنيت بصحتهم وتعليمهم العناية اللازمة فما بال الحكومة الوطنية منذ استقلت مصر استقلالاً داخلياً تاماً سنة ١٩٢٣ لم تبدأ بإصلاح ما قصر الغريب فيه. ولو كان هناك إصلاح وطني شامل ما بلغ البؤس في مصر هذه الدركة المخزية، وغاية ما يقال في وصف الحال أن الأغنياء زادت ثرواتهم والفلاحين نمت نفوسهم ونما معها فقرهم.

طويت صفحات الاحتلال فليس من العقل أن نطالبه الآن بما هو واجب صاحب البيت أن يقوم به.

فصل م١٨ / ملف ١١-١٣ *Chapitre C18 / dossier 11-13*

## المنديل المبارك

في تاريخ الدول لأبي فرج الملطي ما نصه : وفي السنة ٣٣١ ( ٩٤٢م ) وجه ملك الروم سفيراً إلى الخليفة المتقي بطلب المنديل الذي في بيعة الرُّها وهو الذي مسح به ربنا يسوع وجهه، وصارت صورة وجهه فيه، وسيّره إلى [أبحر] الذي كان يروم أن يشاهده، ووعده إن أرسل المنديل إليه أطلق عدداً غفيراً من الأسرى العرب . فاستفتى المتقي فقهاء المسلمين في هل يجيز الشرع أن يعطى المنديل للمسيحيين أم لا، فقالوا : أجل يفرض علينا عرضاً لازباً ( كذا ) أن نتبرك بهذا المنديل غير أنه يجب التخلي عنه للروم إنقاذاً للمسلمين المتقلبين في العوز والجوع والعري (ا هـ). وقد ذكرت تواريخ العرب ما كان من الدول النصرانية في بعض [الأعصار] من مطالبة الدول الإسلامية باسترجاع مقدساتهم، ومنها صليب الصلبوت. ولأرباب الأديان معتقدات لا يجوز أن يناقشوا فيها بطريق العقل.

فصل م١٩ / ملف ١١-١٤ *Chapitre C19 / dossier 11-14*

## قانون لنش

وضعت الولايات المتحدة الأميركية منذ القرن السابع عشر قانوناً دعته قانون لنش[٤١] يقضي بإعطاء الحق للجمهور إذا قبض على مجرم من السود أن يحاكمه في الحال وينفذ فيه حكم الإعدام. وكأن هذا القانون ما وضع إلا لحماية أعراض الأميركيات البيضاوات من اعتداء الهنود والسود عليهن. وبالأمس اجتمع رجل زنجي

---

٤١ . شارل لينش [Charles Lynch] (١٧٣٦-١٧٩٦): كان صاحب أراضي في ولاية فيرجينيا بالولايات المتحدة الأميركية وعيّن قاضياً فيها. شارك لينش في حرب الاستقلال ضد إنجلترا ولعب دوراً في قمع ثورة ضدّ المستعمرين، حيث نظّم محاكم مرتجلة حكمت على الثائرين بالإعدام (سنة ١٧٨٠). ثم وافق بعدها المجلس العام لولاية فيرجينيا (سنة ١٧٨٢) على تلك المحاكم، ومن ثمة سُمي هذا القرار "قانون لينش". هناك تفسير آخر ينسب هذا القرار إلى ويليم لينش [William Lynch] – وهو أيضاً من ولاية فيرجينيا – الذي اتفق مع أصحابه على معاقبة عصابة مسلحة كانت تروّع المنطقة.

الأصل أبيض البشرة إلى امرأة بيضاء أميركية فنفذوا في الزنجي قانون لنش في الحال، فعدّ العارفون هذا الحكم من الظلم وقالوا إن القوانين المعمول بها لهذا العهد في غنية عن تطبيق قانون قديم جائر، وزعموا أن تطبيقه لا يليق بمدنية أميركا الحاضرة، وقد كاد السود فيها يقربون من البيض بغناهم وعلمهم وتهذيبهم، وما عاد لون السواد يخيف البيضان، كما كانت الحال على عهد نزول الغربيين أرض أميركا.

فصل م٢٠ / ملف ١٢-١ *Chapitre C20 / dossier 12-1*

# خدعوني

كنت أعد من إخواني رجلاً من أبناء البيوتات وأثني عليه كلما ذكر، وأرشحه للمناصب العالية مخدوعاً بما تراءى لي من دؤوبه على العمل ومن ثقافة لا بأس بها، وتوهمت أن نزاهة الحكم أمر طبيعي فيه لأن أهله أغنياء فهو غير محتاج. وما أعظم ما كانت دهشتي لما نُمِي إليّ أن الرجل لم يكن كما قدرت فيه، وأنه كان يمد يده إلى الرشا ويضيع الحقوق. تألمت لما سمعت وحدثتني النفس أنه ربما كان بعض من صحبتهم ورفعتهم هم على هذا المثال أيضاً. خدعت بهم كما خدعت بهذا أكثر من ثلاثين سنة. وهنا مجال لأن أصحح خطأ دام طويلاً، وأستغفر الله مما أوصلني إليه حسن الظن والتسرع في الحكم. وأعتذر عن نفسي بأنه من المتعذر عليها أن تنفذ إلى روح كل من عرفت، وأن أراقبهم مراقبة شديدة من بدأ حياتهم إلى منتهاها. فإن ذلك يقتضي إذا حاولته أن أُنشيء ديوان استخبارات مجهزاً بما تجهز به مثل هذه الدواوين في الدول العظمى لعهدنا، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

فصل م٢١ / ملف ١٢-٢ *Chapitre C21 / dossier 12-2*

# دولة الأكراد

الأكراد شعب آري أقرب إلى المدنية منه إلى البداوة، فُطر على ذكاء ومضاء وشجاعة وإقدام، وله شعر وموسيقى وأدب، وكان منه في الإسلام عظماء في العلم والسياسة والجندية، ومنهم من اندمج في العرب، ومنهم من ظلّوا على الهامش عند الفرس والترك. وهم منتشرون اليوم من شمال بحيرة أُورومية [٤٢] إلى جوار خليج الإسكندرونة، ومن صحاري بلاد العرب إلى خرابات نينوى،[٤٣] وفي الشرق من [ولايتي] أستان[٤٤] وهمدان في إيران إلى ولايتي سيواس وأنقرة في تركيا. [ولا يؤلف] الأكراد أكثرية في ولاية من الولايات العربية والتركية والفارسية.

٤٢ . هي بحيرة أورمية: تقع هذه البحيرة شمال غربي ايران بين مدينتي أورمية وتبريز.
٤٣ . مدينة عتيقة من عصر الآشوريين، تقع اليوم شمال العراق بالقرب من مدينة الموصل.
٤٤ . هي ولاية أُستان كردستان: تقع شمال غربي ايران ؛ عاصمتها سنندج.

وتعلم بعض أبناء الأكـراد فقويت فيهم [نزعات] القومية، وأخـذوا يتناغون بالاستقلال، وما خلوا من غريب يحسن لهم [قيام دولتهم]، ويعيدهم ويُمنيهم بتحقيقها، فكان من ذلك أن ضُربوا في تركيا والعراق ضربة قاسية هلك فيها أُلوف من رجالهم، وخرّب الترك ديارهم وأتوا على ثروتهم، فاضطر الأكراد إلى إرجاء حل مسألتهم إلى أن تسالمهم الأيام. [٤٥]

إن مطالبة الأكراد باستقلالهم وتوفرهم على إحياء لغتهم والمناداة بقوميتهم حق من حقوقهم الطبيعية، ولكن [من] النظريات [ما] يصعب تحقيقها عند العمليات، وليس في إيران وتركيا والعراق فيما نحسب وزارة مستعدة للنزول عن جزء من بلادها للأكراد حتى ينشئوا [٤٦] دولتهم، فتفرق الأكراد إذا أكبر عائق يحول [دون] تحقيق آمالهم القومية على ما يشتهي المشتهون من بنيهم، وأكثر ما يرمضهم أن يذوبوا، وهم في عصر القوميات، في عنصر غير عنصرهم. وقديماً هاجر إلى الشام ومصر أُلوف من الأكراد، واتخذوها موطناً لهم وتعربوا وما شق عليهم ما صاروا إليه، ونسوا مع الزمن أُصولهم [ولغتهم] واندمجوا في العنصر العربي، كما دانوا بالإسلام منذ رفرفة أعلام الفاتحين العرب على أرضهم في [العصور] الأولى من الهجرة.

فصل م٢٢ / ملف ١٢-٣ *Chapitre C22 / dossier 12-3*

# العمران السعودي

كاد القادمون من الحجاز ونجد يُجمعون على أن الملك عبد العزيز آل سعود أنشأ من ثغر الدمام على الخليج الفارسي [٤٧] إلى الرياض عاصمة نجد سكة حديدية طولها (٥٥٦) كيلومتراً، [طول] مرفأ الدمام أحد عشر كيلومتراً منها ثمانية مدفونة

---

٤٥ . للمزيد من المعلومات حول تاريخ الحركة القومية الكردية، انظر المصدر التالي باللغة الإنجليزية : JWAIDEH, Wadie, *The Kurdish National Movement. its Origins and Development*, Syracuse University Press (USA), 2006.

٤٦ . في الأصل: ينشؤا

٤٧ . يسمى اليوم الخليج العربي عند دول الجامعة العربية، أما في بقية دول العالم فيسمى أحياناً الخليج الفارسي وأحياناً الخليج العربي الفارسي أو ببساطة، الخليج.

بالأحجار وثلاثة بالصلب المفروش بالحجر، وأَنه أَصلح مرفأ جُدَّة فتقدمت اليابسة إلى البحر ثلاثة كيلومترات حتى أمست البواخر تحاذي الشاطئ، وأنه عبّد الطريق من جدة إلى مكة فمنى فعرفات، وأنه يعبد طريق مكة المدينة، وأنه أدخل الكهرباء إلى مدن الحجاز ونجد ويعمل على إسالة المياه إلى المدن في أَنابيب ومناهلٍ، و[ هو على أن يسيل ] عين العزيزية من وادي فاطمة إلى جدة على بعد ٦٥ كيلومتراً [٤٨] إلى غير ذلك من ضروب الإصلاح. قال محدثي أما القصور الفخمة التي أنشأها في مكة والطائف والرياض فإنها إذا عدت اليوم إسرافاً فهي غداً ملك الدولة.

هذا حق وأُضيف إليه ما تم على يد الملك [ العربي ] من نشر الأمن وإبطال الغزو وتنظيم الصحة، بيد أنه لم تنشأ إلى الآن في المملكة السعودية مشاريع ينشل الرعية من الفاقة، وتهيئ لهم سبل كسب شريف دائم، كنشر الصناعات بينهم، وتحبيب الزراعة إليهم.

فصل م٢٣ / ملف ١٢-٤ *Chapitre C23 / dossier 12-4*

## أشراف الوزراء

حدثني من شهد الثورة العثمانية المعروفة بانقلاب سنة ١٩٠٨ أن الأتراك في الآستانة أهانوا معظم وزراء السلطان عبد الحميد وعماله، لما لقوا من جورهم أيام الحكم الاستبدادي، إلا عبد الرحمن باشا وزير العدل فإنهم خطبوا في فضائله الخطب، وأكبروا جلائل أعماله، وعددوا بيض أياديه، وحملوه على أكتافهم ورؤوسهم تمجيداً لماضيه الطاهر.

يعرف الصالح من الرجال من عاشوا في حكم الطغيان على ما يعرف أمثاله في الحكومات الدستورية، ذلك لأن من هم على شاكلتهم في الأخلاق قلائل في الحكم [ الاستبدادي ] أشبه بالبقعة البيضاءِ في جلد الثور الأسود.

---

٤٨ . اُفتتح عين العزيزية سنة ١٣٦٧هـ وهو عبارة عن قناة يمتد على طول ٩٢ كم وينقل المياه العذبة من وادي فاطمة إلى مدينة جدة. انظر المقالة التي نشرتها جريدة الرياض اليومية، العدد ١٤١٤٥، ١٧ آذار/مارس ٢٠٠٧، على الانترنيت :
http://www.alriyadh.com/2007/03/17/article233738.html

Chapitre C24 / dossier 12-5 فصل م٢٤ / ملف ١٢-٥

# الخطر الأصفر

لقيت بعض العشايا في فندق فيكتوريا بدمشق [٤٩] ـ وأظن ذلك كان من نحو أربعين سنة ـ قائد الدارعة جول فري الفرنسية [٥٠] فتبسط معي في حديثه، وكان الشراب أخذ منه، فمما قال إنه طاف الصين سواحلها ودواخلها، وإنه يعرف مواطن الضعف والقوة [منها]، وأن أخوف ما يخافه على مدنية الغرب [الخطر الأصفر] ويعني بهذا الخطر نهضة الصين، فإنها إذا أخذت بأسباب المدنية يخشى منها على أوربا. [قال] وعندئذ لا يسع أهل الغرب إلا أن يضعوا أيديهم في [أيديكم] لدفع صائل عدونا المشترك. فأجبته إنكم لن تفعلوا، قال : وكيف لا نفعل وأنتم مثلنا من الجنس الأبيض، فقلت له : إذا كان الأمر على ما تقول فلم لا تساوون في المعاملة بين الفرنسي والعربي في الجزائر، وهلا جاهرتم منذ الآن بهذه الصداقة التي تتوقعون نفعها يوم الشدة. فسكت ولم يجبني على سؤالي.

يتجسم اليوم الخطر الأصفر بعد نهضة الصين الجديدة، ودخولها في المذهب الشيوعي مع روسيا، حتى كادت تَصِح نبوءة ربان الدارعة [يوم] تخوفه على [الغرب] منها. وكادت الصين [تقضي] في الشرق على آخر قوة للاستعمار في آسيا.

Chapitre C25 / dossier 12-6 فصل م٢٥ / ملف ١٢-٦

# العجلة والتأني

كتب أحد علماء الغرب يقول : إنا نسرع في كل شيء، وجنون السرعة يخرجنا عن حد الحكمة والتعقل، ويطيب لنا أن نصل قبل أن نسافر. آراؤنا متضاربة تضارب

---

٤٩ . كان فندق فيكتوريا الكبير واقعاً بالقرب من جسر فيكتوريا، مقابل البنك التجاري (فرع ٥) حالياً، وهُدم في بداية الخمسينات من القرن العشرين. انظر المرجع التالي: د. قتيبة الشهابي، دمشق تاريخ وصور، دمشق، وزارة الثقافة، ١٩٨٦، ص ٧٣.

٥٠ . بُنيت هذه الدارعة سنة ١٩٠٠ في ميناء شاربورغ بفرنسا واستُعمِلت بين سنتي ١٩٠٣ و ١٩٢٧ . سميت باسم رئيس الوزراء السابق، جول فري [Jules Ferry] (١٨٣٢–١٨٩٣)، الذي كان يؤيد سياسة الاستعمار الفرنسية آنذاك.

عقول السذج عندما يتدافعون ليلقوا قبل غيرهم رسائلهم في صناديق البريد، وقد كتبوا عليها (معجّلة) وهماً منهم أنهم إذا بادروا إلى وضعها وكتبوا على غلافها تلك الكلمة تصل إلى من ترسل إليهم قبل غيرها. والبريد والقدر لا يعطيان على الخاطر ولا يتوخيان إرضاء الناس، ومن يتطال إلى كل شيءٍ لا ينال شيئاً. وإن قاطرة بخارية إذا تركت على سرعتها البالغة تنتهي بألا تمس قضبان الحديد، ولا تكاد تقف على الأرض وتصبح كأنها في الخلاء.

نسارع في أكلنا فلا نهضم، والحياة كما قال مونتين [٥١] تهضمنا، وتبلعنا فنختنق أحياناً. نشرب سراعاً ونرسل الطعام إلى معَدنا إرسالاً. الغذاء عمل مقدس ونحن نقوم به جالسين على طرف المائدة في أغلب الأَوقات، ولا نفتح فانا فنتكلم كلاماً شهياً، نتغدى ونتعشى مسرعين كأننا في مقصف محطة سكة حديد والمنادى ينادي: لم يبق إلا دقيقتان لسير القطار. نأكل ونحن سكوت لا نتكلم، وإذا تكلمنا فبإيجاز [ولا إيجاز] صغار الزنوج في حديثهم. نسرع إلى نومنا وننهض مذعورين، ونحلم والضغط آخذ منا. فنحن في المساء كما نحن في الصباح لا نحسن الاضطجاع على سريرنا، ولا نتملى الراحة، ولا نقرأ القلم بيدنا نشير إلى ما يجدر نقله واقتباسه. وما العمل الجميل إلا ابن التفكير والصبر والجلادة. ولطالما كان فعل الوقت عظيماً في تجويد الأَعمال.

يتطالّ الناس إلى الاستمتاع والانتفاع في الحال، ويطمعون أن يأتيهم الدخل الكبير قبل أن يضعوا رأس المال، وأن يجنوا [الغلة] بعد عشر دقائق من زرع (...x...) أصبح المفكرون يفكرون بسرعة وبذلك فقدوا خاصية التفكير، والفرد يسارع في حبه وبغضه، ويسرع إلى التصديق كما يسرع إلى الإنكار، ويعطي ويمنع كذلك، غير مكترث بعبر الليالي والأيام. نحن نسرع إلى الغضب ولا نعرف كيف نغضب وعلى من نصب غضبنا. الحياة أقصر طريق يسلك فيها من منطقة إلى أخرى، ونحن نحاول أن نقتصرها أيضاً. [انتهى كلامه وهو] يصدق على ابن الغرب وعلى ابن الشرق سواء.

---

٥١. ميشيل دي مونتين [Michel de Montaigne] (١٥٣٣-١٥٩٢): كاتب فرنسي مشهور، صاحب "الرسائل" وهي مجموعة من الحكم كان يزيد في عددها مع كل طبعة جديدة بين سنتي ١٥٨٠ و ١٥٩٥. عين عضواً في برلمان باريس سنة ١٥٦٢ ثم انتخب عمدة لمدينة بوردو سنة ١٥٨٢. أيّد الملك هنري الرابع الذي جلس على العرش سنة ١٥٨٩.

# أخلاق اليابان

عساني لا أَعدو الصواب إذا ادعيت أن اليابان كانت أسرع الأُمم الشرقية إلى تلقف المدنية الجديدة، تمثلتها في خمسين سنة بما فيها من علم، وما جدّ فيها من اختراعات. ويرجع عهد نهضتها إلى سنة ١٨٥٤ وقد كشف عنها الغرب حجابها الذي تلفعت به قرنين، وأخفت صورتها عن العالم لتأمن غائلة غزو أوربا، ثم ما عتمت أن اقتبست [كل] ما تعب الغرب في إيجاده [أجيالاً] فبادرت إلى استدعاء مستشارين ومعلمين، وإلى إيفاد بعثات علمية إلى أطراف الأرض. [٥٢] ومما أعان على ظهورها بهذا المظهر ما فطر عليه أبناؤها من الطاعة والمفاداة وقد أبانوا في الحرب الروسية اليابانية [٥٣] وفي الحرب العامة الأخيرة عن شجاعة نادرة. (المذكرات ج ٣ ص ٧٤٦) [٥٤] وهم يعتقدون في إمبراطورهم أنه من الآلهة لا يُراجع في إرادته المقدسة. وقد أبطل آخر إمبراطورتهم هذا الاعتقاد بسعي القائد ماك أَرثر قائد جيوش الاحتلال الأميركي في اليابان بعد الحرب الأخيرة. وكانوا بهذا الاعتقاد يفضلون في حروبهم الهلاك على العبودية، ويستهينون بالموت في سبيل وطنهم، ولا يتوقفون عن الانتحار بأيديهم إذا مُس شرفهم أو شرف بيوتهم ووطنهم. ومن أغرب ما دهش له الأُوربيون أن تجد اليابان من أبنائها أُلوفاً يتطوعون لإيصال الآلات المدمرة وركزها في محالها حتى تنسف وينسف حاملها معها. الياباني ينتحر إذا أخفق في غرامه، وإذا رسب في صفه، وخاب في امتحانه، وإذا فقد عملاً كان يتولاه. وقد فاق الجندي الياباني الجندي الغربي بصبره وتقشفه وضبط

---

٥٢ . يُذكر أن انفتاح اليابان على العالم كان نتيجة التهديد الأمريكي عليها في أعقاب قصف المدمّرة الأميركية يقودها الضابط ماثيو بيري [Matthew Perry] الذي وقّع بعدها اتفاقية كاناغاوا [Kanagawa] مع السلطات العسكرية اليابانية سنة ١٨٥٤. أمّا النموّ الاقتصادي والسياسي الياباني، فبدأ فعلاً بعد عودة الإمبراطور الياباني إلى السلطة سنة ١٨٦٧، حيث دخلت اليابان عهدها الصناعي والاستعماري.

٥٣ . انتصرت اليابان على روسيا في الحرب التي وقعت بينهما سنة ١٩٠٥ بعد دخول الجيش الروسي إلى منشوريا (شمال الصين) وكوريا، فهجم الجيش الياباني على الجيش الروسي برّاً وبحراً. أدّى هذا النصر إلى معاهدة بورتسموث [Portsmouth] تحت رعاية الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت [Théodore Roosevelt] التي تضمن لليابان كوريا وجنوب جزيرة ساخالين [Sakhaline] وتجبر روسيا على الانسحاب من منشوريا.

٥٤ . فصل بعنوان : "بيني وبين الأستاذ الخوري"

نفسه. واليابان إلى هذا لا يعرف الغضب ولا الخوف، قامت مدنيته على الشجاعة والوطنية والطاعة المطلقة للإمبراطور وعلى الشعور بالشرف والعزة.

هذا موجز ما كتبه أحد كتاب الإفرنج مؤخراً في وصف أخلاق أهل اليابان التي أُعجب بها الغرب. وقال أحد علماء فرنسا: غلبت اليابان روسيا والصين وضمت إليها كوريا وأخرجت الألمان من شانتونغ [٥٥] وهي خارجة من الحرب مغلوبة مطروحة على جزرها، وقد وقعت صلحاً جعل منها حليفاً للولايات المتحدة [أو تابعة لها وتحت جناح حمايتها] والظاهر أنها شرعت بالتأمرك أي الأَخذ بالمدنية الأَميركية، وحضارة تأتي من الخارج لا تقوم مقام حضارة شعب يتقبلها بل هي تُطعِّمها، والمطعّم والمطعَّم به يعدِّل أحدهما الآخر، على ما كان من العنصر الانكلوسكسوني والعنصر الفرنسي النورماني بعد الفتح. فماذا تكون حال اليابان الجديدة وما يبقى من روحها القديم ونظامها الذي كان منه قوتها في الأَخلاق وتفردها بالعظمة، وكيف بها في جزرها الضيقة تستطيع أن تغذي شعباً بلغ ثمانين مليوناً، وما برح في نمو لا شك أنها ستعمل على أن تزيد صناعاتها تحسيناً وتتوفر على الإكثار من صادراتها، فإن معاهدة سان فرنسيسكو [٥٦] تعترف لها بحق الاتجار حرة، ولهذه الأعمال حدود تقف عندها. وقد تعهد الأميركان باستدعاء جيوشهم التي كانت تحتل يابان، وإذا نشبت ذات يوم حرب عالمية جديدة لا غداً، بل بعد خمس أو عشر من السنين، وانتحلت يابان المذهب الشيوعي، تعود فتصبح سيدة [الأقطار] التي كانت افتتحتها وترجع إليها عظمتها السابقة [ا هـ].

ولعل هناك من يتساءل ولم ياترى لم يكتب لدولة شرقية ثانية احتذاء مثال اليابانيين فنهضتهم كمصر مثلاً فالجواب أن الثبات في الأَعمال يندر في هذه [الممالك الشرقية] وليس لمعظم دولها برامج يفرض على من يديرون دفّتها أن يسيروا بموجبه، ولذلك لم تطرد سياسة حكوماتها، وربما كان [مقدار] الدم الوطني قليلاً في جهاز بعض أبنائها. ومن الأقطار العربية من كانت بليته من حكامه، لم تحافظ على قديمها، [ولا تقدمت] لتتلقف ما ينفعها من وسائل النهضة بنفس مطمئنة وقدم ثابتة. ومن أجل هذا تشهد الفوضى مستحكمة في بعض مقومات حياتها، والانحلال أو ما

٥٥. ولاية من شمال شرقي الصين، عاصمتها جينان Jinan، تقع على ضفة البحر الأصفر. كانت تحت نفوذ ألمانيا، ما عدا مدينة ويهاي Weihai (التي كانت تابعة للانكليز) بين سنتي ١٨٩٧ و ١٩٢٢، حيث أُعيدت مدينة كينداو Qindao لجمهورية الصين. احتلها اليابان كلها بين سنتي ١٩٣٧ و ١٩٤٥، حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

٥٦. معاهدة بين اليابان من جهة، وبين الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الثانية من جهة أخرى، تم توقيعها يوم ٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٥١ في سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا.

يشبهه بادياً في بعض أقوالها وأفعالها، والضعف متجلياً في [ معظم] مظاهرها، لا قوية تسيرها، ولا رعاة ينظمون عقود ما فيه قوام أمرها، والمسكنة والذل والتماوت تقرأ في وجوه أهلها إلا قليلا .

فصل م٢٧ / ملف ١٢-٨ *Chapitre C27 / dossier 12-8*

# القول غير الفعل

[ سلخت ] مصر قرناً ونصف قرن وهي تتعلم العلوم المعاشية والمعادية في المدارس، ولم يبلغ المتعلمون من الرجال فيها أكثر من عشرين في المئة حتى الآن ولم يتجاوز النساء المتعلمات الخمسة في المئة. وفي جودة تعليم الجنسين نظر، ذلك لأن الجد قليل فينا ويا للأسف، والأقوال أبداً تربو عندنا على الأفعال. فالتعليم وما أعددنا له من العدد، وما بذلنا في سبيله من أموال وجهود لم يثمر الثمرة المطلوبة. ومن يدري متى تنتفي الأمية من وادي النيل، وأظنها تزول من لبنان وسورية قبل أن تزول من مصر.

فصل م٢٨ / ملف ١٢-٩ *Chapitre C28 / dossier 12-9*

# غمط حق

قد يظلم من كان طول حياته مثال العدل والنزاهة في الحكم، لأن أصحاب الحل والعقد تعمدوا ظلمه لخروجه عن ناموسهم وهم يتطلبون من كل من كان تحتهم في الرتبة أن يصفق لهم، وينزل على إرادتهم فيما يرتأون ويرسمون. مثال من هذا التحكم البارد ما وقع لصديقي الأستاذ فائز الغصين وكان من الفريق الذي لا يخضع لإشارة أرباب المقامات العالية، ويربأ بالقضاء [عن] أن يكون أُلعوبة في أيديهم. فلما ضاقت صدورهم منه لم يروا إلا إلغاء المحكمة التي يرأسها، وهي محكمة الجنايات في دمشق ليسهل عليهم تسريحه، [ وما ] كان له من ذنب إلا أنه يبرئ من يحاول الرؤساء

اتهامهم ظلماً، إرضاء لبعض الشاكين من جواسيسهم والمطبلين لدولتهم. فبعث أهل حلب وكان قضى القاضي بينهم سنين وعرفوه بأحكامه العادلة إلى رئيس الجمهورية برقية ينكرون هذا الحيف الواقع عليه، وفيهم عشرات من المحامين والتجار والأعيان، ومما قالوا في احتجاجهم إن تنسيق [ القاضي ] استفز شعور الحلبيين وأثار دهشتهم على اختلاف طبقاتهم وطوائفهم [ واستغربوا ] تحدي أعدل قاض عرفته سورية ـ أما هو فراح يقبع في بيته ولم يطالب بأن ينتصف وهو الذي طالما أنصف من لا ناصر لهم.

نعم إن من الحكومات من تريد أن يكون القضاء لها آلة للوصول به إلى أغراضها، وتحاول أن تنزع من القضاء استقلاله، وأن يجري القضاة على ما يوافق رغائب صاحب الشأن. ورأينا من صانع في قضائه اغتنى وتقلد المناصب الكبيرة. ومن لم يصانع عاش في قلة لا يذكره بالخير إلا من عرفوه من عشاق العدل والحق.

فصل م٢٩ / ملف ١٢-١٠ *Chapitre C29 / dossier 12-10*

# تبجح المغرورين

حضرت مع بعض الطلبة على أستاذي السيد محمد المبارك كتاب (المثل السائر) لابن الأثير [٥٧] فما كدنا نأتي على آخره [ حتى ] اقترح الأستاذ على طلبته أن نبقي منه ورقات لا ننظر فيها قائلاً إنه ربما سرت إلينا دعوى المؤلف إذا أنجزنا درس كتابه، وأن المشايخ في الغرب يجرون على ذلك عند مدارستهم المثل السائر.

وظهرت في القاهرة مجلة دينية في أوائل هذا القرن كان شأن صاحبها شأن ابن الأثير في التبجح وعظيم الدعوى، ذلك كان تبجحه في الأدب وهذا كان [ يدعي ] أن ما حققه لم يسبق لأحد تحقيقه، وأنه استنبط من السنة ما عجز العلماء عن استنباطه إلى غير ذلك، مما تنقبض النفوس من سماعه، وتنفر من تلاوة كلامه وتزهد في الأخذ من فوائده.

وجاء في العهد الأخير صحافي مصري ينشئ جريدة أسبوعية فبدأ منذ أعدادها الأولى يبسط لقرائه دعواه العريضة ليثبت أنه الصحافي الأول في أمته، وصحيفته

---

٥٧ . انظر : ابن الأثير الجزري، ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٨٦٥ .

أول الصحف، يطالعك بأنباء يقول فيها إنه سبق إليها، وإن جميع الجرائد عالة على صحيفته، يسرقون أخباره ولا يعزونها إليه، وإن المؤامرة الفلانية لم تكشفها غير جريدته، وإن وزير خارجية مصر أخذ معاني خطابه الأخير من مقالاته الافتتاحية. وكل ذلك ليثبت أن جريدته فقط هي المورد الصافي في أخذ الأنباء الصحيحة، وأنها أسرع من البرق في نشر [ما يهم القراء].

ابن الأثير يوهم قراء كتابه أنه أول أديب في العرب، وأن من لا يحتذي طريقته ليس له نصيب في الأدب، وحرص صاحب المجلة أن يوهم معاصريه أنه أعلم عالم في الإسلام، إذا لم تتوفر الأمة على الأخذ من مجلته يعقون الدين ويضلون عن هدي الشرع، وادعى صاحب الجريدة أنه أول سياسي وأن وحي الأخبار لا تنزل إلا على قلبه وروحه، ومن لا يعتمد عليه ويقتصر على جريدته بات في جهل وعماية. وقد سار على طريق هؤلاء الأدعياء أديب مصري أقسم في مقالة نشرها أنه أول مؤلف وأول شاعر وأول كاتب في هذا العصر. وأظن أن هذا الهذيان نشأ له من إفراطه في تعاطي الخمرة وأصيب بالعته.

حقيقة أن الدعوى تذهب برونق العلم، والدعوى الباطلة تسلب صاحبها حتى ما له من الصفات، ولا يدعي في الغالب إلا من يهون عليه الكذب ولا يخجل منه.

فصل م٣٠ / ملف ١٢-١١ *Chapitre C30 / dossier 12-11*

## عقل معاوية

قال عمرو بن العاص : رأيت معاوية في بعض أيامنا بصفين خرج في عدة لم أره خرج في مثلها، فوقف في قلب عسكره فجعل يلحظ ميمنة فيرى الخلل فيبدر إليه من ميسرة، ثم يفعل ذلك بميسرته، فتغنيه اللحظة عن الإشارة، فدخله زهو لما رأى. فقال : يا ابن العاص، كيف ترى هؤلاء وما هم عليه ؟ فقلت : والله يا أمير المؤمنين لقد رأيت من يسوس الناس بالدين والدنيا فما رأيت أحداً أُوتي له من طاعة رعيته ما أُوتي إليك من هؤلاء. فقال : أتدري متى يفسد هذا وفي كم ينتقض جميعه ؟ قلت : لا. قال : في يوم واحد. قال : فأكثرت التعجب. قال : أي والله في بعض يوم. قلت :

وكيف ذلك يا أمير المؤمنين ؟ قال : إذا كُذّبوا في الوعد والوعيد وأُعطوا على الهوى لا على الغنى فسد جميع ما ترى.[٥٨]

نعم يفسد أمر الأمة إذا كذبت في الوعد والوعيد، وأُعطيت على الهوى لا على الغنى، وفي هذا الكلام جماع سياسة الممالك ينطوي على قاعدة كلية يجب على كل سلطة اتباعها وإلا كان الاضمحلال مصيرها، لأن حبل الكذب قصير والتمويه لا يطرد [الخداع به]. فعلى كل دولة ألا تكذب على من وكل إليها أمرهم، وتصدقهم في الحال [والمآل]. وإذا ندر ذلك [منها] تسيء الرعية ظنها بالحاكمين مهما تزينوا بثياب التمويه، لأنهم عودوهم ألا يسمعوهم إلا وعوداً أو تمويهات، ولا يفتؤون[٥٩] يضللون عقولهم، ظانين أن النفع في ذلك، والواقع أن فيه كل الضرر، ولذلك كان الأب يوصي ابنه ألا يغتر بحسن نيات الحكام مهما بالغوا في إثبات صحتها، وإلى عهد قريب كانت العامة في الشام تقول إذا أرادك الحاكم أن تعطيه ماء على أن يعطيك خلاً لا تقبل مقايضته. والانسجام يفقد في سياسة الممالك كلما ضعفت ثقة الرعية براعيها، فتضيع الفوائد المتوقع أن يستفيدها الواحد من الآخر. الكذب في الوعد والوعيد صيّر أحد الفريقين ينظر إلى صاحبه نظر العدو إلى عدوه لا المحب لحبيبه، ولا يظنّن صاحب القوة أنه يربح بتضليل عقل الضعيف. كلام سائس العرب الأكبر يجب أن يكتب في كل قلب ويُنقش في كل بيت.

فصل م٣١ / ملف ١٢-١٢ *Chapitre C31 / dossier 12-12*

# صناعة التعليم

عرفت شيخين مصري وشامي تخرج الأول في دار العلوم، وجمع إلى تربيته الدينية تربية مدنية، وأتقن الإنكليزية حتى غدا يخطب بها كأبنائها. واكتفى الشيخ الثاني بالدرس في الأزهر وطالع كثيراً وعلق على ما طالع. وكان كلاهما على جانب من الذكاء، شهدتهما لأول أمرهما راضيين عن حالتهما إلى أن قام في ذهن الأول أن صناعة التعليم عقيمة لا مستقبل لصاحبها، فألقى نفسه في غمار السياسة، طامعاً في

٥٨. تلك الجملة مسطرة في الأصل.

٥٩. في الأصل : يفتأون

أن يتحدث الناس عنه كما يتحدثون [عن] مصطفى كامل السياسي، وراح يقلده وما أفلح كثيراً في تقليده. وكان الثاني ضعيف الثقة بنفسه فاكتفى بما تردّه عليه مهنته، وأضاف إلى موارده أُموراً يتكسب منها قليلا، ويبيع قلمه من أرباب النفوذ [بشيء تافه] ويطعن بالعرب ويمدح الترك [فعل] موتور يحب الانتقام من قومه، لأنهم ما أوصلوه إلى المقام الذي يستحقه علمه، وظلّ طول عمره يتحسر على أوقات قضاها في صناعة التعليم، وكانت تهيج نفسه إذا شاهد بعض تلاميذه يتقدمون عليه في المراسم بحكم مراكزهم. وعندي أن هذين الرجلين صارا إلى الانحطاط منذ أخذا يتطلعان إلى ما لم يخلقا له ولا استعدّا للقيام به الاستعداد اللازم. ولو كتب لهما أن يتوفرا على استثمار ما تعلماه لأحرزا المظهر الذي تاقت نفسهما إليه من دون صخب ولا كبير تعب، [ولا وضعتهما] الدنيا من أفاويقها ما يعيشان به برفاهية، وما ينقصهما من المظاهر يعوضانه بما يتمتعان به من رضا النفس وراحة القلب.

أكبر العيوب التي تبدو في بعض أهل هذه الصناعة صناعة التعليم محاولتهم جمع الغنائم بأسرها، تريد العلم والشهرة، وتريد الجاه والمال، وتريد الحكم والسياسة، وتريد أن تُعرف بالتقوى والصلاح، وهي أبداً حانقة غاضبة، تود لو لم تدخل فيما دخلت فيه من تحصيل العلم، ولسان حالها لو أراد الله بنا خيراً لجعل لنا الخيار في اتخاذ صناعة رابحة غير التعليم.

فصل م٣٢ / ملف ١٢-١٣ *Chapitre C32 / dossier 12-13*

# بقايا الاستبداد

قلت لأحد عظمائنا وأنا أُهديه الجزء الأَخير من المذكرات،[٦٠] حبذا لو تلي هذا الكتاب في مجلسكم الخاص ليطلع بعض سماره على ما يسليهم. ثم راجعت نفسي فقلت في سري : أخطأت في طلبك، فأنت تعلم أن عُمّار ذاك المجلس ليسوا من عيار واحد، فمنهم بقايا دولة الاستبداد، يصعب على طباعهم سماع الكلام الحر، وهم ما زالوا في خلواتهم يندبون الأيام التي مرت لهم في الدور العثماني، ويزعمون علانية أن الضرر جاء من انطلاق الألسن والأقلام، وتمتع عامة الطبقات بحرياتها.

٦٠ . يقصد الجزء الرابع، الذي نُشر في دمشق سنة ١٩٥١ .

فصل م٣٣ / ملف ١٢-١٤ *Chapitre C33 / dossier 12-14*

# الرجوع إلى الحق

كان أحد شيوخ الأزهر الجامدين يجاهر شيخنا الأستاذ الإمام محمد عبده بالعداوة في حياته، ويكتب ويستكتب في تفكيره وتبديعه، ويرد في دروسه أشياء من هذا القبيل. وقد روى لي أحدهم أنه اطلع لهذا العالم المتعصب على مقالة كتبها في آخر أيامه، اعترف فيها بإساءته إلى الإمام وشهد بحسن إسلامه وسعة علمه. الرجوع عن الخطأ من أجمل الفضائل، وكان هذا الاعتراف أجمل وقعاً لو جرى في حياة المطعون عليه، والظاهر أنه كانت تحول دون ذلك أسباب، منها الحسد والاستئثار بالحظوة من الملوك وحسن القبول من العامة. وبئس التحاسد تحاسد العلماء وبئس التباغض تباغضهم.

فصل م٣٤ / ملف ١٢-١٥ *Chapitre C34 / dossier 12-15*

# الجهل والعلم

حضرت صديقي الأستاذ [ محمد ] إسعاف النشاشيبي المقدسي الراوية الأديب حفلة أقامها المهندسون في ناديهم بالقاهرة، أيام الاحتفال بمبايعة أحمد شوقي بإمارة الشعر. [٦١] فألقى بعض بلغاء خطبائهم خطباً تناسب المقام ونوهوا بضيوف شوقي. وكان إلى جانبي شيخ [ يتولى ] على جهله أكبر منصب ديني في قطره، [٦٢] فرأيته يعد

---

٦١ . نظم المجلس الملكي المصري هذا الاحتفال في قاعة الأوبرا بالقاهرة في ٢٩ نيسان / أبريل ١٩٢٧ وحضره مجموعة كبيرة من أدباء ورجال السياسة العرب، من بينهم خليل مطران وحافظ ابراهيم وأحمد حافظ عوض ومحمد كرد علي الأمير عمر طوسون وشبلي ملاط وشكيب أرسلان وأمير عدن. ألقى محمد كرد علي ممثلاً للحكومة السورية خطاباً في هذه المناسبة. أمّا إسعاف النشاشيبي، مفتش عام التربية في فلسطين آنذاك وعضو المجمع العلمي العربي في دمشق، فأبرز في خطابه مسألة توافق اللغة العربية مع الحداثة. انظر "المذكرات"، ج ١، ص ٢٩٨.

٦٢ . إنه مفتي القدس، الحاج أمين الحسيني. للمزيد من المعلومات عن خصامه مع محمد كرد علي في هذه المناسبة، انظر "المذكرات"، ج ١، ص ٣٠١.

كلاماً ليقوله، ومثله على ضعف ثقافته لا يتأتى له أن يقول إلا ما هو سُبَّة على قائله، ومؤلم لآذان سامعه. فقلت للسيد إسعاف عليه الرحمة : قم يا أخي تكلم أنت. فقام إسعاف لساعته فقال ما معناه : لقد أكرمتمونا يا سادتي إكرامين قد نستطيع أن نقابلكم على الشق الأول منهما، وأعني به الضيافات وكرم المثوى، أما الشق الثاني فمن المتعذر علينا أن نوفيكم حقكم فيه، وليس في طاقة أحد أن يقابلكم عليه. أتدرون من يقدر على ذلك ؟ يقدر عليه دفين يثرب محمد بن عبد الله، فهو يتولى مكافأتكم على ما خدمتم به لغة الكتاب الذي جاء به. فأثر صاحبي بهذه الجملة في أرواح الجماعة، وأجهش بعضهم بالبكاء [ ونسج نسيجهم ]. ولو تركت المجال للعامي المعمم يهذي كما يريد أمام أُولئك الأعلام من رجال مصر لسقط الشاميون من أنظار المصريين.

فصل م٣٥ / ملف ١٢-١٦ . *Chapitre C35 / dossier 12-16*

## صداقة مريضة

كان لي صاحب اهتديت إلى ما فيه من المزايا قبل أن يعهد إليه بكبريات المناصب، وما زلت أُشيد بفضله ونزاهته، وكنا نتزاور، ويرتاح لمن يلقاهم في مجلسي، يفاوضهم ويفاوضونه ويناقشهم ويناقشونه. وعرضت لي مسألة عرف أنها مزورة، وتقدم يعرض نفسه لإرجاع الحق إلى نصابه، من دون أن ألتمس منه ذلك بالإشارة أو العبارة. ولما قبض على السلطة تناسى تعهده، وأخذ يغالط فيما وعد بإتمامه على ما لا يليق بكبير، ثم قاطعني وبعد مدة أرسل يقول إنه ينوي زيارتي في ضيعتي، فسكت ولم أفه بما جرت العادة أن يقال من المجاملات في مثل هذه الحال. [في] الرجال من تظهر مزاياهم في المسائل العامة، وهم في مسائل الصداقة الضعف كله، [منهم من يلمس في صداقتهم روحاً عجيباً وهم في سياسة الناس أغبى الأغبياء].

فصل م٣٦ / ملف ١٢-١٧ *Chapitre C36 / dossier 12-17*

# رأي سديد

اقترح أحد نواب مصر حامد العلايلي وضع تشريع يجدد دخل الفرد السنوي بما لا يزيد عن ستة آلاف جنيه قائلاً إن هذا المقدار من المال يكفي للإنفاق على أرقى مستوى عيش لأي فرد في أية دولة، إذا تصوّن صاحبه عن البذخ والفجور. وهذا الريع نفسه تسمح به الحكومة البريطانية لأكبر النبلاء في مملكتها. قال إن نظام الضرائب في مصر مهزلة، فالدولة [ تعتمد ] على الضرائب غير المباشرة التي تجبى من الفقير في صورة رسوم على الدخان والشاي وسائر مواد الاستهلاك، وتقدر بستة وثمانين مليون من الجنيهات [٦٣] وهذا الإحصاء الذي استشهد به صاحبي المصري ينقض ما يدعيه بعض المراوغين من السياسيين المصريين من أن بلدهم يتمتع بحكومة ديمقراطية وما هي إلا الأرستقراطية الغالية يُرهق فيها مئات الأُلوف لترفيه مئات. [٦٤]

فصل م٣٧ / ملف ١٢-١٨ *Chapitre C37 / dossier 12-18*

# النصرانية والزواج

شددت النصرانية في الزواج والطلاق ومع هذا تزوج بعض الباباوات وتسروا وارتكبوا ما لا يليق صدوره من أمثالهم، ومن ملوكهم من تزوج مثنى وثلاث ورباع، وجمع بين عدة زوجات [ كبعض] ملوك روم القسطنطينية وغيرهم من ملوك أوربا ولا سيما فرنسا. وهذا من الأدلة على أنه لا يلغى القانون الطبيعي بالقانون الديني.

---

٦٣. أما الضرائب المباشرة أي ما يفرض على الأغنياء أداءه ضريبة أطيانهم فأقل من مليون جنيه واحد (هامش للكاتب تحت الرقم ١١).

٦٤. [ كتبت قبل الانقلاب الأخير] (للمؤلف)

يقصد : قبل الثورة المصرية (في ٢٣ تموز/يوليو ١٩٥٢).

# الإصلاح بالتأني

نُمِي إليّ أن إحدى الوزارات المتشعبة الدواوين المعرضة للنهب والتزوير طلبت تسريح عشرات من عمالها، رأى الوزير في وجودهم ضرراً على الحكومة، وكان فيهم اللص والمرتشي. ولما عرض كشف بأسمائهم على الرئيس الأول للمصادقة عليه أبى أن يوقعه، وأظنه ذهب إلى أن من الحكمة صرف من يجب صرفهم بالتدريج لما يحدث من اضطراب بالسرعة في الصرف. ولا بد من المطاولة قبل الإقدام على إصلاح واسع النطاق. ولا يلام الوزير على إصراره على تسريح [من كاد] يرى المصلحة في تسريحهم فإنه ما حمله على طلبه هذا إلا اعتقاده أن جهاز الحكومة لا يصلح إلا بطرد الحثالات. وللتسريح المفاجيء وجه عند العارفين إلا أن قاعدة التدرج أسلم، كأن يقسم صرف الفاسدين على عدة أشهر حتى لا يُشعر بخروجهم ولا يصدعوا بشكاواهم أصحاب الشأن، ولا تشلّ حركة الإدارة في الوزارة بتنحيتهم جملة واحدة.

فصل م٣٩ / ملف ١٣
٦ صفحات مطبوعة علـى الآلة الكاتبة

*Chapitre C39 / dossier 13*
*6 p. dactylographiées*

# سوانح

ما أكثر متناقضات هذه الحضارة : رحمة ما بعدها رحمة، وقسوة لا تتصور العقول أشد منها.

---

كلما تقدم الزمن تزيد شقة الخلاف انفراجاً بين الدين والمتدينين. ومن الأمصار ما لا تثبت أنها محتفظة بدينها إلا بمحافظتها على الشعائر، على ما كانت منذ البدء. هذا مع بعدها عن معظم ما يفرضه الدين عليها من الفروض والواجبات.

---

كان البشر في القديم يميلون إلى الاعتقاد بالمجهولات، على ما نرى إلى عهدنا قبائل في إفريقية وفي آسيا تعتقد ذلك. وكلما تقدم البشر في طريق المدنية ضعف استمساكه بالمبهمات، ورغب في الحقائق الملموسة.

---

[ يكاد العاقل يعتقد ] لكثرة ما قرأ وسمع من الدعايات، أن كذب الدنيا أوفر من صدقها، وأن باطلها يربو على حقها.

---

تسترسل الحكومات في استبدادها إذا لم تقم في وجهها من أبنائها قوة تردها إلى الصواب، وتعلمها واجبها باللطف أو بالعنف.

---

أتى الدهر على حضارات عظيمة، وقضى على علوم كان الخلق يعنون بدراستها، كعلم النجوم والأزياج والجفر والسحر، ولعل الأيام تبطل بعدُ علوماً هي الآن موضع العناية الشديدة عند الدارسين من الشرقيين والغربيين، تقضي المدنية على ما كان يطلق عليه اسم "علم" وما هو به. وليس ببعيد اليوم الذي يبقى فيه علم التصوف مكتوباً في الكتب لا يرجع إليها إلا إذا أُريد الوقوف على تاريخ الفكر الإسلامي. شهدت الجنون بالتصوف عند العوام وشهدته يحتضر هذه الأيام.

---

أنشأ الطرق الصوفية أذكياء من أهل المغرب، ومن العجم في المشرق، وفي عهدنا يبتدع المستعمرون من الطرق ما يخدم استعمارهم. وأنشأت فرنسا الطريقة التيجانية

في الجزائر،[٦٥] وابتدعت إنكلترا مذهب القاديانية في الهند، [٦٦] ومذهب البهائية في إيران.

---

لم يرض بنو العباس أن يكون خليفتهم الأول ابن أمة. ولما ضعفت مشخصات الأُمة على عهد ملوك الطوائف رضي العرب أن تحكمهم دولة جلّ أبنائها من المماليك الذين مرّت يد النحاس على رؤوسهم.

---

ربما ادعت بعض الدول العربية أن لديها أسباباً قاهرة تحول دون رغبتها في تمدين شعوبها. هذه دعوى لا تصح إذا نظر إليها بعين العقل، وكبراؤنا يترفعون عن سماع المناقشات في هذا الشأن، وشعوبهم ضائعة بين كسلهم الخزي واستبدادهم المضني.

---

مما قلل عدد المختلفين إلى الجوامع انحطاط الفئة التي تقوم بممارسة الشعائر في الأوقات الخمسة وأيام الجمع والأعياد، فلا يكاد المصلي يسمع خطيباً ولا إماماً ولا مؤذناً يحسن استهواء القلوب. هذا في المدن أما في القرى فإن نفسك تلقس مما تسمع، وتود لو تخرج من المسجد قبل أداء الصلاة.

---

لو أُخرج من بعض مجالس النواب في الشرق العربي [عشرة أو] عشرون نائباً من الكفاة ما كانت إلا كبعض مضافات القرى تسمع فيها جعجعة ولا ترى طحناً.

---

من عاداتنا ما يجب احتفاظنا به، لأنه جميل ومعقول، ومنها ما ينبغي لنا أن نقلع عنه لمنافاته روح الزمن وقانون المنطق الصحيح. والعقل هو الذي نحتكم إليه في مثل هذا الإصلاح.

---

٦٥. أسّسها الشيخ الجزائري سيدي أحمد التيجاني (١٧٣٧–١٨١٥) حوالي سنة ١٧٨١م، أي قبل دخول الفرنسيين في الجزائر. انتشرت الطريقة في إفريقية الغربية، وخاصة في السنغال وجامبيا ومالي وشمال نيجيريا والسودان.

٦٦. إن القاديانية (نسبة إلى مدينة قاديان في منطقة البنجاب الهندية) مذهب يُطلق عليه غالباً الأحمدية، أسّسه ميرزا غلام أحمد (١٨٣٥–١٩٠٨) سنة ١٨٨٩. يعتبر أتباعه أن ميرزا رسول ومهديّ ومجدّد القرن الرابع عشر للهجرة. أمّا أغلب المسلمين، فيعتبرونه دجّالاً ورسولاً مزوّراً.

يعظم بالتواضع قدرك، وإذا أربى سكوتك على كلامك أرحت واسترحت.

---

[ ٢ ] سكوتك عن السفيه أبلغ جواب يسمعه منك، وإغضاؤك عما يقول فيك من أعظم ما يؤلمه.

---

إذا زكَّاك أَحد في وجهك إلزم الصمت فالصمت بك أشبه وإذا استطعت أن تتصامم حتى لا تسمع ما يقول تحسن لنفسك. فقد يقول فيك المزكي ما يقوله لمن هو أقل منك شأناً، لأنه ما حفظ من معجم الأماديح إلا ما يقوله لكل من يراه.

---

عاش بعض الخواص بمعزل عن الدين، والعوام بأجمعهم لا غنية لهم عنه. وقد قال الحكيم غستاف لبون : كانت الأديان [ بفسحها ] أمد الرجاء للبشر في حياة أبدية سعيدة أعظم نفعاً للإنسانية من جميع الفلسفات مجتمعة.

---

عهدي برجل وقد بدل اسمه في حياته ثلاث مرات، وكذلك فعل بمذهبه غيّره أكثر من مرة، ليت شعري هل كان ذلك من شدة ذكائه، أم من تذبذبه وريائه ؟

---

ماتت سيدة فاضلة فأسف عليها كل من عرف رعايتها للفقراء، تبرهم وتحسن إليهم وتحتضن اليتامى وتعطف على الأيامى. ولو مات أبوها ما حزن عليه أحد لأنه عاش حياته الطويلة في الكذب والتبجح، وما أثرت له محمدة. والناس منذ كانت [ الدنيا ] لا [ يحمدون ] إلا من ينفعهم.

---

من خلل بعض الممالك أن المقربين من ملوكها هم من طبقة الموظفين، وليس فيهم رجال لا يوقفهم شيء عن النصح لهم. فخلصان الملوك اليوم يخافون أبداً سيدهم حتى لا يقصيهم عن حضرته ويقطع إدراراته عنهم.

---

ينقلب الحكم النيابي إلى حكم استبدادي إذا تولاه بضعة أفراد زمناً طويلاً، لذلك حدد المعشرون مدة لرئاسة الجمهورية ومجلس النواب حتى لا يحتكر الحكم أفراد يعملون على الهوى، ولا يهتمون إلا بما فيه فائدتهم فقط.

---

يدبر الثورات أفراد ثم تنتقل دعوتها إلى الجماهير، وتكون في أولها على شيءٍ من النظام، وفي آخرها أقرب إلى الفوضى.

---

السلطة التنفيذية وأعني بها ما يطلق عليه اسم الشرطة والدرك من أعطل الأدوات في الحكومات العربية، ومن رجالها من يسرق كما يسرق اللصوص الذين وكلت إليهم مطاردتهم. وأعظم الأسباب في ذلك أنه لا يدخل في هذه الخدمة غالباً إلا من عجز عن تحصيل قوته في الحرف الأُخرى.

---

ما انحلت الدول الإسلامية إلا بانحلال أخلاق علمائها وملوكها، أي بفساد السلطة الروحية والسلطة الزمنية كما يطلق عليهما الإفرنج.

---

إنفاذ مواد من قانون أنفع من عشرة قوانين مكتوبة في الورق، واستظهار عشر مسائل استظهاراً جيداً أجدى على الطالب من مئة مسألة لا يتشربها قلبه. من حكم الحكيم الروسي تولستوي: تأليف عشرة مجلدات في الفلسفة أسهل من وضع قاعدة واحدة موضع العمل.

---

لو قدّرٍ ضياع ما كتبه العرب وشعراؤهم في عصور الانحطاط أي منذ القرن التاسع فنازلاً ما خسر العلم العربي شيئاً يذكر.

---

من النادر نجاة حكومة من ألسن المشاغبين، والمشاهد أن معظم من يحاولون أن يموهوا على أنفسهم وعلى الخلق بأنهم أهل لتولي الحكم هم عند التحقيق عاجزون عن تحمل شيءٍ من أعبائه.

---

[٣] على كثرة ما وضع الواقفون من القيود لتأييد أوقافهم عرض لها من [العوارض] ما حلها، ولو أدركوا أن مصير كل شيءٍ إلى الزوال ما تحملوا هذا العنت في وقف ما وقفوا ليصونوا ذراريهم [من الفقر] مدى الدوران.

---

لو كتب للعرب أن ينضموا تحت لواء واحد ما انسلخ القرن الحادي والعشرون إلا وقد بلغ عددهم حوالي مائتي مليون بمدنية ليست دون أرقى مدنيات العالم. [٦٧]

---

قضى العرب على ملك فارس فدان الفرس بالإسلام، وخدموه وخدموا لغته خدمة لا يكاد يلحقهم فيها عنصر من العناصر الداخلة فيه، ولما قويت دعوة الشعوبيين أعداء العرب [على] عهد بني العباس تذكر الفرس أن ملكهم أزاله العرب فلم يروا للأخذ بالثأر أنجع من أن يفرقوا الإسلام فرقاً، ويبتدعوا لإضعافه طرقاً.

---

السبب في كون البطاركة في الشرق من طبقة عالية في العلم على الأغلب أن المطارنة يختارونهم، وما يختارون إلا الأصلح من المرشحين لهذا المقام. ولو عرفت الرياسة الدينية عند المسلمين لكان قضاتهم ومفاتيهم وخطباؤهم ووعاظهم من العيار العالي أبداً.

---

تتمتع الدولة بعظمتها ما دام أُسطولها يشق عباب البحار، فإذا ضعفت بحريتها يضعف سلطانها في جميع مظاهره. هكذا كان شأن البرتقال وإسبانيا وهولاندة وتركيا منذ تخلفت عن خوض البحر.

---

اِقرأ بتدبر كل يوم صفحات من كتاب جيد للقدماء أو المحدثين، وذلك في الموضوعات التي تأخذ من نفسك، فتزيد رأس مالك الأدبي، وتدخل السرور والسلوى على قلبك، وتشغل جانباً من وقتك فيما يفيدك، والأفضل أن تكون قراءتك بصوت عال.

---

ما عُهِد استعمار أحط من الاستعمار التركي (وهو يشبه الاستعمار الإسباني) طالت لياليه السود وما أورث من ابتلوا به إلا الفقر والجهل. وقد أنشأت الولايات التي رفع عنها كابوس ذاك الحكم الأخرق دولاً كادت في زمن قليل تعادل مدنيتها مدنية بعض الدول الغربية الراسخة في الحضارة منذ زمن طويل.

---

٦٧. بلغ عدد سكان دول الجامعة العربية ٢٧٢ مليوناً سنة ٢٠٠٠ حسب إحصائيات منظمة الأمم المتحدة.

لم تفلح العناصر التي اندمجت قروناً طويلة في جسم الدولة العثمانية إلا يوم نزعت ربقتها من حكمها، وأقام أبناؤها صرح وطنيتهم بأيديهم. على هذا كانت الحال في مصر والعراق والشام ورومانيا وبلغاريا واليونان ويوغوسلافيا.

---

عاد قانون الوقف بضرر كبير على الأمة، وكان فيه المحرومون أكثر من الممتعين، والغامر من الأعيان الموقوفة أوفر من العامر.

---

يضحكني ما أسمعه في بعض [البيئات في] الشام من أسماء إفرنجية ثقيلة على السمع والطبع، يطلقونها على الرجال والنساء سواء، ومنها ما تعذّر عليّ النطق به أني كررته غير مرة. أُولع بعض المسيحيين في الشام بالأسماء الإفرنجية على ثقلها، ويسمى الأقباط في مصر أولادهم بأسماء عربية إسلامية.

---

استغرب أحد أرباب الصلاح ما بدا من قاَضٍ شرعي من المصانعة على قضائه مقابل شيء تافه (أكلة أصابها في دار أحد الخصمينِ في قريته وسلة من البيض حُملت إلى داره) فقلت له : لا تستغرب ذلك ما دام قسم من الموظفين يعتقدون أنهم ما جاؤوا إلى الخدمة إلا ليملؤوا [٦٨] جيوبهم وبطونهم. وهذا القاضي الخبيث كان أبوه أخبث منه في القضاء، والخبث سرى إليه بالوراثة مع الدم، ولا تلد الحية إلا حية.

---

ما أعجب وكل أمرنا عجب، إلا ممن تقول له إن فلاناً أضاع الحق ومال مع من دفع له جعلاً أرضاه به، فيجيبك أنه صاحب عيال لا تكن بالله عليك السبب في قطع رزقه، ودعه يعيش رحمة بأولاده. يقول هذا وهو يدرك ما يبنى على ترك هذا الفاسد على غلوائه، يمتص دماء أرباب المصالح ويضيع حقوقهم، وينسى قبع الأثر الذي ينتج عن خيانته، ويرغب في أن تترك له صاحبه يعيش مهما حمل عبثه من الأذى للناس.

---

[ ٤ ] أي ذمة هذه التي ترحم اللصوص والقتلة، وربما كان في العاطفين عليهم من يدرك أن ذنبه في استدرار الرحمة للمذنب لا يقل عن ذنب من يرتكب هذه الجنايات والجرائم، ولكن القوم ألفوا أن يشفقوا على من تحرم الشفقة على أمثالهم.

---

٦٨. في الأصل : ليملأوا

إذا كنا لا نجرؤ على ذكر حقائق الرجال في حياتهم، مصانعة لهم أو خوفاً من شرهم، فما الذي يمنعنا [من ذلك] بعد موتهم. يموت عظيم ويقتل رئيس فتبدأ الصحف بدلاً من ذكره بما فيه تختلق له أحسن الصفات، وتصفه بالنبوغ والعبقرية، وتتناسى ما كان من سيئاته، وخصوصاً إذا كانت من الجرائد التي كان الراحل يحسن إليها، فإنها تبالغ في مناقبه ولا تعرض لشيءٍ من مثالبه. وقد يموت الرجل الصالح فلا تذكر اسمه إلا مجمجمة متقززة. وبعد هذا الغش الظاهر في قلب الحقائق لا نكاد نرى أحداً يقول إن فلاناً ارتكب من الأعمال ما لم يشرفه.

---

من الناس من ينخدع بما يتلو في الصحف من رثاء الراحلين، انخداعه بما تجود به بعض الحكومات من بلاغاتها الرسمية، والسياسيون من تصريحاتهم الدبلوماسية. فيا أسفا للحرية التي أُعطيناها ولم نستفد منها استفادة تنفعنا في إدراك الحقائق، وألف أسف على أقلام يبيعها حاملوها في تضليل العقول لمن يؤدون إليهم ثمن كذبهم.

---

لو تيسر جمع مسلمي الهندستان والباكستان في بقعة لا تتخللها أرض الوثنيين لتألفت منهم أعظم كتلة إسلامية ولأنشؤوا [٦٩] دولة تضم شمل ثلث المسلمين في الأرض، إذا قيست بها سائر دول الإسلام عدت إمارات ودويلات.

---

لم أر مقامراً سلم له ماله في العاقبة، ولا رجلًا جمع ثروته من القمار، ولا سياسياً قامر بدولته فعاد عليه قماره بربح. قامر حزب الاتحاد والترقي بدولة بني عثمان فانسلخت عنها ولايات عظيمة تألفت من كل ولاية مملكة برأسها.

---

ليس على وجه الأرض فيما نعلم دولة تشدد في أمر الدين مثل الدولة السعودية، ومع هذا ما نجا إلا [بعض] سكانها من ارتكاب ما ترتكبه سائر الشعوب العربية من الموبقات سراً وجهراً.

---

لم يجد أهل الأزهر رجلاً منهم على كثرة عديدهم، من هو حريّ أن ينشئ لهم مجلتهم، واضطرهم ضعف ثقتهم بأنفسهم أن يعهدوا بإنشائها إلى رجل لم يتثقف بثقافتهم، ولا أُشرب روحه مشربهم.

---

٦٩. في الأصل: ولأنشأوا

تدبرت حال أُسرة كبيرة كان أجدادها حكام الشام، فرأيت فيهم نزاهة الحكم أوفر مما هي في أبناء بيوت لم [ يسبق لذويها ] خدمة الدولة. ونظرت في سيرة رجال كان أهلهم أمراء في الشام منذ كان الفتح العربي فكانت تغلب عليهم الاستقامة. وأنعمت النظر في أسرة كان جلّ اعتمادها في عيشها على الأوقاف فجاء أكثر أبنائها يستحلون أكل أموال الخلق، ولا يعدون السرقة مما يخجل منه. [ونظرت نظر إمعان في أُسرة كان أجدادها يعيشون من زراعتهم ثبت لي أنهم كلهم لصوص ومزورون ومرتشون فاستعذت بالله وساء ظني بمستقبل هذه الأمة.] [٧٠]

---

ما جمعت تركة أحد العظماء بضعة آلاف من الليرات السورية، قد تكون تركة شرطي أوفر منها. وكان أعداؤه في حياته يدعون أنه أصبح من أصحاب الملايين. فإياك أن تصدق كل ما تسمع وبخاصة ممن يجوزون الاختلاف على من يحاولون إسقاطهم.

---

[ ٥ ] من فطر على السفاهة يزيد إغراقاً في سفاهته كلما طال عمره. والسفيه لا يشتفي ممن يتسافه عليه إلا إذا كاله الواحد مئة. أكد لي ممن خالط سفيهاً من أصحاب المجلات المصرية أنه ما تعفف حياته عن أكل حقوق معامليه واستحل كل مال تهيأت له سرقته، ليصبح من أرباب الأطيان، ورهن قلمه على كل من يعطيه شيئاً ليمدح له من يحب مدحهم، ويقدح فيمن يحاول القدح فيهم. فقلت له : لا تستغرب ذلك منه فهو وضيع الأصل مريض النفس، ودناءته ملازمة له غير مفارقة. نزعُ ( العمامة ) ولبس ( الطربوش ) وترك ( الجلابية ) و( البلغة ) إلى ( المعطف والسراويل والحذاء الإفرنجي ) لا يغير من طبعه وطينته.

---

لجأ أحد رؤساء الوزارات المنفضة إلى بلد مجاور يزعم أنه يصطاف فيه، فأوهمه بعض المحيطين به أنهم رأوا رجلين كأنهما يهمان باغتياله، فاشتد ذعره واستنجد بصاحب السلطان، فأرسل إليه من الشحنة رجالاً يحرسونه. دليل على مبلغ خونة الوزراء من الشجاعة، والخائن أبداً خائف.

---

٧٠. حاشية بخط يد الكاتب تحمل الرقم ٩٩ في الأصل.

لم يؤثر عن أحد الرؤساء خلال حياته السياسية إلا الضر والشر، ولما هلك لم يأسف إنسان لمصرعه، ولا سمع فرد يترحم عليه. موت الأردياء فرج للعالم.

---

إذا كثر من يتجهم للئام ويحتقرهم ينقرضون مع الزمن، ومن عود نفسه الأعراض عن المماحكين ينفع نفسه وينفع غيره.

---

لا تعبأ بقول من يحبب إليك التغاضي عن إنكار العيوب، فالإصلاح لا يرجى إلا إذا قام كل من يعقل بما يقدر عليه من تقويم المعوجات.

---

قالوا إن الغرب اخترع آلة إذا سلطت على رأس الإنسان كشفوا بها ما يجول في خاطره من الأفكار. إذا صح هذا الاختراع يبطل الكذب والتعدي، وتغدو هذه الآلة المباركة من أنفع ما أوجد الإنسان لخدمة الإنسانية.

---

يملّ الحياة وتمله كل من لا يحسب حساب وقته، ولا معنى للعمر مع الفراغ، والخير في المواظبة على العمل وإن قلّ. وقديماً قالوا : (غبار العمل خير من زعفران العطلة).

---

ربما كان من توسع الفرنسيس في حريتهم، ومن تعدد أحزابهم واختلاف أهوائهم، ومن فشو الرشوة في [الرؤساء والمرؤوسين]، أن عرف العالم من أسرار جمهوريتهم ما لم يعرف عن دولة غربية. ولو قد حذفت المبالغة من الحكم على انهيار فرنسا لكان من القسم [الثابت من أخبارها] مادة يصح أن يحتج بها على أنها مائلة إلى الانقراض.

---

أليس من النقص أن تمضي السنة ولا يظهر في الأقطار العربية كتاب فيه شيء جديد، وما كان بعض ما يصدر من المطبوعات مما لا قيمة له إلا لأن واضعيها لم يفكروا ملياً قبل أن يقدموا على تأليفها.

---

الحرب شعبة من جنون الأُمم يزيد فيها مال الأغنياء، ويشتد بؤس الفقراء، وفي السلم تهنأ جميع الطبقات.

---

لو عرضت جريدة أسامي المخترعين في العالم ما سقطنا فيها على اسم مخترع عربي، وهذا مما يخفض الرؤوس ولا يرفعها.

---

بضع كلمات تبدر على لسان من يحاول أن يرحم الفاسد تضر بحاضر أمة ومستقبلها. ضعف ملكة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتح المجال للجهال فجاء كل جيل أحط من الجيل السالف في أخلاقه، والأنكى أن يشفق أرباب الرعونة على الفاسدين، ويعملوا على استمطار العفو عن الجانين.

---

[ ٦ ] صفقت لما ذكر لي أحد أن عدد الطلاب الحجازيين والنجديين الذين يدرسون العلوم بنفقة حكومتهم في جامعات أميركا وإنكلترا وغيرهما، أصبح [ لا بأس به ]. سيتولى هؤلاء الطلاب تمدين بلادهم، ويثبتون للعالم أن العربي الذي عاش في الجهل [ عصوراً ] ليس من المتعذر عليه أن يكون عربياً شرقياً بروحه، غربياً مثقفاً بتفكيره.

---

تكاد تتفق كلمة العارفين على أن ديار الإسلام على تباعد أقطارها وأمصارها تتشابه في خرافاتها وأساطيرها. ولعل معظم ما تعتقده من المعتقدات الباطلة انتقل إليها من الأمم السالفة. التخريف يسطو على النصارى والمسلمين كما يسطو على البراهمة [٧١] والبوذيين. ولا تكاد تجد إنساناً مهما ارتقت مداركه يتجرد من خرافات يقف معها رؤساء الأديان وعلماء التربية موقف العجز لا يهتدون سبيلاً إلى إصلاحها أو القضاء عليها. ومن أرباب المذاهب من يتبرأ مما دونه أهل مذهبه وشاع عنهم بالتواتر وأيده العيان. وأصحاب كل مذهب غارقون في ترهاتهم مغتبطون بها، ويتهمون أصحاب المذاهب الأُخرى بالتخريف، ويكذبون جهاراً على مخالفيهم.

---

يلتقط المرء من السياحة جزءاً عظيماً من ثقافته، المدرسة يأخذ منها النظريات وتحصل له العمليات بالاختلاط والتغرب. إذا قوي حب السياحة في العرب، وتوالى رحيل المنورين منهم إلى أرض أرقى بحضارتها من أرضهم، يعودون إلى أهلهم بما ترقى به معايشهم [ وسمات ] حياتهم.

---

كانت العرب منذ مئة عام من أَحط الأُمم، فحدث لهم ما نبههم من رقدتهم. تقدمت مصر ثم تبعتها الشام فتونس فالعراق تتلقف ما تبني به بنيان مدنيتها الجديدة، مضافاً إليها ما كان عندها من بقايا حضارة قديمة. ولو قارن المنصف بين

---

٧١ . يقصد الهندوسيين ( البراهمة هم رجال الدين أو أعضاء الطبقة العليا في النظام الاجتماعي الهندوسي ).

أمس العرب ويومهم لأيقن أنهم تقدموا تقدماً ظاهراً، ولو قد بعث عربي فارق الدنيا منذ مئة سنة، وطاف المعالم والمجاهل في ديار أُمته، لرأى تبدلاً عظيماً في أوضاعها ومرافقها ومصانعها وصناعاتها، وأَهمّ ما تبدل فيها طرق تفكير أَهلها.

---

من المعضلات ما لا ينحل إلا بالمطاولة، ومن المشاريع ما لا يتم إلا بالأناة. أنشأت المجمع العلمي العربي ودار الآثار في دمشق فلقيت من المعاكسات أَصعبها. [٧٢] وما رأيت وسيلة للنجاح أنجع من الصبر وسعة الصدر. كان قومي يهزؤون [٧٣] بادئ بدء بمشروعي، على حين كان من يهتمون بآداب الشرق من أهل الغرب يصفقون له ويأملون له النجاح. ولو عبأت بقوارص من اعتادوا الاعتراض على كل شيء لبلغ أعداء التجدد غايتهم. وما كانت أمنيتهم إلا أن أفشل لأن جهلهم وحسدهم وخبث طويتهم ما كانت تملي عليهم غير هذا. ما كنت أشير إلى ما وقع لي لو لا أن صديقاً عاقلاً أرادني على أن أتعرض له بكلمة ليكون مما وقع درس مفيد للعاملين.

---

نُمي إليّ أن بعض من أَخرجهم صاحب الثورة السورية الأولى [٧٤] من وظائفهم لعدم الحاجة إليهم أو لاشتهارهم بإضاعة الحقوق والرشوة والسرقة، فاقتصدت الجمهورية بتسريحهم ملايين من الدنانير، قد أُعيد أَكثرهم إلى الخدمة، إما شفقة عليهم أو لإسكاتهم وتفادي مشاغبتهم. وبذلك أثبتنا أنه سواء في نظرنا حَسُن انتخاب العمال أم لم يحسن، انتظمت الإدارة أم لم تنتظم.

---

٧٢. أُنشئ المجمع العلمي العربي في دمشق كفرع من ديوان المعارف في ٨ حزيران/يونيو ١٩١٩ بقرار حاكم سوريا العسكري العام، رضا باشا الركابي، وذلك حسب رغبة محمد كرد علي، وهو رئيس ديوان المعارف الأول. أنشئت دار الآثار باسم "المتحف الملوكي" في دمشق وألحقت بالمجمع العلمي العربي، كما ألحقت به دار الكتب (المكتبة العمومية سابقاً) سنة ١٩١٩. خصص المجمع العلمي العربي أربع غرف للمتحف في المدرسة العادلية، بينما ظلّت دار الكتب واقعة في المدرسة الظاهرية. انظر المرجعين التاليين:

أحمد الفتيّح، تاريخ المجمع العلمي العربي، دمشق، مطبعة الترقّي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م ؛ كرد علي، محمد، المذكّرات، الجزء الأوّل، ص ٢٧٧-٢٨٦.

٧٣. في الأصل: يهزأون

٧٤. يقصد المشير حسني الزعيم، صاحب انقلاب ٣٠ آذار/مارس ١٩٤٩ وهو أوّل انقلاب عسكري مرّت به سوريا في عهد الاستقلال.

*Chapitre C40 / dossier 14*
*9 p. dactylographiées*

**فصل م٤٠ / ملف ١٤**
**٩ صفحات مطبوعة علـي الآلة الكاتبة ومنقحة بخط يد الكاتب**

# هاجسات

من نظر النظر البليغ فيما يجري، من الإسراف بالمال في الدول العربية، وفكر كيف ينفقن مئات الألوف من الدنانير في أمر تافه، ويمسكن أيديهن عن الإنفاق على الضروريات، يوقن أنه من الصعب علينا أن نتعلم الاقتصاد عندما يجب والبذل فيما يجب.

—

للعرب الآن دولتان أرستقراطيتان مصر والمملكة السعودية، و[ تستحقان أن يُطلق عليهما اسم] الأرستقراطية لفسحها المجال للأفراد حتى يغتنوا، [ولا يهمهما] رفع البؤس عن الجماعة. وفيهما يتمثل لك الفقر الشديد إلى جانب الغنى العظيم. وتسير الدول الخمس الداخلة في جامعة الدول العربية في طريق الإسراف بسير المملكتين المصرية والسعودية، ولكن بأُسلوب آخر لا يخرج عن التبذير أيضاً.

—

أصبح الإنسان العادي لعهدنا يحسن من أمور الصحة وبسائط علم الطب ما لم يكن الأطباء في القرن الماضي يحسنون مثله، وغدت ربة البيت المعنية بأولادها لكثرة ما قرأت وسمعت من وصايا الأطباء تدرك ما أغفلته كتب حفظ الصحة قديماً.

—

ظلت المملكة الإسلامية محتفظة بطابعها الديني في معظم أدوارها، ولم تتغلب الدنيا على الدين إلا في العهد الأخير. بدأت بذلك مصر واقتفت أثرها سائر الأقطار العربية التي مالت إلى التجدد.

—

زهدُ المسلمين [ أعصاراً] طويلة في الأخذ بمذاهب العلوم المادية جعل منهم شعوباً جاهلة مقطورة في مؤخرة الغربيين طوعاً أو كرهاً. وسيظل حالهم على ذلك حتى تنزع الأَثرة من ساستهم، ويعملوا للجماعة لا لشهواتهم.

—

في الناس من تستلطفه من أول نظرة، ومنهم من تنقبض منه ساعة تقع عينك عليه، وإن لم يكن فيه ما يكره في الظاهر. هذا وأنت لا تعرف سبباً لهذه الكراهة وهذا

الاستحسان. [قد تعتقد] أن فلاناً متكبر فظ [فإذا] عاشرته ظهر [لك أنك] كنت مخطئاً في حكمك عليه، تشهده على جانب من رقة الحاشية ودماثة الخلق. وبالعكس [ربما] توهمت في أُناس أنهم على أدب ولطف [فإذا] جربتهم من قريب استبان [لك أنك] كنت مغروراً.

---

يوم اشتدت حاجة دول العرب إلى إخصائيين في العلوم والفنون أقبل الأذكياء من بنيها على تلقفها، فكان لهم في حكوماتهم أسمى المناصب وأوفر الرواتب، وبهم بدا على بعض الأقطار طابع العصر وما جدّ فيه من إبداع.

---

كان صديقي الدكتور ناظم القدسي في بيانه الذي قدمه إلى جامعة الدول العربية لإنشاء دولة متحدة عربية صادقاً في وصفه هذه الجامعة قال إنها خيبت آمال العرب، وكانت إسرافاً في المظاهر والأقوال، وجدباً في النتائج والأفعال، وعرف الجميع أن الروح السائد فيها لا يساير واقع العصر، وسرعة الزمن، وخطورة الأحداث، ووثبة إرادة الشعوب، لأنها لم تسلك الطريق الإنشائي في الدفاع، أو الاقتصاد أو الثقافة أو الاجتماع، ولم يشعر الفرد العربي بوجودها لأنها لم تؤَمن له حاجة أو تحيي له أملاً بالتطور والتقدم.

---

سبقت مصر إلى الغنى بانتظام زراعتها، ونظام حكومتها، وسارت على أثرها لبنان وسورية والعراق. وإنك لترى في حواضرنا قصوراً لأُناس كانوا بالأمس فقراء معدمين وهم اليوم يقلدون في عيشهم أرقى الطبقات في الأمم الممدنة، وكل ذلك كان بفضل المال الذي فاض في الأيدي عن الحاجة، ورفاهة العيش وليدة الغنى أبداً.

---

[٢] كان أحد أبناء الأعيان الموظفين يعد نفسه من أصحابي منذ عهد الشباب وما عرفت أن الرجل مسرف على نفسه بالشراب والقمار، إلا بعد مدة. واحتال حتى أحشره في رجال التعليم العالي وهو لا صلة له بالعلم، ولما وصل بالاحتيال والمصانعة إلى الكرسي الذي كان يطمع فيه تبدلت نفسيته، ثم حاول أن يجمع بين صداقتي وصداقة من يعبثون [بمصلحة] الأمة فأعرضت عنه. وفعلت الطبيعة فيه فعلها، فظهر في شيخوخته أنه مصانع كذاب، وغدا نكرة مكروهاً لما خسر ماله ومروءته.

---

يبالغ بعضهم إذا لقيتهم في تحيتك ويكثر من ذكر أشواقه، وإذا غبت عنه قد يعيبك ويغتابك، فالأولى بك إذا اجتمعت إلى من هذه أخلاقه أن تقطع عليه حديثه، وتشغله بحديث غير حديث نفاقه.

---

لو لم تُنزع من إيطاليا عقبى الحرب الأخيرة جميع مستعمراتها الإفريقية، ومنها طرابلس وبرقة، لما أتى على هذين القطرين العربيين خمسون سنة إلا وهما إيطاليان روحاً ولساناً، ولأصبح العرب فيهما أقلية ضئيلة لا تكاد ترى [إلا] بالمجهر. ذلك لأن إيطاليا قامت بتجريد السكان من أراضيهم وأملاكهم، وأنزلتهم إلى مراتب الخدم، ولم تسمح لهم بأكثر من التعليم الابتدائي الناقص، وعزلتهم عن بقية العالم العربي، سائرة على طريقة الفرنسيين في استعمارهم.

---

في سنة ١٧٠٤ انتزعت إنكلترا جبل طارق من إسبانيا ولا تزال هذه الدولة تطالب في كل فرصة بإعادته إليها. وانتزعت تركيا لواء الإسكندرونة من جسم سورية منذ خمس عشرة سنة فنسي أكثر السوريين هذا المرفأ العظيم مفتاح بلادهم والجزء المتمم لها.[٧٥]

---

بهر الغربيون الشرقيين بما ابتدعوه من حضارة، فظن الشرقي أن فطرة الغربي هي التي أبدع بها ما أبدع، وأن الشرقي يتعذر عليه أن يقلده، فلما اختلط أهل المشرق بأهل المغرب، ووقف الشرقي على أسباب فلاح الغربي تبين له أنه يشبهه من أكثر الوجوه، ولا يتفوق الغربي إلا بانتظامه ودؤوبه.

---

كانت لي علاقة بشيخ لا يدل مظهره على أنه اعتاد الغيبة والنميمة. فكان أبداً يسارع [أحاديثي] إلى من يبدو [له] نقلها إليهم، ليستغلني في جلب مغنم له. ومن [كان] التجسس في فطرته لا يمتنع [منه] مع صديقه وعدوه. وقد ألقى هذا

٧٥. بدأت سيرورة انفصال لواء إسكندرونة عن سورية سنة ١٩٣٦, لمّا طالبت تركيا لسكّان اللواء بحقّ تقرير مصيرهم عبر الاستفتاء، على الرغم من أن الأتراك فيه لم يكوّنوا أغلبية آنذاك. واتفقت فرنسا على انفصال اللواء عن سوريا وجعله تحت إدارة عصبة الأمم في ٢٩ أيار/مايو ١٩٣٧، ثم وقّعت فرنسا معاهدة مع تركيا تسمح فيها للجيش التركي أن يدخل اللواء. وأخيراً، انضمّ اللواء إلى الجمهورية التركية في ٢٣ حزيران/يونيو ١٩٣٩ مقابل تحالف تركيا مع فرنسا وبريطانيا العظمى.

النمام مرة النفرة مني في قلب صديق حميم كانت صداقتنا منذ كنا نطلب العلم من الصداقات الصافية. في عمل المتجسس النمام درس في سر تحريم التجسس والغيبة [ في الإسلام ].

---

من الأردياء من يتعمدون إغضابك ويخرجونك عن اتزانك ليتخذوا من [ إغضابك ] ذريعة إلى إيذائك. إذا وقع نظرك عليهم بادر إلى الهرب منهم، فالهرب ثلثا الشجاعة كما يقول العوام.

---

كتب رئيس حكومة الهند [٧٦] إلى سفراء دولته يحرضهم على الاقتصاد فيما تحت أيديهم من الأموال وأن يضنوا حتى بزجاجة الويسكي، لأن ثمن القارورة منه تعول أسرة في الهند، والهند فقيرة. وحبذا لو جرت الدول العربية على خطة الدولة الهندية في الاقتصاد لتصرف ما تقتصده في الأمور النافعة. وهذه سورية ولبنان مثلاً في غنية عن الإكثار من هذا العدد العظيم من [ السفراء و ]المفوضين والقائمين بالأعمال والملحقين الحربيين [ والملحقين الثقافيين والاقتصاديين ] ومن إليهم من رجال السلك السياسي والقنصلي، ولو قدر لتينك الجمهوريتين مثلاً أن يوحدا تمثيلهما الخارجي كما تفعل السويد والنروج لتيسر لهما أن يطويا من باب النفقات ما يجتمع منه ألوف الألوف تصرف في أمور مجدية على البلدين.

---

[ ٣ ] نجح من جوّدوا في دراسات لهم جديدة في العلوم [ المعادية ] والمعاشية لأنهم حملوا إلى من تناولوها معلومات سدوا بها نقصاً في معارفهم. وفي العادة أن من لا يعنى كل العناية بتأليف ما يؤلف يعد محتقراً لمن يكتب لهم من أهل جيله، وأهل الأجيال القادمة. والكتاب الضعيف التأليف على أي حال محكوم عليه بالفناء بعد أيام تمضي على صدوره من المطبعة.

---

قلت لأحد عظماء أحبارنا : يتراءى لي أن تعاليم السيد المسيح، والعقائد التي جاء بها الرسول محمد بن عبد الله لم يبق منها في الأرض إلا نغمات تردد في الكتب،

---

٧٦. إنه بانديت جواهرلال نهرو ( ١٨٨٩-١٩٦٤ )، أوّل رئيس وزراء للهند في عهد الاستقلال ( ١٩٤٧-١٩٦٤ ).

وشعائر تقام في البيع والجوامع، والنافع من جوهرها كاد يبيد. فأقرني على رأيي وأسف معي لضعف الأديان وسقوط الإنسان إلى درك لا يدرك الآن قراره.

---

وضعت روسيا مذهب الشيوعية ويا حبذا لو وضع أعداء الشيوعية بالدعاية من دون أن يلجأ أحد الفريقين إلى استعمال القوة، فقد يكون من الدعايات المنظمة في الخطب والصحف والكتب ما هو أفعل من قتل النفوس وتدمير الممالك.

---

قالوا إن هلك في الحرب العالمية الأولى عشرة ملايين من البشر، وهلك في الحرب الثانية [ ثمانية ] عشر مليوناً. أليس من المتوقع أن يهلك في الحرب الثالثة مئة مليون إذا حسبنا حساب هذه الاختراعات التي تتنافس الدول في إيجادها لقتل الإنسان وتدمير البلدان.

---

أضرب مشايخ الأزهر مرة لأن الحكومة المصرية لم تعدّهم في درجات سائر موظفيها عند فرض الرواتب. [٧٧] وكان يتمنى أحباب الأزهريين لو وقع إضرابهم للاحتجاج على أمر يضر بالدين أو ينفع في الدنيا. من القديم كان من طبع أكثر رجال الدين الاهتمام بمصالحهم الخاصة فقط، ولسان حال كل واحد ( أنا ومن بعدي الطوفان ).

---

من أفلحوا من رجال الدين أقل ممن أفلحوا في الصناعات الأخرى، وربما كانت علة ذلك اعتيادهم أن يعيشوا عالة على الحكومات، ويتبلغوا بالصدقات، ويستحلوا أكل الأوقاف والأحباس.

---

٧٧. أُعلن هذا الإضراب بعد عزل سبعين من معلّمي الأزهر ونتيجة الخلاف الذي نشب بين شيخ الأزهر الظواهري ومجلس النوّاب المصري الذي رفض تمويل المعاهد الدينية سنة ١٩٣٤، ممّا أدّى إلى قرار الشيخ الظواهري بتحديد عدد الطلاب في المرحلة العليا من التعليم بجامعة الأزهر. ثار طلاب الأزهر وأوقفوا الدروس في أواخر سنة ١٩٣٤ وبداية سنة ١٩٣٥، طالبين عزل الظواهري وتسمية الشيخ مصطفى المراغي بدلاً منه وإلغاء أوامر مجلس النوّاب وإرجاع الأساتذة المعزولين، فتبعهم أساتذة الأزهر في معارضتهم للظواهري، إلى أن قرّر المجلس العالي للجامعة إغلاق الأزهر لغاية نهاية السنة الدراسية. بعد ذلك، استقال الظواهري وسمّي المراغي شيخاً للأزهر في ٢٧ نيسان/ أبريل ١٩٣٥. انظر المرجع التالي:
COSTET-TARDIEU, Francine, *Un réformiste à l'université al-Azhar : œuvre et pensée de Mustafâ al-Marâghi (1881-1945)*, Paris : Karthala, Le Caire : CEDEJ, 2005

يعد بالمئات مشايخ المعاهد الدينية السائرة في دراستها على برنامج الأزهر في مصر. ولو حاسبناهم على ما قدموا للأمة من عمل صالح، بعد عهد طويل قضوه في الدرس والتدريس، ما تحصل لهم شيء يذكر إلى جانب ما قبضوه من رواتب، وتمتعوا به من مظاهر التمجيد والتعظيم.

---

كنت أعتقد بعد مرور سنين على تأسيس معاهد التخصص ـ وشهادتها يحوزها الطالب بعد شهادة العالمية من الأزهر ـ أن خريجي هذه المعاهد سينزعون عنهم ثياب الخمول المعروف عن الأزهريين، وينصرفون إلى ما ينفع بتفكير جديد وعزم وطيد، وإذا بالكسل القديم هو الكسل، وبالتواكل الذميم هو التواكل، وإذا المسألة مسألة طبائع وأخلاق، لا حفظ دساتير، وفك مغلقات التقارير.

---

كلما زدت خبرة [بمنازع] الناس أسلم من الانخداع بظواهرهم. لو حللنا ما عرضنا له في هذه المذكرات من وصف الأخلاق ما رأينا العامل الأول في انحلالها إلا فساد التربية.

---

لم أعلم أية دولة من الدول الحديثة خرجت على قانون الإنسانية، فعدت المسالمين كالمحاربين، واستجازت قتل الآمنين والمستأمنين، وهم بمعزل عن ساحات الوغى. كانوا في الحروب الغابرة يقتل الرجال الرجال، فابتدعت الدول في الحروب الأخيرة بدعة قتل الأبرياء من الشيوخ والنساء والأطفال. بلغ مليون نسمة فقط عدد من هلكوا من المدنيين في حرب كوريا الأخيرة بسبب العمليات الحربية والغارات الجوية.

---

[ ٤ ] مما عددته قصوراً ارتكبته، ومتعة للنفس تخطيتها، أني لم أوقف زيارة العالم الإسلامي، ومنه ريف مصر وسودانها، زيارة درس وبحث، هذا مع تكرر دعوة [بعض] أصحابي فيها إلى النزول عليهم. وذلك لأن الرحلات الطويلة كانت تتوقف على المال، والمال كنت أصرفه أيام القدرة على التنقل في تربية أولادي. ثم إن نشر كتبي كان يتقاضاني ألا أغيب عن بلدي كثيراً، لأتوفر على تصحيح تجاربها بنفسي. هذا وما جوزت الاستعانة بمال الحكومات، لعلمي بأنها لا تعطي شيئاً إلا [لأغراض من] الصعب على طبعي إنفاذها.

---

فطر الإنسان على الشر والصالحون من جنسه شذوذ، علّم الأنبياء والحكماء الناس ما رفعوهم به عن البهيمية، وكان تأثيرهم فيهم ضئيلاً لم يواز ما تحملوه من العناء في هدايتهم.

---

تعروني هزة ألم عندما يقع نظري على المحتالين لكسب المال من طرقه [ الدنيئة ]، وأغتبط لعدم معرفتي كثيراً من الخلق حتى لا أشتغل بالتأفف ممن يتعذر تهذيبهم على من يحاوله، ولو أُتي حكمة أحكم الحكماء، وحذق أمهر الأطباء.

---

قال من شهد بعض المآدب الرسمية في قصر الجمهورية السورية خلال شهر رمضان إنه لم تقع عينه بين المدعوين على أحد من أبناء البيوت القديمة، كان من دُعوا [ إليها ] أغنياء الحرب، ومن جاؤوا [٧٨] إلى الحكم حديثاً. سحب الزمان ذيله على أبناء البيوتات لتجرد أكثرهم من المزايا التي تبقي عليهم حرمتهم، والدهر بالناس قُلَّب.

---

طالما تمنيت لبلادي جريدة يومية تصدرها شركة ويشترك في إنشائها ثلة من رجال الآداب وأهل التجربة والاختبار، لا تتأثر بمؤثرات سياسية ولا تجارية، وتتمحض لنشر حوادث الأقطار العربية خاصة والإسلامية والشرقية عامة، تتفنن في الموضوعات التي ترتقي بها عقول الرجال والنساء والبنين والبنات، وتنفعهم في بيوتهم وحقولهم ومعاملهم ومشاغلهم ومتاجرهم، يحررها أُناس من أهل الإخصاء في فنونهم بلغة معربة يستسيغها كل ذوق. وإذا قال قائل إن الصحف المصرية تقوم [بعض] هذا الواجب فالجواب أنها صحف كتبت لمصر لا ينتفع بها ابن هذه الديار النفع المطلوب.

---

يتكلم العاقل حيث يجب الكلام لا يصده عنه شيء، ويسكت حيث يجب السكوت، ويظل متمسكاً بصمته ولو أُغلي له الثمن ليحصل على الكلام.

---

لما عرض مشروع استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية على المجمع اللغوي في القاهرة سكت عند المناقشة فيه من كانوا من أعضاء الحزب الدستوري لأن صاحب الاقتراح منهم وهو ذو مكانة عالية في قومه،[٧٩] وما استطاعوا أن يجهروا بالموافقة على

---

٧٨. في الأصل: جاءوا

٧٩. إن عبد العزيز فهمي ( ١٨٧٠–١٩٥١ ) هو الذي اقترح هذا المشروع على أعضاء مجمع

رأيه الغريب، لعلمهم أنهم إذا فعلوا سقطوا من أنظار مواطنيهم، ولم ترض [لجنة تحرير مجلة] المجمع أن تتعرض هذه المسألة فطوتها على غرّها، لأن الرئيس من أنسباء صاحب الاقتراح.[٨٠] ما أتعس الحق إذا كان لا بد من مراعاة السياسة يوم يراد الجهر به.

---

كنت أظن أن فرنسا أسرع دول الاستعمار إلى وضع القوانين، لما شهدته من إغراقنا بسيل من قوانينها ومراسيمها أيام انتدابها على سورية ولبنان، إلى أن قرأت في التحقيق الصحفي الذي قام به لجريدة الأهرام صديقي الدكتور محمود عزمي بشأن الفتنة المراكشية الأخيرة قوله: وليس في مراكش للآن قانون مدون للعقوبات وليس فيها قانون للإجراءات والتحقيقات. فكل مغربي معرض لأن يقبض عليه دون أن يعرف بالسابق ما هو مباح له وما هو محظور عليه، وأن يبقى في السجن وألا يقدم للقاضي بعد انتهاء أجل معين، وأن يقدم للحاكم الإداري ليوقع عليه العقاب الذي لا ضابط له.

---

[ ٥ ] قبل المسيح بأربعين سنة قسم أرسطو في كتابه السياسة[٨١] أصناف الحكومات إلى حكومة ملكية وأرستقراطية وجمهورية واستبدادية وتغلب فردي وديموقراطية. وذكر ثلاث سلطات السلطة المتكلمة والسلطة المنفذة والسلطة المشرعة. وكان يظن أن معظم هذه الأوضاع من إيجاد أصحاب المدنية الحديثة، [وبحقّ ما قالوا لا جديد تحت الشمس].

---

تحملت إنكلترا كل مكروه في الحربين الأخيرتين حتى تم لها القضاء على ألمانيا منافستها في تجارتها وأُسطولها. وتحاول اليوم مع حليفتها أميركا إعداد حرب تشهرها على روسيا حتى تسلم الديمقراطية من الدعوة الشيوعية. ومعنى الديمقراطية هنا حكومة المموَّلين أصحاب رؤوس الأموال.

---

اللغة العربية في القاهرة، ذلك في جلستي ١٩ و ٢١ شباط/ فبراير ١٩٤٤. ناقش أعضاء المجمع هذا المشروع، إلا أنهم رفضوه بالنهاية.

٨٠. كان الدكتور منصور فهمي (١٨٨٦–١٩٥٩) رئيس تحرير مجلة المجمع آنذاك، كونه أمين سرّه بين سنتي ١٩٣٤ و ١٩٥٩.

٨١. انظر مثلاً هذا المرجع: أرسطو طاليس، السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤٧.

عرّض بعضهم بأني أغمز رجال الدين عند كل سانحة، صحيح أنا أتعمد التعريض بالديانين أحياناً لأنهم مسيطرون على السواد الأعظم، إذا قاموا بواجبهم يسرع إلينا الرقيّ المنشود، فيصلح الدين والدنيا. فقد قال الجاحظ إن أُصول التدبير في الدين والدنيا واحدة، فما فسدت فيه المعاملة في الدين فسدت فيه المعاملة في الدنيا. وكل أمر لم يصح في معاملات الدنيا لم يصح في الدين. وإنما الفرق بين الدين والدنيا اختلاف الدارين من الدنيا والآخرة فقط. والحكم ها هنا كالحكم هناك، ولولا ذلك ما قامت مملكة، ولا استقامت سياسة. ولذلك قال الله عز وجل: (من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا). [٨٢]

---

من يستمع هذه الأيام إلى إذاعات المذياع، ويقرأ صحف الأخبار بإمعان، يذهب به الفكر إلى [أن] الحرب العالمية الثالثة واقعة لا محالة، وأن الولايات المتحدة وحليفتها إنكلترا عاملتان على جر روسيا إلى الحرب ومن أجل هذا كان قلق الشعوب الصغيرة كقلق الأمم الكبيرة من توقع كارثة لا تبقي ولا تذر.

---

يدخل الإنسان في أطوار مختلفة في أدوار العمر فهو في العشرين غيره في الأربعين والخمسين والستين وفي السبعين والثمانين والتسعين [غيره في الكهولة]. تراه في العشرين مجموعة أمل يفكر في عيشه ومستقبله، وفي الثلاثين والأربعين يرجو أن يتم له ما بدأ به، وتستقر حالته، وفي الخمسين وما بعدها يدرك ألا مناص من السير على الطريق التي سار عليها إلى آخر حياته. فأول العمر أمل، ووسطه عمل، وآخره على الأغلب لا عمل ولا أمل. وشذ من يشتد حرصهم على القيام بأعمال منتجة رابحة في السبعين والثمانين وما بعدهما.

---

السياسة لا تعرف الحياء، والحياء من الإيمان، ولا إيمان في السياسة. قضى الحلفاء على ألمانيا واليابان أقوى الدول التي حاربتهم في آسيا وأُوربا وإفريقية طوال الحرب الأخيرة. واليوم يجامل [دول] الحلفاء هاتين الدولتين [ويتظاهرن بأنهن مزمعات بأن يُعدن إليهما] سيادتهما [ليحملوهما] على مشاركتهن في الحرب المقبلة على روسيا.

---

٨٢. القرآن الكريم [١٧ / الإسراء : ٧٢]

بينا يقول أحد كبار قواد الغرب إن الأمم تخطئ إذا اعتقدت أن الحرب تحل كل معضلة، ويزعم الآخر أن الحرب لا غاية لها إلا السلام، نرى هؤلاء القواد أنفسهم من أعظم المحرضين على الحروب تنطلق ألسنتهم بما لا تكنّه قلوبهم. وقديماً كان غرام رجال الحرب في خوض المعارك مما تتلمظ شفاههم [بحلوائه]، وتهفو نفوسهم إلى [غنائه[٨٣]] وتراهم [به] متفائلين لا ييأسون من الظفر في العاقبة، ولو كانت أعراض هزيمتهم بادية، وفي كل ما يشهرونه من حرب يوقنون أنهم على صواب في إقدامهم عليها.

---

كاد القطر الواحد في أيامنا، للاتصال الشديد بين أرجائه، أن يكون كالبيت الواحد، وزادت معلومات الشعوب عن الأقطار التي ما كان يعرف عن أمرها إلا ما ذكرته الكتب. وكان حتى كبار مشايخ الأزهر إلى عهد قريب إذا تفاصحوا وذكروا بلداً وعينوا موقعه أبانوا عن جهل مضحك.

---

[٦] لا يحتاج إصلاح الخلل البادي في الدول العربية إلى مال كثير ولا [إلى] عقول ثاقبة. هو يتوقف على قوة إرادة الرئيس ومن يحتفي به. ولو قد بدأ كل صاحب [ديوان] بإخراج الفاسدين من الخدمة، وأُعلن السبب في طردهم لقلت الشرور، وتجلت النزاهة والاستقامة. وكل الخير في تقليل عدد العمال وإشباع الصالحين منهم، أي إعطاؤهم من الرواتب ما لا يحتاجون معه إلى مدّ أيديهم للرشوة، ومن جرُؤ بعد ذلك فمدها لها تقطع يده.

---

سررت برجل في الكهولة يعد نفسه لنيل الشهادة الابتدائية. في الغرب قد يبدأ المرء في الستين أو السبعين [والثمانين] من عمره بتعليم ما قدر له تعلمه في صباه، ومنهم من يدرس لغة شرقية، ولا يستغرب ذلك، لأنهم كلهم مؤمنون بأن المرء يتعلم ما دام [حياً ويأخذون بقول الحكيم العربي يحسن بالمرء التعلم ما حسنت به الحياة].

---

كل ما نراه ونسمع به من قتل وسرقة وكذب هو من آثار ضعف التربية الدينية في النفوس. ولو قام الفقهاء بما يجب عليهم من هداية الخلق، والحكومات من ورائهم تمدهم بمعاونتها، لَتلافوا جلّ هذه الشرور.

---

٨٣. يوجد أيضاً في الأصل: [غنائها]

أحط المجتمعات البشرية مجتمع لا تسمع فيه غير الاستسلام والرضا، لا نُقّاد ينتقدون ما اختل من أوضاعه، ولا دعاة أُمناء ينكرون ما اعتل من أحواله، كلهم موافقون ليس فيهم مخالفون.

---

عهدت إنكلترا إلى ضابط من ضباطها خلال الحرب الأَخيرة بإدارة الميرة في بعض بلاد العرب، وبعد قليل تغيب عن غشيان ديوانه أياماً، فسأل عنه بعض مرؤوسيه فعرفوا أنه ثبت للسلطة أن الضابط سرق فأرادته حكومته [إلى] أن ينتحر بيده فأعطته مسدساً قتل به نفسه، وعاهدوه على أن يحفظوا شرفه ولا يذكروه بما فعل، وهم يُعْنَون بإعاشة زوجته وأولاده.

ولقد بلغنا عن البريطانيين في الحربين العالميتين غرائب من [قصاص] بعض عمالهم وضباطهم إذا [أخلّوا] بواجباتهم، وركبوا رؤوسهم في الخيانة. الإنكليز أشد الدول في التدقيق في حساب عمالهم.

---

توسط قيّم مقبرة من مقابر سفح قاسيون [٨٤] أحد أبناء عمي أن يقنعني [بالشخوص] إليه ليطالعني على شاهدة زعم أنها شاهدة قبر جدي، كتب عليها هذا قبر الأمير الجليل علاء الدين كرد علي. وقلت للوسيط إن جدنا جاء دمشق تاجراً وسكنها ثم صادره أمير الحج، وعاش أبي تاجراً وما كان هو ولا أحد من أجدادنا يعد في الأُمراء، وأنا أربأ بنفسي عن أن أنتسب إلى رجل مجهول، وهب أن جدي كان أميراً حقيقة فهل كان إلا من أُولئك الأمراء الظالمين الذين تقوم إمارتهم على قتل الخلق وأكل أموالهم.

وأتاني أحدهم بأخرة يعرض عليّ وساطته لدى وزارة أوقاف مصر لنأخذ حقنا من وقف ذري اسمه (وقف كرد علي آغا) مسجل في الأوقاف المصرية، فقلت له إني سمعت بهذا الوقف منذ هبطت مصر أول مرة ولم أُعره اهتماماً، وما سمعت أن أحد آبائي وقف وقفاً في مصر، والأسماء تتشابه، وأنا في غنية عن استيفاء غلة هذا الوقف

---

٨٤. جبل يطل على دمشق، انضم سفحه إلى مدينة دمشق منذ القرن التاسع عشر، ومن بين الأحياء التي تشكلت عليه حي الأكراد الذي يسمى اليوم حي ركن الدين. للمزيد من المعلومات عن تاريخ تلك الحارة في عهد الانتداب الفرنسي، انظرالمرجع التالي :
THOUMIN, R., « Deux quartiers de Damas : le quartier chrétien de Bāb Musallā et le quartier kurde », *Bulletin d'Études Orientales*, I (1931), p. 99–135.

أو استلام عينه، وكيف أُطالب بشيء أعتقد أن ليس لي فيه ذرة من الحق. وكنت طول عمري أكره الألقاب وأنعى على من اعتمدوا في معاشهم على الأوقاف.

---

من أخلاق هذا العصر أن يصاغ المدح والقدح أبداً عن غرض، فقد يبالغ رجل في وصف [آخر] لأنه قصد في حل مسألة فحلها له على ما يشتهي، ويقدح في [رجل] لأنه لم ينزل على رغبته، وينعته بالجهل والأثرة وقلة الخير، ولو قدر للمطعون فيه أن يراجع النظر يطلب من لم يعمل له بادئ بدءٍ ما يرغب فيه، لعاد يكيل له المديح بالمكيال الواسع، ولأقام له الأعذار على موقفه منه بالأمس، لذلك أُوصيك أن تحذف معظم ما تسمع من المدح والقدح، فلطالما غش المادحون والقادحون [من يسارعون] إلى تصديقهم ويثقون بما يقولون.

---

من العلل في اختلال إدارة الأزهر أن حكومة مصر تأتي لمشيخته بشيوخ استوفوا شروط العلم واستوفوا أيام العمر، وربما كانوا ممن برّح بهم المرض وأنهكت الأيام أجسامهم. ولو أتوا بكهول عرفوا بصلابة العود [٧] أكثر مما يعرفون بحفظ الدقيق والجليل من دروس الأزهر وكانوا ممن جربوا زمناً في الإدارة لتم الإصلاح على ما يجب، هذا على أن تترك للأزهر قدسيته، فيصان عن عبث الحزبية والأحزاب.

---

في الهند غور عظيم ترتع فيه الحيات والثعابين لا يمسها إنسان بأذى لأن من مذهب الأكثرية حماية الحيوان والحشرات. وبهذا الاعتبار تكثر الدبابات والهوام في أرض الهند، وربما شحّ [الهنود] على أنفسهم وأولادهم بالطعام، وآثروا به الحيوانات والجوارح.

---

منحت حكومة الهند المرأة الهندية حق الطلاق ومنعت الجمع [بين] امرأتين، وبهذا القانون نجا من الرق مئة وستون مليون امرأة، وكانت المرأة في الهند إذا مات زوجها عنها تدفن معه حيّة، فأبطل الإنكليز هذه العادة المستهجنة أيام احتلالهم، وستبطل الأيام غيرها بانتشار الحضارة.

---

كان في جملة الأشجار المثمرة والعطرة التي تزين فناء دار أهلي شجرة كبّاد عظيمة تطرح في سنتها بضع مئات من الكبادات يعقدون منها مربّى،[٨٥] نتناول منه

---

٨٥. في الأصل: مربياً

طول السنة، ويهدون منها أحبابنا وجيراننا.[٨٦] وأصاب الصقيع هذه الشجرة المباركة بعض السنين فيبست، وأرادت أُسرتي الاستعاضة عنها بغرس كبادة أُخرى، فلم تقبلها أرضها كما قبلت أختها من قبلها. الأشجار كالأشخاص منها ما هو خير وبركة، ومنها ما هو طول بلا طَوْل ولا طائل.

---

تغيض أنهار الغوطة بعض السنين في أشهر الصيف، إذا شحت الأمطار والثلوج في الشتاء، فييبس بعض أشجارها فيبادر بعض الفلاحين إلى حفر آبار يمتحون منها الماء لري الأشجار والزروع. وغاضت المياه غير مرة وما قطع الفلاح أمله من خيرات تدخرها الطبيعة له لتحملها إليه من قابل. وإذا يبست بعض أشجاره يستعيض عنها غرسات جديدة ويُعنى بها، كما كان يُعنى بما فقده من أجناسها. وهكذا شأن الفلاح عند انتشار الجراد في أرضه تحطمها فلا تثمر أعواماً أو تيبس فتعود حطباً. ولو قطع القائمون على الأرض أملهم لبطل العامل الأكبر في رزقهم، وليس الفلاح برجائه الخير الذي يتوقعه من غده بأقل من سكان الأرجاء البركانية في أمل السلامة. فقد يثور البركان فيهلك جيرانه فيجيء من بقي حياً من النازلين بقربه، يبنون في الحال مساكنهم على الأَنقاض والحمم، رجاءَ ألا يعود البركان إلى الثوران مرة أخرى. وما خلت الأصقاع التي خربت بالبراكين والزلازل إلا لأن السكان هلكوا عن آخرهم، ولم يبق منهم من يطمع في البقاء يبني ويزرع ويغرس.

---

كَلِب الأغنياء للاغتناء من دم الفقير، وسكتت الحكومات عن الظالم الذي يصيب الضعفاء فكان من هذا مدرجة للدعوة إلى الشيوعية من دون دعاة ورعاة. وكل قصر يبنيه لص من لصوص أرباب المال والعمال شهادة ناطقة بأن الممالك لا يصلحها بعد اليوم إلا تطبيق قوانين الاشتراكية على الكبير والصغير.

---

الظاهر أن مواعظ المبشرين بالدين من النصارى أفعل من مواعظ المرشدين في المسلمين، ذلك لأن رجال الدين المسيحي جعلوا في قلوبهم مكاناً للعلوم الدنيوية مع علوم الدين، وعرفوا الطريق إلى التأثير في العاطفة والعقل معاً.

---

٨٦. كان بيت أهل محمد كرد علي واقعاً في حي البرغل في دمشق القديمة، جنوب مدخل شارع مدحت باشا، بالقرب من باب الجابية.

[ ٨ ] بقدر ما نرى الإنكليز يتشددون في الاحتفاظ بعاداتهم نجد حكومتهم من أقرب الحكومات إلى التحول في سياستها وإدارتها. ومن ذلك أن الحكومة الإنكليزية [ خافت من انتشار الشيوعية في أرضها ] ورأت استمتاع الممولين في ديارها وحرمان الفقراء، فعدلت أنظمتها حتى قربتها من الأنظمة الاشتراكية والشيوعية، فسمحت للأغنياء بما يعيشون به مرفهين من ربع أموالهم وأملاكهم، وأخذت الفضل منها وأنفقته في سواد الشعب، وإلى ذلك خصته بإعفاءات وامتيازات تهون عليه شقاء الحياة، ومنها التطبب وأخذ الأدوية بالمجان. أعظم بحكومة تقلب أنظمتها على ما يقضي به العقل، وتستدعيه حال الزمان والمكان.

---

إذا امتنعت من الاجتماع إلى من اعتاد أن ينم لك وينم عليك تقلل من منغصاتك، وإذا تجنبت لقاء من فطروا على الضرر تعاون على الكبح من جماحهم.

---

من عادة بعض أرباب المظاهر الكبرى محاولة الانتفاع من كل قوة، وهم لو طلب إليهم أن ينزلوا قليلاً عما يكون منه نفع لغيرهم ولا ضرر منه عليهم ما لانوا ولا رحموا.

---

لا تعرف مواطن الضعف من إنسان حتى تعاشره، ولا تتجلى لك عيوب [ الدار ] حتى تسكنها، ولا نقص القانون [ إلا إذا ] وضع موضع التنفيذ.

---

في صحبة الأشرار مضرتان عظيمتان، إما أن تعاشرهم على مضض، فتكون حالك معهم حال من يساكن الثعبان لا يأمن يوماً عضته، وإما أن تتكلف في حديثك معهم لترضيهم فتتعلم بهم النفاق.

---

أسقط الناس من ينافق كل إنسان، وأكثرهم سقوطاً حاكم يحاول للاحتفاظ بمنصبه أن يصانع أصحاب القوة مصانعة وضيعة، والغالب أن أرباب هذا الخلق يعودون بعد اعتزالهم، وما أجدت عليهم مصانعتهم منصوبين ومعزولين.

---

من غريب ما ذكرته الصحف أن الهند الوثنية خصت نصف موازنتها لحرب الباكستان الإسلامية، جارتها اليوم وشريكتها في جهادها أمس. وهذه عاقبة انفصال هاتين المملكتين العظيمتين. ولو قد بقيتا مملكة واحدة تحكم على قاعدة الحكم

الذاتي ما عد ما يقع من ظلم الوثني المسلم والمسلم الوثني شيئاً في جانب هذا الظلم المنظم.

---

انحلت عقدة كبيرة من عقد الاستعمار بتخلي بريطانيا العظمى عن الهند وبورما، وهولاندة عن إندونوسيا، ويرجى أن تتخلى فرنسا عن الهند الصينية [٨٧] ويرحل آخر المستعمرين عن قارة آسيا بعد خروج الصين إلى عالم السياسة، فلا يبقى أثر للاستعمار إلا في إفريقية، وهذا سيقضى عليه أيضاً لأن غالبه قام على الظلم الفاضح.

---

لما ظهر محمد علي الكبير في مصر كان وادي النيل وعامة البلاد العربية قد بلغت الحد الأقصى في انحطاطها، فأدرك ببعد نظره أن تربة مصر بكر فتقدم وبذر فيها بذور [إصلاحه] فآتت أُكلها، وعدّ عمله المجيد من أدهش ما قام به فاتح شرقي.

---

ما كان التاريخ إلى زمن قريب إلا تدوين أخبار الحروب على ما يرضي الملوك. وقد يعرض لذكر الظواهر الطبيعية من الزلازل والأوبئة والمجاعات والسيول، ويذكر من يموت من الفقهاء والأُدباء. والتاريخ اليوم يبحث في أسباب الواقعات ويحللها ويعللها ويسلسلها، ويهتم للاقتصاديات والاجتماعيات ويدقق في أسباب الغنى والفقر، والبواعث إلى الثورات والحروب، وينظر في سيرة من يتولون السياسة، ويلم بكل ما يرفع بني الإنسان ويخفضهم. يقول صديقي الأستاذ محمد عبد الله عنان المؤرخ المعاصر : أصبح التاريخ في عصرنا علماً جليلاً يقوم على المباحث والمقارنات العلمية والنقدية والاستنباط المسند، وأصبح وثيق الصلة بكثير من العلوم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

---

[٩] كان أحد رجال الإصلاح يتألم ممن ينقل الأحاديث المضعفة للنفوس. نقل أحدهم في العهد الاستبدادي لأحد نجباء تلاميذه أنه بلغ ولاة الأمر أنه يعمل في الخفاء ليحملِ القوم على عصيان الحكومة في أمر تريد إتمامه، فغضب صاحب الإصلاح غضباً شديداً على الناقل وقال له : لا تشفق على صاحبك، ولتأخذه الحكومة ولتسجنه

---

٨٧. تحققت هذه الأمنية بعد كتابة المذكرات في حين انهزم الجيش الفرنسي سنة ١٩٥٤ بمعركة ديان بيان فو وانسحب بعدها بقليل. ولكن الحرب ضد الاستعمار الغربي استمر حتى سنة ١٩٧٥ بين الجيش الأميركي والمقاومين الشيوعيين في الفيتنام.

ولتعاقبه بما تشاء، وكل هذا خير له من أن تنقل له ما يشوش ذهنه ويضعف عزمه. وربما كان مثل هذه الأحاديث مصنعاً يستمليها الراوي من خياله، محاولاً بزعمه كفّ الأذى عن صاحبه بإدخال الوهم عليه، وهو في الحقيقة يؤذيه بما يلقي إليه.

---

من يحب لغة قوم يحب أكثر ما فيها من مصطلحات ومعتقدات. وعندنا أن كل من يحسن العربية يعدّ نصف مسلم ينقصه القيام بشعائر الإسلام فقط.

---

كان رجل يقول لابنه وهو يتفرس فيه الغباوة : يا بني إنك لن تكون رجلاً. ومضت الأيام وارتقى في أعمال الدولة وأحرز لقب باشا. فبعث ذات يوم يطلب أباه لمقابلته بواسطة الشرطة. فقال الابن لأبيه: كثيراً ما قلت لي إني لن أكون رجلاً، وها قد كذبت الأيام ظنك فأصبحت في هذه المرتبة وهذه الرتبة. فأجاب الأب ما زلت على رأيي فيك. فأنت وما بلغته من [مظهر] لا تعد إلى الآن في الرجال. كيف تأتي بي إليك مخفوراً، ولا تقدر ما يحدث لي بذلك [من] الترويع ؟ وهذه النكتة تصدق لعهدنا على بعض من ارتقوا في المراتب وظلوا على ما في فطرتهم من قلة الذوق وخشونة الطبع.

---

قيل إن الخديوي عباس الثاني كان يبيع الرتب والألقاب من المصريين، مقابل جُعل عينه لدرجاتها، ذلك على أيدي سماسرة من رجاله، وإنه كان يصرف ما يجتمع من هذه التجارة في الدعايات الوطنية. ولو استغنيت لأفتيت بتحريم هذا المال، لأن الرتب في ذاتها مفسدة للأخلاق، فما بالك بها إذا منحت من لا يستحقها. والغاية مهما كانت نبيلة فإن أخذ أموال القوم بهذه الأساليب يعد مثلبة لا منقبة. وكان السلطان عبد الحميد الثاني ملك العثمانيين وخليفتهم يصرف على الدعاية السياسية من ربع الأراضي السنية، وهي أملاك استصفاها لنفسه من قرى رعاياه، وجعل منها ملكاً خاصاً له. كان الأول يأخذ أموال الناس ويفسد أخلاقهم، والآخر يستصفي أملاك الناس ويستعبدهم.

---

غلطت في حكمي على (الإخوان المسلمين) في مصر معتمداً على ما قالته فيهم الحكومة المصرية (المذكرات ٣ ص ٨٥٢) وتجلى لي أن ما اتهموا به كان فيه

تحامل عليهم، استجازته الوزارة [بإيعاز الملك] لتبرر موقفها القاسي منهم.[٨٨] وما كان الإخوان المسلمون إلا حزباً منظماً يتوخى أن يعيد إلى الشريعة الإسلامية بهاءها، وينادي بحكومة صالحة يكون القرآن مصدرها. وظهر أن الإخوان المسلمين كانوا يعملون لهذه الغاية منذ سبع عشرة سنة وأن عددهم بلغ نصف مليون رجل.[٨٩]

٨٨. فصل بعنوان "الإخوان المسلمون ثائرون". يُذكر هنا أن حسن البناء، مؤسس الجمعية سنة ١٩٢٨، أُغتيل في ١٢ شباط/ فبراير ١٩٤٩ انتقاماً من قتل رئيس الوزراء الأسبق محمود النقراشي سنة ١٩٤٨، وأن بعض الضباط المصريين الذين قاموا بانقلاب تموز/ يوليو ١٩٥٢ (ومن بينهم اللواء محمد نجيب) كانوا متعاطفين مع الإخوان أول الأمر. ولكن السلطات المصرية، وعلى رأسها جمال عبد الناصر، حلّت الجمعية سنة ١٩٥٤ وأقالت محمد نجيب في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٤.

٨٩. أسّست تلك الجمعية في مصر سنة ١٩٢٨ وقد وصل عدد أعضائها في ١٩٥٢ إلى نصف مليون عضو تقريباً.

فصل م٤١ / ملف ١٥-١ *Chapitre C41 / dossier 15-1*

# تركيب غريب

قيل إن موازنة حكومة شرقي الأُردن الهاشمية [٩٠] بلغت نحو ثلاثة عشر مليون جنيه مصري [ تتحمل إنكلترا أكثرها]، هذا والحكومة تجلب لهذه الدولة الصغيرة عمالها في السياسة والإدارة من الأقطار المجاورة يتولون أمورها، كما يتولى سائر الشاميين تمدينها، وتنمية تجارتها واقتصادياتها. وما سمع أن مملكة يأتيها من الخارج القسم الأعظم من رزقها ورجالها، وتعيش، ويسمع صوتها في الأندية السياسية.

فصل م٤٢ / ملف ١٥-٢ *Chapitre C42 / dossier 15-2*

# اتساع الأرض

في آسيا وإفريقية وأميركا وأوستراليا مساحات عظيمة من الأرض الصالحة للزراعة لم تستثمر حتى الآن، [والإنسان] ما استعمر إلا السهل القريب [ ذكرت مجلة "عالم جديد" الدولية أن روسيا بلغت من الاتساع ما لم تبلغه مملكة في القديم. فإن الرومان في أعظم أيام عزهم لا تعد دولة كبيرة إذا قيست بروسيا اليوم ولو جمعت البلاد ذات المساحات العظيمة كالولايات المتحدة والصين والهند ما بلغت مساحة بلاد البلاشفة، فالقسم الأوربي منها توازي مساحته جميع مما لها أوربا الغربية مجتمعة ويقع ثلثا روسيا خارج القارة الأوربية أي في صحاري سبيريا المترامية الأطراف ومساحتها أحد وعشرون مليون كيلومتر مربع أي عشر مساحة الأرض. قالت ومن الصعب اقتحام الأرض الروسية وكان دارا الأكبر ملك الفرس ثم شارل الثاني عشر ملك سويد[٩١] ثم

٩٠. اسمها منذ نيسان/ أبريل ١٩٥٠ المملكة الأردنية الهاشمية، في حين انضمت إليها الضفة الغربية الفلسطينية آنذاك. أما اسم شرقي الأردن، فهو نتيجة التقسيم الذي جرى بين فرنسا وبريطانيا العظمى في انتدابهما على بلدان الشرق الأدنى بعد الحرب العالمية الأولى، إذ أن الإنكليز قرّروا بتأسيس إمارة منفصلة عن فلسطين وسورية تحت اسم إمارة شرقي الأردن واعترفت بها عصبة الأمم يوم ١٦ أيلول/سبتمبر ١٩٢٢.

٩١. شارل الثاني عشر (١٦٨٢-١٧١٨): ملك السويد (١٦٩٧-١٧١٨)، انتصر على بطرس الأكبر الروسي سنة ١٧٠٠، ثم خسر في أوكرانيا سنة ١٧٠٩؛ قتل في معركة بألمانيا.

نابوليون وهندنبرغ وهتلر كلهم حاولوا اقتحامها فرجعوا خائبين.] [٩٢] ولقد رأينا روسيا في عهدها الأخير تحيد عن قواعد الكسل في الدول، وتحوّل مجرى نهرين عظيمين من أنهار سيبريا، وتشيد أكبر خزان في العالم، [منتجي] خمسة وعشرين مليون فدان في الصحراء الآسياوية، [حتى] بلغت مساحة الأرض التي ستحول إلى أرض زراعية أكبر من مجموعة الأرض المزروعة الآن في الولايات المتحدة واليابان ومصر وإيطاليا وكندا وأوستراليا [واحتفلت روسيا في الأيام الأخيرة بافتتاح قناة عظيمة وصلت بين نهري الدون والفولغا فاتصل بحر البلطيق في أقصى الشمال بالبحر الأسود وبحر قزوين وبحر أورال [٩٣] طول ١١٠٠ كيلومتر] [٩٤] هذا هو العمل المنتج لا القنبلة الذرية والنفاثات والصواريخ.

فصل م٤٣ / ملف ١٥-٣ *Chapitre C43 / dossier 15-3*

## خراب البيوت

عهدي بعشرات البيوت في الديار الشامية (دمشق، حلب، بيروت، طرابلس، اللاذقية، حمص، حماة، نابلس، القدس، عكا، يافا، حيفا، الناصرة، صفد، غزة) وقد نعق فيها غراب الخراب وافتقر أربابها جيل أو جيلين من تأسيسها بعوامل كثيرة، [كان] منها استنامة الأبناء إلى ما خلف الآباء وترك السعي والعمل. أضاع الخلف ما خلفه السلف، وأصبح حكم الوارثين بعد النعمة الواسعة حكم من خلقوا فقراء، والفرق بين هؤلاء ومن وصلوا إلى الغنى ففقدوه، أن قدماء الفقراء راضون عن حالتهم، لا يستحون من ظهورهم بالمظهر الذي يقدرون عليه، وأمسى من المتعذر على الأغنياء المفتقرين أن يلبسوا لباس المعدمين ويسكنوا في مثل منازلهم. حكم الدهر بخراب

---

٩٢. كُتبت هذه الحاشية بخط اليد على ورقة مستقلة تحت الرقم ٢٢٢.

٩٣. هو بحر آرال، يقع شرق بحر قزوين على بعد ٥٠٠ كم تقريباً. يعاني اليوم من تجفيف شديد (وقد تراجعت مساحته من ٦٨٠٠٠ كم مربع سنة ١٩٦٠ إلى ٣٤٠٠٠ كم مربع سنة ٢٠٠٠).

٩٤. كُتبت هذه الحاشية بخط اليد على ظهر الصفحة تحت الرقم ٥٥. افتتح القناة في الأول من حزيران/ جوان ١٩٥٢، بعد أن اشتغل في بنائه عدد هائل من الأسرى الروسيين (حوالي ١٠٠,٠٠٠ منهم).

تلك البيوت واضمحلت ثرواتها بقلة التدبير [ والمغامرات الطائشة ]، ومثل ذلك جرى ولا يزال يجري في مصر وغيرها من ممالك الشرق .

فصل م٤٤ / ملف ١٥-٤ *Chapitre C44 / dossier 15-4*

# العذاب في السفر

قالوا السفر قطعة من العذاب، وما كان هذا العذاب يصيب في الواقع غير الفقير، والغني في كل زمان مرفه في سفره كما هو مرفه في حضره [ وأرباب الرفاهية كما جاء في المثل كالخروف ( ...X... ) على صوف ]. وإذا اعتمد الفقراء على ركوب الحمير والخيل والبغال والجمال في تنقلهم، فالأغنياء كانوا في الشرق والغرب ينعمون بركوب المركبات والمحفات والهوادج، لا يزعجهم شيء كأنهم في غرفة من غرف بيوتهم هُيئت لهم فيها موجبات الراحة، وتنقل معهم أدوات مطابخهم وموائدهم وفرشهم ويحمل لهم البطيخ والفاكهة. ومن الملوك والأمراء في الشرق من كانت تحمل لهم على المطايا مساكب البقول والخضراوات، ويتعهدها خدامها بالريّ والعناية لتنمو في الطريق كما كانت تنمو لو كانت في أرضها، ويصيب أصحابها منها ما طاب لهم في إبانه. ومنهم من كان يحمل له الثلج من مئات الأميال لئلا يضيقوا بالقيظ ويتململوا بالحرارة [ وسخونة الماء ]، لا يختلف عيشهم في السفر عما كانوا ينعمون به لو كانوا في قصورهم في المدن. ولقد كثرت الفنادق في الغرب فيما غبر من القرون ينزلها الأغنياء على الأكثر. وفي فارس كانت تتوفر للسائح الموسر كل ضروب الراحة، لأن الدولة كانت تنقل أوامرها مع البريد على الخيل والبغال، فأقامت محطات حوت أنواع النعيم للمسافر. وأشبهت هذه المراكز في الشرق الأقرب [٩٥] الأديار التي كان ينزلها السياح

---

٩٥ . [ حددت الجمعية الجغرافية الأميركية مناطق الشرق الأدنى إلى القريب والشرق الأوسط والشرق الأقصى بما جرى عليه العرف في وزارة الخارجية الأميركية فرمحت أن يدخل في الأدنى تركيا وقبرص ومصر وفي الشرق الأوسط الهند والباكستان وأفغانستان وسيلان وفي الشرق الأقصى الصين والجمهورية المغولية وكوريا والفيليبين واليابان والهند الصينية والسيام وبورما والملايز وأندونوسيا ] ( للمؤلف ).

خلال العصور الوسطى في الغرب، [وكانوا] إذا سمحوا لها بشيء قبلته، وإن لم يعطوها تطالبهم. بهذا كان القدماء يتغلبون على قطع المسافات الشاسعة، وكانت مما لا يتصوره عقل أبناء هذا الزمان. ومعظم هذه المراحل الطويلة كانت في قفار وصحراوات لا ماء فيها ولا كلاء ولا حيوان ولا إنسان. وكان ابن المغرب الأقصى إذا نوى الحج يقضي حولاً كاملاً للوصول إلى الأرض المقدسة والرجوع منها في البر أو في البحر، واليوم تشهد أبعد المسلمين عن الحجاز داراً لا يصرفون أكثر من أسبوعين في السيارة أو الطيارة [يرحلون] بلا عناء. وهذا بفضل أوربا وأميركا على البشر بما اخترعت عقول علمائهما وابتدعته قرائحهم.

**فصل م٤٥ / ملف ١٥-٥** *Chapitre C45 / dossier 15-5*

# نفاق الشعراء

خطرت لي خواطر جمة وأنا أتصفح ديوان ابن حَيّوس في مدح الفاطميين، وهم في إقبال دولتهم، ولما أدبرت هجاهم ورجع بأماديحه على من خلفوهم [بعد أن غمزهم ولمزهم]. وغاظنا تلونه [في حكمه على] العرب والترك وهو عربيٌ صميم، وساءني أن ينظم مثل هذا الشعر الجزل في مدح الظلمة، وأن أشهد رجلاً من أهل السنة يطعن على الخلفاء من دون حق، ليرضي الباطنية بالنيل ممن يرون الحط منهم عاملاً قوياً لقيام دعوتهم. ثم يُثبِت لهؤلاء الملوك من الصفات ما يرفعهم [به] إلى [مقام] الربوبية. وقلت كم ضاعت في العرب قرائح شُغلت بالعبث، وطوى الدهر الشعراء وشعرهم، وما أفادوا منه إلا حفنات من الدنانير، ركبوا للحصول عليها عار الأبد. وما عُهد لشاعر من هؤلاء المداحين أن لفت نظر ممدوحه خليفة كان أم ملكاً أم أميراً أم قائداً إلى عظيم مصيبة الأمة بمن يقتل من النفوس في سبيل شهوات العظماء، وإلى ما تئن منه الإنسانية من حيف الكبير على الصغير. و[كان] عمل الشعراء في معظم الأدوار مقصوراً على أن يخلعوا على ممدوحيهم محامد جلّها كذب وتضليل وأن يصوروا الخلق في ظل تلك الدول الفاجرة كأنهم الملائكة في جنات النعيم. والذي تتعزى به النفس أن طلاب الأدب لعهدنا يمرون بهذه الأماديح والأهاجي كما يمر عابر سبيل بجيفة تؤذي حواسه بنتنها ومنظرها. الكلام صورة الروح الذي يصدر عنه،

و[ يكمن ] موقعه من النفوس بقدر ما لقائله من إخلاص وصدق. وإن شعر عمر بن أبي ربيعة وشعر الشريف الرضي لأقرب إلى القلوب من شعر المتنبي وشعر البحتري، تقرأ في قصائد الأول والثاني العزة والكرامة، وفي قصائد الثالث والرابع تتراءى لك المطامع وصغر النفس.

فصل م٤٦ / ملف ١٥-٦ *Chapitre C46 / dossier 15-6*

# وزراؤنا ووزراؤهم

قالت لي سيدة نبيلة : كان أحد رؤساء وزراء الكتلة الوطنية [٩٦] يسكن في جوار بيت أهلي وكنت ألاحظ أن أنواع الهدايا لا تكاد تنقطع عن داره من الصباح إلى الهزيع الأول من الليل، وفيها المأكول والمشروب والملبوس، ومنها الطرائف النادرة والأثاث الفاخر. ولما نحي من منصبه انقطع ما كان يحمل إليه وندر قاصدوه، على عادة الخلق في التقرب من الحكام في عزهم وصرفهم [ وجوههم ] عنهم عند سقوطهم.

بالأمس أخرج الإنكليز من وزارتهم وزيراً ثبت لهم أنه أُهدي إليه صندوق ويسكي ووزيراً استحل أخذ بذلة، وآخر قبل علبة سيجار. والوزير عندنا ينهب أيام ولايته كل ما يستطيع نهبه، ولا من يسأله عما كسبت يداه، ما كان متوسداً منصبه، ولا إذا تخلى عنه.

فصل م٤٧ / ملف ١٥-٧ *Chapitre C47 / dossier 15-7*

# المشير الزعيم

أنكر عليّ بعضهم إعجابي بالانقلاب الذي قام به المشير حسني الزعيم في

---

٩٦ . قد يقصد الكاتب شخصيّة جميل مردم بك ( ١٨٩٤–١٩٦٠ ) الذي تولّى منصب رئيس الوزراء بين كانون الأول / ديسمبر ١٩٣٦ وشباط / فبراير ١٩٣٩، ثم بين كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٦ وكانون الأول / ديسمبر ١٩٤٨ . سبق لمحمد كرد أن بيّن خصامه مع جميل مردم بك : انظر الفصلين رقم م٦٤ وم٦٧ من هذا الكتاب.

سورية،[٩٧] وكان بعض المنكرين من الفريق الذي جوّز لنفسه المبالغة في غلطات صاحب هذه الثورة، وحاول أن يتابعه الناس على رأيه من دون بحث ولا نظر. [أنا] لم أُكبر ثورة الزعيم، لأنه لم يسبق لأحد في هذه الديار أن قام بمثلها، وبخاصة لأنه شفعها بإدخال الإصلاح السريع، وبذل الجهد في استكمال أساليب الدفاع عن الجمهورية، والأخذ بكل ما ينهض بها، وأعجبني في الأكثر أن نفسه عزفت عن كل منفعة خاصة، حتى إن الحكومة أرادت أن تملكه القصر الذي ابتاعته، فأبى إلا أن يسجل ملكاً للجمهورية. وفارق الدنيا ولم يقتن داراً ولا عقاراً ولا عروضاً ولا خلف ناطقاً ولا صامتاً، وما جمعت تركته أكثر من تركة شرطي أو دركي.

قدرت الأمة بلاءه وانتخبته بالإجماع لرئاسة الجمهورية، ولما قتل مظلوماً استاء لمقتله [كل وطني عاقل]، والتاريخ سينصفه ويصوره بحقيقته، وإذا عُدّت عليه بعض الهفوات، ومنها وضع ثقته بأناس ما كانوا أهلاً لها، فهذا [نشأ من] خطأ في الاجتهاد، ومن ذا الذي لا يخطئ.

وجاهرني أحد خلصائي قائلاً [إني] أغضيت عن بعض هفوات هذا الزعيم، والإنصاف يقضي أن أُعامل غيره من سلسلتنا بمثل ما عاملته. فقلت له: ومن تعني؟ فقال: السيد شكري القوتلي، فقلت هاءنذا استملي منك ثبتاً بما قام به من جليل الأعمال. ففكر دقائق وقال: لم أجد شيئاً. فقلت: وهذا ما يحملني على أن أُبجّل عمل المشير الزعيم لأنه أبدع كل الإبداع بانقلابه. أما الهنات التي أُخذت عليه فلا تقلل من إعظام ما قام به. وأي انقلاب سلم من العيوب.

هذا رأيي وإليك ما صرح به السيد أديب الشيشكلي رئيس أركان حرب الجيش. قال: لقد وجدنا بعد الدراسة العميقة أنه بغير انقلاب لا يصلح الأمر، وكم كنا [نود أن] نحاذر هذا المركب الشائك، ولكن المريض كانت قد أنهكته العلة، وليس في مقدور أحد غير الجيش إيجاد المخرج، والتماس الشفاء للنهوض المنشود بالبلاد، وكان

---

٩٧. قام حسني الزعيم بأوّل انقلاب عسكري في عهد الاستقلال في سوريا، وذلك في يوم ٣٠ آذار/مارس ١٩٤٩، اعتقل خلاله رئيس الجمهورية السابق شكري القوتلي، ورئيس الوزراء آنذك خالد العظم. جمع بعد ذلك حكومته الأولى (في ١٨ نيسان/أبريل ١٩٤٩) حيث حافظ لنفسه على منصب رئيس الوزراء ووزير الداخلية والدفاع، ثمّ انتُخب رئيساً للجمهورية خلال استفتاء ٢٦ حزيران/يونيو ١٩٤٩ وطلب من محسن البرازي أن يشكّل حكومة ثانية. ولكنه اعتُقل بدوره بعد انقلاب سامي الحنّاوي (في ١٤ آب/أغسطس ١٩٤٩) وحُكم عليه بالإعدام هو والبرازي. انظر المرجع التالي: صقال، فتح الله ميخائيل، من ذكريات حكومة الزعيم حسني الزعيم، خواطر وآراء، مصر، دار المعارف، ١٩٥٢.

ما كان وجعلنا عليه المرحوم [الزعيم] رئيس الأركان العامة إذ ذاك وأوليناه ثقتنا، والناس جميعاً [ينكرون] أنه سلك في حكمه طريق الرشاد، واختط سياسة حازمة عادلة نشرت الأمن والاستقرار، و[أعطى البلاد] بعد قليل [وجهاً] خارجياً ثابتاً انتظم معه للأداة الحكومية جانباها الإداري والسياسي، فتقاصرت شفاعة الشفعاء، وتقلصت خطوة المختارين وزعماء الأحياء، ووقعت في النفوس مهابة الحكم، وجاء أثرياء الحرب بأموالهم، وأخرج من أخرج من الموظفين وكان أكثرهم لا يتناهون عن منكر، ولم تعد الوظيفة مأوى للعجزة الذين لا يحسنون إنتاجاً، ولا يقدرون على الاضطلاع بعمل من أعمال الدولة فاستقامت الأمور [وشهد بذلك خصوم المرحوم من السياسيين].

وقول أحد أساتذة مصر[٩٨] إن السوريين أثاروا أخيراً موضوع العنصرية والجنسية لإبعاد حكومة حسني الزعيم وتبرير إعدامه. وذلك عندما بدت منه مظاهر لتقريب العنصر الكردي وإحلال الأكراد محل السوريين في الوظائف الأساسية في الدولة - هذا الرأي لم يخطر في بال أحد. والزعيم وإن كان من أصل كردي فتربيته عربية صرفة، وما خطر له يوماً أن يقيم للأكراد دولة في أرض عربية.

ذكر لي صديقي الأستاذ خليل مردم بك وزير المعارف في وزارة المشير [٩٩] أنه استدعاه يوماً وذكر له تدني المعارف في الجزيرة، والنازلين فيها أكراد وأرمن وآشوريون وغيرهم من العناصر، وأن المصلحة أن تسارع الحكومة [في] نشر اللغة العربية بينهم وأن تربى أبناءهم تربية عربية سورية، فمن كان ينزع إلى مثل هذا الإصلاح، ويتخذ له أسبابه كان من الظالم الفادح اتهامه بأنه ينوي قيام دولة كردية في سورية العربية.

فصل م٤٨ / ملف ١٥-٨ *Chapitre C48 / dossier 15-8*

## نكران الجميل

كتب الأمير عادل أرسلان عقيب مصرع المشير حسني الزعيم بضع مقالات في جريدة (الحياة) طعن بها على الزعيم، ونسب إليه ما شهد المقربون منه أنه محض

---

٩٨. الدكتور مصطفى الخشاب في مجلة كلية الآداب (جامعة فؤاد الأول) م ١٣ ج ١ ص ١٩٩ (للمؤلف). عنوان المقالة هو: "الأمة، نشأتها ودعائمها الاجتماعية".

٩٩. كان خليل مردم بك وزيراً للمعارف في حكومتي حسني الزعيم، بين ١٨ نيسان/أبريل و ١٤ آب/أغسطس ١٩٤٩.

افتراء، ونشر من أسرار الجمهورية ما لا يجوز نشره، زاعماً أن المشير كان ينوي السوء بكبار الساسة لتنطلق ألسنتهم معه بالطعن عليه.[١٠٠] وكان الزعيم عهد إليه بوكالة رئاسة الحكومة في وزارته، فلما تخلى عنه عاد إلى لبنان، ملتزماً الصمت، [حتى إذا] قتل الزعيم هبّ يصول ويقول.

واقترف السيد عادل مثل هذا مع رئيس الجمهورية الثالث. وكان عطف عليه وقرّبه وقلده الوزارة، وعينه نائباً عن مقاطعة لا يعرفها ولا يعرفه أهلها، وانتدبه ليمثل سورية في المؤتمرات الدولية، فما كان هذا الرئيس يَزوّر عنه حتى انطلق عادل ينال منه. فلما وقع الانقلاب الأول كان أول المؤيدين المصفقين لحسني الزعيم. شك الناس بما قال عادل أرسلان ولكنهم لم يشكوا قط أن المشير أحسن إليه. [هذا أسلوب من] أساليب بعض العمال يدهنون للرؤساء حتى تسود إليهم المناصب، فإذا ضعف أمرهم أعرضوا عنهم وتقربوا إلى السيد الجديد بشتم السيد القديم.[١٠١]

فصل م٤٩ / ملف ١٥-٩ *Chapitre C49 / dossier 15-9*

# الاحتيال على المعاش

أدركته صاحب حانوت صغير في سوق ضيقة متعرجة مظلمة، يبيع ثياب البدو والحوارنة، ويشغل أوقات فراغه باستظهار بعض الأحاديث النبوية، وما يطالعه من الحكايات في كتب المحاضرات. وانتقل بعد حين إلى مجالس من كانوا يعدون يومئذ من المتكلمين الفصحاء، يسمر عندهم، ويأخذ منهم ما يستحسنه من أقاصيصهم

١٠٠. كان عادل أرسلان نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للخارجية في حكومة حسني الزعيم الأولى، بين ١٨ نيسان/أبريل و ٢٦ حزيران/يونيو ١٩٤٩.

١٠١. حُذف من النص الأصلي المقطع التالي: " واعتاد ابن أرسلان على ما يظهر أن يسير بين هزله وجده على هذه الخطة في حكمه على الأشخاص والأعمال، فإذا كشف سرّ قوله ادعى أنه كان يهزل، وإذا جاز قوله على عقول من استمعوا إليه لا يبالي بما حملت افتراءاته من الأضرار.
وما برحت أَذكر ما اتهمني به وهو على مائدة الملك فيصل في دمشق، من أني أنفقت على الأحجار التي جلبتها من تدمر إلى دمشق برسم دار الآثار خمسة آلاف جنيه مصري (المذكرات ص ٢٧٩) وما قدّر أنه بهذه الفرية يوقع البلبلة في سير أعمال المجمع العلمي العربي، وهو في أول نشأته. ثم تبين لأصحاب الشأن يومئذ أن ما صرف على هذه الأحجار الأثرية لم يتجاوز الخمسة والعشرين جنيهاً، فتأمل واضحك لهذه الغيرة على مال الدولة [ولهذه الوطنية العجيبة]."

وأحاديثهم. ثم تدرج من عشرة أهل الطبقة الوسطى إلى عشرة كبار الأعيان، فحصل بفضل الانتساب إليهم على رواتب من الأوقاف مثل معلوم قارئ جزء من القرآن في جامع كذا وراتب إمام في المصلى الفلاني وخطيب في الجامع الفلاني، وربما كانت له في عدة جوامع ومساجد بضع خطب وإماميات وحصص قراءة [في أوقات متوافقة وهو لا يمارس واحدة منها، وأظن أنه [ما كان] يحسن القيام بها لو حاوله. ثم ترك دكانه ولبس كسوة المشايخ وتكلف الرزانة في أحاديثه، وابتعد عمن كانوا لأول نشأته من معارفه، وعاد يسعى لينفق على من رغب في صحبتهم. وكان من جميل عادته ألا ينقل ما يسمع من أحاديث المجالس التي يتردد إليها، وإذا روى حديثاً فيكون من النوع الذي يسر صاحب البيت أن ينقل عنه، لما فيه من إشارة إلى تحسين سمعته، ودليل على نبلة وشرف نفسه، ولعل ما ينقله كان من تصنعه وزياداته.

وترقت به الحال حتى أصبح لا يتغدّى ولا يتعشى إلا في بيوت من اختارهم لصحبته من الكبراء، يشخص إلى [دورهم] وقت الظهر وعند الغروب من دون دعوة، ولعله ما كان يطعم في بيته مرة في الأشهر، لأن طعام الأغنياء أدسم، وتناول الوجبة منه على موائدهم لا تكلفه أكثر من إيراد نكتة أو نكتتين يضحك منها صاحب البيت وجلساؤه.

وكان إذا هلك أحد من لازمهم من العظماء، ينتقل في الحال إلى بيت صاحب آخر، فيكون شأنه على مائدته [كما كان شأنه على مائدة] صاحبه الراحل. ولما توفاه الله خلف بضعة آلاف من الدنانير العثمانية الذهبية، كان يقرض منها بالفائدة بعض من يأتمنهم. ولم يبتع عقاراً ولا اتجر، حتى لا يشتهر عنه بأنه صاحب مال. وإذا عرف بالفقر كان أقرب إلى تلقف كل وظيفة تنحلّ في الأوقاف بواسطة أهل الخير من أصحابه.

هذه صورة غريبة من صور التحيل على العيش، ولطالما سمعت صاحبها يعيد حكاياته فأُبادر إلى مغادرة المجلس الذي يصادف التقاؤنا فيه، أو أصبر على سماعها متبرماً. صرف هذا الباقعة الذكي زمناً حتى نال الحظوة ممن استلطفوا حديثه، وجمع بذلك مالاً، وأكل طيباً، وعاشر أناساً ما كان يصل إليهم لو لا حكاياته ومحفوظاته.

فصل م٥٠ / ملف ١٥-١٠ *Chapitre C50 / dossier 15-10*

# اغتيال الرؤساء

تكرر اغتيال الملوك والرؤساء في الشرق العربي في عهده الأخير، [١٠٢] فما علل المعللون ذلك إلا أن القاتل يحفر قبره بيده منذ اليوم الذي يتصدى فيه لقتل غيره، على

١٠٢. من بين الرؤساء والملوك العرب المغتالين في تلك الفترة، الملك الأردني عبد الله الأول

قاعدة بشر القاتل بالقتل. والقتل مصير من يضر بمصلحة أُمة إن لم يكن قتلاً مادياً فقتلاً معنوياً. والقتل المعنوي أفظع أنواع القتل، ولا يفيد فيه التوقي. القتلة يجب قتلهم، ومن يُمضيه من الرؤساء لا يؤاخذ بل يحمد ويمدح، ولا بد من إطالة النظر في الحكم على من يقتل رجالاً بدعوى أنهم ارتكبوا الخيانة العظمى، وخرجوا على قانون الدولة، وما هم في الواقع إلا حزب سياسي يحاول استلام الحكم، [فما] رأى أعداؤهم للخلاص منهم إلا اتهامهم بالخيانة، وشهادة العدو في عدوه منقوضة بالبداهة.

فصل م٥١ / ملف ١٥-١١ *Chapitre C51 / dossier 15-11*

## اللغات في الشام

نبغ في الشام (سورية ولبنان وفلسطين) زمرة من الكتاب والشعراء بالعربية والفرنسية والإنكليزية والتركية ونشأت طوائف من سكانها ألمّت باللغات الألمانية والإيطالية واليونانية والروسية واللاتينية والفارسية والسريانية والأرمنية والعبرية والبرتقالية والإسبانية، وندر المجودون في هذه اللغات، لأن درسهم كان مقصوراً على مباديها، أو تعلموها على الأكثر بالاختلاط بأهلها، فكان معظمهم يتكلم لغة من هذه اللغات ولا يكتبها، والمرء لا يحكم لغة إلا إذا أتقن أدبها ودرس بها العلوم، وبغير ذلك يستحيل على من يطمع في تعلمها أن يبرّز فيها ويحكمها. وعلى حرص الفاتحين والمتغلبين على نشر لغاتهم بيننا لم ترسخ في الشام غير العربية لغة السواد الأعظم.

فصل م٥٢ / ملف ١٥-١٢ *Chapitre C52 / dossier 15-12*

## ضعف الأسلوب

تسلب الأغلاط النحوية والصرفية واللغوية من الكلام جماله، وأعظم ما يورثه ضعفاً وغثاثة فساد أُسلوبه وإن سمت معانيه. وقد يؤخذ القارئ بالفطرة والسليقة بروعة

---

الهاشمي (سنة ١٩٥١) ورئيسي الوزراء المصريين أحمد ماهر (سنة ١٩٤٥) ومحمود فهمي النقراشي (سنة ١٩٤٨) ورئيس الجمهورية السوري حسني الزعيم (سنة ١٩٤٩).

الكلام البليغ، وإن لم يكن متأدباً. إن الخروج على نظام البيان العربي أضعف من تأثير بعض كتاب المهجر من الشاميين، فأصبح من كانت دراسته عربية يفضل أن يقرأ في الموضوعات العصرية ما كتب بلغة غربية يفهمها، على أن يطالع كتاباً منقولاً عن اللسان الذي ينقل إليه. ولو رجع بعض من يعانون النشر والكتابة في تقويم ما يكتبونه إلى من يحسن هذا الشأن لسلمت تراكيبها بعض السلامة، وتذوّقوا بعد ممارسة قليلة بيان اللسان.

**فصل م٥٣ / ملف ١٥-١٣** *Chapitre C53 / dossier 15-13*

# الجهل بالسياسة

رأيت تجاراً لا يعرفون من السياسة أكثر مما يعرف العشاب من صناعة الطب والصيدلة. قال لي تاجر [ دمشقي ]، قبل الفتنة الصهيونية الأخيرة، وكان ابنه اغتنى بالتجارة في فلسطين : نحن راضون عن حالتنا ولا نطلب مزيداً على ما نحن فيه، وأشغالنا سائرة سيراً حسناً ( وكان ابنه تعلم وأولاده اللغة العبرية وتجنسوا [ بالجنسية ] الفلسطينية ) فلا يعوقنا عائق عن التعامل مع اليهود. فقلت له : لا تنس أن هناك مسألة الوطن القومي، وهي خطرة جداً، إذا وصل الصهيونيون إلى تحقيق مأربهم تذوب ثروة ابنك كما يذوب الملح. ولما هب اليهود بعد حين وطردوا مئات الألوف من مسلمي فلسطين ذهب كل ما جمعه ذاك التاجر وأولاده وافتقروا مع من افتقر.

وسمعت تاجراً حلبياً يتبجح مع الأناضول على العهد العثماني ويربح كثيراً ويتمنى لو تعود تلك الأيام الرائقة، فقلت له : إذا اغتنيت أنت من جهل بعض الأناضوليين فليس معنى ذلك أن الحكم التركي كان سعيداً على هذه الديار. كان أشأم أنواع الحكم على العرب ومدنيتهم ولسانهم. وانتفاع أفراد من غباوة المغفلين لا يقوم حجة على صلاح تلك الدولة.

فصل م٥٤ / ملف ١٥-١٤ *Chapitre C54 / dossier 15-14*

# النظافة والقذارة

حدثتني سيدة مصرية كانت مصطافة في [بعض قرى] لبنان بما شاهدته في الفندق الذي كانت تنزله من قذارة بعض العراقيين النازلين معها فيه، على ما لم تجد له مثيلاً في نزلاء الفندق من أبناء الأقطار الأخرى. قالت إنهم كانوا يغسلون أرجلهم أمام الناس مع وجود الحمامات في أكثر الغرف، وروائحتهم أبداً كريهة لا يحسنون شيئاً من الطهارة على الوجه المطلوب. وذكرت أنه لما ضاقت صدور نزلاء النزل اضطروا صاحبه أن يضيق على القذرين ليسيروا في نظافتهم بسير جيرانهم فما وسعهم إلا مغادرة الفندق.

النظافة تتوارث ويتعلمها الطفل من بيته بالعادة والمشاهدة، ومهما اغتنى المرء لا يسهل عليه التطهر إذا كانت الوساخة مألوفة له، وقد تجد امرأً فقيراً أو امرأة فقيرة أنظف من أعظم الأغنياء والغنيات. وما زلت أزعم أن الفلاح الشامي أنظف من الفلاح المصري، وسكان الجبال أقعد في الطهارة من سكان السهول، والفلاح اللبناني أنظف من بعض سكان المدن والقرى في هذه الديار. ذلك لأن اللبناني اختلط بأمم كانت أعرق منه في التمدن، فنسج على منوالها، وساعدته على ذلك طبيعة أرضه. ومن العادة أن تكون القرى الجبلية بصخرها أنظف من القرى السهلية بترابها.

فصل م٥٥ / ملف ١٥-١٥ *Chapitre C55 / dossier 15-15*

# الاصطياف

قيل إن عدد المصطافين في لبنان بلغ في صيف سنة ١٩٥١ أربعين ألف مصطاف، وقدّر ما أنفقوا فيه بمليوني جنيه مصري، وقد عُنيت الحكومة اللبنانية خدمة للاصطياف بنقل المصطافين من بلادهم بالمجان في البحر والجو ذهاباً وإياباً. وما كان هذا الإقبال على الاصطياف عظيماً في جبال لبنان إلا لأن بعض أبنائه استعدوا لإتقان صناعة الفنادق والمطاعم وما إليها منذ زهاء نصف قرن، وقد صرف جانب مما أتى به اللبنانيون من أموال المهجر في إنشاء البيوت وتنجيدها ، وإقامة الفنادق على اختلاف درجاتها،

ثم حملوا حكومتهم على أن تعبّد الطرق، وتهيّئ لهم ما يعود على المصطافين بالراحة. وكان [من] توسع سكان الأقطار المجاورة في فهم مدلول التمدن، وإدراك قيمة الحياة والصحة، ما زاد به الإقبال على الاصطياف، وذهب لبنان بهذا الامتياز لأنه سبق غيره من الأقطار في تقليد الغربي.

فصل م٥٦ / ملف ١٥-١٦ *Chapitre C56 / dossier 15-16*

## عسلطة

من أبرد ما يبدر على [ألسن] بعض المتنطسين قول [بعضهم] في الحفلات العامة إذا خطبوا (أُحييكم باسمي وباسم أبناء وطني) وهو ما وكل إليه أحد منهم قط أن ينوب عنهم، وقد لا يوافقونه على الجهر بما يجهر به باسمه وباسمهم. ومنهم من يبلغ بهم التهوس فيما ليس لهم صوت فيه أن يحيوا من يحاولون أن ينفقوا عليهم باسم العرب أو باسم أهل الإسلام كافة، وربما كان العرب و[المسلمون] لا يعرفونه ولا سمعوا باسمه، وفي هذا التهجم على الحق كل الرقاعة والحماقة.

فصل م٥٧ / ملف ١٥-١٧ *Chapitre C57 / dossier 15-17*

## التركي والعربي

عندما نظر مجلس الأمن في أميركا في شكوى إسرائيل على مصر، كان رأي تركيا مع من كانوا [على] مصر. ولم يمتنع من التصويت إلا روسيا والصين والهند. قال مكاتب الجريدة المصرية الذي كان حاضر هذه الجلسة: نظرت لما أُخذت الأصوات إلى مندوب تركيا، وتذكرت وأنا أنظر إليه في هذه اللحظة تهافت مصر على جمع الاكتتاب لمنكوبي الزلازل والفيضان في تركيا، ثم اختفت هذه الصورة وحلت محلها صورة باشاواتنا وأعياننا الذين لا يزالون يفتخرون حتى اليوم بأصلهم التركي والدماء التركية الكريمة التي تجري في عروقهم (اهـ). ونحن نقول إنه لم يؤثر عن حكومة الأتراك في جميع أدوارها على العهد الاستبدادي والعهد الجمهوري أن نفعت العرب

بشيءٍ، وعلى العكس تسعى لإلحاق الضرر بهم. أما العرب فيتقربون لسلامة صدورهم من الترك، وها قد فضّل هؤلاء جهاراً مصلحة اليهود على مصلحة العرب والمسلمين.

فصل م٥٨ / ملف ١٥-١٨ *Chapitre C58 / dossier 15-18*

## سذاجة المعتقدات

كان والدي وأنا طفل يصحبني معه أحياناً في جولاته وزوراته، ويأمرني، إذا التقى ببعض أصحابه أن أقبل يده قائلاً : يا بني، قبّل يد صاحبي هذا هو ابن النبي. ولطالما قصّ عليّ قصته مع جاره السيد محمد عابدين أعظم فقهاء [العصر] الماضي قال : كنت إذا صادفته وأنا صغير قبلت يده فيدعو لي، ويضع يده على رأسي ـ علامة العطف عليه لأنه يتيم ـ ويقول : يا كردي متى تكسر لنا الحطبات ؟ فيجيب والدي : متى أمرت يا سيدي، فيقول السيد الشريف : إذاً خذ هاتين القطعتين على الحساب. [وكان] أبي [يلمع] إلى [أن] هذه المنحة المتكررة من تلك اليد الكريمة كانت شيئاً عظيماً في أول حياته. كان المنورون من الناس يعتقدون بأمور كثيرة لا [يعتقدها] أهل طبقتهم اليوم.

فصل م٥٩ / ملف ١٥-١٩ *Chapitre C59 / dossier 15-19*

## تركيا المسلحة

تقتطع تركيا لعهدنا نصف رواتب عمالها تنفقها في التسلح، وبذلك خيم عليها البؤس وزاد فيها معدّل الرشوة. ويقول العارفون إن كل ما أعدته الجمهورية التركية من العناد وعاونتها به دول الحلفاء لاتقاء عادية روسيا لا يكفيها إذا التقى الجمعان إلا أياماً محدودة. ولو رجع الأمر إلى عقلاء الترك ما اختاروا غير الحياد سياسةً ينتهجونها، لينجوا من حرب تصبح جمهوريتهم فيها آلة للمعسكرات الكبرى.[١٠٣] ولو ترك القطا ليلاً لناما.

---

١٠٣. انضمّت الجمهورية التركية إلى الحلف الأطلسي في ١٨ شباط/فبراير ١٩٥٢.

# رداءة الأصل

وضعت لنفسي شبه قواعد، راعيتها في بعض ما عالجته من مسائل العالم، فمنها ما صَلُح بعد التجربة ومنها ما لم يصلح، وما كل رأي يصيب ولا كل أمر يتم على ما يحبّ صاحبه. من ذلك أني كنت أدعو إلى تعليم الناشئة فقرائهم وأغنيائهم، وأفرح لأبناء العلية إذا رأيتهم يقبلون على العلم. وقام في ذهني أن أبناء البيوت الخاملة إذا تعلموا يساوون من كانت أُصولهم مرموقة بحسب العرف، لأن العلم يصقل من استعدادهم، والتربية الحديثة تعوضهم ما خلت منه بيوتهم، وتبين مع الزمن أن انتقال الإنسان إلى النمط العالي لا يتيسر في جيل أو جيلين، وتبقى في دم الناشئ قطرات غير صافية، تكدر ما كتب له تحصيله من معرفة، ونفَعهُ من أدب. ويتجلى كل أُولئك في الطالب يوم دخوله معترك الحياة، يسعى إلى الرزق، ويلوب على مظهر، ويبحث عن مجد. هناك يبدو مبلغه من سلامة النفس، فينبعث في جوهره ما أبقاه فيه أجداده من دم. وهناك من يغلبه طبعه فيرتكب المآثم ولا يجديه ما قرأه من الآداب التي كان يؤمل منها تربية ملكاته.

كنت أقول إن الأخلاق تربى في البيت أكثر من الشارع، يأخذها الابن والابنة من أبيهما وأمهما، فصرت أقول إن الأخلاق لا تستقيم على ما يجب إلا إذا كان الآباء والأجداد على جانب من صفاء النفس. رأيت بيوتاً غلب عليها جوهر الدين، وتمثلت كل ما فيه من منافع، وتسلسل فيها عدة بطون، وبيوتاً كانت المفاسد في بنيها ورثوها عن أهلهم فظهرت في الأخلاق بغير الصورة التي كانت للأسلاف. عرفت أسرة كان أجدادها على غير الكمال فجاء أبناؤها يبيحون لأنفسهم ضروب السرقة والتزوير، وأكل أموال الخلق، وجاء فيهم المتعلمون، ولكنهم كانوا كأنهم ما تعلموا إلا ليقووا على ارتكاب ما تحدثهم به أنفسهم من الخبائث.

وبهذا ثبت أن المقياس الذي اعتمدت عليه في الحكم على الأخلاق لم يطرد، فقد يأخذ بعض أبناء [الظلمة] الخونة بنصيب وافر من الفضائل، وشاهدت من أبناء الصعاليك من لا ينبئ ظاهرهم أنهم يقيمون وزناً للنزاهة وقد تمثلوها أحسن تمثيل. ولطالما اعترضت في باطني على ما رآه أحد قدماء الحكماء في معاملة أبناء الطبقات، وإن كان لرأيه وَجهٌ من الحق قال: لا ترفهوا السفلة فيعتادوا الكسل والراحة، ولا تجرئوهم فيطلبوا السرف والشغب، ولا تأذنوا لأولادهم في تعلم الأدب فيكونوا لرداءة أصولهم أذهن وأغوص، وعلى التعلم أصبر، ولا جرم فإنهم إذا سادوا في آخر الأمر خربوا بيوت العلية أهل الفضائل (ا هـ).

*Chapitre C61 / dossier 15-21* **فصل م٦١ / ملف ١٥-٢١**

# مستهتر فاجر

ترك أحد الوزراء المفوضين مقر عمله، وترك ديناً عليه لحكومته بضعة ألوف من الليرات خسرها في القمار والسفاهة، ولم يستغرب صدور ذلك منه وهو الذي كان منذ سن الشباب يجوز لنفسه ارتكاب كل محظور. وما سبق له أن استقام في أمر. بدأ حياته بأن [ تطوع ] للشهادة على [ بعض ] شبان من أبناء وطنه، اتهموا بمسائل سياسية على العهد العثماني، فكان سبباً في أن أوردهم حتفهم. ثم أنفق في الموبقات ماله ومال أهله. وناب عن الأمة في جمهورية الرعاع، ولم يسمع له صوت في المجلس مع أنه يحمل شهادة من مدرسة عالية، ولم يكتف براتبه بل اتخذ السمسرة بالوظائف حرفة له، وحدد لكل وظيفة ثمناً، ولكل قدم يخطوها في شفاعة سعراً، وفي مهمته السياسية أصبح مهرباً يستغل نفوذ حكومته لإعفاء الخمور والمخدرات وغيرها من الرسوم، ولا يستحيي [١٠٤] أن يشارك المهربين في كل ما يربحون بتهريبه، وهو إلى هذا يستحل كل مال تصل إليه يده، ويستدين ولا يوفي ما استدانه، وليس له من المؤهلات إلا أنه كان من أعضاء حزب مسلط وقريب رئيس يمت إلى رئيس مجاور بصلة الصداقة. وإذا وقع نظرك عليه يوهمك أنه يحاذر وقوع حدث خطير يضر باستقلال سورية، وأنه لو لا مساعيه لانتزع منا هذا الاستقلال. ممثل سخيف يمثل أدوار الشر على مسرح الغباوة. وكان يقال للحكومة التي [ تستخدم ] مثل هذه الحشرات ( حكومة وطنية ).

*Chapitre C62 / dossier 15-22* **فصل م٦٢ / ملف ١٥-٢٢**

# اغتناء غريب

من الناس من يغتنون بالمصادفة لا دخل لرأس مالهم ولا لذكائهم فيما حصل لهم. ومنهم من يغتني بذكائه وكثرة احتياله. نشأ عندنا غنيان في أوائل هذا القرن تعلم الأول ما يلزمه للاستخدام في الدواوين التركية، وارتقى بدهائه وذكائه حتى صار يعد من الصدور، وهو من أسرة مستورة مذهبها يخالف مذهب السواد الأعظم، فخرج

---

١٠٤. في الأصل : يستحي

عن مذهب أهله لانتحال مذهب الأكثرية. وتخطى بعد حين أبناء البيوت القديمة، لأنه كان يفكر ويجدّ، وهم أقرب إلى الغباوة، ويزيدون على غبائهم كسلاً وخمولاً. واستعان بمال زوجه وأموال أهلها وكانت عظيمة فتمت له أسباب الوجاهة. وجرت عادته أن يشارك بعضٍ من لهم مال، فإذا انحلت الشركة فاز منها بحصة الأسد. ومما أعانه على الظهور أنه كان يسخو على المآدب ويطعم بعض من يهمه استمالة قلوبهم، [و]كان على ذوق جميل في [تنجيد] قصوره وبيوته، ومعرفة الطريق إلى استتباع الناس فزادت ثروته زيادة عظيمة، وما استطاعت المحاكم يوماً أن تأخذ منه حقاً يطالبه به مدع. وجاءته نكبة عظيمة فخسر في ساعة [معظم] ثروته وتراجعت أحواله واضطر في أواخر أيامه أن يخدم السلطان في عمل غير شريف، فكانت حياته في أولها [سرقات و]تعديات وفي آخرها وشايات وسعايات. أما الثاني فكان ذكاؤه متوسطاً، وهو من بيت عظيم، لم يدرس غير دروس الكتاتيب في عصره، ووصل إلى الغنى مستعيناً برعاع من أبناء جنسه، ألف منهم عصابة[١٠٥] استخدمها في مظالمه، فكان يرسلها على ضعاف الفلاحين تستولي على أرضهم. ويعتدي أفرادها على أعراضهم، ويستعملون الضرب والتنكيل برجالهم، حتى ينزلوا عن أراضيهم. وما استطاعت حكومات تلك الأيام أن تحمي المستضعفين من اعتداءاته. وبهذه الطريقة الجائرة ملك بعض قرى كان يزرعها من يسخرهم في زرعها، ويستأثر هو بالقسم الأعظم من ريعها. وخلف ثروة عظيمة بددها أولاده في الجنون بالبذخ الفاحش.

مثال من جمع الثروات، أوردته للعبرة، ولو أحببت الاستقصاء لأتيت على ذكر العشرات من هذا الضرب.

فصل م٦٣/ ملف ١٥-٢٣ *Chapitre C63 / dossier 15-23*

# جائزة نوبل

كان نوبل كيماوياً عظيماً من أهل السويد، مات سنة ١٨٩٦ وقد اخترع عدة اختراعات للنسف والحرق، ومنها الديناميت والبارود بلا دخان. وأوصى بثروته وكانت عظيمة للعلم وراحة البشر، فجعل منها خمس جوائز سنوية، كل واحدة بثلاثمائة ألف فرنك ذهب، وتمنح الثلاث الأولى منها إلى ثلاثة علماء [من دون النظر إلى جنسيتهم

---

١٠٥. في الأصل: عصاب

ومن الفئة التي] كانت لها اختراعات، في الطبيعة والكيمياء والفسيولوجيا والطب تتقدم بها هذه العلوم. وتمنح الجائزة الرابعة لمن ابتدع في الأدب أجمل تأليف يخدم العقل، والجائزة الخامسة [تحمل إلى] رجل أحسن تأليف القلوب بين الشعوب وسعى إلى الإقلال من الجيوش الدائمة ونشر مؤتمرات السلام. وهذه الجائزة [يعطيها] مجلس نواب النروج والجوائز الأربع الأولى تمنحها المجامع العلمية السويدية.

وقد نال هذه الجوائز إلى اليوم عشرات من العلماء والأدباء ورجال السياسة والاجتماع من أمم مختلفة وأرادت إسبانيا أن [تخص] الجائزة هذا العام بمرشحها رئيس المجمع العلمي في مجريط،[١٠٦] وهو مؤرخ ولغوي وصاحب تصانيف جليلة ترجم بعضها إلى الفرنسية والألمانية والإنكليزية، فرأت حكومته من الذرائع لذلك أن تشهد مجامع الشرق لعالمها بأنه أهل لهذه الجائزة، فكان أن بدأت بمجمع فؤاد الأول للغة العربية في القاهرة فشهد لها بما أرادت، واقترحت إسبانيا مثل هذا الاقتراح على المجمع العلمي العربي فكان جوابه أن المرشح الإسباني عالم جليل فلو أرسل إليه من كتبه نسخ من الطبعات الفرنسية لسهل على أعضاء مجمع دمشق إعطاء شهاداتهم في هذا المرشح العظيم، ولما لم يتيسر الوصول إلى هذه الكتب بالسرعة الممكنة، وكان قرب ميعاد [توزيع] الجوائز صرف النظر عن شهادة المجمع الدمشقي واكتفت إسبانيا بشهادة مجمع القاهرة على حين أن هذا كصنوه مجمع دمشق لا يعرف عن المؤلف شيئاً يبرر شهادته فيه.

ومن حسن التوفيق أن المجمع العلمي العربي لم يشهد إلى اليوم إلا بما يعلم، ولا ضمّ إليه أعضاء تريد السياسة ضمهم إليه من الغرباء، كما فعلت مصر وانتخب مجمعها اللغوي بضعة أعضاء من ساسة إيران، وليس لهم ما يؤهلهم إلى تقلد عضوية مجمع عربي، إذ ليس فيهم من يحسن العربية. أما مجمع دمشق فغلط واختار بعض المراسلين باقتراح من كان يعتمد عليهم من أعضائه الغرباء، فظهروا بعد أنهم دون ما كنا نتوقع منهم، [وما] استطاعوا أن يخدموا المجمع بشيء. وطمعت إيران أن ترشح أربعة من أبنائها أعضاء للمجمع العربي، فلم ير هذا أن يرتكب غلطاً جديداً ويخالف قانونه في اختيار أعضائه.

---

١٠٦. هو رامون مينانديس بيدال [Ramon Menéndez Pidal] (١٨٦٩–١٩٦٨): أديب أسباني متعدد الاختصاصات، كتب في اللغة والتاريخ والثقافة. عُين عضواً في المجمع العلمي الملكي الأسباني سنة ١٩٠٢، ثم انتخب مديراً له سنة ١٩٢٥ واستمر حتى ١٩٣٩ فاستقال، ولكنه عاد إلى منصبه سنة ١٩٤٧ وظل فيه حتى وفاته.

فصل م٦٤ / ملف ١٥-٢٤ *Chapitre C64 / dossier 15-24*

## مال مبارك فيه

حملت إلينا الصحف المصرية نبأ اكتتاب جماعة من كبار الأغنياء لإنشاء (بنك القاهرة) الجديد،[١٠٧] وكان في جملتهم جميل مردم [بك] رئيس وزراء الكتلة الوطنية في سورية سابقاً الذي اغتنى في وزارته وحمل أموالاً [عظيمة] إلى مصر و[منها] ما وظفه في عقارات وتجارات وأطيان. وقد وظف هذه المرة جزءاً منها أيضاً في المصرف الحديث يدر عليه من [فائدته] ما يضيفه إلى فوائده من أمواله التي يستغلها في الأعمال المثمرة. والمال المزكى في العادة يزيد أضعافاً مضاعفة كلما طال الزمن على جمعه [!].

فصل م٦٥ / ملف ١٥-٢٥ *Chapitre C65 / dossier 15-25*

## الهولانديون جياع

جاعت هولاندة وعمّ البؤس بعض طبقاتها بعد أن نزعت يدها من حكم أندنوسيا.[١٠٨] ورأينا جاليتهم هذه الأيام تطير إلى الشرق لتنزل قارة أوستراليا في طلب الرزق. وكان سبق للهولانديين في القرن [الثامن عشر] أن هاجروا إلى جنوبي إفريقية واغتنوا وتناسلوا وألفوا حكومة عصت على بريطانيا العظمى [مرة] فأخضعتها على سلطانها ثم منحتها الاستقلال.[١٠٩] بيد أن ما تم للهولانديين في إفريقية لن يتم لهم مثله

---

١٠٧. أُنشئت يوم ١٥ أيار/ مايو ١٩٥٢. انظر الجريدة الرسمية الوقائع المصرية، رقم ٨٢، من السنة نفسها.

١٠٨. أعلن أحمد سوكارنو ومحمد حطّا استقلال أندونيسيا بعد انسحاب الجيش الياباني من بلدهما في نهاية الحرب العالمية الثانية (١٧ آب/أغسطس ١٩٤٥) ولكن الهولنديين حاولوا أن يبقوا سيطرتهم على مستعمرتهم حتى نهاية سنة ١٩٤٩ حين تحوّلت السيادة التامة لجمهورية أندونيسيا.

١٠٩. بدأت هجرة الهولنديين إلى إفريقيا الجنوبية سنة ١٦٥٢ حين كوّنوا أوّل مستعمرة في مدينة كايب تاون، وظلّت هذه تحت سيطرة هولندا حتى العام ١٨٠٦ حين حلّت بريطانيا العظمى محلّها. ورغم بقائهم فيها لمدة قرن ونصف، لم يبلغ عدد المستعمرين الأوروبيين أكثر

في أوستراليا لأن في هذه حكومة منظمة، تتألف من عنصر غير عنصرهم، لا تسمح لهم بنزول بلادها إلا برضاها، [مخضوع] لقوانينها. وأوستراليا بعد هذا دولة قوية لا تتضرر بعشرات الألوف من غير جنسها بل تقوى بهم وهي في حاجة [إلى] عشرات الملايين من الخلق لاستثمار قارتها. طمرت هولاندة قطعة عظيمة من البحر حتى تتسع أرضها فيعيش بعض سكانها، وما طمته لا يكفي [لغذاء] جميع المعوزين من سكانها.

**فصل م٦٦ / ملف ١٥-٢٦** *Chapitre C66 / dossier 15-26*

# من أترابي

ممن جمعتني بهم المدرسة الرشدية العسكرية صديقي عارف التوام، ثم تفارقنا فدخل المدرسة الاعدادية العسكرية فالمدرسة الحربية العليا في الآستانة، وخرج منها ضابطاً ممتازاً. وكان ممن غلبت عليه الرياضيات، يحسن تطبيق قضاياها في حركته وسكنته وحديثه وتندره، فكان إذا قعد قعد بحساب، وإذا درس درس بحساب، وإذا تضاحك وإخوانه تضاحك بحساب، حتى لتملّ من جده، وتود لو تنتقل إلى عشرة ترب آخر ممن معك في الفرقة، لتسمع شيئاً من الهزل ولو ساعة من النهار. وعرف الجيش العثماني ما فطر عليه صديقي من طهارة النفس واليد فوسد إليه من الأعمال في ولاية اليمن كل صعب مما لا يتأتى توسيده لغير الأمين الصادق. ولما نزع ثوب الجندية بارتحال العثمانيين من الولايات العربية تقاعد عن خدمة الجيش، ولم يتقاعد عن خدمة من يجند منهم الجيش، فأخذ يدرّس ويعلّم وألّف مع بعض إخوانه ـ وهو الحريص على تلقين أبناء قومه حب الوطن وحب الكمال في الأعمال ـ جمعية النداء الخيري، [١١٠] فأخرجت عن الأمية عشرات الألوف من الشبان. قام أهل الطبقة الوسطى بمعاونة هذه الجمعية، ولم يرجع مؤسسوها إلى الأغنياء ليعاونوهم على مقصدهم، لأن

---

من ٢٥,٠٠٠ ساكن في تلك السنة، إذ إن الهولنديين لم يفكّروا أن يكوّنوا من إفريقيا الجنوبية مستعمرة سكّانية.

١١٠. لم ندرك إن كانت هناك علاقة بين هذه الجمعية والجمعية التي تحمل الاسم نفسه والتي أسّسها الشيخ عبد الرزّاق الحلبي في حي القيميرية بدمشق القديمة في ٢٣ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥٢.

هؤلاء ما اعتادوا أن يمدوا أيديهم بالعطاء للأعمال الخيرية. ومن عادتهم أن يمدوها فقط إلى أخذ ما ليس لهم. كان صاحبي مثال الرجل التقي، صافي الود، جميل العهد، ولم يتخذ من وطنيته سلماً إلى المناصب والمكاسب، على ما جرى بعض أترابه [من] أهل صناعته. مثال الرجل الشريف المجاهد [لم] يعرف [إلا] التفكير في خير الناس. ومئات ممن نشؤوا [١١١] نشأته، وربما تقدموه في المراتب، [و]ما عهد لهم عمل خيري ولا أدبي. كان زاهداً في المظاهر ويقنع من الرزق بما وصل إليه.

فصل م٦٧ / ملف ١٥-٢٧ *Chapitre C67 / dossier 15-27*

## أراضي الدولة

منذ خرجت سورية عن حكم العثمانيين [١١٢] حاول جملة من أرباب النفوذ استصفاء بعض قرى الدولة من دون ثمن أو بثمن اسمي طفيف، ومنهم جميل مردم [بك] وتاج الدين الحسني، فحال القانون الذي وضعه الفرنسيس دون إتمام رغائبهم. [١١٣] وهذا القانون يقضي بأن تباع الأراضي الأميرية من الفلاحين النازلين فيها فقط، بأثمان متهاودة مقسطة، وعدد هذه القرى نحو ثمانمائة قرية قضت حكومة الجيش السوري هذه المرة أن تقسمها وتقرض الفلاحين من المصرف الزراعي ما يعوزهم

---

١١١. في الأصل: نشأوا

١١٢. وذلك في شهر تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨ عندما انسحب الجيش العثماني من سوريا واستسلمت الدولة العثمانية في هدنة مُدروس (٣١ تشرين الأول/أكتوبر ١٩١٨).

١١٣. أدخل الفرنسيون عدّة قوانين فيما يخصّ الأراضي السورية، من بينها المرسوم رقم ١٨٦ (في ١٥ آذار/مارس ١٩٢٦) الذي ألغى الأراضي المشاع (أي المشتركة) وأمر بتوزيعها على الفلاحين الذين يشتغلون فيها؛ كما أمر المفوّض السامي هانري دي جوفنال [Henri de Jouvenel] ببيع أراضي الدولة (الميري) بعد تقسيمها إلى قطع أرض صغيرة؛ وأكّد القانون الزراعي رقم ٣٣٣٩ في مادته رقم ٢٦ (الصادر في ١٣ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٣٠) أن تلك الأراضي تُباع فقط للفلاحين. ورغم تلك القوانين، يبدو أن الإقطاعيين استطاعوا أن يضمّوا جزءاً كبيراً من تلك الأراضي إلى أملاكهم الخاصة. انظر ما كتبه الأستاذ عبد الله حنّا في هذا الموضوع بعنوان: تاريخ الفلاحين في الوطن العربي، ج ٣، دمشق، منشورات الاتحاد العام للفلاحين، دار البعث للطباعة والنشر، ١٩٨٥.

من المال لاستغلالها. [١١٤] وما برحت هذه الأرض التي تؤلف جزءاً عظيماً من أرض الجمهورية تتصلبط [١١٥] شفاه الأعيان لاستملاكها، وكان ادعى ملكيتها ورثة السلطان عبد الحميد فردتهم المحاكم، وأثبتت أنها في الأصل ملك الفلاحين أُخذت منهم غصباً، فالعدل أن ترد إلى الحكومة.

تجلى العدل الآن بإعادة هذه القرى إلى أهلها وتقسيمها عليهم بصورة لا مطل فيها ولا تسويف. وكانت بعض الحكومات التي تعاقبت على سورية بعد الاستقلال توهم القوم بأنها تنوي إرجاع هذه الأملاك إلى أصحابها القدماء لتكون لهم ملكاً أبدياً لا ينازعهم فيه منازع فتزيد بريعها ثروة الأمة بزيادة عدد الملكيات الصغيرة، والحقيقة أن أرباب النفوذ كانوا يعتدون على ما تطول أيديهم إليه منها، ليملكوه دون الرجوع إلى الطرق القانونية. وكان مجلس النواب من أجل هذا يسوف في إعطاء قراره [في] البتّ بهذه القضية الخطيرة لأن بعض [أرباب الكلمة النافذة] من أعضائه يطمعون في امتلاك هذه الأراضي، مما دل أن الحكومة الفردية العادلة [قد تكون] أقرب إلى العمل المنتج من حكومة [دستورية] يكثر قولها ويقلّ عملها. وقد رأينا ذلك رأي العين في حكومة المشير الزعيم أولاً وفي هذه الحكومة ثانياً، ولولا الهمة التي بذلها رحمه الله في فض بعض المسائل المعلقة لانطوت أعوام إثر أعوام والحكومات النيابية تستبقيها، أو تنحلّ على ما يشاء هواها. هذا وقد أصدرت حكومة الجيش عدة قوانين كان منها ما طرح على رفوف المجلس النيابي أعواماً، فاستحق الثناء.

*Chapitre C68 / dossier 15-28* **فصل م٦٨ / ملف ١٥-٢٨**

# دسائس الصهيونين

يقول صديقي الأستاذ فخري البارودي في مذكراته (مذكرات البارودي) [١١٦] إن ممن أبلغ الخلع للسلطان عبد الحميد الثاني (عمانويل قره صو) زعيم يهود سلانيك،

١١٤. اتّخذ الدستور السوري (سنة ١٩٥٠) مبدأ الإصلاح الزراعي الذي يتضمّن تحديد حجم القطع الزراعية الأميرية وتوزيعها على الفلاحين العاملين فيها وحدّد المرسوم رقم ٥٦ (في كانون الثاني / يناير ١٩٥٢) حجم تلك القطع بخمسين أو مائة وخمسين هكتاراً حسب المناطق.

١١٥. هذا لفظ مستعار من العامية السورية معناه: "استعمل كل الوسائل الممكنة"

١١٦. العنوان الكامل لهذا الكتاب هو: البارودي، فخري، مذكرات البارودي: ستون سنة

وكانت له حادثة تاريخية مع السلطان، طرده على أثرها من القصر. ففي سنة ١٩٠٠ دخل قره صو على السلطان بفضل القرين عارف بك وأبلغه أنه موفد من الجمعية العالمية الصهيونية [١١٧] ليطلب إليه إعطاء تلك الجمعية الأراضي الواقعة في المثلث القائم ما بين يافا وغزة والبحر الميت، مقابل خمسة ملايين ليرة عثمانية ذهبية تدفعها الجمعية الصهيونية هدية إلى الخزينة الخاصة، وعشرين مليوناً تقرضها الجمعية للحكومة دون فائدة لمدة تعينها الحكومة، فقطب [١١٨] السلطان وطرده من حضرته. [١١٩] وعلى الأثر ألف اليهود جمعية سرية أكثر أعضائها من اليهود المعروفين بالدونمة [١٢٠] فاتصلت بأحرار الأتراك ودخل أعضاؤها حزب الاتحاد والترقي، وتعاونوا مع كثيرين من شبان الضباط كأنور ونيازي، وكانت لهم اليد الطولى في الانقلاب العثماني وخلع عبد الحميد. وظل اليهود ذوي نفوذ قوي في [بيئات] الاتحاديين، وكانوا في جملة العناصر التي بثت الفساد في الشعب التركي وفي حكامه (ا هـ).

---

تتكلم، جزءان، دمشق، بيروت، مطابع دار الحياة، ١٩٥١-١٩٥٢. وهناك نصوص شخصية إضافية لفخري البارودي نشرها مركز الوثائق التاريخية بدمشق بعنوان: الحكيم، دعد (إعداد وتحقيق)، أوراق ومذكرات فخري البارودي ١٨٨٧-١٩٦٦، جزءان، دمشق، منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩٩.

١١٧. أسّسها تيودور هرتزل خلال أول مؤتمر صهيوني في بال بسويسرة سنة ١٨٩٧.

١١٨. توجد في "مذكرات البارودي" (ص ٧٧) المصطلح التالي: "غضب" (ولا "قطب").

١١٩. إن عمانوئيل قره صو [Emmanuel Carasso] (١٨٦٢-١٩٣٤) كان قد رأس في سالونيك أوّل خلية ماسونية اسمها مقدونيا ريزورتا [Macedonia Risorta]، استقبل فيها اجتماعات جمعية تركيا الفتاة السرّية التي قامت بانقلاب تموز / يوليو ١٩٠٨ وشكّلت حزب الاتحاد والترقّي. ظلّ قره صو في اتصال مع ذلك الحزب وخاصة مع طلعت باشا وانتُخب نائب سالونيك في البرلمان العثماني وشارك في الوفد الذي أعلن خلعه للسلطان عبد الحميد الثاني في ٢٧ نيسان/ أبريل ١٩٠٩. ولكن، يُعتبر قره صو عند المؤرخين وطنياً عثمانياً معارضاً للمشروع الصهيوني في فلسطين. انظر مراجع الحاشية رقم ٢٧ (في الفصل ٤ من هذه المذكرات، ص٧٩).

١٢٠. إن الدونمة جالية ذات مذهب خاص، تمزج بين الإسلام واليهودية، إذ إن أتباعها من أصل يهودي تبعوا قائدهم صبطاي سيفي [Sabbatai Sevi] في الإسلام سنة ١٦٦٦ ولكنهم حافظوا سرّاً على بعض الطقوس اليهودية. كان مركزهم الأساسي في مدينة سالونيك في العهد العثماني حيث أُعتبروا من المسلمين وشارك بعضهم في حركة تركيا الفتاة، مثل محمد أجاويد بك، الذي أصبح وزيراً للمالية، والدكتور ناظم. منذ طردهم من سالونيك بعد الحرب التركية اليونانية سنة ١٩٢٤ واستقرارهم في اسطنبول وإزمير، اختلطت الدونمة ببقية المسلمين وبدأت جاليتهم تتفكّك شيئاً فشيئاً.

حقائق يؤلم ذكرها ولا بد من ترجيعها ليكون مبدأ ظهور الصهيونية على ذكر منا، ونعرف كيف أطردها عمل دعاتها حتى وفقوا إلى ما وفقوا إليه من تأسيس دولة إسرائيل، واستأثروا بثلاثة أرباع فلسطين على مرأى ومسمع من دول العرب، وهم من أكثر العناصر تأذياً بدعوتهم، اقتطعوا الأرض المقدسة ليملؤوها[١٢١] بمشرديهم. [فقامت] الصهيونيةِ بنشاط أهلها، ورعاية دول الحلفاء أميركا وإنكلترا وفرنسا لها، فأصبحت الدول المجاورة للجمهورية الصهيونية وهي مصر ولبنان وسورية وشرقي الأردن في شر جوار، ولا يدري أحد كيف تنحل هذه المعضلة المعقدة بين الممالك العربية والمملكة الاسرائيلية [١٢٢] الحديثة، وهذه الدول [الكبرى] الثلاث المعاضدة لليهود قولاً وفعلاً.

فصل م٦٩ / ملف ١٥-٢٩ *Chapitre C69 / dossier 15-29*

## مصر وإصلاحها

حمل كتاب في أعقاب الثورة المصرية، لمؤرخ مصر الحديثة الأستاذ عبد الرحمن الرافعي صورة صحيحة من السياسة المصرية والطرق إلى معالجتها،[١٢٣] فمما جاء فيه خلال الكلام على إخراج النقراشي من الوزارة الوفدية،[١٢٤] وتأثير ذلك في الرأي العام، وفي بعض [البيئات] الوفدية، لأنه كان معدوداً بحق من أركان الوفد القويمة، كما أنه موثوق بنزاهته واستقامته. قال وعلى أثر فصله ظلّ فريق من الوفديين مؤيدين له ذاكرين جهاده وماضيه في الحركة الوطنية، واتخذ نادياً له يستقبل فيه مؤيديه،

---

١٢١. في الأصل: ليملأوها

١٢٢. يقصد : الدولة

١٢٣. انظر المرجع التالي : الرافعي، عبد الرحمن، في أعقاب الثورة المصرية، ٣ أجزاء، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٧، ١٩٤٩، ١٩٥١.

١٢٤. في آب / أغسطس ١٩٣٦، استقال محمود فهمي النقراشي من الحكومة الوفدية المصرية، حيث كان قد تولّى منصب وزير الاتصالات، وذلك بعد خصامه مع وزير المالية، مكرم عبيد باشا. أسّس النقراشي فيما بعد الهيئة السعدية (نسبةً لسعد زغلول) مع أحمد ماهر، الذي كان رئيس المجلس النيابي. تختلف هذه الهيئة عن الحزب السعدي، الذي أسّسه حامد الباسل باشا سنة ١٩٣٠.

فما إن ازداد عدد هؤلاء المؤيدين حتى هاجم النادي جماعة القمصان الزرقاء،[١٢٥] وحطموا أثاثه واعتدوا على المجتمعين فيه، فكان هذا الاعتداء مظهراً يؤسف له من مصادرة الحريات، واضطهاد حرية الرأي والعقيدة. إن هذه المسائل من شأنها أن تفسد نظام الحكم وتجعله أداة تغليب المصالح الحزبية والشخصية والعائلية على المصلحة العامة، ولا تقوم في ظل هذا الوضع حياة سياسية سليمة، ولا هو من الدستور في شيء. والسبيل الصحيح إلى إصلاح هذه الحال هو تنوير الشعب وتبصيره وتنبيهه إلى هذا الفساد، وحثه على استنكاره ومقاومته، وإعلان هذا الاستنكار، فإذا تعددت مظاهره وأعلنت طوائف الشعب سخطها على الوزارة لا تلبث أن تسقط بتأثير الرأي العام، وبعبارة أخرى يحسن الرجوع إلى الشعب لكي يتعود المواطنون ممارسة النظام الديمقراطي واختيار حكامه الصالحين، وليس أَدْعى لإصلاح نظام الحكم من تبصير الشعب بمساوئ الحكومة التي تتنكب سبيل الحق والنزاهة والعدل بين المواطنين.

وقال عند الكلام على مصرع الوزيرين [ أحمد ] ماهر والنقراشي : وليس من السهل ظهور رجال كثيرين من طرازهما. إن مواهبهما وصفاتهما وأخلاقهما وماضيهما في الجهاد وحوادث السنين وتجارب الأيام، كل أولئك كان له دخل في تمام تكوينهما، واكتمال رجولتهما وبطولتهما. وقد آلمني وحزّ في نفسي أن يلقى المجاهدان الشهيدان مصرعهما من أيد مصرية، وهما اللذان طالما عرضا حياتهما للخطر، واستهدفا للموت في سبيل مصر والمصريين، فما أقسى تصاريف القدر، وما أقل الوفاء في هذه الدنيا، وما أشد ما يعبث الضلال بالعقول والأفهام.[١٢٦]

إن بلادنا أحوج ما تكون إلى الشجاعة الأدبية وإلى الصدق والإخلاص، والاستقامة والنزاهة. وكانت هذه الصفات مجتمعة في ماهر والنقراشي، فما أعظم مصاب البلاد بفقدهما. إن مصرعهما لخليق بأن يزيدنا بغضاً في اتخاذ القتل ذريعة للتناحر السياسي الداخلي. ولعمري ليس التقاذف بالرصاص سبيل الوعي القومي والنضج السياسي، ولا هو الوسيلة الصالحة لحرب الآراء في المجتمعات المتقدمة. بل هو لا يعدو أن يكون معولاً للهدم، وأداة للفوضى والإجرام [ انتهى ].

١٢٥. في العام ١٩٣٥، أسّس المحامي زهير صبري رابطة الشبّان الوفديين، التي تحوّلت فيما بعد إلى ميليشيا القمصان الزرق.

١٢٦. تمّ اغتيال أحمد ماهر عندما كان رئيساً للوزراء في ٢٤ شباط/فبراير ١٩٤٥ على يد قومي مصري بعد إعلانه دخول مصر في الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء الغربيين (ومن بينهم بريطانيا العظمى مستعمرة مصر). أمّا النقراشي، فقد أُغتيل يوم ٢٨ كانون الأول/ديسمبر ١٩٤٨ بعد منعه جمعية الإخوان المسلمين في مصر.

# استغلال النفوذ

ذكرت لأحد فضلاء المصريين ما أنكرته على حكومة الوفد [١٢٧] من ارتكاب أمور تنافي نزاهة الحكم، [ذلك بترخصها] في حماية الأهل والأنصار وإعطائهم ما يشتهون من مظاهر وأموال واستثناءات [١٢٨] فقال لي إن هذا ما يتعمده الوفد لأنه يرى في الإفضال على من خدموه وخدموا الوطن بأرواحهم وأموالهم شيئاً من التعويض عليهم عما فقدوه مدة سجنهم وإقصائهم عن أعمالهم. و[عندي أنه] كان الأولى أن يعمد إلى غير هذه الطريق في إكرام من عرفوا فيهم الإخلاص الوطني. وهاك ما قاله مؤرخ مصر الحديثة صديقي عبد الرحمن الرافعي في هذا المعنى تحت عنوان استغلال النفوذ والصفقات المريبة: واتسم حكم الوفد باستغلال زعمائه وأشياعه نفوذهم في الحكومة للإثراء غير المشروع وقد ظهر الثراء الفاحش على المحظوظين والمقربين وعائلاتهم وذويهم. وصار عمل معظم شيوخ الوفد ونوابه بعد أن نبذوا واجبهم الدستوري في الرقابة على الحكومة هو الوساطة لأنفسهم أو لمن يلتمسون عندهم النفع لعقد الصفقات المريبة، والتصرفات غير السليمة، في مختلف فروع الحكومة. وغالباً ما تكون هذه الوساطات مقابل جُعل من المال. وصارت هذه الوسائل غير المشروعة مألوفة في الكثير من المناطق الانتخابية، حتى صارت منازل كثيرين من الشيوخ والنواب أو مكاتبهم مراكز للوساطات المأجورة، وفي هذا ما فيه من إفساد لأداة الحكم، وتقويض لصرح الاستقامة والنزاهة.

[قال] وامتد استغلال النفوذ إلى المعاملات التجارية الكبرى، فحدث تلاعب كبير في سوق القطن اشترك فيه بعض المتصلين برئيس الوزراء والوزراء، وتكشفت أساليب هذا التلاعب لرجال البورصة من وطنيين وأجانب، وصارت أحاديث الناس في مجالسهم، وموضع أسفهم وسخطهم، إذ رأوا بعض المتلاعبين يثرون إثراءً فاحشاً غير مشروع، على حساب الطبقة المتوسطة من المنتجين والتجار... وانغمس المحظوظون من الوفديين وغيرهم في صفقات التموين والمقاولات والتوريدات والمشتريات والاستيراد والتصدير والاستئجار والتأجير والبيع والشراء واغتصاب أموال الحكومة وما إلى ذلك،

---

١٢٧. استمرت آخر حكومة وفدية برياسة نحاس باشا، بين كانون الثاني / يناير ١٩٥٠ وشباط / فبراير ١٩٥٢.

١٢٨. في الأصل: استثناآت

[ ورأوا ] من معاونة الحكومة لهم ما سهل لهم الاستحواذ على هذه المغانم أو المشاركة فيها بأسماء مستعارة حتى كأن الحكومة صارت مغنماً لهؤلاء القوم يدر عليهم المال من غير حله.

فصل م٧١ / ملف ١٥-٣١ *Chapitre C71 / dossier 15-31*

## عادة القتال

في كتاب (الحركات في لبنان) [١٢٩] أن أسلاف (الدروز) أهل ذلك العصر كانوا ذوي ولع وغرام بالحرب والقتال، ولأخف مسألة كنت تراهم يتقلدون العدد، فيخوضون الأهوال، ويوقدون نيران الفتنة والقتال، حتى أنك ترى تاريخ لبنان الحديث أشبه برواية حماسية، وسلسلة حروب أهلية آخذ بعضها برقاب بعض، ومتصل منتهى الأولى بمبتدأ الأخرى وهلم جراً (ا هـ). وهذا الرأي يصدق على الدروز في كل مكان حلوا فيه من الديار الشامية، فكان جهلتهم دعاة فتن دائمة بين الدروز وجيرانهم من أهل السنة والشيعة والمسيحيين وكان الدروز إلى عهد قريب إن لم يقتلوا غيرهم يقتلون أنفسهم كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله ولما منّ الله على بلادنا بنعمة التعلم بطلت هذه العادات الوحشية وأصبح الدروز وسائر الطوائف من إخوانهم السنيين والشيعيين وغيرهم إخواناً يتحابون ويتآلفون وكذلك مع سائر الطوائف النصرانية.

فصل م٧٢ / ملف ١٥-٣٢ *Chapitre C72 / dossier 15-32*

## قصص المنفلوطي

لم يكتب لكاتب معاصر أن راجت قصصه بين قراء العربية رواج كتب الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي [ رحمه الله ] وهي على جزالة أسلوبها وجميل بيانها، تحمل

---

١٢٩ . مؤلفه يوسف خطار أبو شقرا وناشره عارف أبو شقرا (للمؤلف).

العنوان الكامل هو: أبو شقرا، يوسف خطار، الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية، وهي شهادة درزية صريحة في مخطوطة تلم في حوادث لبنان، بيروت، مطبعة الاتحاد، ١٩٥٢.

أفكاراً أضرت بعقول الناشئة من البنين والبنات. وما كانت هذه الروايات من بنات أفكاره بل [منها ما كان من] تأليف بعض الروائيين الغربيين، نقلت للمؤلف فصاغها في قالب عربي، وتأنق في ألفاظها وتراكيبها. ومعظم القصص التي كتبها تدور على التشاؤم والتبرم بالحياة، وما كان قصد المؤلف على ما [يتراءى] إلا تسلية الجمهور، فجاء بأفكار غريبة [سمت] النفوس الغضة. ذلك لأن هذا الضرب من القصص ما كان يخلص منه تاليه إلا إلى مواطن اليأس من الحياة، والقنوط من النجاح، والتراخي في العمل المنتج، وتبلبل الأفكار وكثرة السويداء، والناشئة بحاجة إلى من يدلهم على طريق السعادة وأسباب العمل، لا إلى من يضعف نفوسها، وإلى من يحبب إليها الحياة لا إلى من يبغضها إليها ويزهدها فيها. هذا بالإجمال ما فهمناه من كتب المنفلوطي جرى قلمه بما كان في قرارة نفسه، وما أورثت بعض النفوس إلا ضرراً وكدراً. ولنا أن نزعم أن ضرر كتبه اليوم كضرر كتب التصوف والزهد بالأمس، هذه تزهد في الدنيا وتلك تزهد في الدين والدنيا، ومعظمها مما اختلقه واضعوه فأدى إلى عدم المبالاة بقوانين الحياة، [وإلى الزهد] في طلب الكمال على النحو الذي سارت عليه المجتمعات، وتسير عليه إلى قيام الساعة.

فصل م٧٣ / ملف ١٥-٣٣ *Chapitre C73 / dossier 15-33*

## قضاة العدل

أكد بعض المفكرين أن أرباب النزاهة من رجال القضاء الشرعي أصبحوا أكثر عدداً ممن كانوا يتولون الأحكام قبل عشرين أو ثلاثين سنة مثلاً، والسبب فيه أن هذه الطبقة الجديدة أخذت تدرس علوم الشريعة على الأصول، وكان من سبقهم لا يدرسونها ولا يتخرجون بأعاظم الفقهاء تخرجاً صحيحاً، والقضاء كان في نظرهم لإملاء الجيوب والتصدر في المجالس. إن الإقبال على العلوم الشرعية أضعف مما كان عليه في القرن الماضي، والقلائل [الذين] ينصرفون [اليوم] إلى هذا الأمر أرقى من كثير ممن كانوا يعدون من كبار المدرسين، وقد تجلى اقتدار القضاة المدنيين عندما وسد إليهم النظر في الأحكام المدنية والشخصية بما له اتصال بالشرع الإسلامي فكانوا أرقى من القضاة الذين ادعوا تحصيل الشريعة، ولما مارسوا القضاء فيها ظهر عجزهم وقلة

أمانتهم. والعامل الأكبر في ارتقاء القضاء واستقامة القضاة أن طرز التعليم اليوم أمتن من طرازه أمس، وصاحب الشهادة القانونية أدرك على الإطلاق بعلمه وتفكيره ممن أخذ من مدرسين، كانوا في الزمن السالف على جهالة في الأكثر.

فصل م٧٤/ ملف ١٥-٣٤ *Chapitre C74 / dossier 15-34*

## قانون هندي

أقرت حكومة الهندستان قانوناً نافعاً جداً حبذا لو جرى العمل به في البلاد العربية، وذلك بألا يملك الفرد من الأرض أكثر من مئة فدان، ويشترط في مالكها أن يكون قائماً على أرضه، يزرعها ويتعهدها بنفسه، لا مورد له غير غلتها، وألا يجوز له أن يتولى النيابة ولا الحكم. [تقول مجلة السنة السياسية والاقتصادية: كانت الأرض في الهند ملك الدولة وجعلت في العهد الأخير ملكاً لأوباشها وكان بعضهم قبل النظام الجديد يؤجر أرضه بمليون وربع مليون دولار ويملك بعضهم ٢٥٠٠ ميل مربع من الأرض أي نحو ثلث مساحة الأرض الزراعية في مصر.] [١٣٠] بالأمس حررت الهند النساء من رق العبودية، واليوم تحرر الرجال من الفقر، فتوزع عليهم الأرضين [من طريق] التوقيع في الملكية الصغيرة. وهذا ما تم بفضل الاستقلال الذي أخذت الهند تتمتع به منذ نحو خمس سنوات تعمل كل ما يلائم مصلحتها ويبقي على حياة رعاياها. وكان ذلك ممنوعاً عليها في حكم الاستعمار.

فصل م٧٥/ ملف ١٥-٣٥ *Chapitre C75 / dossier 15-35*

## الصحف الفرنسية

قرأت في مجلة افرنسية باريزية رصينة أن هتلر الألماني رشا الصحافة الفرنسية إلا قليلاً سنة ١٩٣٨ لتلقي في روع الفرنسيس أن الدب الروسي تهيأ لافتراس فرنسا. وما

---

١٣٠. هذا المقطع لحاشية بخط يد الكاتب أضافها في الأصل على ظهر الصفحة تحت الرقم ٥٥.

أفحش هذه الخيانة [ وما أصعب إلقاءها ] مع [ دعوى ] الوطنية. كنا نسمع أن الصحافة الفرنسية تغتذي بأموال بريطانيا العظمى، أما أن ترتشي من الألمان لتزين المجال لأمتها [ فهذا لا نستغربه ]. الصحافة الغربية ترتشي في تكتم، وخيانة جرائد الفرنسيس مفضوحة على الأكثر تنادي العارفين. كاد المريب يقول خذوني.

*Chapitre C76 / dossier 15-36* **فصل م٧٦ / ملف ١٥-٣٦**

## [ مدينة سعيدة ]

تعد ( كين )، وهي من أهم مدن تكساس، [ في الولايات المتحدة ] ثمانين ألف نفس، [131] كلهم من المجيئيين ( السبتيين ). لا تجد في هذه المدينة مقهى أو مرقصاً أو داراً للسينما وهي تجهل كل الجهل ما يعرضه اللحام أو بائع الطيور للبيع لأن شعبها لا يشرب غير الماء ولا يأكل غير الخضار. فالقهوة والمشروبات الروحية، واللحوم، والدخان والاستمتاع بالموسيقى كل هذه أشياء محرمة عندهم. [ فكين ] هي المدينة التي لا تعرف الخطيئة. إن الحركة الرياضية نفسها تصطدم [ في كين ] بحواجز جمة. [ فسلطاتهم ] لا تسمح بغير لعبة الـ Croquet ، وهذا النوع من الرياضة لا يباح لغير الشباب وخلال ساعة واحدة يوم الأحد.

إن هذا النظام [ الشديد ] الذي لا نجد له مثيلاً، [ في القسوة ]، حتى في الأديرة، [ من ابتداع ] جماعة السبتيين. فالثمانون ألف نفس هم من أبناء هذه الشيعة التي أسسها في مطلع القرن التاسع عشر، وليم ميللر.[132] [ يعتقد ] أتباعها بمجيء المسيح ثانية إلى الأرض. وعلى هذا الرجاء يعيشون عيشة مثلى [ من غير ] أن يكونوا بحاجة إلى قاض يحتكمون إليه وإلى شرطي يحفظ الأمن في مدينتهم هذه.

---

١٣١. يسكنها اليوم ٥٠٠٠ نسمة تقريباً ( حسب إحصائيات سنة ٢٠٠٠ ). أسّست فيها الكنيسة المجيئية جامعة سنة ١٨٩٣، تضم اليوم ١٠٠٠ طالباً تقريباً.

١٣٢. وليم ميللر [William Miller] ( ١٧٨٢-١٨٤٩ ): مبشّر معمداني ومؤسّس المذهب المجيئي في الولايات المتحدة وكان يتنبأ برجوع المسيح سنة ١٨٤٣. استمر مذهبه، رغم خطئه، وتوسّع إلى أن بلغ عدد المجيئيين السبتيين في العالم ما يقرب ٩ ملايين اليوم.

إنه لم يسجل في وقائع هذا البلد سوى حادث واحد وقع منذ خمس وستين سنة، وذلك أن نجاراً فقير الحال [أُصيب بمسّ] في عقله فأقدم على سرقة لوح من الخشب من إحدى المناشر. فكان عقابه الحجر عليه.

إن نساء كين على اختلاف أعمارهن لا يعرفن التجميل أو التزيين والتبرج، ورجالها لا يلعبون بالورق ولا بالدومينو. إنهم يشتغلون ويصلون فقط. فهم يجهلون كل لهو حتى بهرجة الاحتفال بعيدي الميلاد ورأس السنة. وأما ما يهمهم من الراديو فهو الاستماع إلى [المهمّ عن] النشرات الاقتصادية.

وعلى الرغم من كل هذا فعدد سكان هذه المدينة يتصاعد كل سنة. فليس من يفكر بتركها ليعيش في بلد آخر. وهذا الولاء أو التمسك بمثل هذا النوع الغريب من الحياة، لم يخلق في البدء خلقاً مع مدينة كين [التي] تجهل أنواع المسرات وتعيش [بلا] خطيئة. [هذا ما قالته صحيفة افرنسية، ألا تعد هذه الطائفة من غرائب أميركا بل من غرائب الأرض أيضاً على أن المرء قد يسعد أيضاً بنزع قيود المدينة ومصطلحاتها.][١٣٣]

---

١٣٣. كُتب هذا المقطع بخط اليد على أسفل الصفحة.

*Chapitre C77 / dossier 16-1* فصل م٧٧ / ملف ١٦-١

# مراسلو الصحف

توسطت آنسة لبنانية أحد أعزائي لتزورني وتصورني وتحثني عن أمور تنقلها عني إلى مجلة أدبية تؤازرها فامتنعت من إجابة طلبها وذكرت لها أن سبب امتناعي قلة أمانة الصحافيين ونسبتهم إليّ أحياناً أشياء ما جالت في خاطري، فلم أر بعد طول الابتلاء بهم أحسن من صدهم عني. وآخر هذه الأحاديث حديث لإحدى الجرائد اليومية نسبت إليّ مطاعن في صديقي العلامة عباس محمود العقاد وقوّلتني أقوالاً في هذا العظيم لم أقلها ولا أقولها وأنا المعجب بما كتب ونشر، والقائل بأن تآليفه من الدعائم في النهضة العربية. فهل أطمئن بعد الذي رأيت لمن يبدل كلامي ولا يتحرج من الزيادة عليه أو الحذف منه. وختمت حديثي بأن وقتي لا يتسع لأصحح ما يقع فيه أرباب الصحف من الغلط عامدين أو غير عامدين. ومن أصعب الأمور على النفس تحمل تهمة تضر بك ولا تجني منها فائدة.

*Chapitre C78 / dossier 16-2* فصل م٧٨ / ملف ١٦-٢

# خلل في التقدير

جاء في تقرير معهد التربية الدولي أن عدد الطلاب الأجانب في الولايات المتحدة يبلغ ( ٣١ ) ألفاً منهم ( ١٢٥ ) من سورية و( ١٤٧ ) من لبنان و( ٢٩ ) من الأردن و( ١٧ ) طالباً من المملكة العربية السعودية. وهذا يناقض ما بالغ فيه بعضهم من تقدير طلاب الحجازيين والنجديين في جامعات الغرب. وما هذه أول مرة سجلت فيها علينا المبالغات الفاحشة في تقدير الأرقام، ولا هذه أول مرة تغش دولة نفسها وشعبها كما يغش الأفراد أنفسهم وأُمتهم. وعندنا أن ( ١٧ ) طالباً سعودياً لا يغنون ذينك القطرين الغناء المطلوب هذا إذا فرضنا أنهم تعلموا كلهم وكانوا على أفضل ذكاء. وعلى هذا ستظل الحكومة السعودية بحاجة إلى الغرباء حتى في الوظائف العادية، والبلد لا يطلق عليه اسم الرقي إلا إذا كثر تلقف العلم العالي بين أبنائه.

فصل م٧٩ / ملف ١٦-٣ *Chapitre C79 / dossier 16-3*

## الوزير المحامي

قالوا إن من علائم انحطاط الأُمم الحديثة أن يكثر المحامون في مجالسها النيابية ويقل رجال المال والأعمال ومثلوا لذلك بفرنسا وإن نحو نصف نوابها من رجال المحاماة [ يخوضون ] في المفيد وغير المفيد وربما قادوا أُمتهم بعبثهم ومناقشاتهم إلى ما لا يلائم مصلحتها. أهداني الأستاذ فتح الله الصقال المحامي الحلبي نسخة من ذكرياته في حكومة المشير حسني الزعيم،[١٣٥] وكان تولى فيها وزارة الأشغال العامة أربعة أشهر. فألفيته كتاباً [ كتب ] بأسلوب خطابي قد [ يغتفر ] في المحاكم ولا يغتفر في الكتب، وما خلته يقصد مما دون إلا مدح نفسه [ وبعض الظنّ إثم ] ساغ القول إنه كان إلى أخلاق المحامين أقرب منه إلى أخلاق الوزراء. وفي الفصل الذي سماه ( عواطف الأصدقاء والأنصار ) ونشر فيه رسائل في التهنئة بمنصبه [ ومصداق ما يُكنّاه ]. واستفدنا مما دُوِّن أنه كانت غاية أمانيه أن تتبادل سورية مع دولة الفاتيكان التمثيل السياسي ( ومساحة هذه الدولة العظيمة ٤٤ هكتاراً وسكانها خمسمائة شخص معظمهم من رجال الدين )!

فصل م٨٠ / ملف ١٦-٤ *Chapitre C80 / dossier 16-4*

## خلق عجيب

ذكرت جريدة المصري أن الأستاذ أحمد أمين والدكتور طه حسين كانا صديقين وزميلين في الجامعة وفي لجنة التأليف والترجمة والنشر [١٣٦] وغيرهما ففرقت بينهما أحوال فانتقل أحمد أمين من صداقة طه حسين إلى صداقة عبد الرزاق السنهوري

---

١٣٥ . انظر هذا المرجع : صقال، فتح الله ميخائيل ( المحامي )، من ذكريات في حكومة الزعيم حسني الزعيم، خواطر وآراء، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٢ . وللكاتب نفسه ذكريات أخرى نشرها سنة ١٩٦٠ بعنوان : صقال، فتح الله ( المحامي )، ثلاثون سنة في خدمة الإحسان ( ١٩٢٩-١٩٥٩ )، هدية مجلة الكلمة لقرائها، حلب، مطبعة الضاد، ١٩٦٠ .

١٣٦ . قدمت هذه اللجنة بإشراف أحمد أمين أكثر من ٢٠٠ كتاب مطبوع كما أنشأت سنة ١٩٣٩ مجلة "الثقافة" التي استمرت ١٤ عاماً.

وتوطدت العلائق بين الصديقين الجديدين واشتركا في ابتياع عزبة. ولما كان أحمد أمين يحب الاشتراك [ دائماً ] حتى في تأليف الكتب، ومن النادر أن تجد له كتاباً ألفه وحده، كانت أغلبية كتبه مما كتبه بالاشتراك مع غيره من العلماء الكبار والصغار على السواء، اشترك مع أستاذ آخر في تأليف كتاب سماه (قصة الفلسفة اليونانية) [١٣٧] قال فيه إن أحد فلاسفة الإغريق ألف كتاباً سماه "المدفع"، ودهش القراء لأن الفيلسوف الإغريقي وضع كتابه قبل اختراع المدفع بألف عام، وبعد البحث والتحري تبين أن كلمة "مدفع" ترجمة [ خاطئة ] لكلمة فرنجية معناها الصحيح "القانون" وتطوع أبناء الحلال فنبهوا الأُستاذين إلى هذا الخطأ [ فصححاه في ] الطبعة الثانية وعفا الله عما سلف. قال الكاتب وكان أحمد أمين يدرس لطلبة الليسانس بكلية الآداب تفسير القرآن الكريم ـ وكان من عادتي أن أنام في المحاضرات بين الحين والحين فلما أفقت خلال المحاضرة وكانت في تفسير النصوص الخاصة بقصة نوح عليه السلام، سمعت أحمد أمين يتلو الآية الكريمة (يا بني اركب معنا). [١٣٨] ثم صمت برهة وقال [ يشرح ] الآية : يعني : "تعال يا ابني اركب معانا"، فلم أجد بداً من مواصلة النوم (ا هـ).

يوم قلنا لأحمد أمين إنه ضعيف في الفلسفة ثم أثبتنا له أنه لا يعرف التاريخ والسياسة طعن فينا لأن حضرته لا يرضيه إلا من يصانعه ويقول له إنه يعلم علوم الأولين والآخرين. ولهذا كان يطمع أبداً أن يكون كاتباً محاضراً فيلسوفاً مفسراً لغوياً فقيهاً أُصولياً أدبياً سياسياً مؤرخاً مترجماً إلى آخره، وما أكثر من الكتاب فيما يتقن وما لا يتقن إلا لأنه من أعظم الطامعين في جمع المال، أتى عليه زمن وهو يتولى ستة أعمال في آن واحد، ويحاول أن يضيف إليها عملاً سابعاً.

[ وأكد العارفون ممن كانت عشرتهم لأحمد أمين أنه شعوبي يكره العرب ويفضل عليهم العجم ونحن لا نشاطرهم هذا الرأي بل نرى أنه طالب شهرة وطالب مال فقد رأيناه في بعض السنين يعرض على مجمع فؤاد الأول للغة العربية مقترحاً يوازي بسخفه اقتراح من قال باتخاذ الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية. [١٣٩] واقتراحه هذا يدكّ اللغة العربية من أساسها وخلاصته أن اللغة العربية واسعة سعة عظيمة أكثر من اللازم في بعض المواضع ضعيفة ضعفاً شديداً أكثر من اللازم في مواضع أُخرى فالأولى حذف الحوشي في الكلمات وحذف المترادفات وحذف الأضداد وإبطال المذكر

١٣٧. انظر : أمين، أحمد، ومحمود، زكي نجيب، قصة الفلسفة اليونانية، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥.

١٣٨. القرآن الكريم : [ ١١ /هود : ٤٢ ]

١٣٩. انظر الفصل م٤٠، ص١٥١[ ٤ ]، والهامش رقم ٧٩ من نفس الصفحة.

والمؤنث بحسب ذوقنا كما أراد إبطال أبواب المتعدي واللازم وباب العدد والمصادر وجموع التكسير.[١٤٠] إلى أنه يحاول إنشاء لغة جديدة وقضى أن يفتح للمشتغلين باللغة باب الاجتهاد على مصراعيه لأن اللغة ملكنا ولسنا ملكها ونحن أحرار أن نتصرف فيها تصرف المالك بملكه يهدّمه ويرممه ويزينه ويبيعه إلى آخر هذيانه فرد المجمع هذا المقترح وخاب طالب الشهرة كما نسميه أو شعوبي هذا العصر كما دعاه غيرنا.] [١٤١]

فصل م٨١/ ملف ١٦-٥ *Chapitre C81 / dossier 16-5*

## شاهد الزور والإفتاء

قال لي أحد كبار الأغنياء كنت في الثانية عشرة من عمري لما وصلني جدي بأحد المحامين لأتعلم عنده ما ينفعني من القوانين في إدارة أملاكنا، فكنت أحمل لأستاذي حقيبة أوراقه ساعة ذهابه إلى المحكمة وكنا ذات يوم على بابها فشاهد أستاذي رجلاً عجوزاً من المشايخ فقال له كالمستهزئ: أنت يا شيخ تشهد على موكلي. فأجابه: يا سيدي أنا أشهد له. فأدخل المحامي يده إلى جيبه ودفع إليه ريالاً، فشهد لمن جاء يشهد عليه. ومات مفتي الحاضرة بعد حين فقام هذا الرجل الذي شهد الزور بريال قبضه، يرشح نفسه لمنصب الإفتاء فعمل محضراً وسعى لأن يوقع عليه الأعيان والمشايخ، وانتهى به المطاف إلى أحد الوجوه يسأله أن يوقع له محضره، فاعتذر إليه بأنه سبق له أن وقَّع لمرشح آخر، ولا يجوز أن يشهد لرجلين. فألح طالب التوقيع على الوجيه، وهذا يعتذر ويقول إنه لا يوقع لشخصين، والمرشح [نفسه] يزيد في إلحاحه. فلما ضاق صدر صاحب الدار نادى خادمه [أن يأتيه] بالطباعة ليختم للطالب محضره، وتناول عضوه وغمسه في الحبر وطبع به محضر من عجزه وأزعجه، فدهش الملحاح لما شاهد. واشتهرت هذه الوقعة بين أَهل البلد وأَخذوا يرددونها ويضحكون، وإلى اليوم يقولون في معرض الاستهزاء فلان بخاتم الباشا فلان.

١٤٠. للاطلاع على تفاصيل تلك الاقتراحات، انظر المقالتين التاليتين لأحمد أمين: "اقتراح ببعض الإصلاح في متن اللغة" في مجلة مجمع اللغة العربية، المجلد ٦، ص ٨٧–٩٢، و"جمع اللغة العربية" في المجلة نفسها، المجلد ٨، ص ٢٠٩–٢١٣.

١٤١. هذا المقطع لحاشية أضافها الكاتب بخط يده على ظهر الصفحة تحت الرقم ٢٢.

Chapitre C82 / dossier 17-1

فصل م٨٢ / ملف ١٧-١

# حيد رآباد الدكان

تنشر لجنة تحرير حيدر آباد الدكان في باريز نشرة باللغة الفرنسية تلم فيها بأخبار هذه الإمارة التي ضمتها إليها حكومة الهند الجديدة، ومما جاء في نشرتها الأخيرة أن حكومة حيدر آباد كانت مثال الحكومات الراقية في العالم، وأنها عُنيت بخدمة العلوم، وأحيت من الأسفار (العربية) الشيء الكثير على ما تشهد لها به المجامع العلمية في العالم، وأنها مملكة توازي مساحتها مساحة إيطاليا وكانت [مبلغ] حدودها ثلاثة آلاف كيلومتر وجيشها من السيخيين وأنها كانت أهدأ مملكة في الدنيا تملكها أسرة النظام منذ ٢٢٩ سنة وهي مستقلة منذ زهاء ستة قرون.

وهنا نعود ونشير إلى الثروة العظيمة التي جمعها النظام صاحب تلك المملكة فأصبح أغنى غني في الأرض وقدرت ثروته بأربعمائة مليون جنيه ذهبي، ولم يستمع لمن نصحوا له في توظيفها فيما ينفع المسلمين وذاك قبل أن يجرف مملكته تيار سياسة الهند الجديدة، وقيل إن الهند ردت عليه أمواله وقيل إنها اقترضتها منه لمدة.

Chapitre C83 / dossier 17-2

فصل م٨٣ / ملف ١٧-٢

# جهل بيروت

في كتاب بيروت ولبنان قبل قرن ونصف القرن [١٤٢] أن الثقافة في بيروت قبل نحو ١٥٠ سنة كانتْ من الصعب تنميتها وجعلها في متناول جميع الناس وأنها محرومة الجرائد لا يذاع ولا ينشر فيها شيء ولا تجد شخصاً واحداً يتعاطى الكتابة ولو على سبيل التسلية، والقصاصون الذين يتولون كل مساء خلال ساعة تسلية

١٤٢. انظر المرجع التالي : غيز، هنري، بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن، تعريب مارون عبود، جزءان، بيروت، دار المكشوف (مباحث أجنبية في تاريخ لبنان)، ١٩٤٩/١٩٥٠. وهو كتاب لقنصل فرنسي في لبنان في منتصف القرن التاسع عشر، نشر للمرة الأولى سنة ١٨٤٧، وأُعيد طبعه باللغة الفرنسية بعنوان :
GUYS, Henri, *Beyrouth et le Liban*, 2 tomes, Beyrouth, Dar Lahad Khater (Voyageurs d'Orient, IV), 1985.

عاطلي المقاهي يستقون معلوماتهم القصصية من مخطوطات بالية مبتذلة. [هكذا] كانت بيروت في القرن الماضي وقد أصبحت في خمسين سنة مدينة علم يهبط إليها الجاهلون ليتلقفوا المعارف من معينها العذب فسبحان مبدل الضعف بالقوة والجهل بالعلم والفقر بالغنى.

فصل م٨٤ / ملف ١٧-٣ *Chapitre C84 / dossier 17-3*

## دعاة الأديان

أجمع العارفون أن المبشرين بالنصرانية وفقوا إلى نشر دعوتهم في الصين والهند واليابان وفي أقطار بعيدة في إفريقية وأخفقوا كل الإخفاق في الديار الإسلامية فلم يستطيعوا تنصير [المسلمين]. ومعلوم أنه لم يكن أثر للبرتستانتية في الشام منذ نحو قرن فبالدعاية المنظمة أصبحت طائفة البرتستانت فيها تعد بعشرات الألوف نقلوهم من الطوائف البابوية والأرثوذكسية بأساليب لهم جودوا استعمالها ومنها استمالة النفوس بالمال أو بالإقناع والإرشاد فكان لدعاة المذهب الجديد ما أرادوه من نشر دعوتهم على ما أصابها لأول أمرها من المعارضة الشديدة. حقاً أن غيرة رجال الكثلكة والبرتستانتية على نشر مذهبهما مما يدعوا إلى الإعجاب. ومن أهل الإسلام والنصارى من لا يخرج من دينه إلى دين آخر بل يلحد ويطلق الأديان السماوية كلها. والشيعة يزيد عددهم بالدعاية وأهل السنة لا يحفلون بالدعوة لمذهبهم وهو ينتشر في الأقطار بطبيعته فقط.

فصل م٨٥ / ملف ١٧-٤ *Chapitre C85 / dossier 17-4*

## استعمار مراكش

وصف الأستاذ علال الفاسي الزعيم المراكشي في رسالته (السياسة البربرية في مراكش) الأحابيل التي عمدت إليها فرنسا لتنصير المسلمين في المغرب الأقصى قال: سار الرهبان يؤسسون في شواهق الجبال المراكشية الكثير من الكنائس والتكايا

والمدارس والمستشفيات، تجود عليها الحماية من ميزانية الدولة بكل وسائل المساعدة المادية والأدبية، على حين تحارب المساجد والزوايا وتقاوم العلماء والفقهاء وتمنعهم حتى من التجول في المناطق التي تسميها بمناطق البربر لتفسح المجال للأولين وتمنع الآخرين من مقاومة تنصير المسلمين. وقد بلغ عدد مراكز التبشير الكاثوليكي سنة ١٩٣٣ ما يربو على ١٣٨ مركزاً يعمل فيها نحو ٣٠٠ عضو تحت قيادة الأُسقفية الكاثوليكية بالرباط. وأقفلت السلطة كثيراً من المساجد والكتاتيب القرآنية، وساعد الاستعمار الفلاحي الرسمي على استيلاء المستعمرين الفرنسيين على مئات الآلاف من الفدادين بما كانت تشتمل عليه من مساجد وأضرحة وكتاتيب فانقلبت كلها إلى مرابط حيوانات ومراعي خنازير. قال إن فرنسا استطاعت بمرسوم ١٦ أيار ١٩٣٠ وهو الذي اشتهر بالظهير البربري، أن تفصل كل القبائل التي تعدها ذات عرق بربري عن حظيرة المحاكم الإسلامية. [١٤٣] وهكذا أصبح ما يربو على مليون ونصف من المسلمين المراكشيين يخضعون رغم إرادتهم لمحاكم تقضي بقوانين جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان. وفي هذا القانون تعتبر الزوجة والبنات وكل الإناث من الشيء الموروث وتنتقل تركة المرأة المتوفى عنها ـ إذا توفيت ولم تعقب ذكوراً ـ إلى ورثة زوجها الذي[١٤٤] مات قبلها. ويستوجب الزنا بالبكر أو المتزوجة أداء تعويض قدره خمسون ريالاً وجعلت دية القتيل ثلاثمائة ريال إن كان ذكراً ومئة وخمسين ريالاً إن كانت أنثى. واستشهد الزعيم المشار إليه بمقطع من منشور الماريشال ليوتي جاء فيه : (ليس من حقنا قبل كل شيء أن نعلم اللغة العربية لأن اللغة العربية من عوامل الإسلام فهي لغة القرآن وتقضي مصلحتنا بأن يتطور البربر خارج نطاق الإسلام أما فيما يتعلق باللغة فيجب أن تنتقل من البربرية إلى الفرنسية ولذلك يجب أن يكون عندنا متبربرون ولا بدّ لضباط الشؤون الأهلية أن يتعلموا لهجات البربر). هذا عمل فرنسا في تنصير المسلمين

---

١٤٣ . وقّع السلطان محمد بن يوسف (محمد الخامس فيما بعد) هذا المرسوم وأعلنه المقيم العام الفرنسي لوسيان سانت [Lucien Saint] (١٨٦٧ - ١٩٣٨): عُرف بالظهير البربري لأنّه كان ينقل بعض الاختصاصات العدلية الميدانية من المحاكم الشرعية التابعة للمخزن المغربي إلى المحاكم العرفية التابعة للقبائل البربرية في المناطق التي استسلمت للحماية الفرنسية. أمّا الاختصاصات الجنائية في تلك المناطق، فقد انتقلت إلى المحاكم الفرنسية، وفقاً للمادة رقم ٦ من هذا الظهير. ثار العالم الإسلامي بعد إعلان ذلك الظهير بفضل حملة إعلامية كان شكيب أرسلان ومحب الدين الخطيب من أبرز قادتها، ممّا أدّى إلى إلغاء المادة المذكورة وإعلان ظهير جديد في ٨ نيسان/أبريل ١٩٣٤.

١٤٤ . في الأصل: التي.

وهذا عمل ليوتي أمثل رجال الاستعمار في الفرنسيس يحاول علناً أن يخرج العرب عن حجر لغتهم وحظيرة دينهم ليكون منهم أعوان للمستعمر أو يكونوا على دينه مباشرة، وهكذا جرت فرنسا الحرة لتنصير المسلمين وهي تدعي أنها لا تقول بالنصرانية [وتتناغى بحرية الأديان] وبعد هذا وذاك يقال للمسلمين يجب عليكم أن تحبوا فرنسا صاحبة قانون حقوق الإنسان.

فصل م٨٦ / ملف ١٧-٥ *Chapitre C86 / dossier 17-5*

## إضاعة الوقت

[يتردد] الإنسان بين الإفراط والتفريط: يفرط في الطعام والشراب، وفي الحديث والعبث، وفي العبادة والتقشف، وفي [البغض] والحب، ويفرط حتى في المطالعة والدرس. فيطالع المفيد وغير المفيد وما يلزمه وما لا يلزمه. كنت أظن أن هذا العصر عصر الإخصاء والإخصائيين أي عصر الإتقان والاختصار على ما يحرس الوقوف عليه، وإذا بنا نخوض كل مبحث ونثرثر فيما نعلم وما لا نعلم، ونقاتل في عدة جبهات وعدتنا تافهة وعتادنا قليل. ولو قدر للمرء أن يقتصد من أكله وشربه ومن حديثه وعبثه ومن مجونه وتقواه لتوفر له من ذلك وقت عظيم يصرفه فيما هو أعود عليه وأجدى.

وما زلت ألوم نفسي لصرف بعض وقتي في مطالعة ما لا يفيدني في عملي، وما يحملني على ذلك إلا الإفراط في حب الاطلاع على كل جديد، ومن الصحف والكتب ما وضع في قالب جذاب يدعوك إلى مطالعته قسراً لأن كتابها، وهو من الإفرنج بالطبع، جهزوها بجهاز يحببها إلى تاليها، وفيها أبداً حيوية متدفقة وفن ماثل لعين كل قارئ.

فصل م٨٧ / ملف ١٧-٦ *Chapitre C87 / dossier 17-6*

## المال المزكى

قصّ عليّ قادم من مصر مُجريات [١٤٥] حريق القاهرة منذ أشهر، ومما قال إن محل السادة صيدناوي (سليم وسمعان) الدمشقيان (عليهما الرحمة) لم يمسه أحد

١٤٥. في الأصل: ما جريات.

بسوء. [١٤٦] فقلت ولا عجب في ذلك فإن مؤسسي هذا المحل العظيم طالما تصدقا على الفقراء من كل الطوائف ووقف على أعمال الخير الوقوف العظيمة ومنها المستشفى الفخم في القاهرة. وما نسي الناس كيف كان هذان المحسنان يفضلان على الفقيرات من المصريات وغيرهن يكسوانهن ويجهزانهن إلى أزواجهن لوجه الله، وأعمالهما في سبيل البر صعب تعدادها. فمثل هذين المحسنين ومن خلفهما من أولادهما لا ينساهم القوم لأن صحيفتهم بيضاء نقية ما هاموا إلا بعمل الخير وما عطفوا إلا على البائسين والمساكين. وفي نجاة محل السادة صيدناوي من الدمار درس يجب ألا ينساه كل من رزق مالاً، وعلى الأغنياء أبداً أن يجعلوا نصب أعينهم حال الفقراء وأن يوقنوا أن لهؤلاء نصيباً من النعمة التي وصلوا إليها.

فصل م٨٨ / ملف ١٧-٧ *Chapitre C88 / dossier 17-7*

# السلم العالمي

أذاع مجلس السلم العالمي الذي انعقد في مدينة أوسلو عاصمة النروج أول نيسان عام ١٩٥٢ نداء دعا فيه إلى إبطال الحرب الجرثومية التي اتهمت الولايات المتحدة الأميركية باستعمالها في حرب كوريا الأخيرة. [١٤٧] وكانت أميركا استعملت القنبلة الذرية في الحرب العالمية الأخيرة في اليابان ودمرت مدينتين من مدنها (هوروشيما ونغازاكي) وقضت على ما كان فيهما من إنسان وحيوان وقتلت مائتي ألف نسمة. [١٤٨]

---

١٤٦. شبّ هذا الحريق في مصر يوم ٢٦ كانون الثاني / يناير ١٩٥٢ ضمن الاشتباكات التي اندلعت بعد هجوم الجيش البريطاني على ثكنة مصرية قُتل خلاله ٥٠ جندياً، فثار المصريون وأحرقوا ٤٧٥ بناء من رموز الاستعمار البريطاني (ومن بينها الفندق شابهرد [Shepherd] الشهير). وردّاً على هذه الاشتباكات، أعلنت الحكومة الوفدية القانون العرفي وقمعت الحركة ممّا أدّى إلى فقدان ثقة الشعب المصري بالحزب الحاكم.

١٤٧. إن هذا النداء أُذيع من مدينة ستوكهولم، عاصمة السويد، يوم ١٩ آذار / مارس ١٩٥٠ وسجّل نجاحاً هائلاً حيث جُمعت بعده عشرات الملايين من التوقيعات. أما في شباط / فبراير ١٩٥٢، فنظمت الألعاب الأولمبية الشتوية في مدينة أوسلو. قد يكن محمد كرد علي مزج بين هاتين الواقعتين في هذا المقطع.

١٤٨. حصل هذان القصفان القاتلان في نهاية الحرب العالمية الثانية (يومي ٦ و ٩ آب / أغسطس ١٩٤٥).

وكانت أميركا أبت أن تبرم الاتفاق الدولي ( ١٧ حزيران ١٩٢٨ ) الذي يحرم استعمال الغازات الخانقة والوسائل الجرثومية فأجازت لنفسها استعمال هذه المهلكات في حرب كوريا الأخيرة.

يطلب مجلس السلم من جميع شعوب العالم أن تضغط على حكوماتها حتى يبرم هذا الاتفاق، ويراعى في كل بلد، وتحترم الشخصية الإنسانية بوقايتها من التقتيل بالجملة، والقضاء على من لهم الحق بالحياة من الأطفال. وكل أحباب السلام في العالم يرجون أميركا أن تحقق ظنونهم فأبت إلا أن تعمد إلى استعمال القوة الجائرة في حرب أعدائها. أتت مدنية أميركا بالمعجزات في خدمة الإنسانية وأتت بهذه المهلكات للقضاء عليها إذا أرادت.

فصل م٨٩ / ملف ١٧-٨ *Chapitre C89 / dossier 17-8*

# مال قذر

في الأمثال الإفرنجية الشائعة ( الربح لا رائحة له ) ذكروا أن أحد القيمين على مقبرة كبيرة سطا على قبور الأتراك لما رحلوا عن بلده فباع أحجارها ورخامها وأرضها، وكان أخذ من مومس مبلغاً من المال جعله الدمنة الأولى في بناء ثروته. وبه وثب من الفقر إلى الغنى وثبة واحدة، وظل يسرق من كل ما تصل يده إليه. وبعض السذج لا يصدقون ما يقال عنه، لاعتياد الناس إكبار صاحب المال، وقلما يسألونه عن السبل التي سار عليها حتى صار إلى ما صار، ومات الرجل وهو قابض بيده على مفتاح صندوقه، لم تؤثر له مأثرة وما عرف بغير السرقة بأساليب له اخترعها ومع هذا يجله عباد المال. [قال أحد النقاد من الغربيين : يطيب لحديث النعمة أن يقر بالطريقة التي سلكها حتى ربح الدينار الأول من ثروته، ولا يجرؤ الثري الجديد أن يقول أي الطرق سلك حتى اكتسب المليون الأول من ماله].

# الكيفية قبل الكمية

ما كانت كثرة الشعوب دليل قوتها أبداً فقد يكون الشعب المهذب القليل أقوى من شعوب كبيرة تعبث فيها الفوضى وقلة النظام ويمزق الجهل كلمتها وهي [على الدوام] مقلقلة لا يعهد لها استقرار، نمثل لذلك بالدانيمركيين والسويسريين والنروجيين [والسويديين] فإنهم على قلة شعوبهم وضيق رقعة بلادهم أثقل في الوزن من الشعوب الضخمة بعدد سكانها واتساع أوطانها.

أخضع الإنكليز الهند لسلطانهم زمناً طويلاً ولم تبلغ جيوشهم إلى آخر أيامهم أكثر من ستين ألف جندي فرضوا بها قوتهم على أربعمائة مليون إنسان، ومحمد علي الكبير اقتطع جانباً من [ملك] الدولة العثمانية بجيش قليل منظم ولم تغن الدولة جيوشها الكثيرة العدد، وابن سعود قام بحفنة من الرجال فأعاد نجد إلى ملك أهله. هذا في العهد الحديث ولذلك أمثلة كثيرة في القديم، فقد كان جيش الإسكندر الذي قضى على دولة الفرس أقل من جيش فارس، وهكذا كان حال البرتقال وإسبانيا فتحتا بلاداً عظيمة جداً بجيوش قليلة العدد، وكان لبعض تلك الأقطار ملوك كإمبراطورية الإنكاس في جنوب أميركا.[١٤٩] ويوم فتح العرب بلاد الأمم التي أرادوا إخضاعها لسلطانهم ونشر كلمة التوحيد فيها كان عدد جيوشهم في كل مكان أقل من عدد جيوش الأقطار التي انثالوا عليها. هكذا كانت حالهم في حروب السند والعجم والعراق والشام ومصر وشمالي إفريقية والأندلس وصقلية والجيش المنظم كالشعب المنظم يتعذر إذلاله.

---

١٤٩. هي إمبراطورية الإنكا: أُسست في بداية القرن الثاني عشر ميلادي واستمرت حتى الغزو الإسباني سنة ١٥٣٢؛ كانت تمتد على مساحة كبيرة بين بوليفيا والبيرو والإكوادور وجزءاً من تشيلي والأرجنتين في أميركا الجنوبية.

فصل م٩١/ ملف ١٧-١٠ *Chapitre C91 / dossier 17-10*

# أبناء الكويت

تُعنى حكومة الكويت بعد أن اغتنت بالنفط الذي يستخرج من أرضها بتعليم بعض أولادها في مدارس فيكتوريا الإنكليزية بالإسكندرية، [١٥٠] واعتماد الكويت في نهضتها على مدارس إنكليزية مما يبشر بالخير في تعليم الناشئة لأن التربية الإنكليزية أرقى أنواع التربية، إلا أن الحكومة التي تنظر إلى مستقبل رعاياها النظر الحكيم تفضل أن تلقن أولادها تربيتهم الأولى في مدارس لها خاصة ثم ترسل من يتخرجون فيها ليخصوا في الجامعات التي تختارها. والكويت لا يعجزها الآن إنشاء مدارس راقية يتولى إدارتها والتعليم فيها جهابذة الأساتذة من العراقيين والشاميين والمصريين فتجمع بذلك بين التربية العربية الإسلامية والتربية الإنكليزية السكسونية.

فصل م٩٢/ ملف ١٧-١١ *Chapitre C92 / dossier 17-11*

# إنصاف العاملين

يقل جداً في الناس من ينصفون أنفسهم، ومن اشتغلوا بالسياسة في هذا الشرق أكثر الطبقات اعتزازاً بأنفسهم واستهانة بحقوق غيرهم، وشهدنا أن من عملوا لمقصد شريف أبعد عن الدعوى وربما لا يسمحون أن يلقوا بالهم إليك إذا حدثتهم عما تم على أيديهم من حسنات. وأعرف من هؤلاء المخلصين الأفذاذ في ديارنا صديقي الأمير أمين أرسلان رحمه الله فإنه خدم القضية العربية بماله وشخصه ولم يمنّ على

---

١٥٠ . أُسّست هذه المدرسة سنة ١٩٠٢ على النموذج البريطاني برعاية القنصل العام الإنكليزي، اللورد كرومر. في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٤٠، في سياق إعلان الحرب العالمية الثانية والقصف الجوّي على الإسكندرية، أُفتتح فرع من هذه المدرسة في القاهرة، في موقع المدرسة الإيطالية في منطقة شبرا. تمّ توطين هاتين المدرستين في العام ١٩٥٦ . انظر المقالة التالية على شبكة الانترنيت : RAAFAT. Samir. « Victoria College : educating the elite. 1902-1956 » (http://www.egy.com/victoria/30-03-96.shtml)

أحد لاعتقاده أنه قام بواجب ووفى ديناً يلزمه قضاؤه. ورأينا بعض أدعياء السياسة يتبجحون بأعمالهم وربما كان أكثرها مما يستحقون عليه اللوم ويحاولون إلى هذا أن يخدعوا قومهم بأنهم تمت على أيديهم عجائب لا يعلم إلا الله ما كانت ممالكهم فيه من البلاء لو لا مساعيهم المحمودة.

ذكرت هذا وأنا أكتب ما قرأته في كتاب الأسرار السياسية [١٥١] من [رسالة] للأستاذ أمين الرافعي الصحافي النزيه يلفت فيه نظر بطل مصر سعد زغلول رحمه الله لما تردده الجرائد والخطباء من اعتبار حركة سنة ١٩١٩ فجر الحركة الوطنية في مصر قائلاً : إن هذا غمط للسابقين في الجهاد الوطني، وإن أرواحهم لتحلق فوق رؤوسنا محتجة آسفة، لذلك أرجو بما آمله فيك من جنوح إلى الحق أن تنصف السابقين في الجهاد. ولما خطب سعد في ذكرى يوم ١٣ نوفمبر قال : لست خالق هذه النهضة كما قال خطباؤكم وشعراؤكم إنما نهضتكم قديمة تبتدئ من عهد محمد علي مؤسس الأسرة المالكة، وللأستاذ جمال الدين الأفغاني فضل فيها، وللمرحوم مصطفى كامل باشا فضل عزيز فيها وللمرحوم محمد فريد بك أيضاً، ونحن لا ننكر على ذي فضل فضله (ا هـ).

أما صعاليك السياسة عندنا فإن منهم من يحاول التشبه بكبار السياسيين كسعد زغلول وهم لا يصلحون لأن يكونوا بعض تلاميذه ويدعون بلا حياء أنهم لو لا [ما أسدوه إلى المصلحة العامة] ما نالت ديارهم استقلالها.

فصل م٩٣/ ملف ١٧-١٢ *Chapitre C93 / dossier 17-12*

## إثبات نسب

ذكرت الصحف المصرية أن نقيب أشراف مصر السيد محمد البيلاوي حمل مع وزير الأوقاف إلى مليكها السابق فاروق حجة أثبت فيها صحة نسبه إلى السلالة النبوية الشريفة ، جاء فيها أنه ابن السيدة نازلي بنت السيدة توفيقة بنت السيد

---

١٥١. كتاب الأسرار السياسية لأبطال الثورة المصرية لصالح علي عيسى السوداني (للمؤلف).

محمد شريف باشا ابن السيد أحمد سعيد ابن السيد محمد الشريف سيدنا ومولانا الإمام بن عبد الله الحسين ابن سيدتنا فاطمة الزهراء بنت سيدنا ومولانا محمد رسول الله المصطفى الأمين بالشهرة والتواتر. وبثبوت هذا النسب إلى السلالة النبوية أصبح يحق [له] استعمال لقب السيد. وأنا عرفت السيد محمد البيلاوي منذ نحو خمسين سنة وأشهد له بالإخلاص العظيم للبيت المالك، وها قد أثبت في آخر أيامه [وهو] مريض مرضاً يقعده عن الحركة، صحة نسب مولاه، أثبت وهو يهدف للتسعين غيرته على الدين وحرصه على الدنيا، ولطالما كان أمثال البيلاوي من المسبحين بحمد الملوك يثبتون الأنساب لمن تطمع أنفسهم إليها، لذلك سرى الشك في الأنساب عامة والسبب فيه المدلسون والموالسون.

فصل م٩٤ / ملف ١٧-١٣ *Chapitre C94 / dossier 17-13*

## كذبة سياسية

في كتاب محاكمات نورمبرغ للزعماء والقواد النازيين تأليف الدكتور جلبرت[١٥٢]: سأل النائب العام ما هي الطوائف التي كانت تقتل حالاً في الجبهة الروسية، فأجاب أُولندروف: كانت الأوامر الصادرة إلينا صريحة وهي تقضي بقتل كل يهودي، مهما كان عمره وجنسه، ثم يقتل كل مفوض شيوعي سياسي يرافق الوحدات العسكرية السوفياتية. فسأله النائب العام: وهل نفذتم تلك التعليمات حرفياً؟ فأجاب أُولندروف: نعم لقد جرى تنفيذها على الوجه الأكمل إلا في البداية فقد وقعت بعض الأخطاء. فقال النائب العام: ما هو نوع هذه الأخطاء؟ فأجاب أُولندروف: قتل بضعة ألوف من مسلمي القريم والقوقاز خطأً، فقد توهمت دائرة الفَرْز التي كانت تختار اليهود من الأسرى والسكان أن كل مختون يهودي. ولما كان المسلمون مختونين هم أيضاً فقد أرسلتهم الدائرة إلينا وجرى إعدامهم مع سواهم (اهـ).

---

١٥٢. نُشر أولاً إلى الإنكليزية بعنوان:
GILBERT, Gustave, *The Nuremberg Diary*, Farrar, Straus & Co., New York, 1947.
وتُرجم إلى العربية تحت العنوان التالي: جلبرت، ج. م.، محاكمات نورمبرغ للزعماء والقواد النازيين، ترجمة فتح الله محمد المشعشع وجورج شاهين صايغ، دمشق، دار اليقظة، ١٩٦٥.

ونحن نظن أن هذا من التهم التي وجهت إلى الألمان [زوراً] يقصد بها جلب سخط المسلمين على النازيين وما كان الألمان من البلاهة وقلة العلم بحيث لا يفرقون بين المسلم واليهودي.

فصل م٩٥ / ملف ١٧-١٤ *Chapitre C95 / dossier 17-14*

## كرم بعقل

بعد العودة إلى العمل بالدستور العثماني انحلت عقدة الاستبداد في الولايات العربية، وأخذ أهلها يتأهبون للدخول في حياة جديدة، فكان من الطبيعي أن يهبوا لتعليم الناشئة قبل كل شيء. فألفت لجنة من أرباب الأفكار وأهل الخير في دمشق، لتجمع مالاً ترسل به بضعة شبان إلى الغرب، ليحكموا العلوم، فتبرع المنورون والميسورون [بمبالغ] أرسل [بها] بضعة طلاب إلى الغرب للدراسة. وبينا كنا على استدرار الأكف وجريدتنا [153] تنشر أسماء المتبرعين وافى إدارتنا صديقنا النبيل أحمد شفيق بك العظم عليه الرحمة، وكان معروفاً باستقامته وحبه الخير، عاتباً علينا عتباً شديداً لأنا لم نطلب منه شيئاً، ولم نشركه في هذا الواجب، وتفضل ودفع لنا مبلغاً لا يظن أن ثروته تتسع لأكثر منه، وأقسم علينا أن نطلب منه ما نحتاجه بعد ذلك لهذا الغرض الشريف، فحمدناه وشكرنا أريحيته، واعتذرنا عن قصورنا في قصده باديَ بدء. عمل لا يستغرب صدوره من كريم، ومثل هذه الأخلاق العالية تقلّ في الجيل الحاضر، وأخلاق اليوم نمط آخر. مثال منها: لما قام بعض أهل الخير من التجار وغيرهم بإنشاء مستشفى المواساة في دمشق وعهدوا إلى صديقنا العلامة الدكتور حسني سبح أن يتولى رئاسته وانهالت الإعانات من أهل الخير والثراء، جاءهم تاجر غني وعرض عليهم خمسة وعشرين ألف جنيه مصري إعانة، واشترط ألا يذكروا اسمه. وبعد حين طالبوا بوعده فراوغ، ثم قال: إنه يبني لحسابه في المستشفى جناحاً خاصاً، ثم عدل عن هذا وزعم أنه يتولى تأسيس المستشفى بسرره وفرشه وجميع أثاثه. ثم سكت وخجل أصحاب المستشفى أن يطالبوه بوعده، وإلى الآن لم يدفع ما تبجح به، ووعد

---

١٥٣. يقصد: جريدة "المقتبس"، التي أسّسها في دمشق في ١٨ كانون الأول/ ديسمبر ١٩٠٨ وظلّت تصدر بشكل متقطّع حتى ١٩٢٨.

بإعطائه من تلقاء نفسه، ولا شك أن مثل هذا الثري لا يقصد إلا الشهرة من وعده بهذه العطية وقلبه قاس لا يعرف الشفقة ولا يحس الواجب.

فصل م٩٦/ ملف ١٧-١٥ *Chapitre C96 / dossier 17-15*

## التنشيط والتثبيت

لما ابتكر أبو خليل أحمد القباني فن التمثيل في دمشق قاومه ثلة من المشايخ زاعمين أن التمثيل مما يحظره الإسلام ويهدم أركانه، وانتدبوا عنهم إلى دار الملك شيخاً كان على شاكلتهم في تصور الحياة، يحمل إلى السلطان العثماني الشكوى من هذه البدعة، فأصدر السلطان أمره في الحال بتوقيف عمل الممثل، فرحل أبو خليل إلى مصر فرحبت به وفيها ظهر نبوغه.[١٥٤]

وكان مارون النقاش في بيروت أول من قام فيها بتمثيل الروايات المترجمة من الإفرنجية، فعاضده من قومه رجال الدين والدنيا، وما برحوا إلى اليوم يشيدون بفضله. وهذا دليل آخر على تماسك المسيحيين وتفاشل المسلمين، ويخجلنا أن نقول إن قومنا كانوا ارتجاعيين جامدين [في] معظم ما يرمي إلى تجدد، [ظهر منهم ذلك لما حرموه] الطبع، وفي تحريم القهوة، وتحريم التمثيل، وتحريم الفلسفة والمنطق، ومقاومة العلوم الطبيعية.

فصل م٩٧/ ملف ١٧-١٦ *Chapitre C97 / dossier 17-16*

## تاريخ صحيح

من العُرمان [١٥٥] في جبل حوران نشأ السيد يوسف العيد، وهاجر وهو فتى إلى الأرجنتين [وفي عاصمتها] أصدر "مجلة الوحدة العربية" وما زالت تصدر منذ أكثر

---

١٥٤. قدم الشيخ سعيد الغبرا هذه المضبطة للسلطان عند الجامع بأيا صوفية في الآستانة. انظر الفصل عن حياة أبو الخليل القباني في كتاب "رواية اسمها سورية" بإشراف نبيل صالح، ٢٠٠٧.

١٥٥. هي عُرمان (دون ألف لام) : قرية سورية في جبل العرب، محافظة السويداء، على بعد

من عشر سنين.[١٥٦] وبدا له منذ مدة أن يرحل إلى مصر والشام والعراق والمملكة العربية السعودية وألف كتاباً سماه (العرب كما رأيتهم) [١٥٧] ألّم فيه بمشاهداته في مصر ولبنان وسورية وشرقي الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية، وهذه مُنع من دخولها فكتب فيها ما وصفها به غيره. لقد أعجبتني صراحته في الحكم على هذه الممالك، وجرأته على مخالفة أكثر من كتبوا فيها ممن صانعوها، ولم يفرحوا قلوب العقلاء بسماع قول الحق فيها. وسكتوا عن مواطن الضعف في تركيبها، وقد أفتوا لأنفسهم باستحلال هبات أرباب الأمر في البلاد التي زاروها. واغتبطت بما دوّن مواطني واكتأبت لما بلغني عن [العيد[١٥٨] من] أكبر الصحافيين في مصر لما كتب حقائق في وصف إحدى الممالك العربية الكبرى، على ما لا يرضي القائمين بالأمر فيها، كيف بادروا إلى إهدائه سيارة فخمة مع بضعة آلاف من الجنيهات، حتى لا يعود إلى إزعاج خاطرهم بملاحظاته كرّة أخرى. إن ما كتبه الأستاذ يوسف العيد في فساد حكومة لبنان وبؤس الأهلين في حكومة ابن سعود وإسراف رجالها بالأموال، وفي انحطاط الشعب العراقي ونقص ثقافة الشعب السوري والأردني والمصري ستكون منه مادة تاريخ صحيح في هذه الأقطار. وسيخلد المؤلف بما أملته عليه عروبته خلوداً مشرفاً ويزول من الوجود كلام من خالفوه في طريقته، وتوخوا مما نشروا أمراً واحداً وهو منافعهم الشخصية. والرجاء أن يظل صاحبي على الأخذ بهذه الطريقة الشريفة وأن يرفق إلى نشر كتب أخرى بهذا الروح الذكي [والرجاء] أن يعود [المؤلف] فيسيح ثانية في هذا القسم من ديار العرب [يزيد على] ما فاته في الطبعة الأولى ويصحح ما وقع له من أخطاء لا يسلم منها من يكتب على البداهة.

---

٥ كم إلى الشمال الشرقي من مدينة صلخد.

١٥٦. مجلة "الوحدة العربية" (الأرجنتين): أسّسها الرحالة يوسف العيد في بوينس آيرس سنة ١٩٣٩. انظر المرجع التالي: العيد، يوسف، جولات في العالم الجديد، بوينس آيرس، مطبعة رستم إخوان، ١٩٥٩، ص ٢٨٢-٢٨٣.

١٥٧. والعنوان الأصلي هو: العيد، يوسف، العرب: هكذا رأيتهم سنة ١٩٤٩-١٩٥١، بوينوس آيرس، ١٩٥٢.

١٥٨. في الأصل: عن عيد.

فصل م٩٨ / ملف ١٧-١٧ *Chapitre C98 / dossier 17-17*

## ما هي أوّل كذبة

لما فتشت حكومة الثورة الأولى دار رئيس الجمهورية الثالث عثرت في إحدى خزائنه على دستات [ جديدة ] من الورق النقدي، قدرتها بخمسين ألف ليرة سورية، فأبقتها في محلها ولم تمسها. ومن الغد أشاع هذا الرئيس أنه في أشد الحاجة إلى المال حتى اضطره عوزه إلى بيع أشجار من مزرعته وعليها ثمرها قبل أن ينضج. ما أبرع الرؤساء بتلفيق الأكاذيب التي يعتقدون أنها تنفعهم وتضلل عقول قومهم.

فصل م٩٩ / ملف ١٧-١٨ *Chapitre C99 / dossier 17-18*

## نفاق الرؤساء والمرؤوسين

يوم كنت أُجاهر بالعداوة أحد رؤساء وزارات الحزب الوطني في دمشق، ولا أتوقف عن إبداء كراهتي له أمام جماعته، ولا سيما أمام كبيرهم المسؤول الأول، كان بعضهم يستغرب جرأتي ويبدي استنكاره لما أذهب إليه. ومضت الأيام واعتصم الوزير بمصر ووظف فيها أمواله العظيمة التي سلبها من سورية بمختلف الطرق الدنيئة، وذلك في شركات وعقارات ومزارع ومصارف. لما رأوا وزيرهم يفعل هذا لم يسع أعظم مكابر فيهم إلا أن يقول ولو مجمجماً ما كنا نعرف من أمر [الوزير] كل هذا. ولو خلوت إلى بعض الأذكياء منهم لأقروا لك أن صاحبهم كان من أشرار الوزراء [ وأدنيائهم] ولحدثوك من حديثه بما لم يبلغك، والناس أبداً مع القائم.

فصل م١٠٠ / ملف ١٧-١٩ *Chapitre C100 / dossier 17-19*

## انتشار اليهودية

قال الدكتور عبد الكريم اليافي في كتابه ( علم السكان ) [١٥٩] إن دراسة الشعب اليهودي شيء معقد لأنه في الحقيقة لا يوجد شعب يهودي [ وقد ] تجاوزت الديانة

١٥٩ . انظر المرجع التالي : اليافي، عبد الكريم، في علم السكان: مباحث في المورفولوجيا

اليهودية في انتشارها قوم إسرائيل فتهود فريق من السلافيين ( الصقالبة ) [ كما تهود ] فريق من العرق الأصفر والعرق الأسود، واليهود في أقطار الأرض لا يكونون أمة ولا شعباً ( ا هـ ) . ومسألة انتشار اليهودية من المسائل التي لم نلق إليها بالاً، وكنا نظن فقط أن اليهودية كبعض المذاهب المنشقة من الإسلام لا يمكن [ أحداً ] من غير أهلها العريقين في اعتقادها أن ينضمّ إلى من انتحلوها أول الأمر.

فصل م١٠١ / ملف ١٧-٢٠ *Chapitre C101 / dossier 17-20*

## السياسة

قال لي أحد أولادي، [١٦٠] وقد رأى اهتمامي بالتقاط أخبار الثورة المصرية الأخيرة : أراك يا أبتِ تعنى كثيراً بالأنباء، فقلت له : أنت تعرف حبي مصر، وأني أفرح لكل ما ينال أهلها من خير، وتعرف أني أحب السياسة لأنها إذا حسنت في أمة كانت مصدر السعادة، وإذا ساءت فليس إلا الاضمحلال والسقوط. عشت طول حياتي بالسياسة النظرية، ونظرت إليها على أنها علم عظيم، وابتعدت عنها في العمل [ ما قُدِر لي ]، لأن ممارس السياسة يحتاج في الشرق إلى مقدار وافر من الكذب، والكذب مما ينفر منه طبعي وما أحببته من أحد فكيف أحبه لنفسي. [١٦١]

---

الاجتماعية، دمشق، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥١، ص ٢٤٠ .

١٦٠ . كان لمحمد كرد علي ولدان : مأمون وطريف. ويُعتبر طريف كرد علي ( ١٩١٩-٢٠٠٢ ) أوّل طيّار سوري، أخذ رخصة من نادي طيران فرنسا بباريس [ aéro-club de France ] سنة ١٩٣٧ . تسلّم منصب مدير مطار المزّة ( دمشق ) في الأربعينات وحتى عام ١٩٦٥ ، وكان أيضاً رئيس نادي الطيران السوري اللبناني ورئيس نادي الطيران الشرعي بدمشق ورئيس ضبّاط المراقبة الجويّة. ساهم السيّد طريف كرد علي، من خلال تلك المناصب، في تأسيس عدّة مطارات في محافظات سورية.

١٦١ . ترك محمد كرد علي وظيفته كوزير للتربية سنة ١٩٣٢ ورفض أن يدخلها ثانيةً لتفضيله العمل العلمي والأدبي فظلّ يرأس المجمع العلمي العربي في دمشق وعُيّن عضواً لمجمع اللغة العربية في القاهرة.

فصل م١٠٢ / ملف ١٧-٢١ *Chapitre C102 / dossier 17-21*

## البيض والسود

بين السود والبيض في أميركا وإفريقية معارك دائمة يحاول البيض فيها أن يذلوا السود ويسلبوهم حقهم في الحياة الحرة، آخر ما قرأناه من أنباء الولايات الجنوبية الإفريقية، وسكانها أحد عشر مليوناً ونصف مليون، منهم ثمانية ملايين ونصف مليون من السود، ومليون ونصف مليون من البيض، مهاجري هولاندة منذ نحو ثلاثمائة سنة، ومليون من الإنكليز وربع مليون من الهنود، وثمانون ألفاً من الخلاسيين الملونين أي من أصحاب اللونين الأبيض والأسود. وما برح البيض يحاذرون فناء جنسهم في السود، وأن يخرج الأبناء على غير ما كان عليه الآباء من حضارة ولذلك يؤثر البيض أن يعيشوا في أحياء خاصة بهم، ويمنعون السود من تعاطي الصناعات الرابحة، ويحظرون عليهم دخول الفنادق والمطاعم التي يغشاها البيض، كما يمنعون السود من السير على طوار الشارع والركوب في عربات البيض في القطارات والبواخر، وإذا تزوج أبيض من سوداء أو أسود من بيضاء فللقاضي أن يفرق بينهما ولو كانا رزقا أولاداً من هذا الزواج، ويمنع أنواع التعليم عن السود كما يحظر عليهم اقتناء الأرض [ولا يعملون] في زراعتها إلا بقيود لا تخرج عن العبودية، وكل ذلك ليكون السود أبداً عبيداً للبيض، ولا يزال دار ندوة تلك الجمهورية في جدال بين من يريدون أن يمتعوا بحرياتهم، [وبين] من مرماهم أن يسلبوهم إياها. وإذا كانت مثل هذه النغمة ما برحت تردد في الولايات المتحدة، على ما بلغه الأميركان البيض من مظاهر الحضارة، لا يستغرب أن تكون جمهورية جنوب إفريقية على هذا النحو من الاستبداد بالسود والتحكم في حياتهم. ولا بد أن تنصف الأيام السود من البيض، وتزيل هذا الظالم الذي يأتيه البيض على ما لم تعهد الإنسانية أفظع منه.

فصل م١٠٣ / ملف ١٧-٢٢ *Chapitre C103 / dossier 17-22*

## نقد أديبة

كتبت لي صديقتنا السيدة وداد سكاكيني في مجلة "الكتاب" تنقد "المذكرات" ومما قالته : إن قلم صاحبنا يند بالسخط تارة ويجري بالرضى تارة أخرى. فيجود

حسب النوازع الحاضرة والخواطر المختزنة. وكانت علاقة المؤلف بالحوادث التي ذكرها أو صورها أشبه بعلاقة الممثل بالرواية التي وضعها. قالت ولعلنا نستطيع أن [ نلتمس] للأستاذ الرئيس عذراً حين غضّ من بعض الفضلاء الذين أجمع المنصفون على تقديرهم، إذ كان منسجماً في نقده مع المذهب التأثري الذي شاع في أدب الغرب الحديث. وذلك أن يصدر الكاتب أحكاماً نفيسة بمنجاة من القيود المعهودة وقد يكون ذلك [ سرّ] توفيقه في هز الجماهير التي لا [ يثيرها ] الرفق والهوادة وإنما تؤخذ على الدوام بالعنف والصيحات. ومن الغريب أن المؤلف الجليل [ تجاوز ] عمن كان من حق العدل عليهم أن يهدمهم ويضربهم بعيوبهم وذنوبهم التي يسترها المال والجاه، وأنهم كالسوس والعلق يمتصون الدم وينخرون في العظم بصمت وتلبيس. فكان جوراً منه أن يغفل هؤلاء ويتعجل لمن أضجروه وآلموه. ولعل مرد هذا إلى فئة من مرتادي مجلسه الطامعين بفضله وتشجيعه، فقد تزيدوا فيما دسوا وتحدثوا مما أدى إلى تلك المآخذ . . . فليست هذه المذكرات إذن مبنية على التثبت والتقرير، قائمة على التقصي في الزمان والمكان، كدأب المؤلف الجليل في آثاره التاريخية وتراجم العلماء والحكماء. ولذلك جاءت كتاب نقد وتجارب وموازنة وأحاديث أكثر من أن تكون كتاب أحكام وتاريخ عام (ا هـ). [١٦٢]

نحن لم ندع أننا بالمذكرات نضع كتاباً في التاريخ، بل قلنا إننا نكتب كتاباً لا نلتزم فيه ما التزمناه في تآليفنا السابقة وإننا سنخرج فيه عن مصطلح المؤلفين، ولم نقصر في نقد من ثبت لنا ضرره على المصلحة العامة، ولا نلزم مع هذا أن نتقصى سيرة كل من كانت سيرتهم سيئة، نصليه ناراً حامية على ما يشتهي كل إنسان، لنوالي من والاهم ونعادي من عاداهم، ولذلك اكتفينا بمن وصفناهم ونحن على يقين أن هناك مئات ستر عوارهم المال والجاه، [ وعُرّوا] من [ المروءة] والإنسانية. والواجب ألا يكتفى بنقدهم بل [ أن ] يعمد إلى إحراقهم وقتلهم إن أمكن. ثم [ إنه] ليس في وسع المؤلف أن يعرف الناس جميعاً ويستقصي أخبار الأشرار والأغمار كافة، وأن يكون بوقاً ينادي بالويل والثبور ليرضي كل حانق وموتور. ولذلك اجتزأت من سيئات بعض المسيئين وكان الأجدر بمن يحاولون تشفي صدورهم من أعدائهم أن يتقدموا هم فيتولوا ذلك بأنفسهم لا أن يطلبوا ذلك ممن خلت أذهانهم من هذه المعاني وليس لهم مأرب في

---

١٦٢. انظر هذا المقال في المرجع التالي : سكاكيني، وداد، "حول المذكرات"، مجلة الكتاب، المجلد ١١، الجزء ٥، أيار/ مايو ١٩٥٢، ص ٦١٠-٦١٢. سبق للسيدة وداد السكاكيني أن كتبت نقداً أدبياً حول "المذكرات" : انظر مقالها بعنوان "مذكرات خالدة" في مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ٢٤، سنة ١٩٤٩، ص ١١٥-١١٨.

خوض أمور يطول شرحها، ولا تدخل في صميم الموضوع، وتبعد عن خدمة المصلحة العامة وقول السيدة الفاضلة إن علاقتنا بالحوادث التي سردناها وصورناها أشبه بعلاقة الممثل بالرواية التي وضعها، لم ندرك كثيراً ما ترمي إليه بذلك، وأظن السيدة لو رجعت لنفسها لصرحت بأننا لم تكن لنا يد في تأليف الرواية التي مُثلت، ولا كنا من ممثليها بل كنا من النظارة، وقد نحضر تمثيلها متكارهين، فلما أتيحت لنا الفرصة وصفنا تلك الرواية الفاجعة بمبلغ علمنا وتجاربنا.

وقول العقيلة العاقلة إننا غضضنا ممن أجمع المنصفون على تقديرهم من رقيق الكلام الذي لا يصدر إلا عن عاطفة نسائية، ولو عاملتهم كما عاملناهم وعرفت أخلاقهم كما عرفناها لغيرت فكرها فيهم، واستقلت ما وصفناهم به، ولو تدبرت السيدة [غور] أخلاقهم كما تدبرناها لما توقفت عن الإقرار بأن حكمها حكم عابر سبيل، ومن حفظ حجة على من [لم] يحفظ.

فصل م١٠٤ / ملف ١٧-٢٣ *Chapitre C104 / dossier 17-23*

## لغات أوربا

تحت رعاية وزير التربية الوطنية في فرنسا تقوم اليوم جمعية تدعو إلى أن يتعلم أبناء الغرب على اختلاف ألسنتهم إحدى اللغتين المشهورتين الإنكليزية والفرنسية يدرسونهما مع لغتهم الوطنية علماً وعملاً من الصفوف الابتدائية في المدارس، فتكون عوناً للشعوب البالغ عددها خمسمائة مليون من البشر، حتى لا يضطروا إلى التفاهم بالإشارة أو [بواسطة] ترجمان. يريد الفرنسيس بهذا أن يجعلوا للغتهم الشأن الأول مع الإنكليزية وإن لم يطمعوا أن يزحزحوا هذه اللغة من مركزها الذي بلغته من الانتشار ويتكلمها نحو (٢٥٠) مليوناً على حين لا يتجاوز عدد المتكلمين بالفرنسية الستين مليوناً. وتناسى القائمون بهذه الدعوة أن المتكلمين في جوارهم بالألمانية يبلغون مئة مليون ويؤلفون كتلة واحدة عظيمة تجمعها حدود واحدة تقريباً. وفاتهم أن عدد المتكلمين بالروسية نحو مئة مليون أيضاً وعددهم يزيد كل سنة زيادة عظيمة وبخاصة بعد أن جعل تدريس الروسية إجبارياً في جميع مدارس الاتحاد السوفياتي وفي جامعات الصين الشيوعية ولا يبعد أن يصبح عدد المتكلمين بالروسية

بعد جيل موازياً لعدد المتكلمين بالإنكليزية اليوم إن لم يزد. وتناسى أصحاب هذا الاقتراح على ما يظهر أن اللغة الإسبانية والبرتقالية ستطلبان حصتهما من اللغات وينادیان بأنهما ليستا دون الفرنسية عدداً بل يتكلم بهما مائتان وخمسون مليوناً من البشر، واللغتان متشابهتان كأنهما لغة واحدة ذات لهجتين. فكيف يرضى الإسباني والبرتقالي ومعهما جميع شعوب أميركا الجنوبية فضلاً عمن يتكلمهما في شبه جزيرة إيبريا (إسبانيا والبرتقال) أو الإيطالي أو الدانيماركي أو السويدي أو النروجي أو الهولاندي أو الفنلاندي وكلهم[١٦٣] من الشعوب الراقية، ألا يكون للغاتهم[١٦٤] شأن. وما نظن بعد هذا أن اللغات يتوقف انتشارها على التدابير التي تهيّئ انتشارها، تنتشر بدافع الاحتياج إليها وبأسباب وقعت لها فكثر الناطقون بها. هكذا كان شأن الإسبانية والبرتقالية في جنوبي أميركا وشأن الإنكليزية في الولايات المتحدة وكندا وأستراليا ونيوزيلندا وجنوبي إفريقية والهند [واليابان] وغيرها. أعان الاستعمار الإنكليزي على نشر اللغة الإنكليزية وبقي اللسان الفرنسي خاصاً بالطبقات العالية في العالم، وكان زمناً لغة السياسة والتجارة والفنون الرفيعة، وانتشر بتعمل كثير في مستعمرات الفرنسيس، إذا رفع عنها علم فرنسا غداً يتراجع بعد بضع سنين كما كان شأن التركية في الولايات العربية رحلت برحيل أهلها.

فصل م١٠٥ / ملف ١٧-٢٤ — *Chapitre C105 / dossier 17-24*

## التجار البارحة

عقد صديقي الأستاذ فخري البارودي في مذكراته فصلاً في أمانة التجار بالأمس قال: كانت أكثرية التجار المطلقة أمينة على ما يستودعها الناس، صادقة في معاملاتها، والتاجر كان يحافظ على كلمته فمن باع لا يرجع، ومن اشترى لا يقلب، مهما وقع هناك من الخسائر. وكان البيع والشراء في الحالات العادية والصفقات المتوسطة والصغيرة بالقول فقط، ولم تعرف معاملات الكتابة في البيع والشراء إلا بالصفقات الكبيرة.[١٦٥] ومنذ عهد قريب قال لي أحد أصدقائي، وأشار بيده إلى سوق مدحت

١٦٣. في الأصل: كلهن.

١٦٤. في الأصل: للغتهن.

١٦٥. انظر: مذكرات البارودي، ص ٧٦-٧٧.

باشا: قبل خمسين سنة من هذا التاريخ، لم يكن في هذا السوق إلا تاجر واحد قليل الأمانة يعرفه التجار ويتحاشون معاملته. فقلت واليوم ؟ فأخذ بطرف ردائه ونفضه، قائلاً: والله أعلم. إن الأمانة التي ذكرتها آنفاً كانت عامة، وكم تاجر أرسل [ مع ] عميل له أُلوف الليرات الذهبية دون وصل، وكان العميل يغيب الأشهر والسنين ويعود بالمال مع الربح أو بالبضائع والتجارة دون أن يمضي ورقة واحدة. واليوم من شاء فليمرّ على كاتب العدل ويطلع على المعاملات التي تجري بين التجار فيعرف فيها الفرق بين الأمس واليوم. قال ومن عجائب الدهر أن الحكومة العثمانية أسست محكمة التجارة في دمشق وبقيت ثلاث سنوات مفتحة الأبواب لم [ يدخلها ] شاكٍ فتأمل.

فصل م١٠٦ / ملف ١٧-٢٥ *Chapitre C106 / dossier 17-25*

## حب العظمة

قرأت لشاعر افرنسي أبياتاً يقول فيها إن العالم مملوء بأناس ليسوا على شيء من العقل فمتوسط الحال يحاول الظهور [ بمظهر] كبار السادة، ولكل أمير [ صغير] سفراء، ويود كل مركيز لو كان له حشم وخدم. ذكرني بهذا ما ترامى إليّ من أن بعض الدول العربية تنوي رفع مفوضياتها السياسية إلى درجة سفارات وبين المفوضية والسفارة فرق في النفقات والترتيبات ، والغالب أن هذه الفكرة قامت في أذهان أرباب الدول الكبرى أولاً وهذه مهما زادت نفقاتها [ على ذلك ] لا تتأذى ميزانيتها بقدر ما تتأذى مثلاً ميزانيات لبنان وشرقي الأُردن وسورية.

فصل م١٠٧ / ملف ١٧-٢٦ *Chapitre C107 / dossier 17-26*

## برج بابل

ذكر مؤرخو الأديان أن قوم نوح لما نجوا من الغرق حاولوا أن يقيموا لهم في سهل سنار [١٦٦] برجاً [ يصعدون ] به إلى السماء، فخيب الله سعيهم وقضى على كبريائهم،

١٦٦ . سهل سنار، بمعنى "بلاد النهرين" . راجع سفر التكوين، الفصل الحادي عشر، الآية ١ إلى ٩.

بأن بلبل ألسنتهم حتى لا يتفاهموا. ومعنى بابل في التوراة الاختلاط والبلبلة، وبابل اسم [هذا] الإقليم [من] العراق. وكل [ذلك] لا يهمنا بقدر ما تهمنا حالة فلسطين اليوم وقد حشرت إليها أجناس من اليهود فيهم الألمان، وهو أكثر المهاجرين عدداً، والروس والمجر والرومان والبولونيون وغيرهم من [العناصر]، وندر فيهم من يتكلم العبرية، والعبرية اللغة الرسمية في فلسطين اليهودية، والعبرية المتداولة بينهم عبرية مصنعة تبعد عن روح العبرية الأصلية، وما هي أيضاً بعبرية تقوم بحاجة المتمدنين وتؤدي معاني العلوم. ويصدر في فلسطين الآن صحف بالعبرية والإيطالية والإنكليزية والألمانية والفرنسية والبلغارية والرومانية وغيرها من لغات الغرب، وأهل كل لغة يحرصون على الاحتفاظ بلغتهم. وصعب على الباحث أن يحدد مصير هذه الأمة الجديدة من حيث اللغات وتفاهم السكان، بلبلة في الألسن بين من يراد إنشاء أمة منها، وهم في جملتهم مجموعة من السكان أقل ما يوصفون به أنهم أخلاط الزُّمر تجمعهم جامعة مصطنعة وكان أهلها يهيمون على وجوههم في الأرض دهوراً، وما وجدوا قط لهم سنداً أيام ضعفهم إلا من المسلمين فكافؤوهم في الزمن الأخير بالاعتداء على أرضهم.

فصل م١٠٨ / ملف ١٧-٢٧ *Chapitre C108 / dossier 17-27*

# الرتب والألقاب في مصر

من أجمل ما وفقت إلى تحقيقه وزارة الثورة الأخيرة في مصر إلغاء الرتب والألقاب منها، فقضت بذلك على آخر مظهر من مظاهر الاستبداد. وكان من هذه الألقاب والرتب بعد انحلال رابطة ولاة مصر في الدولة [١٦٧] العثمانية بلاء ما كان أقل مما وقعت فيه ولايات الدولة العثمانية مبدعة هذه الألقاب والرتب، ذلك لأنها كانت ذريعة لإفساد الأخلاق وأقل ما كان منها من ضرر أن من كانوا لا يستحقون لقب بك أو باشا يفادون بالمال الكثير للحصول عليه وتختلف هذه الإثارة باختلاف غنى طالبها، وغرامه بتقلدها ومبلغه من حب الظهور. ومن أسخف ما يدون أنه كان من يمنحون هذه الألقاب من ولاة مصر وملوكها يتخذون منها تجارة ويجنون منها ثروات، ولهم سماسرة يغتنون بما تدرّ عليهم وساطاتهم، [ويُرمى] المحسن عليهم بها بسقوط المروءة والتسفل. وبهذا الإلغاء، الذي سبقت إليه الشام والعراق وسائر الولايات العربية

١٦٧. في الأصل: من بالدولة.

العثمانية منذ سنة ١٩١٩، احتفظت مصر بعزة أبنائها ودلت على أنها دولة تريد أن تسير على خطى الأمم الحرة، وأنها لا تحب أن تساق بالخيال والأوهام.

فصل م١٠٩ / ملف ١٧-٢٨ *Chapitre C109 / dossier 17-28*

# الخرافات المصرية

استفتى رئيس وزراء مصر مفتي الديار المصرية في البدع التي ترافق عادة يوم سفر المحمل المصري إلى الديار المقدسة وطلب منه أن يشرك معه في الرأي شيخ الأزهر ورئيس المحكمة الشرعية العليا فأجاب ثلاثتهم أن هذه البدع لا تمت إلى الدين بصلة، وطلبوا تطهير العقائد الدينية من المنكرات. هذا ما نشرته الصحف وما أجمل وقع هذا الإصلاح على قلوب كل من يدعون إلى تنقية الشريعة مما ألصقه المخرفون بها وليس هو منها بسبيل. والرجاء أن يُقْضى بعد هذه الفتوى على جميع ما في مصر من تخريف أرباب الطرق. ويعود الفضل الأول في ذلك إلى الوزير الأعظم وإلى صاحب هذا الانقلاب العظيم اللواء محمد نجيب.

فصل م١١٠ / ملف ١٧-٢٩ *Chapitre C110 / dossier 17-29*

# فعل الموتور

استغرب بعضهم نشر أحد من لهم اتصال وثيق بالمجمع العلمي العربي في إحدى الصحف [كلاماً] زعم فيه أن انتخاب نائب الرئيس كان مزوراً وأن الفوضى مخيمة على هذا المعهد وأنه لا يأتي بفائدة الخ. [نبأ من] ساقط بالبديهة لأن الواقع بكذّبه، ولم تجز هذه الوشاية [الدنيئة] على من قصد النمام وصولها إلى مَسامعهم، لأن المجمع أعاد إلى الديار الشامية رونقها القديم في خدمة الآداب، ويسعى رجاله إلى ربط حاضرها بغابرها. [ويعرف] العرب أن أرضهم ليس لها ما يمنعها من أن تكون مباءة علم ومغنى أدب، وأن المجمعيين بما ينشرون من كتب ورسائل ومجلة ليخدمون سورية خاصة والعرب عامة بتعريفهم ما كان بعضهم يجهلونه من عظمة لغة العرب

وتاريخهم ومدنيتهم. أما ذلك الجاسوس [الكذاب] فقد باء بالخزي وما أجدت عليه وشايته إلا أنه سجل على نفسه مرة أخرى أنه موتور [لأنه] لم ينجح في أمر من أمور الحياة وكان الإخفاق مصيره في كل ما تعاطاه. ومن حرمته الطبيعة مزايا الرجال لا يغرسها فيه أحد، ومن كان النقص في أخلاقه وهو صبي لا يجبره الزمن فيه ولو بلغ [أرذل] العمر [ومن بدأ حياته بالسرقة علناً يهون عليه بعدها أن يرتكب الموبقات كلها].

فصل م١١١ / ملف ١٧-٣٠ *Chapitre C111 / dossier 17-30*

## ألمانيا وفرنسا

عبثاً يحاول رجال السياسة في فرنسا لعهدنا أن يعيدوا لأُمتهم مكانتها التي كانت لها في القرن الماضي أي قبل حرب سنة السبعين. فالألمان تزيد نفوسهم زيادة مستمرة والفرنسيس تنقص أو لا تزيد. وأصبح الألمان مئة مليون والفرنسيس وقفوا عند الأربعين مليوناً، وإذا فرضنا أن الفرد الفرنسي ليس أقل من الفرد الألماني في مقومات الحياة فهذا العدد الألماني الضخم كيف لفرنسا بالوقوف أمامه. قال وزير حكومة ألمانيا الغربية: "لا سبيل إلى توحيد أوربا توحيداً حقيقياً قبل أن تعود ألمانيا موحدة، ثم إني ألفت نظركم إلى أني لا أعني بهذه الكتلة ألمانيا فقط، بل تدخل فيها النمسا وجزء من سويسرا والسار [١٦٨] والألزاس واللورين. [١٦٩] وإني لينقبض صدري كلما ذكرت كنيسة ستراسبورغ الكاتدرائية." [١٧٠] تحاول الولايات المتحدة أن تجمع بين ممالك غربي أوربا وأن تجعل لها جيشاً مشتركاً تشرف هي عليه فتجعل منه حاجزاً دون تسرب روسيا إلى أوربا الغربية، [١٧١] وأنّى لها أن تتغلب على العقبات القائمة بين ألمانيا وفرنسا، الأولى

١٦٨. أوقعت هذه الولاية الألمانية تحت الحماية الفرنسية بعد هزيمة ألمانيا في نهاية الحرب العالمية الثانية، بين سنتي ١٩٤٧ و ١٩٥٦. عادت إلى ألمانيا في أول سنة ١٩٥٧، بعد استفتاء سنة ١٩٥٥ واتفاقية سنة ١٩٥٦.

١٦٩. الألزاس واللورين منطقتان من شمال شرقي فرنسا، كانت أحد المجازفات للحروب التي اندلعت بين فرنسا وألمانيا في ١٨٧٠ و ١٩١٤ و ١٩٣٩.

١٧٠. بنيت هذه الكنيسة بين سنتي ١١٧٦ و ١٤٣٩؛ طولها ١٤٢ متراً.

١٧١. يُذكر هنا أن الحلف الأطلسي، الذي جمع الولايات المتحدة وكندا وعدداً من دول أوروبا

تنمو نفوسها والثانية تتراجع وتضوءل. ولو لم يكن لهذه الدولة [سوى] اضطرارها إلى الاستكثار من الجيوش في الهند الصينية [١٧٢] وشمالي إفريقية وكلها تتحفز للوثبة عليها وتحاول خلع نيرها لتنعم باستقلالها لكان لها من ذلك مشغلة وأي مشغلة. خسرت فرنسا في حرب الهند الصينية منذ مدة قريبة [ستين] ألف جندي وسبعة آلاف ضابط من خيرة رجالها وجلت عن أكثر تلك الديار وما برحت تقاوم وهي تعرف أنها محكوم عليها بالرحيل وأنها في صمودها لهذه الحرب لا تخدم غير أميركا، فالحرب هناك كما قال أحد ساسة فرنسا لا أمل فيها ولا غاية لها.

فصل م١١٢ / ملف ١٧-٣١ *Chapitre C112 / dossier 17-31*

## العروبة والأعاجم

مما قالته مجلة السنة السياسية والاقتصادية التي تصدر في باريز من مبحث في الاستعمار: ليست العروبة في الأصل ظاهرة سياسية ولا ظاهرة إسلامية بل هي ظاهرة لسانية. والدليل على هذا أن العروبة كانت من إيجاد عرب غير مسلمين كانوا من اللبنانيين المتشبعين بالعربية، تولوا في مبدأ هذا القرن الدفاع عن اللغة العربية والرفع من شأنها. وكان لبشارة تقلا والشيخ إبراهيم اليازجي، وهذا مؤلف (أيها العرب انتبهوا) يد في هذه النهضة ثم أنشؤوا [١٧٣] صحافة عربية ومنها جريدة (الأهرام) المشهورة أُسست في القاهرة سنة ١٩١٣ (والصحيح أنها أُسست سنة ١٨٧٥ [في الإسكندرية]) ومن حب اللغة العربية نشأت الدعوة إلى العروبة، والعروبة أصلحت

---

الغربية (ومن بينها فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وبلجيكا) في تحالف عسكري دفاعي، انعقد في واشنطن في ٤ نيسان/أبريل ١٩٤٩، لكي تساعد الولايات المتحدة تلك الدول في الدفاع عن نفسها ضدّ النفوذ السوفييتي خلال الحرب الباردة ولتبقي ألمانيا تحت السيطرة. أمّا بالنسبة للولايات المتحدة، فكان هذا الحلف وسيلةً لحصر الشيوعية وتأييداً لاتحاد الدول الأوروبية في كافة الميادين (الاقتصادية والاجتماعية والثقافية). أمّا مشروع مجموعة الدفاع الأوروبية [Communauté européenne de défense] الذي أقامته معاهدة باريس (٢٧ أيار/مايو ١٩٥٢)، قاصدة به توحيد الجيوش الأوروبية تحت قيادة واحدة، فلم ينفّذ بسبب رفض مجلس النواب الفرنسي له سنة ١٩٥٤.

١٧٢ . انظر الهامش رقم ٨٧ في الفصل م٤٠ (ص ٢٥٩)

١٧٣ . في الأصل: أنشأوا

اللغة العربية وقام من أُشربت قلوبهم حب هذه اللغة من النصارى بإنشاء صحافة عربية في الشرق أوائل هذا القرن. وإذا أعوزتهم لغة يستعملونها في إتمام غرضهم ليكتب لهم النجاح في ابتداع ما ابتدعوا أوجدوا لغة عربية ليست لغة القرآن ولا تشبه لهجة من اللهجات العربية التي دخلت فيها هذه اللغة الميتة وتطورت بطبيعة البلاد التي انتشرت فيها (ا هـ).

كلام يسقط فيه الناقد البصير على أغلاط تاريخية واجتماعية، فقد جعل الكاتب مبدأ العروبة في أوائل هذا القرن مع أن نهضة العربية ترد إلى أكثر من مئة وعشرين سنة بدأت بمصر ثم تبعتها لبنان فتونس فسورية فالعراق، وفي هذه الأقطار ظهر الارتقاء ظهوراً محسوساً بفضل المسلمين والنصارى على السواء وكانت مصر هي السابقة في هذا المضمار.[١٧٤] فالقول إن بشارة تقلا أحد زعماء هذه النهضة يخالف الواقع، أما الشيخ إبراهيم اليازجي فهو بحق صاحب الفضل الأعظم على العربية والعرب وتبعه وتقدمه كثير من المصريين في مصر كانوا يعملون لهذه الغاية بإخلاص. ولطالما ردد بعضهم هذه النغمة أي دعوى تقدم اللبنانيين إلى خدمة اللغة العربية قبل غيرهم ونسوا أن الأزهر وسائر المعاهد الإسلامية العليا في مراكش والجزائر وتونس ومدارس دمشق وحلب وصيدا وصنعاء والعراق وبلاد العجم [والهند] كانت تخدم العربية من أكثر من ألف سنة وقوله إن دعاة [العروبة] اخترعوا لغة جديدة ليستعينوا بها على تحقيق رغائبهم في [نهضتهم] ليست لغة [القرآن ولا هي] لغة من اللغات التي تمت إلى العربية بسبب [قول غير سديد] ولو كان من أصدر هذا الحكم يحسن العربية ما ادعى هذه الدعوى الباطلة لأن لغة الصحف أو اللغة الجديدة لم تخالف اللغة الفصحى إلا في الإتيان بأفكار جديدة فاللغة هي اللغة العربية نفسها بأُسلوبها وقواعدها [وروابطها] وكانت يوم إنشاء الجرائد تنشر بالعامية ثم لما [باشرت] المدارس تدرس العربية على الأصول [انتقيت] الألفاظ ونقحت التراكيب، وكانت موجودة في الكتب غير مستعملة ولا مألوفة كثيراً، إلا عند الخواص [ممن] درسوا آداب اللغة، وهؤلاء ما خلا منهم عصر في كل [الأعصار] التي كانت العربية لغتها. ثم إن قول

---

١٧٤. راجع كتاب الآداب العربية في القرن التاسع عشر للأب لويس شيخو اليسوعي (للمؤلف).

العنوان الكامل للطبعة الأخيرة هو التالي: شيخو، لويس،تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، ٣ أجزاء، بيروت، دار المشرق، ١٩٩١. صدرت الطبعة الأولى للجزأين الأول والثاني من هذا الكتاب سنة ١٩١٠، وأعيد طبعهما مع جزء ثالث بين سنتي ١٩٢٤ و ١٩٢٦.

الكاتب إن اللغة العربية من اللغات الميتة لا يقول به منصف وكيف للغة اطردَ أدبُها خمسة عشر قرناً ودوّن شعرها ونثرها وتاريخها وقواعدها منذ القرن الأول من الهجرة، وهي اللسان الديني لثلاثمائة مليون مسلم في الأرض أن تعد من اللهجات الميتة، فإذا كانت العربية لغة ميتة فما هي اللغة الحية، وأي لغة تضاهي العربية بكثرة عدد الناطقين بها وطول عمرها وكثرة تآليفها في كل العلوم، ووفرة المؤلفين الذين قاموا في ديارها على ما لم يعهد لأُمة غربية مثله كما قال أحد أرباب الإنصاف من أهل الغرب.

ولا يفوتنا ونحن نستغرب حكم الغربيين هذا أن نسجل أنهم إذا عالجوا الموضوعات الشرقية كانوا أكثر مادة من الشرقيين، إلا أن الغربي يتناوشه عاملان جهله المكان والسكان واعتماده على كتب في الموضوعات الشرقية وهي [ مما ] ألفها رجال الدين عندهم. وفي العهد الحديث تصدر التآليف عن رجال السياسة ويتولى الكتابة فيها من يرزقون من حكوماتهم.

ومن غريب ما جاء في هذا المبحث الذي نحن بصدده قوله إن مقياس المطر في الضفة الشمالية من البحر المتوسط يختلف عن مقياسه في الضفة الجنوبية، وفي الأولى إيطاليا وغاليا ( فرنسا ) وفي [ الثانية ] إفريقية وطرابلس وسورية. قال إن وفرة الأمطار في الجزء الشمالي من هذا المحيط جعلت منه بلاداً زراعية تكثر مدنها وعمرانها وعلى العكس في الثانية كان من قلة المطر فيها ضعف زراعتها وندرة مدنها حتى ساقت الطبيعة بعض سكانها [ أن ] يأووا إلى الخيام ويعيشوا عيش البداوة. وضم الكاتب سورية في باب الأمطار إلى طرابلس وبرقة وإفريقية مضحك، لو زارها أو سأل العارفين بها لما عدّها من شمالي إفريقية وهي من القارة الآسياوية، وكان الأولى أن يخرجها من المناطق التي تشح سماؤها بالأمطار أو أن يقول إن ساحلها يختلف عن داخلها من حيث الري.

فصل م١١٣ / ملف ١٧-٣٢ *Chapitre C113 / dossier 17-32*

# تفاخر وتكاثر

من كتاب بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن: [١٧٥] ولقد شيدوا ضريحاً فخماً للجزار ( والي عكا ) في حين أن ضريح سليمان باشا ( خلفه ) يكاد يكون غير ظاهر.

---

١٧٥ . انظر الهامش رقم ١٤٢ ( فصل م٨٣ )

ورفات هذا الظالم وهو من الرجال الذين لم يرَ لهم الشرق مثيلاً في تعطشهم إلى الدماء توضع في ضريح فخم أما أشلاء صديق الإنسانية الذي كان يسميه المسلمون راهب باشا لتحليه بصفات الراعي الصالح والكاهن الجليل حسب التعبير الديني، فلا يكاد يعرف أين هي (اهـ).

وهكذا تدثر قبور الصالحين ويبالغ في تشييد قبور الظالمين. ألف عالم ومخترع في الغرب لا تكاد تعرف قبورهم. وقبور الملوك والظلمة والفجرة فيه يتأنق في تشييدها، وتشد إليها الرحال، وتخترع لأهلها الصفات التي ترفع مقامهم وهم في حقيقتهم مجموعة سيئات.

وما أحلى ما قاله في هذا المعنى الشاعر الأندلسي يحيى بن هذيل التميمي القرطبي المعروف بالكفيف (٣٨٩)[١٧٦]

أرى أهل الثراء إذا توفوا ... بنوا تلك المراصد بالصخور
أبوا إلاّ مباهاة وفخراً ... على الفقراء حتى في القبور
فإن يكن التسامح في ذراها ... فإن العدل فيها في القعور
عجبت لمن تأنق في بناء ... أميناً من تصاريف الدهور
ألم يبصر بما قد خربته ال ... دهور من المدائن والقصور
وأقوام مضوا قوماً فقومـاً ... وسار صغيرهم إثر الكبير
لعمر أبيهم لو أبصروهم ... لما عرفوا الغني من الفقير
ولا عرفوا العبيد من الموالي ... ولا عرفوا الإناث من الذكور
إذا أكل الثرئ هذا وهذا ... فما فضل الجليل على الحقير

فصل م١١٤ / ملف ١٧-٣٣ *Chapitre C114 / dossier 17-33*

# البيان والعيان

هذا عنوان وضعناه لمقالة نشرتها مجلة غربية سماها كاتبها (الاستخبار في العالم) قال فيها إن جمعية الونسكو أصدرت مبحثاً طريفاً في الاستخبار كان الأول من نوعه، عرضت فيه لذكر الأخبار والأفكار من طريق الصحافة والمذياع والسينما والتلفزيون في العالم كله ومما جاء فيه :

١٧٦ . هذا تاريخ وفاته، الموافق لسنة ٩٩٩ م.

تم هذا البحث في عهد جرى فيه تبادل الثقافات وانتشارها على وجه سريع، بفضل الارتقاء العلمي والتفنن في أساليب نشر الأفكار والكلام والصور المرئية ونقلها، ويكفي ملايين من البشر أن يفتحوا صحيفة ويديروا الزر في جهاز المذياع، وأن يذهبوا إلى السينما القريب منهم، حتى تتجمع لهم أفكار ويقفوا على ما يجري في الأرض ثم يلهون ويتسلون، منافع تظهر أنها طبيعية لمن هي تحت يده. ومن الأسف أن معظم البشر لا يستفيد منها ما دام نصفهم إلى الآن لا يعرفون القراءة والكتابة.

إن ( ٢٣١٩٤٦٣٠٠٠ ) من البشر الذين يعيشون على ظهر الكرة الأرضية يقرؤون[١٧٧] كل يوم ( ٢٣٣٧٧٤٠٠٠ ) صحيفة يومية ولهم ( ١٨١٨٤٩٠٠٠ ) ناقلة [من] المذياع و( ٤٢٤٤٤٠٠٠ ) مقعد في السينما. وإذا نظرنا ملياً في هذه الأرقام نجد أن ( ١٩٨٢٩٣٠٠٠ ) ساكن في قارة إفريقية لا يصدر بينهم سوى ( ١٩٥٤٠٠٠ ) عدد من الجرائد وفيها ( ١٣١٥٠٠٠ ) من ناقلة الأخبار من المذياع و( ٨١٥٠٠٠ ) مقعد في دور السينما على حين تصدر أميركا الشمالية وحدها كل يوم، وسكانها ( ٢١٥٥٥٤٠٠٠ )، ( ٥٨٥٥٦٠٠٠ ) عدد من الجرائد وعندها ( ٩٦٥٥٤٠٠٠ ) آلة مذياع و( ١٤٨٠٧٥٥٠ ) مقعداً سينمائياً.

يختلف تقسيم وسائل الاستعلام والاستخبار [بين] قارة وقارة ففي إفريقية مثلاً يباع في طنجة لكل[١٧٨] ألف شخص ٣٣٣ عدداً من الصحف اليومية وفي الجزائر لكل ألف شخص ٣٣ عدداً وفي تانغانيكا[١٧٩] ٠،٥ في المئة. ويقرأ الجرائد في أوربا في كل ألف إنسان ٥٩٦ في إنكلترا، وفي فرنسا ٢٥٩، وفي البرتقال ٥٨. ويباع في بريطانيا العظمى كل يوم في كل ألف شخص ستمائة عدد من الصحف اليومية على حين لا تجد جريدة واحدة في التبت، وتحمل إليها الصحف من شمالي الهند مع القوافل وفي بعض أجزاء قارة آسيا وإفريقية ملايين من الناس لا يستطيعون اقتناء الصحف بلغاتهم الوطنية، ونرى الولايات المتحدة إلى هذا تصرف ١٠ في المئة من مجموع ما يعمل من الورق في العالم على حين لا تنفق الهند وهي ضعفا الولايات المتحدة بسكانها سوى واحد من مئة من محصول الورق في [الأرض]. [وما لبثت] الأمية في [الدنيا] سائدة، ففي أوربا ١٦ [في المئة من الأميين] وفي أميركا الشمالية ٢٠ وفي أميركا الجنوبية ٥٠

---

١٧٧. في الأصل: يقرأون

١٧٨. في الأصل: في كل.

١٧٩. بلد من إفريقية الشرقية (يسمى اليوم تنزانيا): كان مستعمرة ألمانية بين سنتي ١٨٨٤ و١٩١٩، ثم أوقع تحت الحماية البريطانية وأصبح مستقلاً سنة ١٩٦١.

وفي آسيا ٦٧ وفي إفريقية ٨٣ فيكون عدد الأميين في مجموع سكان الكرة الأرضية ٥١ في المئة أي أن ( ١٢٠٠ ) مليون من البشر رجالهم ونسائهم وأطفالهم لا يقرأون ولا يكتبون، وحيث تتراجع الأمية يكثر من يتناولون الصحف كما وقع في المكسيك فقد حاربت الأمية حرباً شعواء فأسفرت حربها عن انتشار الصحف فيها. وفي الصين وتدخل فيها جزيرة فرموزة ( ٤٤٢ ) جريدة يومية لشعب بلغ عدده ( ٤٦٣٥٠٠٠٠٠ ) وفي أفغانستان أربع صحف يومية وسكانها ( ١٢ ) مليوناً وفيها أربعة دور سينما فقط، وفي المملكة العربية السعودية وسكانها ستة ملايين عشرة آلاف جهاز للمذياع ولكن يحرم فيها إذاعة غير ما يدخل في صميم التعليم والتربية.

# اليسوعيون

كان الأب لويس شيخو اليسوعي من أصحاب أستاذي الشيخ طاهر الجزائري وبواسطته اتصلت بمعرفة الأب الجليل. وبدا لي بعض السنين أن أُدخل أخي أحمد في كلية القديس يوسف اليسوعي في بيروت ليتعلم العربية والفرنسية ثم أُعلّمه الطب. فكاشفت الأب شيخو بما نويت بحضور الأستاذ الجزائري، فسألني عن عمره فقلت له: ثلاث عشرة سنة. فقال: لا يقبلونه لأنا نختار من التلاميذ من يكون عمره أقل من عمر أخيك حتى تأتي تربيته على ما يوافق طريقتنا، وشقيقك هذا أخذ الآن أشياء لا نحب أن ينشأ عليها من يعهد إلينا تنشئته. أعجبتني من [القسّ] هذه الصراحة، وعدت ودفعت شقيقي إلى مدرسة الحكمة المارونية فتعلم فيها اللغتين على ما كنت أرغب فيه. [١٨٠]

والواقع أن جميع من تلقوا العلم في مدارس اليسوعيين في مصر والشام كانوا نمطاً واحداً في تفكيرهم ومنازعهم، يعملون على طرائقهم كأنهم جند من قرعة معينة، دربوا في ثكنة واحدة. وهل هم إلا غرسة الجنرال (أغناطيوس دي لويولا)[١٨١] مؤسس [الرهبانية] اليسوعية أعظم [رهبانية] في العالم.

مزحت مرة مع الأب شيخو [راجياً] أن يهيّئ لي سبيل الدخول إلى ديرهم في بيروت، أقضي فيه أُسبوعاً وأخرج منه بمقالة أُسميها "أُسبوع في دير" فأشار إليّ أن تحقيق هذه الأمنية متعذر. ولو كنت ممن ترضي اليسوعيين تربيتهم لرضي الأب وزملاؤه أن يقبلوني في ديرهم سنة كاملة لا أياماً محدودة، ولأفاضوا عليّ من كرمهم ولطفهم فوق ما كنت أرجوه.

---

١٨٠. كان ذلك في سنة ١٨٩٦ إذ إنّ أحمد كرد علي من مواليد ١٨٨٣. أنشئت مدرسة الحكمة سنة ١٨٧٤ في حي الأشرفية ببيروت تحت رعاية المطران جوزيف دبس، ويُلاحظ أنّ الأديب الشهير جبران خليل جبران (١٨٨٣–١٩٣١) درس فيها بين سنتي ١٨٩٨ و ١٩٠٢ وقد يكون أحمد كرد علي، الذي كان من جيله، قد رافقه على مقاعد الدراسة.

١٨١. القديس أغناطيوس دي لويولا (١٤٩١–١٥٥٦): من الشرفاء الإسبان. زار القدس سنة ١٥٢٣ ثم درس اللاهوت في إسبانيا وفي باريس. أسّس رهبانية اليسوعيين في إيطاليا سنة ١٥٤٠.

كنت في جدال دائم مع العالمين الكبيرين اليسوعيين الأب لويس شيخو والأب هنري لامنس ـ وكانت لهما مكانة في ديار العرب وعند علماء المشرقيات من الغربيين، لسعة علمهما وكثرة انتاجهما. وكنت أخالفهما في بعض آرائهما، وما سكت عن التنديد بما كانا يرتكبان من التحريف المتعمّد عند نشر بعض كتب المسلمين وما أغفلت تزييف ما ينشرانه في مجلتهما "المشرق" من الأبحاث التي تتخللها أُمور نابية عن الإنصاف، ومنها الطعن في الإسلام ورسوله، والحط من المدنية العربية. ومع هذا كانا يعدّانني من أصحابهما، وأنا أنظر إليهما نظري إلى مخالف لي في الرأي. قال الأب شيخو رحمه الله، وقد جاء يزورني يوماً وبيده كراسة ضمنها مدحي ومدح عملي في المجمع العلمي العربي، وأنا أعاتبه على حملته الأخيرة : "يا أستاذ المصارين في الأحشاء تتنازع، ومناقشاتنا طبيعية الحدوث".

وكنت أعذر هذين اليسوعيين على نزعتهما و[اتصال] منازعاتهما، لعلمي أن حياتهما مناط هذا التعصب، به يعيشان في الدنيا ويعتقدان أن نجاتهما في الآخرة. والفرق بيني وبينهما أني كنت أعترف بفضلهما، وهما ما غلطا مرة وذكرا حسنة واحدة للإسلام والمسلمين. أصرح أن الرهبانية اليسوعية في البرازيل [مثلاً] كتبت صفحة جميلة في التاريخ بإنقاذ هنود تلك المملكة من نظام الرق، ليساووا البيض من المستعمرين في الاستمتاع بحقوق الوطني، وأن رهبانيتهم أتت في هذا الباب بأحسن ما يأمر به الدين، وأصرح بأن البرتقاليين [لما أخرجوا] اليسوعيين من البرازيل ثانية نفذوا قانونهم القاضي بالتدخل في سياسة الممالك التي ينزلونها، وبها طُردوا من فرنسا وإنكلترا وبلاد القاع وروسيا [وبوهميا] وإمارات البندقية والبرتقال وإسبانيا وغيرها من الممالك الكاثوليكية والبرتستانتية [والأرثوذكسية] في القديم والحديث. منذ أُنشئت طُغية اليسوعيين سنة ١٥٣٤ وهي تحمل للعالم خيراً وشراً، الخير في تعليم الجاهلين وتنصير الوثنيين والملحدين، والشر في تدخلهم في سياسة الدول التي يحلون أرضها [وقتلهم الملوك وإحداثهم الثورات]. وإني لأعتقد أنه كان لليسوعيين يد في إدارة دفة السياسة في سورية ولبنان خلال عهد انتداب فرنسا فيهما، وأنهم قاوموا بعض المفوضين السامين لما حاول نزع سلطانهم عن دواوين الانتداب. [وكانوا محرضين للقضاء على بعض المعاهد العلمية التي تخالف طريقتهم ويؤذيهم نجاحها في أعمالها] [١٨٢]

١٨٢. حاشية بخط يد الكاتب تحت الرقم ٩٩.

# الإقطاعيون

وصف الأستاذ محمد الأهدلي في جريدة "الحضارة" أخلاق الإقطاعيين قال : ولماذا لا نتعوذ من الإقطاعية في هذه الديار، ولولاها لما شقيت أُمم، ولما كانت تعاسة في العالم، وهل تهدمت أمة إلا بمعول الإقطاعية وأيدي الإقطاعيين؟ فالإقطاعية والاستعمار توأمان، والإقطاعية والاستقلال عدوان، فكيف تجتمع الإقطاعية والحق والعدل والحرية والإنسانية على صعيد واحد.

السيطرة في بعض الأقضية للمتنفذين لا للقوانين، وبعض الموظفين فيها لا يعتبر نفسه إلا عاملاً، أستغفر الله، إلا خادماً عندهم، وأن الحكومة لا تعينه، والأمة لم تضمن له راتبه إلا ليكون منفذاً لأغراضهم، وضامناً لشهواتهم. ومن شك في هذا فليذهب إلى أي قضاء أراده، ولينظر بأُم عينه أين يجلس الموظفون، ومع من يسهرون ويلعبون، وعلى أي مائدة يأكلون ويشربون، وفي أي سيارة يركبون ويتجولون، وإلى أي قرية يذهبون ويتنزهون، وعلى حساب من يطربون ويسرون، ومع من يختلون ويتآمرون.

سمعت قائم مقام يقول لأحد المتنفذين : إنني ما حضرت إلا لأجل خدمتك، فإن قبلتني بقيت وإلا رجعت من حيث أتيت. وشاهدت قائم مقام يقبل يد متنفذ. ومرة قال متنفذ لقائم مقام في دائرته : أنت وواليك ورئيس حكومتك لا أحسبكم مثل حذائي هذا، ما دام الشمس والقمر معي، وأشار إلى المستشار الفرنسي الذي كان حاضراً يبتسم [وهو] يقهقه لهذا الكلام. وقلت مرة لأحد الموظفين : ما لك لا تردّ كلمة المتنفذ فلان ؟ فأجابني لأن كلمته لا ترد عند أولي الأمر، فمستقبلي ومقدراتي بين شفتيه. وقيل لمتنفذ في أحد الأقضية : ما أبرعك في صيد قلوب الموظفين، فإن أحدهم لا يكاد يصل ويقع نظرك عليه إلا ويصبح أسيرك. فأجابه : إنني أضع المرأة على يميني والغلام على شمالي والدينار على صدري، وأدخل للسلام عليه، وأراقب بصره فأينما وقعت عينه أدركت هدفه وضمنته له، فأملكه بواسطته.

وعلل الكاتب هذا الخنوع والسقوط بأن الوظيفة عندنا لا تعطى باعتبار الكفاية لها أو التخصص بها، وإنما تمنح صدقة إلى الأخصاء والأقارب والأنصار والمحاسيب، مهما كان عجزهم وكان عقلهم وكانت أخلاقهم. والسبب في إجادة الكاتب هذا الفصل، ووصف نفسية الموظفين وقوام المقام واستخذاء (...X...) للكبير وجورهم

على الصغير أنه كما قال عن نفسه من الذين ذاقوا ظلم المتنفذين، وابتلاهم الله بالوظيفة عشرات السنين، فأصبح خبيراً بهؤلاء وأولئك.

هذه صورة بعض أعيان الأقاليم، وأعيان الحواضر لا يقلون عنهم احتيالاً وضعة، إلا أن المدن تغطي عيوب بعض أرباب النفوذ، تعاونها على التمويه في سيرة بعض ساكنيها سعة رقعتها ووفرة سكانها. وللقرى من ضيقها وقلة رجالها عون على كشف مساوئ من ساروا بهذه السيرة، وبعض أعيان الحواضر يرتكب ضروب النذالة لنيل مآربهم، لا يمنعهم منها دين ولا ذمة. ولطالما كان الأنذال [في] عهد الترك هم الذين يفتحون أبواب الرشوة والفساد لمن كانوا على فضل نزاهة من الموظفين، وكان استهتارهم بالحق وارتكابهم الموبقات من أيسر ما لقنوهم. نعم كان الفاسدون من التجار والزراع وأرباب الأموال وأصحاب الأملاك من أكبر العوامل في إفساد الحكام وأنت إذا حللت أكثر ثرواتهم لا تسقط فيها على ما اكتسب منها بالشرف.

**فصل م١١٧ / ملف ١٨-٣** *Chapitre C117 / dossier 18-3*

# رأي في المذكرات

تفضل الأستاذ مارون عبود من علماء لبنان فأجاب ملتمسي ونقد المذكرات فاستحق شكري وشكر الآداب. ومما جاء في انتقاده قوله: " قد حسبت حين طفت في مجلداته من الباب إلى المحراب أنه غير راضٍ عن أحد، ولا يعجبه شيء وكأنه يحاول وضع تصميم جديد لهذا الكون، و[مع] ذلك أشهد أنني قرأت فيها أشياء كثيرة كنت أتمنى أن أعرفها" وأقول في الجواب عليه: ما جنحت إلى تزييف كل شيءٍ قط، وما حاولت وضع نظام جديد للعالم، وغاية ما أرمي إليه أن أؤدي ما في ذمتي من دَين للحقائق الموصلة إلى الإصلاح. فما قلت بإبطال الأديان مثلاً، بل عمدت إلى تعريتها مما ألصقه سفهاء المنافقين فيها، [لتغدو] سليمة معقولة ينتفع بها من انتحلوها، وما حاولت أن أقضي على أنظمة المجتمعات لأُبدلها بقوانين مرتجلة جديدة، بلى حرصت على إنفاذ النظم الحاضرة وتطبيق أحكام الشرائع على الصغار والكبار، وكان أكثر ما أهمني الضرب على أيدي العمال حتى لا يمدوها إلى أموال الرعية، ولا يظلموا الضعاف الظلم الفاحش، لتشعر نفوسهم بنعمة الحكم العادل، وتطمئن إلى ما في

المجتمع الإنساني من إنصاف. وما زلت أعتقد أن أدنى همة يبذلها رجال الدين وولاة الأمر تقضي على جزء عظيم من هذه المفاسد الماثلة للأعين في كل صقع من أصقاعنا. فالقول بالإصلاح غير القول بالقضاء على كل شيءٍ.

وإن قلبي لينتعش كلما شهدت سريان روح جديد في الأقطار العربية، وأجذل لانتشار المعارف فيها، وانتظام أُمور الجماعة، وقلة التعصب الذميم. وأفرح إذا شاهدت قومي يحاولون أن يعيشوا عيش أهل الحضارة، وأن يسيروا على مناحي الغرب في نهضته، وأُصفق ما إن رأيت الأذواق تتحسن، والعادات السخيفة تتلاشى، والعقول تستعمل، والفضول يخف. فعلى هذا أنا لم أتذرع بالقضاء على موجود لأجريَ وراء مفقود. انتقدت ما توقعت فائدة من نقده، وأنحيت على المخربين والمخرفين لأردهم إلى جادة الصواب، على ما أعتقده ويعتقده كل عاقل، ذاهباً في كل ذلك إلى التفاؤل أكثر من التشاؤم، عاملاً في نطاق التدرج، بعيداً عن الطفرة.

جريت على ألا أُعجب بغنى الغني إذا جمع ثروته من رقاب المستضعفين، ولم ينفق [منها] القدر الواجب إنفاقه على المعوزين والجاهلين، ولطالما اغتبطت عندما أرى العقوبات المنصوص عليها في القوانين السماوية والأرضية تتناول من داموا زمناً على التفلت منها. وإني ليفرحني أن أرى حالنا بالقياس إلى القرن الماضي أرقى من كل وجه، اللهم إلا ما يشاهد من تدني الأخلاق، وهذا مما يشترك فيه الشرق والغرب. فأنا لا أكلف الأيام ضد طباعها، ولا أُجوز السكوت [عن] النقص على حين في الوسع تقويمه، ولا الإغضاء عن السيئات ومن الميسور علاجها.

ولقد امتدحت قوماً لإحسانهم لوطنهم في العلم والسياسة، ونوّهت بمن لا تربطني بهم صلة بحسب الظاهر، على ما لم يكونوا يتوقعونه مني. أتيت هذا وما مننت على أحد فيما قمت به، مدفوعاً إليه بما تفرضه عليّ أمانة التاريخ وقول الحق. ومن نوّه كما نوّهت بفضل من عاصرت من رجال لبنان مثلاً ولو كان من أقرب المقربين إليهم [؟] أثنيت على المسيحيين كما أثنيت على المسلمين، وانتقدت هؤلاء كما انتقدت أولئك. وأُعجبت بنوابغ اللبنانيين والشاميين والمصريين والعراقيين، وتوخيت العدل في الحكم بما أوحاه إليّ ضميري بعيداً عن العصبية الدينية، غير آبهٍ للسياسة الإقليمية الضيقة. وتوسعت في ذكر أُمور قلّ أن عاناها أحد ممن عاصرتهم. ذلك لأن بيئتي التي اضطربت فيها كانت واسعة في الجملة، تهيأ لي بها درس أحوال العرب والترك والفرنسيس على ما لا يهم غيري الاشتغال به. فإذا قلت في هذه الشعوب وحكوماتها شيئاً [فإنما] أقوله عن ذوق وطول تجربة في الغالب. وأمنيتي المحببة إليّ، ولطالما تناغيت بها، أن تنشأ للعرب دولة لا تصدر إلا عن الوطنية العربية.

ولقد كنت أتباعد عن الملوك والرؤساء ورجال السياسة حتى لا أُساق إلى أن أخدمهم بما يريدون على ما لا أُريد. ولو ملت قليلاً معهم، وخدمت أفكارهم ليرفعوني فوق ما أرجو ويرجو أمثالي. وهذا مما [ينافي] خطة المأخوذ بالإصلاح، والهائم بالتجدد، على ما كان يتخلل طريقهما من العثرات. قمت بكِبَر ذلك صابراً محتسباً، وما قدرت حظ نفسي فيما عالجته من المشكلات في جميع أدوار العمر.

وآخذني صاحبي الحصيف على إعجابي بأُسلوبي في الإنشاء، وعلى قولي إني ربما كنت أمتنع عن التأليف لو سمعت أن في المؤلفين لعهدنا من يعانون هذا الضرب من الكلام الحر. أنا لم أُعجب بأُسلوبي والذي أُعجب به غيري فنقلت كلامه أثناء حواره، وقولي إن ما دعاني إلى التأليف الحر إلا قلة من يعانيه من أرباب الأقلام، ليس من باب التبجح بل هو تقدير أمر واقع. والمنة كل المنة لناقدي العالم إذا تفضل ودلني على من صرحوا بأفكارهم بمثل هذه الجرأة [في] المعاصرين، وما بالوا بما ينشأ عنها من أخذ ورد، ولا عبئوا بإغضاب الدول والأفراد. فأنا أفاخر بما سجلته من الأفكار الحرة في مذكراتي، وفي الجرائد والمجلات التي نشرت فيها مقالاتي وفي الكتب العلمية [والأدبية] التي [صنفتها وضمنتها أفكاري]. وفي أكثر ما خطت يميني نموذجات من هذه الحرية التي توسعت فيها واعتقدت نفعها في تنوير الأذهان، ولم يتصدَّ أحد لنقدي نقداً لا غرض فيه مع كثرة طلبي ذلك. وقول ناقدي العلامة أن أسلوب هذه المذكرات طليّ رائق ولعلها خير مما كان يقرأ لي يوم كان يطالع مجلتي (المقتبس سنة ١٩٠٨) وأني كنت في هذه الصحيفة كاتباً موضوعياً وأصبحت في هذه المذكرات كاتباً ذاتياً. فإن السبب فيه يرجع إلى السنين التي مضت عليّ بين سنتي ١٩٠٨ و١٩٥٢ [١٨٣] وهي بالحري أن تقلب فيّ وتبدل شأن كل حي في عالم الكون والفضاء.

ثم إن قول صاحبي أن خطتي أورثتني كثرة الأعداء وقلة في الأصحاب لا تصح على إطلاقها، فإن من أبغضوني قلائل، وهم لصوص الموظفين والمستوزرين والمخرفين من رجال الدين ومن لفّ لفهم، وهم ممن لا أُقيم وزناً لاستحسانهم واستهجانهم. وهب أن بعض أهل هذه الطبقة لم يرضوا عما كتبت فهناك أرباب التربية الحديثة وأهل الأدب والعلم على اختلاف مراتبهم ومذاهبهم، عرفوا سلامة قصدي وأقروني على ما ناديت به وما بليت، وهم قد بالغوا في مدحي وأكبروا عملي. ومن الصعب أن يجمع الخلق على دعوة جديدة، وبخاصة في مثل هذا الزمن الذي ينظر فيه قبل كل شيءٍ للمنافع المادية، وقد اعتاد أهل جيلنا أن يؤثروها على كل ما يفيد في إنارة الأفكار

١٨٣. في الأصل: بين سنتي ١٩٠٨-١٩٥٢.

وشفاء أمراض النفوس. ومن أخذ على نفسه أن ينهج نهج الإصلاح لا يهمه إلا وصول أفكاره إلى من يكتب لهم، ويستوي في نظره المادحون والقادحون، على ما أشرت إلى ذلك في غير موطن من هذا الكتاب. ثم إنه ليس من صنعي وما كنت أريده، أن أعيش في عصر كان دور انتقال من قديم بال زهدت فيه النفوس، إلى حديث محكم تقبله كل الطبقات، بما يحصل من خير وشر. عشت في زمن قلّ فيه الاستقرار، وشهدت تبدل الدول، وانتشار الدسائس والمفاسد، وتجلى لي أن جهاز الراعي والرعية كان في معظم مظاهره متحلحلاً متخلخلاً. [وسألت صديقي العلامة جيب (أستاذ العربية في جامعة أكسفورد) رأيه في المذكرات فقال إنها "مرّة" فقلت له كنت أود أن أجعل فيها حلاوة فما استطعت، وساقتني فطرتي إلى هذا النوع من النقد المرّ وقلت عسى أن تكون مرارتها أنفع من حلاوتها والدواء المرّ قد يكون فيه الشفاء في بعض الحُمّيات وهل خرجت أمراضنا الاجتماعية والأخلاقية عن الحمى القادحة].

فصل م١١٨ / ملف ١٨-٤ *Chapitre C118 / dossier 18-4*

# حقيقة إيران

هذه صورة تقرير سري أرسله إنكليزي إلى وزير خارجية بريطانيا في سنة ١٩٤٩ وقد نشرته إنكلترا في الوقت الذي قامت فيه إيران بتأميم الشركات في بلادها، ومنها شركة النفط الإنكليزية الإيرانية: [١٨٤] (إن شعب إيران شعب مضطهد تنهكه الفاقة، ويعاني مرارة الجوع والمرض، ونسبة الوفيات فيه أكثر النسب ارتفاعاً في العالم، والوفيات بين الأطفال تكاد تهدد الشعب كله بالانقراض. و[تحكم] المملكة بالقهر والجبروت طبقة من ملاّك الأرض الإقطاعيين، وفئة من الخانات الذين طبعت قلوبهم على القسوة، وعدد من أرباب الجشع من رجال الصناعة. أما الفلاحون فعبيد، ولا

١٨٤. أُسّست هذه الشركة باسم شركة النفط الإنكليزية الفارسية سنة ١٩٠٨ وغيّرت اسمها لتصبح شركة النفط الإنكليزية الإيرانية [Anglo-Iranian Oil Company (AIOC)] سنة ١٩٣٥، ثم الشركة الإنكليزية للنفط [British Petroleum Company (BP)] سنة ١٩٥٤. تمّ تأميمها بقرار مجلس النواب الإيراني في آذار/مارس ١٩٥١ وسبّب ذلك أزمة سياسية بين إيران وإنكلترا، انحلت بعد عزل رئيس الوزراء الإيراني، المصدق.

يتقاضى العملة غير "بنسات" قليلة مقابل عمل يدوم اثنتي عشرة ساعة في اليوم، وهي لا تكاد تكفي لإطعام عيالهم.

وليس في إيران نظام للأجور ولا نقابات للعمال، ولا معاهد صحية، ولا منشآت للصرف والري، ولا نظام محكم للطرق ولا للمساكن، وليس لأهلها حقوق أمام القانون، ولا حق في الاقتراع، وحقوقهم البرلمانية ضائعة [بنظام] الانتخابات الفاسد وبالرشوة والاستغلال، ويعاني الشعب الإيراني الأمرين من نظام البوليس القائم على الإرهاب، وهو أبداً فريسة للمضاربين والمرابين والطامعين في جمع المال.

إن ما يجري في هذه الديار هو صورة البؤس والجوع والسجن والمهانة التي تخجل النوع الإنساني. ويشمل الفساد عامة فروع الحكومة في إيران من الرأس إلى القاع، ويدخل في ذلك رجال البلاط والبوليس والبرلمان، وليست الحكومة إلا فساداً منظماً، يقع الوزراء على الشعب كالطيور الجارحة، ينظمون الضرائب والقوانين والتدابير المالية، ولا غرض لهم إلا جمع المال. وقد كان الشاه السابق [١٨٥] يملك في آخر حكمه نحو خمس مساحة المملكة، ونظام الشرطة في إيران يمثل القسوة والوحشية، على ما كانت تمثلها الشرطة الألمانية. والإيرانيون قوم منحطون أُميون تنهكهم الأمراض، وجميع هذه العلل كانت سند قوة للحكومات وللخانات ومشايخ الدين منذ ألف سنة. إن الجهل والقذارة والأفيوم أسلحة فعالة تكفل حفظ النظام وإدارة الفساد، وليس في إيران كلها رجل واحد أو امرأة أو طفل لا يعد خاضعاً لسلطان مالك الأرض، أو عبداً ذليلاً في العمل الذي يؤديه، وعرضة لفساد الموظفين، ولم يُعْتَدْ عليه ويُسبّ ويلعن ويُسرى بأيدي الشرطة والجيش، وليس في إيران كلها شاب يافع سالم من الأمراض المزمنة. إن بناء الحكومة كله متعفن بالرشوة والاستغلال والقسوة، والعدل مفقود في المملكة، ليست فيها محاكم حقيقية، ولا حقوق سياسية، ولا حكومة نيابية، ولا قوانين للأجور. ولا وسيلة يمكن أن تصلح بها هذه الأوضاع السيئة بغير الثورة) (اهـ).

حقائق إن صح بعضها تبعث على الأسى لحالة إيران، وتُنبئ بأن معظم ما نسمعه عن النهضة الإيرانية الأخيرة ملفق: قوانين وأنظمة جميلة متعذر تطبيقها لقلة الرجال وضعف العزائم وتأصل الفساد.

---

١٨٥. هو رضا شاه (١٨٧٨-١٩٤٤) مؤسّس السلالة البهلوية وشاه إيران بين سنتي ١٩٢٦ و١٩٤١ وقد أنزلوه الإنكليز عن العرش لصالح ابنه محمد رضا.

# العرب والأرمن

لم يقم في المملكة العثمانية أفظع من المذابح الأرمنية في مبدأ الحرب العالمية الأولى.[١٨٦] ذبح الأتراك الأرمن في الولايات [التي كانوا] يسكنونها في آسيا الصغرى، وأرادوا رعاياهم من الأكراد والجركس[١٨٧] على أن يعاونوهم على جرائمهم. وقد ادعت الدولة العثمانية أن هذه "الأمة قتلت المسلمين في ولاية وان،[١٨٨] وأنه ظهر عندها أسلحة ممنوعة وقنابل متفجرة، وعلائم [تأليف] دولة أرمنية كالرايات وأمثالها" "وأنها عندما تسمح لها الفرصة تحدث شغباً وتقتل المسلمين وتستعين بدولة الروس على الترك" وكل ذلك لم يصح و"الحكومة أمرت أهل المدينة أن يغادروها قبل وصول الروس إليها، وقبل أن يحدث شيء أو يقتل شخص، وطلبت من الأرمن تسليم السلاح فلم يسلموه، خوفاً من هجوم الأكراد عليهم، وخوفاً من الحكومة. وقد طلبت أيضاً أن يسلم زعماء الأرمن. وكل ذلك كان عند تقدم الروس نحو مدينة وان، وأما في الملحقات فقد جمعت الحكومة جميع الأرمن، وساقتهم إلى الداخل فقتلوا جميعاً، ولم يقتل أحد من مأموري الحكومة ولا من الأكراد ولا من الترك" ومجموع ما قتل من الأرمن مليون ومائتا ألف رجل وامرأة وطفل.

ولقد طهر الله أيدي العرب من الانغماس في دماء الأرمن. قال الأستاذ الغصين: "لما هربت من ديار بكر مررت بعشائر كثيرة من عشائر العرب، فرأيت عندهم كثيراً من الأرمن رجالاً ونساء، وهم يحسنون إليهم، ومع أن الحكومة تنشر بين العشائر أن قتل الأرمن فرض، فإنني لم أسمع أن أحداً من عشائر العرب قتل أرمنياً أو أنهم تسلطوا على أعراضهم. وسمعت أن بعض العرب مروا ببئر فوجدوا نساء ورجالاً أُلقوا فيها، فأخرجوهم منها وهم على آخر رمق من الحياة وأخذوهم معهم وعالجوهم إلى أن شفوا وأقاموا عندهم".

---

١٨٦. كتاب المذابح الأرمنية تأليف صديقي الأستاذ فائز الغصين وقد شاهد بعض وقائعها بعينه وروى عن الثقات ما حلّ بالأرمن (للمؤلف).

العنوان الكامل لهذا الكتاب هو: الغصين، فائز، المذابح في أرمينيا، حلب، مطبعة أريويلك، ١٩٩١. (الطبعة الأولى في القاهرة، سنة ١٩١٧)

١٨٧. أي: الشركس

١٨٨. تقع ولاية وان (باسم عاصمتها وان) بين بحيرة وان والحدود مع إيران في الأناضول الشرقية.

نعم قام العرب بما فرضه الإسلام عليهم من حماية الذميين والإحسان إليهم، حتى إن أحد قوام المقام من أبناء العرب في قضاء البشري من عمل ديار بكر،[١٨٩] وهو ثابت بك السويدي البغدادي ـ ابن الشيخ يوسف السويدي الذي صار حاكم العراق في العهد الجديد وشقيق ناجي باشا وتوفيق باشا من رؤساء وزارات العراق ـ لما لم يرض أن يوافق الوالي على الاشتراك في قتل الأرمن في عمالته استقال من الخدمة، فأرسل إليه الوالي، وكان شركسياً، من قتله في الطريق.

هذا إجمال ما يقال في المذابح الأرمنية في الحرب العالمية الأولى، وهذه صورة من أخلاق العرب وفي كتابنا (خطط الشام) تفصيل لما عومل به الأرمن من الرعاية والعطف في الأرض العربية في تلك الحرب المشؤومة، وما لقوه من [حماية] المسلمين في الولايات التي جلتهم إليها الدولة العثمانية.[١٩٠]

كان الأتراك يحسدون الأرمن على رقيهم ويطمعون في غصب أموالهم، وكان ذلك من الأسباب في القضاء عليهم إذ "كانت جميع الصناعات والتجارة في تلك الأصقاع بيد الأرمن، ولهم الحظ الأوفر في الزراعة، وكانوا أرقى بكثير من الأتراك والأكراد في الولايات الأرمنية، ومدارسهم الكثيرة ومدارس مواطنيهم القليلة دليل على رقيهم وانحطاط الآخرين."

فصل م١٢٠ / ملف ١٨-٦ *Chapitre C120 / dossier 18-6*

## الاستعمار الهولاندي

سألني مستعرب هولاندي يحترف السياسة [١٩١] رأيي في الاستعمار الهولاندي، فأجبته أن استعمار الهولانديين والبلجيكيين والفرنسيس والطليان والألمان والإسبان

---

١٨٩ . قضاء البشري اليوم من ولاية باتمان (شرق مدينة ديار بكر) في جنوب الأناضول.

١٩٠ . انظر : خطط الشام، ص ١٦٣-١٦٥ .

١٩١ . قد يكون المستشرق سنوك هرخونيه [Snouck Hurgronje]، وهو كان يعمل في وزارة خارجية بلده فيما يخصّ المستعمرة الاندونيسية.

والبرتقاليين والروس نمط واحد في الظلم وهضم حق المستعمر واستنزاف قواه وإبقائه في جهالة وعماية، وإذا كان هنا استعمار يتجوز في وصفه بأنه أقل أنواع الاستعمار شراً فهو الاستعمار الإنكليزي، وقد [أبقت] منه بريطانيا العظمى في مصر نموذجاً صالحاً يحكم لها به. فقال إن المصريين لا يوافقونك على هذا القول، فقلت له إن المصريين يطمعون في أن يجزدوا الإنكليز من كل سلطة لهم في مصر والسودان ليتم استقلالهم. ثم اعتذرت عن تصريحي بما كانت أتفادى الجهر به حتى لا أمسّ شعور من ألقاهم من المشتغلين بالسياسة. ولذا لم أجتمع في العهد الحديث إلى رجال السلك السياسي شرقيين كانوا أم غربيين، وهم ما برحوا يتفضلون ويدعونني إلى حفلاتهم الرسمية. وكُلّ ذلك حتى لا يتأذى أحد من صراحتي ولا أضطر إلى أن أُصانع فيما أنا في غنية عنه.

وهناك استعمار شريف يجب ألا ننساه وهو استعمار الولايات المتحدة الأميركية فقد قال الحكيم غستاف لبون ما معناه : استعمر الإسبان جزائر كبرى كالفليبين وكوبا نحو ثلاثمائة سنة فما كنت تسمع خلال مقامهم فيها إلا الثورات والاضطرابات وإهراق الدماء، ولما خلفتها الولايات المتحدة على بعض هذه الجزائر تنظم أمورها وتستثمرها أصبحت في ثلاثين سنة جنة أرضية، وفي هذا دليل على أن في الدم الأميركي خاصية ليست في الدم الإسباني.

# شركة لصوص

يسرق اللص الكبير في دفعة واحدة ما يوازي [سرقات] اللص الصغير طول عمره، وينجو كبار اللصوص [على الأغلب] من سلطة القوانين، ويؤخذ صغارهم بما جنوا، ولو كان الدافع لهم إلى السرقة جوعهم وجوع عيالهم. السارق الكبير يسرق مصرفاً، ويأتي على ثروة أسرة، ويقتطع جانباً من مال أمة، وإذا ظهر أمره [يبرأ وتخفف عُقوبته].

كنت منذ أيام الصبا أراقب كبار اللصوص في تفننهم بسلب الأموال، فأرى شباكهم مختلفة، ونجاحهم في معظم سرقاتهم مضموناً. شاهدت أحد كبار أرباب الأملاك مليوناً وربع مليون من الدونمات، يؤلف شركة ثلاثية كان [هو] فيها الشريك الظاهر، والشريكان الآخران رئيس وزارة ووزيره، وكان على الشريك الأول بذل النفقات، وعلى الشريكين الآخرين أن يخدما المشروع بجاههما ومعرفتهما، حتى تستملك الشركة عدة قرى عامرة من أملاك الدولة، ولم يوفق الشركاء إلى بلوغ مأربهم، إذ حال دون تحقيقه القانون الذي سنه المنتدبون، وهو يقضي بألا تباع أراضي [السلطان] إلا من الفلاحين القائمين على زراعتها مُنَجَّمة على سنين.[١٩٢] ولو صح حلم الشركة الثلاثية لأصبح أصحابها من أكبر أغنياء الديار الشامية من دون رأس مال يوظفونه ولا غناء يصرفونه.

صادفت الشريكين الوزير وصاحب المزارع في دار أحد الوزراء، فلم أتمالك أن قلت لهما مازحاً: "يا بركة شريكين ما خانوا" كما يقول العوام، وسألت عن الشريك الثالث أين هو ولماذا لم يحضر معهما حتى تقوم (السيبة على قوائمها الثلاث)؟ فظهر الخجل عليهما، وأظنهما استغربا كيف وصل إلى علمي ما يبدرون في سر لاستصفاء هذا القدر العظيم من [القرى].

كان الوزير الداخل في الشركة الجديدة من الوزراء الذين لم يتركوا أُسلوباً من أساليب السلب والنهب إلا لجأ إليه، ومن سرقاته أنه احتال على من عرف أن عندهم، فأخذها منهم على أن يستثمرها لهم بالربا، فاختلس بذلك مبالغ عظيمة قبل أنها تبلغ نحو ثلاثة أرباع مليون ليرة سورية ثم أظهر العجز عن أدائها، فلجأ أربابها إلى القضاء فحكمت عليه المحاكم ولم ينفذ فيه حكم من الأحكام. وعلى تفننه في [ابتزاز]

١٩٢. انظر الحاشية رقم ١١٣ (فصل م٦٧، ص ٢٨٢)

الأموال افتقر كما افتقر من استحل أكل [ديونهم]، وقد بددها كلها على مناضد القمار، وبدد معها ما خلفه له أهله من ثروة غير قليلة. ومن العجائب أن يبقى هذا المحتال على اتصال بالمجتمع، يزور الناس ويزورونه، كما لو كان من أشراف القوم، و[كان إلى عهد قريب] توسد إليه أعمال مالية سهلة السرقة على من يحاولها. [١٩٣]

فصل م١٢٢ / ملف ١٩-٢ *Chapitre C122 / dossier 19-2*

## الضيافات الدائمة

اعتاد بعض أرباب البيوت الغنية في الريف فتح دورهم للصادي والغادي، لا تنقطع عن إطعام الطعام كل يوم، ومنهم من ينفقون من ريع مزارعهم لا يعتمدون على [معاونة] حكومة ولا [مؤازرة] عشيرة، فإذا أضاقوا ولم يُجزئهم [ريع] السنة الحالية استدانوا إلى قابل، أو باعوا قطعة من ملكهم لسد عجز سنتهم. ومنهم اثنان كان أحدهما من عشيرة الدنادشة ينزل في تل كلخ [١٩٤] اسمه عبد الله آغا العمر واسم الآخر الأمير محمود الفاعور شيخ عشيرة الفضل ومنازلها في أرجاء الحولة،[١٩٥] وكلاهما في المكارم فرسا رهان.

وصف لي صديقي الأمير محمود الفاعور كيف كان يستعد لاستقبال أخلاط الزمر من ضيفانه، في كل ساعة من ساعات الليل والنهار، لا ينقطع سيلهم في الصيف ولا في الشتاء ولا في الخريف ولا في الربيع، ولا يستريح هو وخدامه يوماً من لقائه. وكان [بعض] من ينزلون عليه لا يستحون من طلب ألوان من الطعام يشتهونها، فتجهز لهم في الحال، كأنهم في بيوتهم أو في فندق يدفعون من جيوبهم ثمن طعامهم وعلف دوابهم وأُجرة مبيتهم، ولا منّة لأحد عليهم قال إن أرضه غلّت له في ذاك العام ألفي مدّ من الأرز، لم تكف ضيوفه، فاضطر لسد حاجته من هذا الصنف إلى ابتياع

١٩٣. [قالوا إن القوانين في المجتمع المحتل نظامه أشبه ببيوت العنكبوت تعثر فيها الهوام الصغيرة وتنجو الكبيرة من الوقوع فيها] (للمؤلف)

١٩٤. قرية سورية تقع على سفح شمالي لتل بازلتي يشرف على طريق حمص–طرطوس. سميت كذلك نسبة إلى نبتة الكلخ، وقد زالت هذه الأخيرة من الوجود إثر احتراق المنطقة خلال الحرب العالمية الثانية. وكان هذا التل منذ القديم موقع تجمع العشائر العربية في المنطقة.

١٩٥. منطقة خصبة من سورية، تقع بين مدن حمص وحماة ومصياف؛ مركزها بلدة تلدو.

القدر الذي يلزمه منه. فإذا كان هذا مقدار ما يصرفه الأمير رحمه الله من الأرز [ فكم] كان [ يلزمه] من الحنطة والشعير والجريش والحبوب والبقول والخرفان والغنم والبقر والأوز والدجاج والحمام والسمك والسمن والزيت والبيض والأجبان والألبان والعسل والدبس والسكر والقهوة والشاي والفاكهة والحلواء، وكان يزيد معدل الضيفان في مضافتي الدندشي والفاعور سنة عن سنة، لاستفاضة شهرة العربيين الكريمين، وظلا يضيفان من لا يعرفان طول حياتهما، وما تبرما بتعجيز الناس، وهذا كل ما توجبه مكارم الأخلاق.

كان قبل هذا الجيل في الأقاليم الشامية عشرات من البيوت على صورة [ المضافتين خربها] الكرم القسري، وقلة ذوق قاصديها.

*Chapitre C123 / dossier 19-3* **فصل م١٢٣ / ملف ١٩-٣**

## [ ثلث ] المسلمين

وأعني بهم مسلمي الباكستان والهندستان، ومنهم يتألف [ أكثر من ثلث ] العالم الإسلامي. وما برح الهنود العصر بعد العصر يُخرجون للإسلام عظماء العلماء، يكتبون تآليفهم باللغة العربية كأفصح كتاب العرب، وبالأمس كانوا يطبعون على الحجر كتب الحديث والفقه والكلام والأصول والتفسير واللغة والتاريخ والأدب وقد طبعوا منها عشرات الأمهات، واليوم يطبعون بالحروف وينشرون مع التآليف القديمة تآليفهم الجديدة [١٩٦] وآخر ما ثلُجت [ له] نفسي من مؤلفاتهم الجديدة حياة محمد إقبال شاعر الهند الأكبر أو شاعر المسلمين المعاصرين،[١٩٧] تجلت فيه روح [ الإسلام] وحكمة الهند

١٩٦. أهداني مؤخراً الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي، نسبة لجماعة ندوة العلماء في الهند، عدة رسائل من تآليفه فألفيتها في الغاية ببيانها وبحثها لا تقل عن تأليف أكبر علماء العرب. (للمؤلف)

أُسّست ندوة العلماء، وهي منظمة إصلاحية إسلامية، في كانبور بالهند سنة ١٨٩٤ بفضل مجموعة من العلماء الهنود. قصدت الندوة تحديث النظام التعليمي في الهند ولذلك أسّست مدرسة في مدينة لوكنو (عاصمة الولاية الشمالية أوتار برادش [Uttar Pradesh] ) باسم دار العلوم. للمزيد من المعلومات، انظر الموقع التالي على الإنترنيت : http://www.nadwatululama.org

١٩٧. والعنوان الأصلي هو : الندوي، أبو الحسن علي الحسني، شاعر الإسلام الدكتور محمد

[ في ] معان مبتكرة وأُسلوب بارع. كان يكتب شعره بالفارسية [ والأُردية ]، وقد ترجم إلى لغات الغرب الكبرى، فاستفاد منه الغربي كما استفاد الشرقي، ولا عجب أن كان محمد إقبال عجيبة الهند، فالهند ما برحت أمّ العجائب.

من القديم كان الهنود ينزلون بلادنا للحج وطلب العلم، ويقل منا من يزورهم في ديارهم، و[ كان التجار ] أغلب من كانوا يرحلون إليها. وفي الهند أشياء يجب أن يعرفها العربي، ولا يتيسر استبطان أسرارها إلا بالسياحة وإطالة مدة الإقامة في مدن العلم الهندية. وإن بعض أرباب الأفكار وحملة العلم منا إذا زاروا بلداً يضم [ نحو ] [ خمس ] سكان العالم ينقلبون [ ولا شك ] إلى أهلهم بمعارف جديدة ما كانت تجول لهم في خاطر.

فصل م١٢٤ / ملف ١٩-٤ *Chapitre C124 / dossier 19-4*

# الدين والدنيا

من يحاول أن يبقى للدين سيادته القديمة ولا يخرج الناس عن هَدْيه في كل شيءٍ على ما كان في العصور الأولى للإسلام، دون أن يعد المدة اللازمة لذلك، هو من الخياليين طلاّب المحال. لا تكفي الغيرة على الدين لنشر كلمته ودوام سلطانه على النفوس، بعد أن [ هيأ ] أرباب الدنيا ضروب الدعاية لتحسين أحوالها من علوم وآداب تبثها المدارس والأندية والصحف والكتب ودور التمثيل والسينما. وأهمّ ما أعان على تغلب فريق الدنياويين على فريق الديانيين رغبة معظم الخلق في تلمس الوسائل إلى تنظيم الحياة الدنيا. [ فليس بمستغرب ] إذاً [ أن ] يضعف فريق الآخرة يوماً عن يوم، ويقوى فريق الدنيا اليوم بعد اليوم.

---

إقبال، القاهرة، مطبعة دار الكتاب العربي، ١٩٥١.

*Chapitre C125 / dossier 19-5* **فصل م١٢٥ / ملف ١٩-٥**

# قلق الغرب

ربما لم يسبق للغرب أن اضطرب الاضطراب الذي نشاهده فيه هذه الأيام. وما نظن أن أوربا و[ أميركا ] اهتزتا في حرب المئة سنة أو حرب الثلاثين سنة أو حرب السبع السنين، أو في حروب شارلكان وحروب نابليون وحروب الانفصال الأميركية الاهتزاز الذي تهتزانه الآن. كانت أكثر الحروب والثورات تنشب في بقاع معينة وقلّما يعني البعيدين عن دار الحرب غلبة فريق وهزيمة آخر، لأن مصالح البشر لم تكن متشابكة كما هي في عصرنا ومن الدول من كانت تفرح إذا تطاحن جيرانهن فيرين ضعفهنّ قوةً لهنّ. ومن يتدبر ما يجري لعهدنا ويطيل النظر في تنافس المعسكرين العظيمين المتنازعين على سياسة العالم، يذهب به الظن إلى أن القيامة قامت أو كادت والحضارة على وشك الزوال.

*Chapitre C126 / dossier 19-6* **فصل م١٢٦ / ملف ١٩-٦**

# نعمة الاستقلال

يوم نادى الرئيس ويلسون الأميركي في الحرب العالمية الأولى أن من حق كل شعب أن يقرر مصيره في الحكم على ما يجب، ألقى على الشعوب المستعبدة كلمة السلام والطمأنينة. [١٩٨] وقيل إن النغمة التي تردد هذه الأيام في آسيا : "خير للدول أن تعيش مستقلة ولو كانت إدارتها سيئة من أن [ تحيا ] مستعبدة في ظل دولة حسنة الإدارة" وهذا الرأي يقول به كل وطني عاقل، إذ ليس بعد نعمة الاستقلال نعمة. فبالاستقلال يسير كل شيءٍ إلى ما فيه المصلحة الوطنية، وبالاستعباد تنقطع آمال المستعبَدين من تحقيق ما يُبقي عليهم قوتهم وعزتهم. وإذا بانت أعراض الضعف على أمة ظهر الفرق

---

١٩٨. ألقى الرئيس ويلسن خطابه الشهير في الكونغرس الأمريكي بواشنطن يوم ٨ كانون الثاني ١٩١٨، أعلن فيه خطّة ذات ١٤ بنود لإعادة السلم العالمي وفرض نظام دولي جديد بعد الحرب العامة. من بين تلك البنود، تذكر المادة رقم ٥ حق كل شعب في تقرير مصيره.

بين حالتها مع الاستعمار المنظم، وحالتها مع الاستقلال [وبه] يزول [النقص فيه] مع الزمن. والأمم لا يستقيم عمود حكمها إلا بعد انقضاء عهد طويل على مرانها على الحكم والسياسة.

قال لي كبير مصري وأنا أذكّره بعمران مصر على عهد الاحتلال الإنكليزي: خدّر الإنكليز أعصابنا بما أدخلوه من إصلاح على أوضاعنا، ولو قدر أن احتلت فرنسا مصر بطريقتها في استعمارها، لكان زمن خلاصنا من الاحتلال أقصر. ومعنى هذا أن حسن الإدارة الإنكليزية أسكت ألسن المصريين فاغتفر عقلاؤهم بعض سيئات الاستعمار بما صارت إليه مصر من التقدم.

وفي الحق أن وادي النيل مدين بجزءٍ عظيم من تقدمه لإنكلترا كما أن سورية ولبنان وشرقي الأردن والمملكة العربية السعودية والمملكة العراقية [وإمارات المحيط الهندي والخليج الفارسي] مدينة لبريطانيا العظمى باستقلالها، ومهما قيل في سياسة بريطانيا العظمى فإننا لم نشهد دولة غربية عطفت على العرب عطف بريطانيا عليهم، أتتهم من الخير بما لا ينافي مصلحتها. أما أن نطالبها بأن لا تغلط وتحسن إلينا من كل وجه ونحن مهملون، فهذا مطلب لم يتيسر لدولة تحقيقه في عصر من عصور التاريخ.

استعمار إنكلترا في الأقطار التي احتلتها أقرب إلى الحكمة من هذا الاستعمار الظالم الذي ابتدعته الدول الحديثة على ما أشرنا إلى ذلك غير مرة. نقول هذا لا مصانعة لبريطانيا بل إرادة إعطاء صاحب الحق حقه.

فصل م١٢٧ / ملف ١٩-٧ *Chapitre C127 / dossier 19-7*

## أدوات المدنية

سُئل جماعة من مؤلفي الغرب عما يؤثر فيهم ما جدّ من أسباب الرفاهية المادية كالهاتف والمذياع والتلفزيون وآلة [تكييف] الهواء والآلة الكاتبة. فكان رأي معظمهم أنها مفيدة ويمكن الاستغناء عنها. وقالت سيدة أديبة إن من يخاطبها بالهاتف يستحق شكرها، [والمنّة العظمى لمن] لا يكلمها بتة. وكاد جمهرة المؤلفين يجمعون على أن المذياع يسلبهم راحتهم.

لا شك أن هذه المخترعات ذات فائدة في تسهيل أساليب الحياة تختلف الحاجة إليها باختلاف درجات الشعوب في الحضارة. كنت أبتهج بالمذياع أول اختراعه فلما أفرط القوم في استعماله ليل نهار مجّته نفسي حتى لأتمنى لو أرتاد لي مكاناً لا أسمعه فيه. وفي ظني أنه يُنظر إليه هذا النظر في معظم البلدان عند من يعملون بعقولهم، وتتطلب منهم مهنتهم السكون والهدوء. دع أن بعض أخبار المذياع مقلقلة، ومن أغانيه السمج المكرر، ومن أحاديثه التافه المبتذل، ويزيد الاشمئزاز منه إذا عرفنا أنه أصبح من أدوات الدعاية الباطلة أحياناً. أما الهاتف فهو كما قال أحد من استفتوا فيه أنه نافع، لو بلغ كل الناس درجة صالحة من التربية، لا يتخذون منه واسطة لإضاعة أوقات غيرهم. وسماع المذياع في كل ساعة مصدّع للرؤوس، قابض للصدور، ومن طبع الإنسان كراهة الحديث المعاد، ويميل بفطرته إلى النادر الجديد. وإذا وقع الاقتصاد في استعمال هذه المخترعات الحديثة لا تتبرم بها النفوس، وتصبح عوناً على تيسير مسائل الحياة. وكانت نفسي تطرب أبداً لصوت الآلة الطابعة [ ورنة ] الآلة الكاتبة.

فصل م١٢٨ / ملف ١٩-٨ *Chapitre C128 / dossier 19-8*

# الإنكليز في الهند

في بعض المصادر أن للولايات المتحدة الأميركية خمسة وعشرين مليون آلة حراثة وحصادة ودراسة وزراعة، وسكانها مئة وستون مليوناً على [ حين ليس ] لمالك جنوبي شرقي آسيا التي تتألف من الهندستان والباكستان وماليزيا وسيلان، وسكانها نحو ستمائة مليون سوى عشرة آلاف آلة. وتكاد تتعادل مساحة الأرض التي تستعمل لها هذه الآلات في الولايات المتحدة وفي هذه الوحدة الآسياوية. وعجبت كيف لم توفق إنكلترا في الهند، على طول مقامها فيها إلى مداواة هذا النقص، وهي المشهورة بجميل تنظيمها وغيرتها على النهوض بالشعوب التي تستعمرها. والمال ما كان ينقصها والرجال تأتي بهم من النوع الذي تحبه.

ذكر أحد من خبر شؤون الهند وألف كتاباً في مشاهداته أن إنكلترا كانت تدير تلك المملكة العظيمة بستمائة وستين موظفاً وخمسين ألف جندي، أي أنها كانت

تحكم نحو خمس سكان العالم بهذا العدد القليل من العمال والحامية، وهذا من حسن إدارتها، بيد أنه لا ينجيها من اللوم على تقصيرها في استثمار خيرات الهند على ما يجب.

ويقول العارفون إن الهند تضاعفت نفوسها في الستين السنة الأخيرة ولم تنمُ في نهضتها الاقتصادية والزراعية على نسبة زيادة سكانها، فكان من ذلك [ما يشاهد من] النقص العظيم [في تغذيتها]. وربما كان من وجود ٦٦١ إمارة في جسم الهند من [العوامل] في تأخر الإصلاح المنشود. وكان لاختلاف الأديان وتعادي أربابها مدخل في هذا التأخير، فقد قال أحد علماء الغرب [يصف] الهند : هذا هو [الشعب] الوحيد في العالم الذي نجد عنده للدين الاهتمام الأول. وقال آخر : ليس في العالم بلد يكون السواد الأعظم من سكانه متفرقين في شعائر عبادتهم تفرق الهند في القرن العشرين. ولقد تحدث في الهند المجاعات العظيمة بالجفاف وقلة الأمطار، فيموت الناس بمئات الألوف، وقد تأتي السيول عقبى الجفاف على الزراعات فتودي بها، وهذا فيما نحسب مما لم تعره إنكلترا اهتمامها على ما يجب. ثم إن [اعتقاد] السواد الأعظم من أهل الهند بتحريم قتل الحيوانات دعا إلى أن كان فيها ( ٢١٥ ) مليون بقرة ومنها الهزيل والمريض، يضطر السكان إلى علفه ورعيه وتعهده وهو لا يدرّ إلا قليلاً من اللبن. وهذا القدر مما للهند من البقر هو نحو ثلث بقر العالم. ولما كان من مذهب القوم ألا يحاربوا الحشرات المؤذية ومنها البعوض والجراد، وأظن الحياة [والنمور والأسود] والقردة، زاد عدد القرود في الهند على خمسين مليون قرد تطعمهم كما تطعم الإنسان، وأصبح من المتعذر أن تجود الصحة في الهند وأن تدخل فيما دخلت فيه جماع الأمم من مكافحة ما يؤذي بني الإنسان.

*Chapitre C129 / dossier 19-9* فصل م١٢٩ / ملف ١٩-٩

## مستقبل الأقطار الثلاثة

ذكرت مصلحة الاقتصاد الداخلي في مصر أن مساحة أراضي المملكة المصرية تبلغ حوالي مليون كيلومتر مربع على التفصيل التالي : ( ٣٢ ) ألف كيلومتر مربع مساحة وادي النيل والدلتا و( ٧١٠ ) آلاف الصحراء الغربية و( ٢٢٢ ) ألفاً الصحراء الشرقية

و( ٥٦ ) ألفاً شبه جزيرة سينا، وهي في مجموعها تبلغ ( ٢٤٠ ) مليوناً من الأفدنة ولا يتجاوز [ المزروع ] منها ستة ملايين أي بنسبة ٢،٥ بالمائة ولما كان عدد السكان يزيد على عشرين مليون نسمة وأن خطر التضخم في عددهم مع قلة الموارد يتهدد [ حياة ] مصر في وقت غير بعيد، ونظراً لأن الدخل القومي لا يتجاوز ستمائة مليون جنيه، وأن الفرد الواحد من السكان يخصه من الأراضي المنزرعة حوالي ثلث فدان، ومن الدخل القومي حوالي ثلاثين جنيهاً سنوياً لذلك تجب المبادرة إلى بحث الوسائل التي تساعد على توفير مواد الغذاء واستصلاح أكبر مساحة من الأراضي.

وقال أحد رجال المال من المصريين إن في مصر نحو عشرة ملايين من الأفدنة صالحة للزراعة يزرع منها الآن أقل من ستة ملايين. وتزيد في العراق مساحة الأراضي كثيراً عن مساحة الأرض القابلة للزراعة في مصر ولا يستغل منها الآن أكثر من مليون فدان. ويزرع في سورية أقل من ثلث أو ربع أراضيها. وإن من الخطر أن يستأثر عدد قليل من الناس بامتلاك الأرض، ومن الضرر أيضاً أن تقسم مساحات صغيرة جداً فيصبح من الصعب زراعتها ويقل إنتاجها.

يبلغ نفوس هذه الأقطار الثلاثة نحو ثلاثة وثلاثين مليوناً إذا استثمرت أراضيها كلها تؤوي أضعافهم وتصبح من أكثر الأقطار إنتاجاً، لطيب تربتها ووفرة أنهارها واعتدال أقاليمها ونشاط فلاحيها.

# مدرسة في قرية

كنت أنشأت مدرسة أُناث في قرية جسرين، وهي تتوسط خمس قرى عامرة في الغوطة ( افتريس، حمورية، سقبا، كفر بطنا، حزّة ) [١٩٩] ولا تبعد الواحدة عن الأُخرى أكثر من كيلومتر واحد أو ما يزيد قليلاً، فلما تركت الوزارة ألغى خلفي المدرسة وبعث يؤاخذني على اكتفائي بإنشاء المدارس في القرى دون المدن. وكان من سياسته ألا يتعلم أبناء الفلاحين ولا بناتهم.

وتبدل الدور فرأيت من المروءة أن أتوسط لأهل جسرين بل لأهل الست القرى البالغ سكانها عشرة آلاف نسمة، لإعادة المدرسة كما كانت، فوعدني الوزير بإرسال المعلمة، ومضت السنة وسقطت الوزارة وما برّ بوعده ثم عدت فكررت الرجاء للوزير الخالف ملتمساً تعيين المعلمة فوعد أيضاً، وانقضت السنة الدراسية والقرى تنتظر وعد وزارة المعارف. وفي السنة الثالثة بعثت ألتمس من الوزير بواسطة الأمين العام في الوزارة فوعد أيضاً ولم يتم شيء. أي أن الحكومة ضنت على هذه القريّات بمعلمة تعلم بناتها المتلهفات على التعلم، وما زال أهلوهن يذكرون ما كان من نفع المدرسة الملغاة. [٢٠٠]

أنا لا أقدر أن أُورد سبباً معقولاً لامتناع المعارف عن إرسال معلمة [لست قرى] خصوصاً وقد أخذت الجمهورية على نفسها مكافحة الأُمية بنص الدستور الجديد وضربت للقضاء عليها عشر سنين ! [٢٠١]

---

١٩٩ . انظر الهامش رقم ٥ في الفصل م١، ص ١٨٣ .

٢٠٠ . إنّ وزراء المعارف الذين خلفوا محمد كرد علي هم مظهر رسلان في حكومة حقي العظم ( ١٩٣٢–١٩٣٤ )، ثمّ حسني البرازي في حكومة تاج الدين الحسني الثانية ( ١٩٣٤–١٩٣٦ )، ثمّ مصطفى الشهابي في حكومة عطا الأيوبي ( ١٩٣٦ )، فعبد الرحمن كيّالي في حكومة الكتلة الوطنية التي رأسها جميل مردم بك ( ١٩٣٦–١٩٣٩ ).

٢٠١ . تنصّ المادة ٢٨ من الدستور السّوري الذي أقرّه المجلس النيابي في ٥ أيلول/سبتمبر ١٩٥٠ على ما يلي : "التّربية والتعلّم حقّ لكلّ مواطن" . انظر: الدستور السّوري، دمشق، دار اليقظة العربيّة للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٠، ص ٢٥–٢٨ .

فصل م١٣١ / ملف ٢٠-٢ *Chapitre C131 / dossier 20-2*

# سياسة الحكام

اعتدت ألا أطلب من الحكومات شيئاً لنفسي مهما بلغ من صداقتي لرؤسائها، وأتوسط أحياناً لمن أعتقد أن في معاونتهم خدمة المصلحة العامة، مدفوعاً بعامل الصداقة أو الشفقة. ومن النادر أن يُجاب طلبي لأن إنجاز الأمر متوقف على معاودة الطلب مرات، أو إقناع الموظف الصغير ليقنع هو صاحب الكلمة الأولى، وأنا من طبعي أن أطلب مرة واحدة، ولا أحب أن يعجزني أحد ولا أن أعجز أحداً.

توسطت مرة في تعيين أستاذ مع رئيس حكومة كان يجاهر بأنه من تلاميذي، فشكرني بكتاب جميل على دلالتي له على الخير، وأشار [إليّ] أنه سيعمل بما رجوته، فمضت شهور ولم تحقق الرغبة، وعدت إلى معاودة الرجاء فما أخذت جواب كتابي. ولو كنت في مكان الرئيس لصارحت صاحبي برأيي من أول الأمر، وصرحت له أن الموصي عليه غير مقبول في حزبنا، وله من العيوب ما يمنع من استخدامه، ولا أعد وعداً لا أنوي تحقيقه، و[بذلك] لا أُتهم بأني أُسوّف فيما لا يتوقف إمضاؤه إلا على كلمة مني. الوزير حرّ أن يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، أما إذا سار على هذه الطريقة بوعود لا تتم، فيوشك أن تنزع الثقة من كلامه في الجزئيات والكليات.

فصل م١٣٢ / ملف ٢٠-٣ *Chapitre C132 / dossier 20-3*

# شاه العجم

تخلى شاه إيران الحالي عن أملاكه لأمته قائلاً إن استقرار الأمن الاجتماعي لا ينم إلا بتأمين عيش الطبقة الفقيرة، فأصبح الشاه لا يملك - كما قالت المصادر الإيرانية - إلا راتبه الذي قدرته له حكومته، وآل للدولة حتى القصر الذي يسكنه. وكان عدد ما وهبه من القرى أربعة آلاف قرية كبيرة وصغيرة ومتوسطة، قُدرت مساحتها بمساحة بلجيكا، وخُمّن ريعها بأربعة ملايين من الجنيهات. خالف الشاه سنة والده في مصادرة أموال الرعية واستصفاء معاملهم ومزارعهم وقصورهم، وحبذا لو اقتدى ملوك العرب

بملك العجم حتى لا يشعر رعاياهم بأنهم يفضلون شهواتهم على رعاياهم، ويبعدون عما يفرض عليهم القيام به لجلب السعادة إلى شعوبهم.

فصل م١٣٣ / ملف ٢٠-٤ *Chapitre C133 / dossier 20-4*

# آخرة مشير

مات المارشال بيتان، وكانت حكومته جردته من جنسيته وألقابه وحكمت عليه بالقتل، ثم أبدلت الحكم بالسجن المؤبد نزولاً على إرادة الشعب، وكان ذنبه أنه تعاون مع الألمان عند احتلالهم فرنسا في الحرب الأخيرة. اتهموه بالخيانة وأهل وطنه يومئذ قد امتنعوا من قتال الألمان، فما وقفوا أمامهم سوى أحد عشر يوماً فكيف بهم يقدمون على [معاودة] قتالهم وقد جُرّدوا من قوتهم، وحلّ الألمان الظافرون في عقر دارهم. قاس هذا القائد قوته بقوة المهاجمين فبدا له الكفّ عن المقاومة، وبخاصة لما قرر مجلس نواب أُمته النكول من متابعة الحرب، فلم يسعه إلا السير مع الغالبين مدة احتلالهم بلاده، ليخفف الشر ما وسعه تخفيفه. وبحكم [قادة] السياسة الفرنسية على مشيرهم هذا الحكم، أتوا ببرهان آخر على رعونتهم، ومن رعونتهم أن قتلوا عشرات من رجالهم [ظلماً] بتهمة التعاون مع الغريب في الحرب الأخيرة.

فصل م١٣٤ / ملف ٢٠-٥ *Chapitre C134 / dossier 20-5*

# تحابب الأمم

تود الأمم لو تيسر لها أن تتعامل بالحسنى على ما تقتضيه قواعد الإنسانية وآداب المجاملة، والحكومات تتطلب من رعاياها معاداة من ترى معاداتهم، ليبطل التراحم ويزول عطف أمة على أمة وإنسان على إنسان. الألماني لا يكره الافرنسي، وهذا لا يكره جاره الألماني كراهة تحمله على أن [يجرد] السلاح على صاحبه، والحكومتان تخلقان هذه النعرة خلقاً. [والحكومات تذهب] إلى أن تباغض الشعوب دافع عظيم

إلى التحمس في قتال بعضها بعضاً. والحرب يوقد جذوتها [هناك] رجال الجندية حتى يرقى الضباط في الدرجات، ويحرز القواد المجد الذي يتخيلونه، وحتى يبيع أرباب المعامل السلاح المكدس في مخازنهم، وحتى تهيأ [للممولين] موارد جديدة يتربحون بها في الحرب بما لا يربحون نظيره في السلم، وحتى [تغنى] الصحف بما تدر عليها الدول المتحاربة من المعونات، وبما تصادف من الرواج بكثرة المتشوفين إلى الأخبار. وأي خسارة في قتل عباد الله ما دامت الولادة تلد كل يوم !

فصل م١٣٥ / ملف ٢٠-٦ *Chapitre C135 / dossier 20-6*

## الدعوى العريضة

كان لي صاحب تمت له أدوات الفضل، وما عاد ينقصه إلا أن يشرع بالعمل. وبقيت دهراً أتوقع أن يخرج من قلمه أو لسانه ما ينفع قومه، وهم في أشد الحاجة إلى مداواة أمراضهم الاجتماعية والدينية، وكثيراً ما كنت أتلطف بدعوته إلى القيام بواجبه، فيورد لي أعذاراً ضعيفة لا أرتضيها، وتبين بكثرة وعوده والبعد عن إتمامها أن الرجل صاحب دعوى [فقط] لا يهمه نشر العلم بقدر ما تهمه المظاهر والمادة. وكان مما يؤلمه أن يرى بعضهم يرقون في الوظائف، ومنهم تلاميذه أو من عرفهم صغاراً، وهو ثابت في مكانه لا يتزحزح عنه وادعى في أُخريات أيامه أنه يكتب كتاباً لم يسبق للعالم أن ألف لهم ما يحاكيه، عجز القدماء والمحدثون عن الإتيان بمثله، وسماه اسماً جذاباً مغرياً. وظلّ على هذه الأوهام حتى وافاه الحمام، وما أخرج فصلاً من فصول كتابه الذي لم يخطّ سطراً منه فيما أحسب.

بلغ الإعجاب بالنفس في بعض المغرورين أن ذهبوا من الأرض وما أفادوا أنفسهم ولا استفاد منهم غيرهم، وكانت دعاويهم خيالات يتبجحون بها أمام أصدقائهم [وأعدائهم]، ولو كانوا على شيءٍ من حب الخير لأمتهم لأخرجوا من بضاعتهم ما يبيضون به وجوههم، ويدفعون عنهم ما يُرمون به من القصور.

ولو أن كل مؤلف وكل باحث وكل مخترع توقف عن نشر ما ألفه وبحثه واخترعه، أو يبلغ غاية الكمال الذي يتخيله، لمضت العصور وما ظهر في العالم ما يفيد الإنسانية [كثيراً]. المتنطعون لا يأتون عملاً كاملاً ولا ناقصاً، ويقال لمن يموهون بأنهم يتطلبون

الكمال بتريّثهم عن نشر شيء من أدبهم وبحثهم. لكل حسن في هذه الدنيا ما هو أحسن منه، والتسويف ليس من الحزم في شيءٍ.

فصل م١٣٦ / ملف ٢٠-٧ *Chapitre C136 / dossier 20-7*

## القمار

حدثني من زار أحد فنادق الاصطياف الكبرى التي أُبيح فيها لعب القمار أنه شاهد المقامرين فيه من موظفي الحكومة على الأكثر ولم ير بينهم تاجراً. فقلت له: لذلك ما زال أرباب التجارة يغتنون وأصحاب الوظائف يفتقرون. ومما يذكر أن الحكومات تتقاضى الجانب الأعظم من أرباح القمار كما تستوفي رسوماً على بيوت الخنا!

فصل م١٣٧ / ملف ٢٠-٨ *Chapitre C137 / dossier 20-8*

## بخل الأغنياء

قلت لبائع الصحف الجوال: سكن في جوارنا رجلٌ من كبار الأغنياء اعرض على أهله ما لديك من الصحف المصورة وغيرها، عساهم يبتاعون منها ما يروقهم، فيتسلون ويتعلمون، وتستفيد أنت دُريهمات. فنفذ ما أشرت به عليه، وجاءني بعد أيام يقول إن بيت الغني قالوا له لما قدم لهم بضاعته: إنهم لا يطالعون الجرائد. وبعد حين عاد فقال: إن أهل ذاك البيت سألوه إذا كان عنده جريدة بفرنك واحد، فأجاب أن ثمن أقل جريدة يحملها فرنكان فامتنعوا من ابتياع شيءٍ. وبعد مدة أخذ صاحب الملايين من البائع الجوال مجلة مصورة ولم يدفع إليه ثمنها، ورجع بعد أيام [فأداه] إليه. وطلبوا منه مرة جريدة بدون أن يسموا اسمها أو يؤدوا قيمتها فأعرض عنهم. [وبعد حين أخذ الغني من بائع الصحف ثلاث مجلات مصورة ولم يدفع إليه ثمنها إلى اليوم].

ما دام الأغنياء على هذا البخل المؤلم والجهل المطبق، لا رجاء في انتشار النور في مجموع الأمة، والأثرياء من هذه الشاكلة يهيئون الطريق لانتشار الدعوة الشيوعية.

فصل م١٣٨ / ملف ٢٠-٩ *Chapitre C138 / dossier 20-9*

# تراجم المعاصرين

من الأبحاث التي وددت لو أُتيح لي خوضها بالقدر الذي أشتهيه تراجم من عاصرتهم من المشهورين. وكنت أعتقد أني أجودها في الجملة لما قدر لي من اطلاع وصلت إليه بالبحث وطول الأيام. ولو فعلت لزدت في عدد من عودوني أن ينظروا إليّ شزراً لأني لم أذكرهم بما تشتهي أنفسهم، ومنهم من اعتادوا أن يوهموني أنهم يترفعون [عن] قراءة ما أكتب على حين هم يسلقونني بألسنة حداد [كلما] خلوا إلى من يشاكلونهم وتفاوضوا ما كتبته.[٢٠٢]

فصل م١٣٩ / ملف ٢٠-١٠ *Chapitre C139 / dossier 20-10*

# شفاعة سخيفة

قتل فلاح من قرية جوبر[٢٠٣] قتيلاً وجاء إلى الجامع الأموي يختبئ في غرفة أحد مدرسيه. واتفق أن دخل قاضي دمشق الأستاذ سعيد الأسطواني غرفة المدرس فتقدم هذا إلى القاضي يرجوه أن يخفف الحكم على الجاني، فسكت القاضي، وبعد دقائق نادى خادمه وأسرّ إليه أن يذهب إلى صاحب الشحنة ليرسل له بضعة شرطيين، فأتوا وقبضوا على القاتل، واقترب القاضي من الشفيع وقال له : كيف تريدني على أن أُعطل حداً من حدود الله، بتخفيف الحكم في هذه الجناية ؟ فأُبلس الشافع ثم قال : الحق معك يا مولاي، وأُعاهدك على ألا أعود إلى مثلها.

كان القاضي بحرصه على قتل القاتل عظيماً جداً، وكان المدرس باعترافه بغلطه في شفاعته بالدخيل عليه متعقلاً، وفي التعليق على ما وقع أقول : ما خلت هذه الأمة حتى في عصور انحطاطها من قوّالين بالحق، ومن متفانين بتطبيق أحكام الشرع على القوي والضعيف سواء.

---

٢٠٢. لقد تمّ تحقيق هذا المشروع الأدبي بفضل الأستاذ محمد المصري، الذي نشر كتاب "المعاصرون" لمحمد كرد علي، من ضمن مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، سنة ١٩٨٠.

٢٠٣. إنّ جوبر اليوم ضاحية من ضواحي دمشق، تقع شمال شرقي المدينة القديمة.

فصل م١٤٠ / ملف ٢٠-١١ *Chapitre C140 / dossier 20-11*

# انتشار العربية

نظرت أعداداً من المجلات العربية التي تصدر هذه الأيام في بعض أنحاء العالم الإسلامي، كمجلة "الحج" في مكة المكرمة ومجلة "البصائر" في الجزائر ومجلة "لسان الدين" في تطوان [ومجلة "رسالة المغرب" في الرباط] [٢٠٤] ومجلة "الثقافة الهندية" في نيودلهي [ومجلة "الرائد" في الكويت] فوقعت فيها على أبحاث متقنة بإنشائها وموضوعاتها، تنبئُ بأدب علم كاتبيها، فقوي أملي بأن ستغدو اللغة العربية من أوسع اللغات انتشاراً، وبخاصة إذا تضافرت جهود مسلمي الباكستان والهندستان مع جهود الدول العربية، دع سائر مسلمي الأرض كأهل أندنوسيا والصين والتركستان والقوقاز والقرم والأفغان وإيران وتركيا. وإذا غدت اللغة العربية لغة الباكستان الرسمية، والتذرع بذلك واقع الآن، أصابت العربية أعظم حظ من الانتشار ما كان لها مثله في أيام عز الدولة الإسلامية.

فصل م١٤١ / ملف ٢٠-١٢ *Chapitre C141 / dossier 20-12*

# ولاية الجهلاء

قصّ علي أحد كبار الأعيان في عصره، وكان صديقي الحميم، أنه ذهب وأحد أنسبائه من الأعيان وأنهيا مسألة ابن فلان وعين خلفاً لأبيه في الدرس. وكان هذا المدرس في سن المراهقة لا تبدو عليه إمارات الذكاء، ولا كان بدأ بطلب العلم. فتألمت لشفاعة صاحبي فيمن تحرم الشفاعة له، والدرس مشروط [فيه] أن يتولاه أعلم علماء المدينة، وخرجت عن طور الأدب، ودعوت عليه وعلى صاحبه بالموت حتى تتخلص البلد منهما، وقلت له : إنك وصاحبك عندما تلعبان ألاعيبكما في السياسة نسكت، أما تدخلكما في مسائل لا تعرفانها فهذا ما لا نوافقكما عليه بحال، اِخلطا ما شئتما أن تخلطا في السياسة، واتركا لنا الدين والعلم. وكان من الوليد الذي سعى الوجيهان

---

٢٠٤. حاشية أضافها الكاتب بخط يده تحت الرقم ١١.

لتوظيفه أن بقي على جهله المخزي طول حياته، على ما كان أبوه من قبل. سمعته في المسجد الجامع بعد سنين طويلة مضت على توليته يتلو الدعاء الذي حفظوه إياه، وهو مما يكرره في كل مناسبة، فما رأيته خطا خطوة واحدة عما كان عليه [من] معرفة وهو في الكتّاب.

دخول العوام فيما هو من شأن الخواص مضيعة للدين والدنيا، وما انصرفت الوجوه عن الشرع وضعف ضعفاً ظاهراً إلا لأن من تصدر في المناصب الدينية لم يستعد لها على ما يجب، ويحرص بعض الأغبياء على أن يخلف الابن الجاهل أباه في التدريس والإرشاد حتى لا يغلق بيته بزعمهم، مفسدة لا تعادلها مفسدة، ولو عقل من يرعون الجهلاء على حساب العلم والعلماء، لأيقنوا أن إغلاق ألف بيت لم يُعرف أهلها بغير الجهل أفضل من رفع جاهل واحد إلى مقامات المعلمين والمرشدين.

فصل م١٤٢ / ملف ٢١
٣ صفحات مطبوعة على الآلة الكاتبة ومنقحة بخط يد الكاتب

*Chapitre C142 / dossier 21*
*3 p. dactylographiées et corrigées*

# تصوّرات الشيوخ[٢٠٥]

تتبدل نفسية من طعن في السن العالية، وتحول بعض أفكاره وتصوراته، ويبدأ باستقراء ما مضى له في حياته من مواقف، وما جرى له [من] أحداث ومشاكل، يقلّبها ويكررها ويطرب عليها أو ينقبض منها. ولا يعد ما أتاه في غابر أيامه إلا تهوراً لا يجوّز لنفسه إتيان مثله بعد أن حمل عبء الأيام وبيضت وقائع الدهر لمته.

من طبع الشيوخ أن يذكروا من كانت لهم بهم صلات من أصدقائهم وعشرائهم، وربما عطفوا على من عاشوا معهم من أترابهم، وألفته نفوسهم في شبابهم، أكثر من عطفهم على كثير من الخلق. وفي العادة أن يتفاهم الشيوخ ويثق الواحد بأخيه على ما لا يثق المرء بابن أمه وأبيه.

مما يؤلم الشيوخ قلة الأمانة والكذب الصراح، ويسارعون بالاعتراض على من يتوهمونهم من الحائدين عن الصراط المستقيم، وربما أفرطوا في نقدهم ونصحهم. ومع ضعف أمل الشيوخ في الحياة لا ينقطعون إن ساعدتهم صحتهم عن معاودة أعمال ما كانوا يؤثرونها فيما مضى، لتوقف إتمامها على صرف وقت طويل. هذا وهم يوقنون أنهم لا يعيشون أكثر مما عاشوا، ولا يرجون أن يجنوا ثمرة ما يغرسون، ويشيرون إلى أنه كان من الواجب على أهل الجيل الجديد أن يهتموا بمثل هذه الشؤون دونهم.

تقل رغبة الشيوخ في التعرف إلى أناس عرفوا أمثالهم في سالف أيامهم، ولا يرغبون على الأغلب في الاستكثار من المعارف والأصحاب، ويعزفون عن زيارة ما لم يزوروا من المعامل والمصانع، ولا يحبون أن يطؤوا[٢٠٦] أرضاً سبق لهم أن وطؤها، وقلما تتعلق هممهم بتعلم ما لم يتعلموا، والاطلاع على ما فاتهم الاطلاع عليه ولا يلقون أبصارهم على ما سبق لهم أن عرفوه. ومن الشيوخ من يسيرون على عكس هذه الطريقة فيسارعون إلى مشاهدة ما لم يشهدوا من المعالم والغرائب، وما قصروا في التمتع به من اللذائذ كأنهم يودعون مباهج الحياة الدنيا.

---

٢٠٥. نُشر هذا النص في مجلة "الشرطة"، رقم ٥، السنة الأولى، أيار/ مايو ١٩٥٣، ص ١٠ و ٣٣، وذلك بعد وفاة محمد كرد علي بقليل. فقُدّم في المجلة كـ"آخر مقالة كتبها الأستاذ محمد كرد علي".

٢٠٦. في الأصل: يطأوا

يميل الشيوخ في أحاديثهم إلى إلقاء شيء من تجاربهم أو ما جرى لهم من أحداث حتى ليظن بعض من يستمعون إليهم أنهم يتبجحون يبدون ويعيدون وهم لا يقصدون في الغالب بما يرددون إلا نشر ما تعبوا في الوصول إلى معرفته، ويظنون أنه من الأحاديث التي يستظرفها من يسمعها، متوهمين أن غيرهم يلذه ما يلذهم. وربما بادروا إلى الاعتراض على من يدخلون في شؤون لا يحسنونها، ويخيل إليهم أن السعادة في سلوك الطريق التي سلكوها.

من عادة الشيوخ لزوم الصمت إذا اجتمعوا إلى من لا يعرفون، ولا سيما أمام من يتأففون من القديم ويحاولون سفهاً وبغياً أن يقضوا عليهم. وقد تضيق حوصلة الشيخ بسماع ما يخالف مألوفه وإن كان من مصطلح أهل حبّه، هذا وما كان أيام الشباب والكهولة يرى حرجاً في مداراة القوم، والمداراة على الأغلب تصعب على الطاعنين في السن أكثر مما تصعب على الكهول، وإذا تجوز الشيوخ وارتكبوا جريرة الظهور بغير ما تكنه أفئدتهم يبدو التكلف في نبراتهم وحركاتهم. وكما يأنف الشيوخ التملق أحياناً يشق على أكثرهم بذل النصح لمن لا يقبله وقد يكون الصواب فيما نصحوا له أكثر من الخطأ. والصواب ابن الأيام والليالي وربيب المحن والكوائن. ولما ينصحون به أشباه ونظائر وقعت لهم أو لغيرهم فاعتبروا بها، وحاولوا أن يحملوها إلى من عساه أن ينتفع بها. هذا وهم على يقين أن النصح لا يؤثر في طبقة المغامرين لأن المغامرة شعبة من الجنون متأصّلة في الشباب، والحساب والتقدير من شأن المتعاقلين المتزنين وهؤلاء يكثر سوادهم في رعيل من شابوا وشاخوا. وربما كان في [ ٢ ] الشيوخ من لا يقدرون مدى الهوة العظيمة بين الماضي والحاضر ويتناسون أن الأخلاق والعادات يطرأ عليها التبدل في كل خمسين سنة، وما يستحليه أبناؤهم وأحفادهم هو في نظرهم مرّ المذاق ومن عادة الأيام بأبنائها أن يكون الممثلون أمس غير الممثلين اليوم وهناك التفاوت في تصور الأشياء والأحكام المتباينة عليها.

كثيراً ما يشعر الشيخ إذا اجتمع [إلى] من هم دونه في العمر، وهم يرسلون أنفسهم على طبيعتها أنهم يتكلمون بلغة لا يفهمها وإذا كشفوا عن سرائرهم يدرك أن ما يعتقدونه الحقيقة بعينها هو عند جلسائه خطأ إلا أقله، وقد يوافقونه على رأيه وهم يضمرون إنكاره ويظهرون تأدباً أنهم من رأيه [وهم يجارونه] على ما يقول لئلا يكسروا قلبه. ومن عيوب الشيوخ الإكثار من النصح لمن يطلبونه ولمن لا يطلبونه فلا يلبث الأغمار أن يرموهم بالتعرض لما لم يدعوا إلى إعطاء الرأي فيه. والشيوخ على أي حال يلذّ لهم فرض آرائهم على غيرهم ولا يهون عليهم أن يفرض أحد عليهم

إرادته، وذلك لتوهمهم أنهم في غير حاجة إلى نصائح يعدونها من البديهيات المسلم بها ويحسبون نصحهم غيرهم من الواجبات. وعلى الجملة فمن الصعب على الشيوخ أن يسايروا عادات قومهم بأجمعها ويروقهم التفلت من قيود المجتمع، ويشمئزون ممن يحاول تقييدهم وحجز حريتهم، ولا يحبون أن يتقيدوا بخاطر أحد، ولا أن يرتبطوا بموعد ولا بإعطاء قول.

ومن طال عمره عرف من عيوب معاصريه ما لا يعرفه الجدد في الحياة. أعجبتني كلمة لأحد أصفيائي بدرت منه عندما سمع شهادة رجل لآخر بحسن حاله ووصفه له بأنه من الأحرار الأخيار، قال لما سمع ما سمع وهو يضحك : كان عليك يا صاح أن تتريث في حكمك على من تشهد له بهذه الصفات حتى يموت فلان فإنه هو الذي عنده علم حاله وماضيه، وعلى هذه الوثيقة المحفوظة عند الشيخ يصح إصدار حكم سليم على ممدوحك.

وإذ كان من شيمة الشيوخ التشاؤم أكثر من التفاؤل للضعف الطارئ على بعض حواسهم كان اليأس أقرب إلى قلوبهم، والنظر إلى الدنيا من وجهها الأسود أظهر فيهم من رؤيتهم لها من الوجه الأبيض، إلا من غلب عليهم شيء من شجاعة النفس من صغرهم، فهم يتكلفون الابتسام للمستقبل وإن اعتقدوا أن ليس فيه ما يبعث على الرضا. لذلك وجب أن يخص الشيوخ بمقام المستشار في الأمور العامة، والمستشار قد يستفاد من آرائه وإن كان ما يرتئيه مما لا يمكن تنفيذه بحذافيره.

الرحمة والشفقة أعلق بقلوب الشيوخ على ما لم يعرف لهم في الربع الثاني والثالث من مراحل العمر، ولذلك يندر من يفلح منهم في معالجة الأعمال التي تقتضي قسوة وصلابة، وهم الذين تأخذهم الرأفة حالاً، ولا يُرتجى نفع ممن يؤثر العافية في أمور تعد الشفقة فيها جناية. وحرص الشيوخ على الأكثر (هو) الحرص المعتدل ولا يصدق على جمهرتهم ما قاله الأولون من أن المرء يشيب وتشيب معه خصلتان الحرص وطول الأمل.

الشيخ يكره المفاجآت والمباغتات كرهه المغامرات والمضاربات، ويضيق على الأكثر صدره من التبسط فيما تجزئ فيه الكلمات القليلة، وإذا أظهر الصبر في الأحايين على ما يسمع بأذنه ويراه بعينه فهو لا يتمالك أن ينفجر إذا ضويق فينبعث لسانه بمايخفيه قلبه، وربما أفرط وتزيد وغضب وما كظم غيظه. ولا يستغرب الشيخ إخفاق من يخفقون في أعمالهم لعلمه أنهم هم الذين جنوا على أنفسهم بتوسعهم في أمانيهم إلى ما لا تحققه الطبيعة لهم. ومن ترك الحزم والحيطة بدا الخلل بما يجهد نفسه في إتمامه من أول ساعة.

يخف حب الفضول فيمن حطمته السن العالية ويتعمد الاقتصاد من حركاته، ويتبخر التعصب الديني في رأسه، وقد ينظر إلى أرباب الأهواء والأديان المخالفة له نظر رحمة وتسامح ومعذرة كدأب [٣] الداعين في عهدنا إلى السلام يحاولون أن تسود دعوتهم في العالم أجمع.

الشيوخ يؤلمهم الضجيج ويفزعون إلى ارتياد أماكن يورثهم نزولها الطمأنينة والهدوء ولا يرغبون في سماع الزغاريد والأهازيج، والأغاني المبتذلة والأناشيد المكررة، ويتحامون الدخول في غمرة الجماهير تحاميهم مجالس النساء حتى لا يضطروا إلى إقرار ما يخالف الصدق في طلب رضاهن.

مما قرأته مؤخراً قول بعض الغربيين: الشيخوخة نضوب مياه الحياة، ومن الشيوخ من تكشف منهم علو السن صخراً ورمالاً وأحياناً طيناً. وسئل أحدهم ما الحياة، فقال (تنفس وتطلع وموت) (ورنة الجملة بالفرنسية أجمل وهي La vie c'est respirer aspirer expirer [٢٠٧]) وقال أحد رجال الصحافة: على من شاخ أن يرضى بأن ينسى وينسى. وقال آخر نخشى الموت كلما طعنا في السن كالغني يسعى إلى الغنى كلما زاد غناه.

يدعي بعضهم أن الشيوخ يتخلفون في [مضامير] العلم والأدب وهذا يخالف الواقع من وجوه، فقد شهدنا فولتير يكتب رواية (كنديد) التي أعجبت بها الأمم وهو في الخامسة والستين، ورأينا كيتي شاعر الألمان يؤلف وهو في الثانية والثمانين قصة (فوست) ويبلغ في إجادتها إلى ما ليس بعده غاية،[٢٠٨] وعهدنا سفقلس اليوناني يكتب في التسعين قصة (أوديب)[٢٠٩] وأمثالهم غير قلائل في حملة العلم والقلم في الغرب،[٢١٠] وآخرهم برنارد شو الكاتب الإنكليزي ظل يكتب ويؤلف [ويجيد]

---

٢٠٧. إن صاحب هذا المثل غير معروف ولكن توجد عبارة قريبة تُنسب للفنان سالفادور دالي [Salvador Dali] (١٩٠٤-١٩٨٩) تنصّ: la vie est une aspiration, une respiration et une expiration.

انظر: DALI, Salvador, *Pensées et anecdotes*, Le Cherche-midi éditeur, 1995.

٢٠٨. يوهان فولفكانك فون كيتيه [Johann Wolfgang von Goethe] (١٧٤٩-١٨٣٢): كاتب ألماني مشهور، ألّف الكثير في مجالات متنوعة (الشعر والدراما والروايات)، من بينها "فوست" سنة ١٨٠٦، عاش حياة مليئة بالمغامرات.

٢٠٩. في الأصل: أديب

٢١٠. انظر مثلاً الترجمات التالية: فولتير، كنديد أو التفاؤل، تعريب لطفي فام، القاهرة، المكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٤٦؛ غوتيه، فاوست، ترجمة محمد عوض محمد، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٢٩؛ سوفوكليس، أوديب ملكاً، ترجمة طه حسين، القاهرة، ١٩٧٢.

حتى السادسة والتسعين، وكذلك كان شأن الجاحظ في العرب فإنه ألف أهم كتبه بين السبعين والخامسة والتسعين وهو مصاب بالفلج مقعد. وتعليل ذلك أن الشيخ يعتمد غالباً على محفوظه أكثر من اعتماده على أقوال من سبقوه وهو يتمثل ما قرأ ويأتي بزبدته عندما يعزم على تسجيل فكره، ولا يرجع إلى المظان بقدر ما يرجع إلى ذاكرته وغرامه في الإيجاز واختصار الطريق على طلاب الاستفادة منه.

ولا يصح على إطلاقه ما قاله باكون الفيلسوف الإنكليزي[٢١١] في وصف الشيوخ من أنهم يكثرون الاعتراض، ويطيلون في استشاراتهم، ويخاطرون قليلا، ويسارعون إلى إبداء تأسفهم، ويندر فيهم من يعمل في الوقت المناسب ويقنعون بالنجاح الوسط.

ومسألة المسائل في الشيوخ أنه يخيل إليهم أنهم لم تعرف لهم أقدارهم، ويتناسى قومهم حسناتهم وكثيراً ما يصمهم بالخرف بعض من لا يوافقونهم على آرائهم ومراميهم.

قيل إن شابين هنديين تركا خدمة غاندي المصلح الهندي العظيم، وكان يأتمنهما على أسراره ويفيدان من الانتساب إليه، فابتعدا عنه بدون سبب ليتوليا منصبين عظيمين في حكومة الهند فخاب رجاؤه فيهما وغضب ثم استرجع صفاءه وقال: من شأن الشبان الاستكثار من الأصحاب وابتلي الشيوخ بمن ينكر الجميل.

محمد كرد علي

---

٢١١. فرانسيس باكون [Francis Bacon] (١٥٦١-١٦٢٦): رجل سياسي وفيلسوف إنجليزي. اقترح إعادة ترتيب المواد العلمية. كتب رسائل في الأخلاق والسياسة وهو صاحب مقولة: "المعرفة هي السلطة".

*Chapitre C143 / dossier 25*
*2 p. dactylographiées et corrigées*

**فصل م١٤٣ / ملف ٢٥**
**صفحتان مطبوعتان على الآلة الكاتبة ومنقحتان بخط يد الكاتب**

# لخير مصر [٢١٢]

[هذا بعض ما قلته منذ بضع سنين [لفاروق] الأول ملك مصر السابق ومنعني من نشره]

أرى الشيوعيين هذه الأيام [ينشطون] في نشر مذهبهم في الشرق الأدنى [فأجاب] أما عرفت أننا نحتاط لصد عاديتهم، فقلت إن حكومتك منتبهة لكل ما يحفظ السلام في القطر ولكن هذه الدعوة تحمل في مطاويها مغريات قد تجوز على ضعاف العقول وأكثر ما يحببها إليهم دعوى أن الفقير سيصبح كالغني في ظل قانونها : يسعد ويهنأ. لا طبقات ولا قيود ولا ضيق ولا تضييق. فواجبنا إذا البحث عن الأسباب التي تساعد على بث هذه التعاليم الهدامة والاحتياط لا يضيرنا على كل حال.

[سألته] عما ورد في خطاب العرش الأخير من توزيع نصف مليون فدان على مئة ألف إنسان بمعدل خمسة أفدنة لكل واحد وعما إذا كان جرى توزيعها بالفعل أم لا تزال قيد الدرس والنظر، فقال إن المشروع يُنفذ بالتدريج. قلت إن الحكمة تقضي بتمليك هذه الأطيان للفلاحين هذه السنة وأن تقسم فيهم أيضاً جميع أملاك الدولة الصالحة للزرع، وأن تُحدد الملكية فلا تتجزأ الأرض تجزئة صغيرة لا ينتفع بها، وأن بضعة

٢١٢. لهذا الفصل نسختان في الأصل، فاعتمدنا هنا على أحدثهما. يلاحظ أن النسخة الأولى تضم على رأسها الكلمات التالية : "من مذكرات محمد كرد علي"، كما تضم فقرة تمهيدية تنصّ ما يلي : "كلما استخليت جلالة الفاروق ملك مصر المحبوب يدعوني ما جُبل عليه من حب الحق والتفكير في الإصلاح أن أخاطبه بحرية مطلقة وكلما شهدته يصرح لي بما لا يصرح به عظيم إلا لمن كان موضع ثقته أزداد نشاطاً في التوسع بعرض ما أرى في عرضه على مسامعه الكريمة. قلت له في آخر خلوة مثلت بها بين يديه: لا يدعوني إلى الجرأة على القول إلا فرط حسبي لصاحب الجلالة ولمصر وأقول ما أعرف وأنا موقن أن المليك أعزه الله واقف على الدقيق والجليل من شؤون ملكه، غير غافل عما يصلحه، يحسن صناعة الملك وليس هو كالملوك الذين يوقعون فقط على ما ينهيه إليهم مدبروهم ووزراؤهم فأنا مع جلالتك كمن يسوق التمر إلى هجر ويحمل المسك إلى أرض الترك ورجائي ألا يحمل ما أنطق به على غير التذكير ولفت النظر العالي والداخل في صميم الأمور يدرك ما لا يدركه الخارج عنها."، انظر قسم الملاحق ص ٤١٠.

قراريط يملكها الفلاح ( وأكثر المالكين من هذا الطراز ) لا تكفي رب بيت للعيش من ريعها هو وأولاده. والمعقول ألا يملك المالك بعد الآن أقل من فدانين [ ولا أكثر من مئة فدان ]، وقانون تحديد الملكية لا يشمل ما قبله بالطبع. والواجب أن تباع الأرض البور ممن يقدر على إصلاحها، ويفضل أن يكون المبتاع من غير أصحاب الزراعات الواسعة، وبذلك يقل مع الزمن عدد كبار المالكين، وهم الآن بحسب الإحصاء اثنا عشر ألف مالك يستأثرون بالقسم الأكبر من الأراضي المصرية وتزيد ثروتهم سنة عن سنة، والفقير لم يخف بؤسه إن لم يزد.

وإذا لوحظ أن بعض النواب والأغنياء لا يرضون عن تحديد الملكية فهم لا يتوقفون عن الموافقة عليه متى أيقنوا أنهم إن لم يعمدوا بدافع من أنفسهم إلى مداواة هذه العلة يقع [ ٢ ] عليهم القسط الأكبر من آلامها في المستقبل وليس من العدل أن يشقى ثمانية عشر مليوناً من المصريين لينعم مليون أو مليونان.

ويجب أن تصرف العناية إلى حل الأوقاف الأهلية وهي ملك صرف فيترك أربابها أحراراً في التصرف بها ذلك لأن النفقات الموجعة التي تتفاضاها وزارة الأوقاف مقابل استغلالها تقلل من غلتها إلى حد لا يكاد [ يُصدق ]، وقد كان محمد علي الكبير والسلطان قلاوون فيما أذكر فضا الأوقاف في عصرهما، أما أوقاف الخيرات فتبقى كما كانت. فقال ألا ترى أن الوقف حفظ بعض الثروات من التبديد. قلت ما حصل من الفائدة في هذه الناحية جاء الضرر من جمود ملك [ الوقف ] أشد وأكبر. وقد أصبحت أرض الوقف وعقار الوقف مضرب الأمثال بخرابها وقلة غلتها.

وأرى أن يقتطع خمسة بالمئة من الرواتب الكبيرة ويقتصد في النفقات وتزاد الضرائب على الشركات والأموال المجمعة في المصارف وعند الصيارف زيادة طفيفة تُنفق على المتشردين والعجزة و[ على ] غير ذلك من الأعمال المثمرة، ويستكثر من فتح الملاجئ في أرجاء القطر وتكون من النوع الذي يعلم ويربي، لا يطعم ويؤوي فقط، حتى يغادرها من ربتهم بتعليم بسيط وصناعة يكسبون بها قوتهم، و[ يكون ] ذلك عوناً على تقليل الأميين في الشعب أيضاً، ثم [ تبطل ] الكدية والتسول على أن يتكفل أهل كل حيّ وحارة ومزرعة بالعاجزين عن تحصيل رزقهم فقد قرأت في الصحف أن الشرطة قبضت على ٨٦٠٠ متشرد ثم كفت عن جمعهم بدعوى قلة الأماكن، ونحن لا نتطلب إيواءهم في دور فخمة فأكواخ من خوص وقصب تسد الحاجة الآن فقال هذه الإدارة [ غير منظمة، وأوردها بالفرنسية ] Mal organisé قلت وإصلاحها باليد والهيمنة عليها متعذرة والمال كثير والخصب موفور في البلاد ولله الحمد. ثم ينظر النظر البليغ

في حال الموظفين، فمن ثبت عبثه بمصالح الدولة والرعية يطرد من الخدمة ويجازى بالسجن الطويل، وبذلك تبطل الفوضى ويداوى الخلل المشاهد في بعض الدواوين.

أرى نفوس سكان القطر تطرد زيادتها رغم رداءة العيش في الريف وفقدان أسباب الصحة والمصري بطبيعته لبد يحب أرضه لا يسهل عليه فراقها، فلا بد والحالة هذه من توفير الرزق له في حاضره ومستقبله، والعالم الأول في ذلك مجانبة الإسراف على أنواعه وصرف أموال الدولة في الأمور النافعة. وإن فتح جادة القاهرة أو الإسكندرية ينفق فيها بضع مئات الألوف من الجنيهات لا يأتي بفائدة عند أرباب البصيرة بقدر إيجاد ماء طاهر للشفة ينقذ عشرة آلاف نسمة من الأمراض المستعصية كالملاريا والانكلستوما والبلهارسيا [إلخ].

فصل م١٤٤ / ملف ٢٦-٢
صفحة بخط يد الكاتب

*Chapitre C144 / dossier 26-2*
*1 p. manuscrite*

# [ نتائج ] الثورة المصرية [٢١٣]

لا تزال الثورة المصرية تحقق كل ما يرجى منها من الخير وتستأصل الفساد من جذوره [ بدأت ] بإلغاء الألقاب والرتب [ ثم ] تطهير أداة الحكم من الخائنين والسارقين ومن جعلوا من وظائفهم وسائط لاستغلالها في سبيل منافعهم الخسيسة [ ثم صفت ] الأحزاب [ وأبعدت عنها ] من جعلوها سلماً لبسط نفوذهم وانتماء أنصارهم وذوي قرباهم [ ثم ألغتها بما رأت في إلغائها المصلح ]. ثم التفت [ إلى ] الأراضي الزراعية [ فنزعت مقادير عظيمة ] ممن تمتعوا بالمال على حساب الفلاح والعامل الفقير وأعادتها إلى من هم أحق بها من الرعية وقد أعوزهم القوت وأهلكتهم الأراضي وأفناهم [ الحبَل ]. ونظروا في أسعار الحاجيات فعدّلوها بحيث لا يغنى المحتكرون وكبار التجار غناءً فاحشاً [ ويهلك المستهلكون ]. وما ترك رجال الثورة باباً من أبواب الإصلاح إلا ولجوه برفق وحسن سياسة [ وآخر هذه الإصلاحات عقد ميثاق وفك بين مصر والسودان نافع للفريقين ]. والرجاء ألا يمضي زمن طويل حتى تصبح مصر [ ( ...X... ) في جبين ] شعوب العالم [ وما ذلك عليها بعزيز وهي الغنية برجالها وبتربتها لا ينقصها إلا قانون عادل [ تجري أحكامه على الأمة عامة ].

صفقت الشعوب العربية لهذا الانقلاب وأثنى أنصار الحرية على ما وُفِّقت إليه مصر [ في العمل الصالح ].

# ملك مصر

لما تولى فاروق الأول ملك مصر عقد المصريون آمالهم عليه ورجوا أن يحسن إيالتهم، فأخذت ثقتهم تضعف لما شهدوا فيه من رعونة واستبداد، وتدرج إلى ارتكاب ما لا يليق بملك ارتكابه كالقمار والإسراف على النفس حتى أدى به تبذله إلى مراقصته الغانيات في الحانات، وأنشأ يحمي أرباب الفساد والملونين بالرشاء والمتهمين باستغلال النفوذ. وبلغ به الحال أن قتل [بعض] من وقفوا في سبيل شهواته حتى غدا أرباب الشرف يخافون على حرمهم منه. واختار من حاشيته الفريق الذي يجسد له ويعينه على شذوذه، ومنهم من كانوا من غير أبناء مصر لا يهمهم إلا رضاه وضمان منافعهم الخاصة، ومد يده إلى الأوقاف الخيرية والأهلية وضمها إلى أملاكه بدون مسوغ. ومما زاد في حنق النفوس عليه مساعدته عصابة لصوص ابتاعت للجيش سلاحاً فاسداً كان السبب في هزيمة مصر في فلسطين، فتألفت في وسط الجيش كتلة صالحة غضبت لمصر وكرامتها فرأت وقد تفاقم الشيء أنه لا سبيل إلى دفع صائل المستبد إلا بخلعه.

وفي صبيحة الرابع من ذي القعدة ١٣٧١ (٢٦ تموز ١٩٥٢) وجه اللواء محمد نجيب باسم الجيش إلى فاروق إنذاراً قال فيه: ((نظراً لما لاقته البلاد في العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق، نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور، وامتهانكم إرادة الشعب، حتى أصبح كل فرد من أفراده لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته. وساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم في هذا المسلك، حتى أصبح الخونة والمرتشون يجدون في ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش والإسراف الماجن، على حساب الشعب الجائع الفقير، وتجلت آية ذلك في حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الأسلحة الفاسدة، وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر مما أفسد الحقائق، وزعزع الثقة في العدالة، وساعد الخونة على ترسم هذه الخطى، فأثرى من أثرى وفجر من فجر، كيف لا والناس على دين ملوكهم. لذلك قد فوضني الجيش الممثل بقوة الشعب أن أطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولي عهدكم الأمير أحمد فؤاد، على أن يتم ذلك في موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم (السبت في ٢٦ [يوليو] والرابع من ذي القعدة ١٣٧١) ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه. والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على إرادة الشعب من نتائج)). وتم الخلع على يد رئيس الوزارة السيد

علي ماهر، دون أن يحدث ما يكدر، واتفق أن كان هذا الوزير رئيساً لمجلس الوزراء لما نصب فاروق ملكاً فكان هو الذي تولى توليته وتنحيته. وأقلع اليخت المحروسة يُقلّ الملك المخلوع من ميناء الإسكندرية إلى إيطاليا مودعاً بإطلاق المدافع ورحل بما استطاع نقله من ذهبه ونفائسه، وكان منذ بضع سنين أودع في مصارف أميركا وأوربا ما جمعه من سبائك ذهبية وعملة نادرة. واستصحب معه زوجه الثانية وولده ولي العهد وبناته الثلاث من زوجته الأولى المطلقة.

كان فاروق يهزأ بقدسية القوانين فيخالفها جهرة، وكان يتجر ويزارع ويضارب ويقامر، وما كان يدفع الأموال المقررة للدولة عن أملاكه، ولا يؤدي ما يستحق عليه من ديون، ويصرف جلّ وقته في موبقاته [ وشطحاته ]، حتى لقد أشبه جده إسماعيل في مساويه وما أشبهه بحسناته، كان جده يُعنى بكل ما يحفظ على مصر استقلالها، ويسعى إلى توسيع حدودها وتمدينها وتعليمها ليجعل منها دولة عربية غربية، أما حفيده فكان هواه في جمع المال وإرضاء شهواته. وما كان يصغي لمن ينصحه، ولا يسير إلا برأي بطانته الشريرة، ويؤثر الهزل أبداً على الجد ويحتقر أرباب الصحف ويمنع كل صحيفة أجنبية من دخول مصر إذا عرضت لما يأتيه من الرعونات، ولذلك عاملته الصحافة عند سقوطه بما يوازي استخفافه بها، وما نفعه ما كان يكتبه له المدلسون في قصره دعاية له ولعهده. ولقد وصفه أحد كبار أصحاب المجلات المصرية بقوله (لقد قيل من القديم إن في مصر إحدى عجائب الدنيا السبع وهي الأهرامات، ولكن التاريخ نسي أن يذكر لمصر عجيبة أخرى وهي أنه ظهر فيها لأول مرة في تاريخ الملكية ملك يسرق ويرتشي ويتناول سمسرة على حساب شعبه وبلاده) وقال أحد سفراء أميركا في مصر إن سر سقوط فاروق [ جهله ] بأنه لا سبيل لحاكم مهما كان أن يبقى طويلاً في الحكم إلا إذا كان ذا شعور اجتماعي وراغباً في تحسين أحوال الشعب. وشعور فاروق الاجتماعي كان معدوماً تماماً. وبالرغم من الخلاف الناشب بين مصر وبريطانيا وبالرغم من الفساد الذي استشرى بين حاشيته كان يمكنه أن يبقى أو أنه بذل مجهوداً للإحساس بشعور الشعب.

وبعد فليس الذنب ذنب فاروق وحده ولا ذنب وزرائه وبطانته، بل الذنب ذنب القانون الذي رفعه إلى ملك مصر وهو يافع في السادسة عشرة، وذلك قبل أن يتم دراسته الأولية. وقانون وراثة الملك في الشرق من أسخف القوانين التي وضعها عبيد الملوك فأجازوا بها تولية البله والجهلة رقاب الناس، كأن الملك في نظر أولئك المنافقين مزرعة يورثها صاحبها ابنه أو من يحب. فلا عجب أن رأينا أكثر من يوسد إليهم الملك

لا يعرفون من سياسته شيئاً. وعندنا إن كان لا بد من أن يخلف الملك الذاهب ملك من سلالة معينة فالواجب أن يؤخذ المرشح للملك إن كان طفلاً بإنجاز دروسه على أيدي أساتذة من أصحاب الأخلاق العالية يشربون قلبه الرحمة والعدل وحب الإحسان، ثم يطوفون به في دواوين الدولة ومصانعها ويطلعونه على شؤون الحربية والبحرية والمالية والقضاة والأشغال والمعارف وجميع شعب الأعمال في دولته، حتى لا يجلس على كرسي الملك إلا وقد تمت أدوات الرجولية والكفاية فيه، ولا يتأتى ذلك قبل الخامسة والثلاثين من عمره.

ما عهد أن نهض الأطفال بسياسة الملك فكيف إذا كان الملك من طينة فاروق وقد أشار بعض الخاصة إلى أنه كان غير متزن في عهده الأخير. ومن تصدر منه أعمال كالتي نسبت إليه هو ولا شك مصاب بمرض يبعده عن سمت العقلاء. ومن الواجب ألا يفوتنا أن الملك فاروق ساعد في بعض المسائل العربية وتدخل فيها تدخلاً فعلياً نفعها وسعى إلى رفع الحيف عنها، وحرص على أن تتضامن الحكومات العربية وحكومته تضامناً يأتي بالخير لمصر ولشقيقاتها وهذا يعد في سياسته الحسنة.

فصل م١٤٦ / ملف ٢٧-٤ *Chapitre C146 / dossier 27-4*

# الاستبداد في مصر

ما كان [٢١٤] في الظن أن يطول عهد الطغيان في مصر (١٥ سنة) على النحو الذي طال، وفيها رجال عرفوا ببعد النظر وتصريف الأمور، وهم جد عارفين بما سيحل ببلدهم من إهمال إصلاحها. ولعلهم كانوا يتحينون الفرص لدفع الأذى عن أمتهم بتقليم أظفار الطاغية والقضاء على الطغيان. ولما طفح الكيل قام الجيش يكبر هذا الواجب بقيادة قائده الحكيم اللواء محمد نجيب فوضع الأمر في نصابه وقضى على دولة الاستبداد، وكان التوفيق حليفه في كل ما اتجهت همته إلى إنفاذه من رفع الظلم وإقامة العدل.

---

٢١٤. في الأصل: ما كن

حققت الثورة من ضروب الإصلاح في أشهر ما عزّ تحقيقه على الحكومات[٢١٥] الغابرة في سنين. وأمتعت مصر بنظام اشتراكي بديع فأخذت من الموسر وأعطت المعسر وساوت بين الناس في الاعتبار والواجبات وكانت الرحمة نزعت من قلوب الأغنياء وكَلِبوا في جمع المال، عروا مما يفرضه الدين والوطنية عليهم. وبلغ من إسراف بعضهم ومنهم بعض أعضاء الأسرة المالكة أن كانوا لا يتكلمون بالعربية، ومنهم من لم يتكلم بها حياته لأنه نشأ نشأة غربية، وهم إلى هذا يحتقرون المصريين ويترفعون عنهم ترفع السادة على العبيد، ويطلقون عليهم اسم (الفلاحين) وإذا قيل فلاح فيراد به الجاهل. وما كان هؤلاء الدخلاء يعيشون إلا بفضل هذا الجاهل [وما قام ملكهم إلا على أكتافهم وسواعدهم] ومن أصحاب ألوف الأفدنة من الأطيان من كانوا لا يهتمون لغير قبض ريع أملاكهم من مصر والمبادرة إلى الغرب ينفقونه في سفاهاتهم، يصرفون معظم أيام السنة في أوربا ولا يقيمون في مصر إلا أياماً محدودة، ومنهم من لا يهبط مصر إلا كالغريب في بضع سنين، ولا نبالغ إذا قلنا إن أكلهم وشربهم ولباسهم وفرشهم من صنع الغرب بل منه خدامهم ووصفاؤهم ووصيفاتهم وقلّما عهد لأحدهم عمل نافع لمصر أو للعرب أو للإسلام.

عرضت في هذه المذكرات إلى تشخيص أمراض مصر مرات،[٢١٦] وحاولت أن أصف لها ما هدتني التجارب إليه أو استفدته من تجارب غيري من المصريين. وكنت أعجب بما صار إليه وادي النيل بعد مرور أكثر من ثلاثة أجيال عليه وهو يحكم بنظام غربي. وما كان يخيل إليّ إلا أن مصر دولة كبيرة تريد أن تنقرض وهي في آخر أيامها. والمرض إذا طرأ على جسم يسري إلى جميع الأطراف، لا تنفع في شفائه الأدوية، ولا تجدي فيه كون سائر الأعضاء سالمة.

فمصر إذا ما كانت تتمتع بالحكم الذي هي جديرة به، وكانت في الثلاثين سنة الأخيرة حكومة نيابية دستورية بالاسم وحكومة تغلب واستبداد بالفعل. ذلك لأن معظم حكامها كانوا على جانب كبير من الإهمال ومن يحسنون تطبيق الأنظمة على الكبير والصغير كان الطغاة يقصونهم عن الحكم ليخلو لهم الجو فيستأثروا وحدهم بالمغانم. ومما يؤلم أن معظم ما كان بادي الضعف في حالة مصر كان من السهل إصلاحه بقليل من العناية وكثير من المراقبة، ويزيد في الألم أن المصريين كسائر الشعوب العربية

---

٢١٥. في الأصل: الحومات

٢١٦. انظر مثلاً الفصول م١٧ و م٦٩ و م١٤٣ من هذا الجزء للمذكرات.

يبدؤون [٢١٧] أعمالهم بطنطنة وضجة ثم يدب التراخي فيها فينسى من تعهدوا لأمتهم بعمل من أعمال الخير ما أخذوه على أنفسهم بادئ الرأي. وهذا من أهم العوامل التي جعلت أعمالنا تابعة للتناقص لا للتكامل، وإذا قدر لبعضها أن اطردت ونمت فيكون من النوادر.

وهناك التهالك على المادة الذي انتشر في العصر الأخير على صورة يخشى منها على مستقبل الإنسانية، وقد أصاب المصريين من حب المادة ما أصاب الغربيين، وقاست مصر من هذا التحلل ما كاد يخرجها عن مشخصاتها القديمة. وكان يرجى من الأحزاب المصرية السبعة، ومن أعضائها ورؤسائها طائفة رشيدة من أرباب الكفايات والأخلاق الفاضلة، أن يولوا جانباً من عنايتهم لتقويم المعوج فيما له أثر عظيم في حياة بلدهم فإذا هم لا يفكرون في غير إسقاط معارضيهم، والسعي إلى الوصول إلى الحكم ولو بأساليب لا يخلو بعضها من ضعة وصغار. وكان كل حزب يوسد إليه الأمر لا همّ له إلا أن ينفع جماعته فيطرد من خدمة الحكومة من لا يرضى عنهم ويأتي من حزبه ومن صفقوا له بأناس يخلفونهم وقد يكونون دونهم خلقاً ومراناً على العمل. أما التلاعب بالدرجات كأن يصبح من كان في الدرجة الثامنة من الموظفين في الدرجة الثانية أو الأولى في يوم واحد ويتخطى من تقدموه ومن لهم سابقة وطول خدمة. وكانت الوزارات إلى ذلك تسيء استعمال القوة التي أعطيتها فتزجّ في السجون كل من يفتحون أفواههم بالاعتراض على ما تأتي وتحكم عليهم أحكاماً قاسية دونها في العادة الأحكام التي تفرض على مجرمي السياسة أو من عبثوا بسلامة الدولة.

ما كانت الوزارات إلا صورة من الإهمال والإرضاء على الأكثر، تصانع أرباب النفوذ من النواب والشيوخ وغيرهم بل وتعاونهم على التمادي في نزواتهم، وولاة الأمر يحرصون على الظواهر واستمالة القلوب بتحريك النغمات المحببة إلى النفوس، ومنها إنقاذ مصر من حكم الأجنبي ورد حقها إليها في الحرية، وما عدا ذلك فمتروك للطبيعة إن جاء الرجل الذي يعرف واجبه جرت الأمور على سداد في الجملة، وإذا تولاه الجاهل الفاسد فهناك المصائب، ومن مصائب مصر استحكام عادة المحاباة والشفاعات والإسراف المدهش بأموال الدولة. وإذا ضعف الوازع ضعف معه كل شيء.

وإذا كان هذا شأن أكثر الوزارات والإصلاح ميسور لها فكيف بها أن ترد الملك من استرساله في مسائل تقوض أركان الدولة، ومن مصلحتها ألا تخالف له أمراً وتدهن له حتى يرضى عنها ويقلدها الوزرات أطول مدة. وهل كان يرجى منها أن تقول له إن

---

٢١٧. في الأصل: يبدأون

الزراعة والتجارة والمضاربات من عمل الرعية، وأن راتبه من بيت المال يكفيه ويكفي أربعة ملوك مثله، وأن الواجب ألا يفكر إلا في مهام ملكه، وأن الأربع والعشرين ساعة من يومه لا تكفيه للقيام بواجباته حق القيام، فأنّى له أن يجد فرصة لإدارة مزارعه وتدبير أملاكه والدخول في المغامرات والمضاربات، دع ساعات طويلة يصرفها في لهوه وعبثه.

كان ملوك مصر من نسل محمد علي الكبير أكثر ما يفكرون فيه استنزاف أموال الرعية ليجمعوا منها ثروات فكانت مصر تئن وتبكي على عهد ولاتها وخديوييها وملوكها. فالرجاء أن تحقق الثورة كل ما يرجوه القائمون بها لبلوغ غرضهم الشريف. فقد قال تشرشل في هذه الثورة المباركة إن هذه الحركة العظيمة تذكرنا بحركة مصطفى كمال آتاتورك في تركيا وإن محمد نجيب أنقذ الفلاحين المصريين من حالتهم المخجلة الفاضحة التي كانوا يعيشون فيها، وأنقذ مصر من الفساد والرشوة. وقال الرئيس علي ماهر شيخ السياسيين المصريين : ومن العدل أن نقرر في غير مبالغة، ولا إسراف أن حركة جيش مصر الأخيرة تكاد تكون منقطعة النظير في التاريخ فقد أسفرت عن خلع ملك تنكب سبيل الحكمة والرشاد وأمعن في ظلم أمة عظيمة كريمة منحته قلبها وحبته بعطفها وثقتها.

# بكيت على الشرق

مصيبة الشرق بأبنائه أعظم من مصيبته بأعدائه. بالأمس كانوا يوجهون كل خلل في إدارة لبنان لحكومة الانتداب، وذهب الانتداب والخلل إن لم يزد فما نقص، والسبب فيه أبناء البلاد أنفسهم، كلّما قام مصلح فيهم يحاول إعادة الحق إلى نصابه حاربوه [وأسقطوه]، فاسمع ما قاله مؤخراً أمام المجلس النيابي في لبنان رئيس حكومتها صديقي الأستاذ سامي الصلح يشير إلى هذه المساوئ التي تكاد تكون متأصلة هناك [٢١٨] قال:

"كثيراً ما كنت أطلب الوزراء والمديرين العامين وبعض الموظفين لأجتمع إليهم واستوضحهم في قضايا إدارية أجدهم في مكاتبهم وعندما أستفسر أعلم أنهم كانوا في القصر الجمهوري. وهكذا ترون أن الحكم في هذه البلاد [مجزأ] بين السراي وبين القصر. إن أرباب النفوذ الذين يحكمون ولا يسألون (رئيس الجمهورية) يتدخلون في كل شاردة و[واردة]، يتدخلون في القضاء ويطلبون من القضاة ومن الموظفين أن ينهجوا خططاً تطابق سياستهم وتخدم مآربهم الحزبية على حساب العدالة والقانون. والويل كل الويل للقاضي أو الموظف الذي يضرب بمشيئتهم عرض الحائط استجابة لنداء الضمير.

"هذه هي الحالة التي وجدناها وبلوناها ونحن نمارس الحكم، وعندما بدأنا نضع حداً لهذا الشذوذ بدأ أرباب النفوذ بمحاربتنا. حاربونا لأننا أردنا أن نطبق القانون القاضي بمنع المقامرة، والقمار هو أحد مواردهم السرية. حاربونا لأننا شرعنا في مكافحة التهريب إلى إسرائيل، لأن هذه المكافحة تقطع عليهم الرزق الحرام. حاربونا لأننا شمرنا عن ساعدنا لإتلاف الحشيش حرصاً على المصلحة العامة، واستجابة لرغبات هيئة الأمم المتحدة، وتقيداً بمقررات الجامعة العربية. حاربونا لأننا أردنا أن نضع قانون (من أين لك هذا) ونحقق في مصادر ثرواتهم، وهم الذين لم يكونوا قبل هذا العهد ليملكوا شروى نقير. حاربونا لأننا أبينا أن نضع الأنظمة والقوانين ومصالح الدولة في خدمة أطماعهم وشهواتهم وأغراضهم الشخصية. حاربونا لأننا أقفلنا أبوابنا في وجوههم

---

٢١٨. يقصد محمد كرد علي هنا رياسة سامي الصلح الثالثة أي بين شهري شباط/ فبراير وأيلول/ سبتمبر ١٩٥٢.

ووجوه أبنائهم وأنسبائهم [وأبينا] أن نذعن لبطاقتهم وتوصياتهم الهاتفية. حاربونا لأننا حفظنا لأرباب الصحافة كرامتهم وغضبنا للاعتداءات المنكرة على الصحفيين وحملة الأقلام...". إلى أن قال وهو مما أحزننا لتمتع اللصوص بجميع أسباب الرفاهية وحرمان أرباب النزاهة منها: "ولطالما حاولوا أن ينالوا من سمعتنا ليحولوا ألسنة الناس عن لوك سمعتهم. ولطالما جربوا أن يسيئوا إلى نزاهتنا ليستروا فضائحهم وسمسراتهم."

# الملاحق

# تراجم مبسّطة لبعض معاصري محمد كرد علي
## (المذكورين في الجزء الخامس من المذكرات)

### الأب آسين بالاسيوس (ميكيل)
### P. Miguel ASIN PALACIOS
(١٨٧١-١٩٤٤)

مستشرق إسباني، عمل أستاذاً للعربية في جامعة مدريد منذ ١٩٠٣. عين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٠ ورئيساً للمجمع اللغوي الإسباني سنة ١٩٤٣.

### آمار (إميل)
### Émile AMAR
(١٨٨٣- ؟)

مستشرق فرنسي، درس في الخلدونية في تونس وصار عضواً في معهد قرطاج، شارك في البعثة العلمية الفرنسية إلى المغرب (سنة ١٩٠٧) ثم أصبح أستاذاً مساعداً للغة العربية العامية في معهد اللغات الشرقية في باريس سنة ١٩٠٨. وبعد تقديم رسالة الدكتوراه في الحقوق سنة ١٩١٣، اشتغل مدرساً للغة العربية ومحامياً ومترجماً، إلى أن اعتزل وغادر باريس سنة ١٩٢٨.

### الشيخ إبراهيم اليازجي
(١٢٦٣-١٣٢٤ هـ/ ١٨٤٨-١٩٠٦ م)

عالم لبناني بالأدب واللغة، عاش في بيروت ونشر ديوان شعر ومعجماً في اللغة. سافر إلى أوربا واستقر في مصر فأصدر مجلتي «البيان» و«الضياء». عاشره الإمام محمد عبده وكان يعتبره من أبرز الأدباء الشاميين في عصره. انظر ما كتب عنه محمد كرد علي، وقد عرفه في مصر، في «المعاصرون»، ص ١١-٣٠.

### إبسين (هنريك)
### Henrik IBSEN
(١٨٢٨-١٩٠٦)

شاعر وكاتب مسرحي نرويجي. تعاطف في شعره مع الشعوب المظلومة وطرح في مسرحياته مسائل قومية واجتماعية.

### ابن سعود
(١٢٩٧-١٣٧٣ هـ / ١٨٨٠-١٩٥٣ م)

هو عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، المعروف بابن سعود. منشئ المملكة العربية السعودية وملكها الأول (١٣٥١-١٣٧٣ هـ/ ١٩٣٢-١٩٥٣ م).

### الشيخ أبو الحسن الندوي الحسني
(١٣٣٢-١٤٢٠ هـ/ ١٩١٤- ١٩٩٩ م)

مفكر إسلامي هندي، ولد في قرية تكية في الولاية الشمالية بالهند، وكان أبوه علامة مشهوراً. درس اللغة العربية في جامعة لكنهؤ (١٩٢٧-١٩٢٩)، ثم دخل دار العلوم لندوة العلماء وتعلم تفسير القرآن والحديث. وسنة ١٩٣٤، عين أستاذ العربية والتفسير والتاريخ والمنطق في المدرسة نفسها. سافر إلى عدة بلدان إسلامية وكتب في مجلات عديدة مثل «الضياء» و«المسلمون» و«الفتح». خلال زيارته الأولى في دمشق سنة ١٩٥١، تعرف على مجموعة من العلماء ومن بينهم محمد كرد علي.

### أبو خليل أحمد القبّانيّ
(١٢٥٧-١٣٢٠ هـ/ ١٨٤١-١٩٠٢ م)

كاتب ومخرج مسرحي سوري، من منشئي المسرح في الشام ومصر. بدأ عمله بنظم الموشحات وبعرض الروايات في المسرح الذي أنشأه في دمشق، إلى أن ذهب الشيخ سعيد الغبرا إلى الآستانة حاملاً مضبطة ضده وقع عليها بعض أعيان دمشق إلى السلطان عند صلاة الجمعة في أيا صوفيا، فقرر السلطان إغلاق مسرح القباني. وبعد ذلك، احترف القباني التجارة إلى أن اذن له الوالي مدحت باشا بالعودة إلى مهنته الأولى. وبعد رحيل مدحت باشا، سافر القباني إلى مصر مع فرقته سنة ١٨٨٤، واشتهر بمسرحيته «أنس الجليس» وبقصص مقتبسة من الأدب الفرنسي، ثم سافر إلى الآستانة وأميركا ولقي فيها النجاح، إلى أن رجع إلى دمشق حيث كتب مذكراته وتوفي فيها.

### أبو الكلام آزاد
(١٣٠٦-١٣٧٧ هـ/ ١٨٨٨-١٩٥٨ م)

محيي الدين أحمد المشهور بأبو الكلام آزاد، عالم ورجل سياسي هندي من أصل أفغاني، تربى بين كلكتا وبمباي وزار القاهرة حيث تأثر برشيد رضا وأسّس جماعة دينية باسم «حزب الله» ومجلة بعنوان «الهلال» (سنة ١٩١٢) ثم أخرى بعنوان «البلاغ» (سنة ١٩١٥)؛ أغلقهما الإنكليز وسجنوا أبو الكلام لمدة ثلاث سنوات (١٩١٧-١٩٢٠). وبعد إطلاق سراحه، انضم أبو الكلام إلى «حزب المؤتمر» بزعامة «المهاتما غاندي» وترفع إلى أن صار رئيسه سنة ١٩٢٣ ثم بين سنتي ١٩٤٠-١٩٤٦. تعرض للسجن عدة مرات. عين آزاد وزيراً للمعارف بعد استقلال الهند لمدة عشر سنوات. من بين مؤلفاته تفسير القرآن الكريم، تميّز بتحديده شخصية «ذي القرنين» بأنه هو «كورش الثاني».

### أحمد أمين
(١٣٠٤-١٣٧٣ هـ/ ١٨٨٦-١٩٥٤ م)

هو أحمد أمين إبراهيم الطباخ، أديب ومفكر مصري، كان أستاذاً في مدرسة القضاء الشرعي بعد أن حصل على الشهادة العالمية (١٩١١-١٩٢٦) ثم رشحه الدكتور طه حسين للتدريس في كلية الآداب بالجامعة المصرية (سنة ١٩٢٦) إلى أن صار عميدها (سنة ١٩٣٩) واختلف الأستاذان. أشرف أحمد أمين على لجنة التأليف والترجمة والنشر لمدة أربعين سنة وأنشأ مجلة «الثقافة». عين عضواً في المجامع العربية الدمشقي (سنة ١٩٢٦) والمصري (سنة ١٩٤٠) والعراقي، واختير عضواً في المجلس الأعلى لدار الكتب المصرية. اشتهر بكتبه حول الحياة العقلية في الإسلام وكتب مذكراته بعنوان «حياتي».

نشأ بين الأستاذين محمد كرد علي وأحمد أمين أيضاً خلاف شخصي حول ما كتبه كرد علي في الأجزاء الأولى من مذكراته. انظر «المذكرات»، ج ٢، ص ٥٨٩-٥٩٣ ومقالة أحمد أمين بعنوان «مذكرات الأستاذ محمد كرد علي» في مجلة «الثقافة»، م ٢، رقم ٤٥٢ (سنة ١٩٤٩)، ص ٦-٩. انظر أيضاً الرد على نقد أحمد أمين في فصل بعنوان «الناقدون والناقمون» في «المذكرات»، ج ٤، ص ١٣١٠-١٣١٥.

### أحمد شفيق بك العظم
(١٢٧٣-١٣٣٤ هـ/ ١٨٥٧-١٩١٦ م)

هو شفيق بك ابن أحمد المؤيد العظم، نائب دمشق في العهد العثماني الدستوري، من معارضي حزب الاتحاد والترقي. اُتهم خلال الحرب العالمية الأولى بتأسيس جمعية سرية وباتصاله مع الفرنسيين فحكم عليه بالإعدام شنقاً وقتل شهيداً في ساحة المرجة بدمشق.

### أحمد شوقي
(١٢٨٥-١٣٥١ هـ / ١٨٦٨-١٩٣٢ م)

عرفه محمد كرد علي في مصر وكلاهما من أصل كردي وشركسي. وقد حضر كرد علي الاحتفالات

التي أقيمت بدار الأوبرا في القاهرة لمبايعة شوقي أميراً للشعراء في ٢٩ نيسان / أبريل ١٩٢٧. انظر الفصل م٣٤ من هذا الكتاب وما كتبه عنه محمد كرد علي في «المعاصرون»، ص ٥٩-٩٤.

## الأمير أحمد فؤاد
(١٩٥٢-)

هو أحمد فؤاد الثاني ابن الملك فاروق، ولد في القاهرة في ١٦ كانون الثاني / يناير ١٩٥٢ وأصبح ملكاً اسمياً بعد أن تنازل له أبوه في ٢٦ تموز / يوليو ١٩٥٢ حتى إعلان الجمهورية في ١٨ حزيران / يونيو ١٩٥٣. وخلال هذه الفترة القصيرة، تشكلت لجنة الوصاية على العرش برياسة الأمير محمد عبد المنعم.

## أحمد كرد علي
(١٨٨٣-١٩٢٧)

أحد إخوة محمد كرد علي، درس في دمشق وبيروت، ثم عمل في الصحافة مع أخويه محمد وعادل، فتولى رئاسة تحرير «المقتبس» في غياب أخيه محمد. بعد الحرب العالمية الأولى وإعادة إصدار الجريدة، أصبح هو المدير المسئول عن «المقتبس» حتى وفاته، بينما كان محمد كرد علي يتولى رئاسة المجمع العلمي العربي (سنة ١٩١٩) ومنصب وزير المعارف في بداية الأنتداب الفرنسي في سورية. أخذ أحمد كرد علي مواقف قومية ضد السياسة الاستعمارية، خاصة خلال الثورة السورية الكبرى (سنتي ١٩٢٥-١٩٢٦)، حيث كان «المقتبس» من مؤيّدي حزب الشعب، لذلك منعته الحكومة الانتدابية عن الإصدار عدة مرات.

## أحمد ماهر
(١٣٠٥-١٣٦٤ هـ/ ١٨٨٨-١٩٤٥ م)

عالم ورجل سياسي مصري، كان أستاذاً للاقتصاد والقانون بمدرسة التجارة العليا ودخل الحركة القومية والسياسة مع سعد زغلول فعين نائباً ووزيراً للمعارف في الحكومة الوفدية سنة ١٩٢٤. ثم انفصل عن الوفد هو والنقراشي وألف معه حزب السعدي. أصبح في أواخر الحرب العالمية الثانية رئيس الوزراء ؛ اغتيل في مجلس النواب بعد إعلانه الحرب ضد ألمانيا وإيطاليا.

## أديب الشيشكلي
(١٩٠٩-١٩٦٤)

هو العقيد أديب بن حسن الشيشكلي، شارك في الانقلاب الأول لحسني الزعيم فأصبح مديراً عاماً للشرطة في حكومته، ثم قاد الانقلاب العسكري الثالث في سورية في ١٩ كانون الأول / ديسمبر ١٩٤٩ وفسح المجال للحكم المدني. لكنه قام في تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥١ بانقلاب داخلي فاعتقل الوزراء وأجبر رئيس الجمهورية هاشم الأتاسي على الاستقالة، ثم عين المجلس العسكري الأعلى فوزي سلو كرئيس الجمهورية بينما حقيقة السلطة ظلت في أيدي رئيس الأركان، أي أديب الشيشكلي، حتى الانقلاب الرابع (٢٥ شباط / فبراير ١٩٥٤).

## أراندونك (كُرنيليوس فان)
Cornelius Van ARENDONK
(١٨٨١-١٩٤٧)

مستشرق هولندي، كان أميناً للمخطوطات والكتب الشرقية في مكتبة ليدن وأصبح أستاذاً للعربية في جامعتها.

## أرنولد (توماس وولكر)
Thomas Walker ARNOLD
(١٨٦٤-١٩٣٠)

مستشرق بريطاني، قضى عدة سنوات في الهند أستاذاً للفلسفة في عليكرة ولاهور (١٨٩٨-١٩٠٤) ثم أصبح أستاذاً وعميداً لقسم الدراسات

العربية في مدرسة اللغات الشرقية في لندن (١٩٠٤ -١٩٣١). استُدعي إلى الجامعة المصرية ليلقي محاضرات في التاريخ الإسلامي سنة ١٩٣٠.

**الخديوي إسماعيل باشا**
(١٨٣٠-١٨٩٥)

إسماعيل بن ابراهيم باشا بن محمد علي باشا، حكم مصر بين سنتي ١٨٦٣ و ١٨٧٩ وحصل على لقب خديوي من السلطان العثماني سنة ١٨٦٦. خلعته إنجلترا عن العرش ونفي إلى الآستانة.

**إلياس فيّاض**
(ت. ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)

أديب لبناني، سافر إلى مصر لطلب العلم ودرس فيها الحقوق. كان يكتب في مجلتي «الضياء» و«البيان» لصاحبهما ابراهيم اليازجي، ثم تولى رئاسة تحرير جريدة «المحروسة». بعد رجوعه إلى لبنان، أصبح نائباً ووزيراً للزراعة. له ديوان شعر وقصصاً مترجمة من الفرنسية.

**أمين أرسلان**
(ت. ١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)

الأمير أمين بن مجيد أرسلان، سياسي وأديب سوري، ولد في الشويفات بلبنان وتعلم عند اليسوعيين ببيروت. سافر إلى باريس وأصدر فيها جريدة «كشف النقاب» ثم «تركيا الفتاة» بالاشتراك مع خليل غانم. عين قنصلاً عاماً للدولة العثمانية في بروكسل (بلجيكا) ثم في بوينس ايرس (الأرجنتين) سنة ١٩١٢ وظلّ مقيماً فيها حتى وفاته. أنشأ فيها مجلة «الاستقلال» سنة ١٩٢٦؛ دافع في صفحاتها عن حقوق السوريين.

**أمين تقي الدين**
(١٣٠١-١٣٥٧ هـ/ ١٨٨٤-١٩٣٧ م)

محام وأديب لبناني، تعلم في بيروت ثم سافر إلى مصر وأنشأ فيها مجلة «الزهور» مع أنطون الجميّل. عمل بعد رجوعه إلى بيروت في المحاماة إلى أن توفي.

**أمين الرافعي**
(١٣٠٣-١٣٤٦ هـ/ ١٨٨٦-١٩٢٧ م)

كاتب سياسي مصري، من أصل سوري. كان أبوه مفتي الإسكندرية. درس الحقوق وشارك في الحركة القومية المصرية مع الحزب الوطني لصاحبه مصطفى كامل، فكتب في جرائد «اللواء» و«العلم» و«الشعب» وسجن في الحرب العالمية الأولى. رأس من بعدها جريدة «الأخبار» اليومية وأيد حزب الوفد إلى أن اختلف مع قائده سعد زغلول فانحاز عن الوفد وظلّ مستقلاً في كفاحه ضد الاحتلال الإنكليزي.

**أنور باشا**
(١٨٨١-١٩٢٢)

إسماعيل أنور، المعروف بلقب أنور باشا، ضابط عسكري عثماني وأحد قواد انقلاب تركيا الفتاة في تموز /يوليو ١٩٠٨ والحكم العسكري الثلاثي الذي تلا انقلاب كانون الثاني /يناير ١٩١٣ في الآستانة بالمشاركة مع طلعة باشا وجمال باشا. قاد خلال الحرب العالمية الأولى الجيوش العثمانية إلى جانب ألمانيا ضد روسيا وبريطانيا إلى أن انهزم في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩١٨، فاستقال وهرب إلى ألمانيا ثم آسيا الوسطى. كتب عنه محمد كرد علي «الرحلة الأنورية إلى الأصقاع الحجازية» سنة ١٩١٦.

**أوتافي (بول)**
Paul OTTAVI
(١٨٦١- ؟)

دبلوماسي فرنسي، درس اللغات الشرقية في باريس، ثم الترجمة في بيروت (١٨٨٧-١٨٨٨). عمل في السلك الدبلوماسي في حلب ومسقط إلى أن أصبح

قنصلاً في زنجبار (١٩٠٢-١٩١١) ثم في دمشق (١٩١١-١٩١٤)، حيث تعرّف على محمد كرد علي وروّاد الحركة العربية الأولى في سورية.

### أولندورف (أوتو)
Otto OHLENDORF
(١٩٠٧-١٩٥١)

قائد نازي. حكم عليه بالإعدام بمحكمة نورنبرج بسبب دوره في قتل آلاف اليهود والمعارضين خلال الحرب العالمية الثانية.

### أونه (جورج)
Georges OHNET
(١٨٤٨-١٩١٨)

كاتب فرنسي. اشتهر برواياته الاجتماعية ونقل بعضها إلى مسرحيات.

### باريس (موريس)
Maurice BARRÈS
(١٨٦٢-١٩٢٣)

كاتب ورجل سياسي فرنسي. اشتهر بأفكاره القومية وبندائه إلى الوطنية قبل الحرب العالمية الأولى. أُنتخب نائباً لمدينة باريس وعضواً في المجمع العلمي الفرنسي سنة ١٩٠٦. سافر إلى الشرق الأدنى ونشر رحلته سنة ١٩٢٣.

### بدرسن (يوهانس)
Johannes PEDERSEN
(١٨٨٣-١٩٧٧)

مستشرق دانمركي، درس علم اللاهوت واللغات السامية وقصد كبار المستشرقين الأوربيين أثناء إعداده رسالته لنيل الدكتوراه حول القَسم السامي والقَسم في الإسلام (١٩٠٩-١٩١٢). ترجم القرآن إلى الدانمركية (١٩١٧)، ثم سافر إلى الشرق الأوسط ومكث في مصر مدة سبعة أشهر ودرس في جامع الأزهر (سنة ١٩٢١). عين في السنة ذاتها أستاذاً للغات الشرقية في جامعة كوبنهاجن. عين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٠.

### براون (ادوارد جرانفيل)
Edward Granville BROWNE
(١٨٦٢-١٩٢٦)

مستشرق بريطاني، درّس اللغة العربية في جامعة كمبريدج منذ سنة ١٩٠٢ وحتى وفاته. كان متخصصاً أيضاً في الأدب الفارسي وفي تاريخ البابية. عُين براون عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٠. انظر ما كتبه عنه محمد كرد علي (وقد عرفه في مصر عند الإمام محمد عبده وزاره بكمبريدج سنة ١٩٢١) في «المعاصرون»، ص ١٠٤-١٠٧.

### برتزل (أوتو)
Otto PRETZL
(١٨٩٣-١٩٤١)

مستشرق ألماني، زار الكثير من البلدان العربية وتعلم لهجاتها وعاداتها وعثر فيها على مخطوطات نفيسة. عين أستاذاً للغات السامية في جامعة ميونيخ.

### برجسترازر (جوتهالف)
Gotthelf BERGSTRÄSSER
(١٨٨٦-١٩٣٣)

مستشرق ألماني، أستاذ اللغات السامية في جامعة الآستانة وجامعات ألمانيا منذ ١٩١٢. عين أستاذاً زائراً في جامعة القاهرة سنة ١٩٣١ وألقى فيها محاضرات في النحو العربي وقواعد نشر النصوص العربية.

**بروكلمان (كارل)**
Carl BROCKELMANN
(١٨٦٨-١٩٥٦)

مستشرق ألماني، عمل أستاذاً في عدة جامعات في ألمانيا، منها برسلاو (الآن في بولونيا) وهاله، اختصّ في الفقه والتاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب العربي. عيّنه المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً له سنة ١٩٢٠.

**بريال (ميشيل)**
Michel BRÉAL
(١٨٣٢-١٩١٥)

عالم فرنسي في اللسانيات. كان أستاذاً في الكوليج دي فرانس وأسّس علم الدّلالة (١٨٩٧).

**بريان (أريستيد)**
Aristide BRIAND
(١٨٦٢-١٩٣٢)

رجل سياسي فرنسي. عين رئيساً للوزراء ١١ مرة ووزير المعارف والخارجية مراراً منذ سنة ١٩٠٦. اشتهر بسياسته السلمية بعد الحرب العالمية الأولى؛ أحرز جائزة نوبل سنة ١٩٢٦.

**بيريز (هنري)**
Henri PÉRÈS
(١٨٩٠-١٩٨٣)

مستشرق فرنسي، ولد في الجزائر ودرس اللغة العربية في عاصمتها إلى أن أصبح مدرّساً في ثانوية بوجو (١٩٢٨-١٩٣٨) وأستاذاً في كلية الآداب بالجزائر بعد تقديم رسالتي دكتوراه سنة ١٩٣٨. أسّس نشرة الدراسات العربية (سنة ١٩٤١) وأشرف على نشر سلسلة كتب بعنوان «المكتبة العربية الفرنسية» طُبع من خلالها ١١ كتب عربية مع ترجمة إلى الفرنسية بين سنتي ١٩٤٢ و١٩٥٣. أسّس بعد الحرب العالمية الثانية المدرسة العملية للدراسات العربية ومعهد الدراسات الإسلامية العليا في الجزائر وترأسهما بين سنتي ١٩٤٦ و ١٩٦٢. ترك الجزائر بعد الاستقلال سنة ١٩٦٣ واستقر في جنوب فرنسا.

**بشارة تقلا**
(١٢٦٨-١٣١٩هـ/ ١٨٥٢-١٩٠١م)

بشارة بن خليل تقلا، أديب وصحفي لبناني، انتقل إلى الإسكندرية سنة ١٨٧٥ وأسس فيها مع أخيه سليم جريدة الأهرام. أُحرقت مطبعتهما خلال ثورة عرابي ولكنهما ظلا يشتغلان فيها؛ نقل بشارة الجريدة إلى القاهرة بعد وفاة أخيه بست سنوات (سنة ١٨٩٨) واستمر في نشرها إلى أن توفي.

**بشارة الخوري**
(١٨٩٠-١٩٦٤)

بشارة خليل الخوري، كان أول رئيس للجمهورية اللبنانية بعد الاستقلال (سنة ١٩٤٣) وحكمها لمدة ٩ سنوات إلى أن أجبره الشعب على الاستقالة في أيلول/ سبتمبر ١٩٥٢.

**بفن (أنتوني أشلي)**
Anthony Ashley BEVAN
(١٨٥٩-١٩٣٣)

مستشرق بريطاني، كان أستاذاً للغة العربية في جامعة كامبريدج منذ ١٨٩٣ وعُين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق.

**بلاشير (ريجيس)**
Régis BLACHÈRE
(١٩٠٠-١٩٧٣)

مستشرق فرنسي، كان أستاذاً للغة العربية في معاهد المغرب، ثم في مدرسة اللغات الشرقية وفي جامعة السوربون. أشرف على مجلة «المعرفة» في باريس. وكان بلاشير عضو المجمع العلمي العربي في دمشق.

**بوفا (لوسيان)**
**Lucien BOUVAT**
(ت. ١٩٤٢)

مستشرق فرنسي، اشتغل في مكتبة الجمعية الآسيوية وفي تحرير مجلة «العالم الإسلامي». كان عضو المجمع العلمي العربي في دمشق.

**بيات (إيميل)**
**Émile PIAT**
(١٨٥٨– ؟)

دبلوماسي فرنسي، قضى نسبة كبيرة من حياته في زنجبار حيث عمل في السلك الدبلوماسي كمترجم ثم كقنصل. عين بيات قنصلاً في دمشق وبقي فيها سنتين (١٩١٠–١٩١١) تعرّف خلالها على محمد كرد علي وأعيان المدينة.

**الماريشال بيتان (فيليب)**
**Le maréchal Philippe PÉTAIN**
(١٨٥٦–١٩٥١)

رجل سياسي فرنسي، كان قائد الجيش الفرنسي خلال الحرب العالمية الأولى (١٩١٧–١٩١٨) وأصبح بطلاً وماريشالا (أي مشيراً) بعد انتصار فرنسا وحلفائها. عين بعد هزيمة فرنسا أمام الجيش الألماني في جوان/ حزيران ١٩٤٠، رئيساً للوزراء، ووقع الهدنة مع ألمانيا قبل فيها احتلال شمال فرنسا. نقل بيتان الحكومة الفرنسية إلى مدينة فيشي وعين رئيساً للدولة بعد تأسيس نظام دستوري جديد. تعاون بيتان مع ألمانيا النازية أثناء الحرب، وحتى بعد احتلال جنوب فرنسا في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٢. بعد انهيار ألمانيا، حكمت عليه المحكمة العليا الفرنسية بالإعدام ثم خفضت هذا القرار إلى السجن المؤبّد.

**الشيخ تاج الدين الحسني**
(١٣٠٧–١٣٦٢ هـ/ ١٨٩٠–١٩٤٣ م)

محمد تاج الدين بن محمد بدر الدين الحسني، رجل سياسي سوري من أصل مغربي، كان من أعضاء المجلس العمومي لولاية سورية قبل الحرب العالمية الأولى وتولى رياسة تحرير جريدة «الشرق» سنة ١٩١٦، قبل أن يتولاها محمد كرد علي؛ ثم أصبح عضو المؤتمر السوري في العهد الفيصلي. أصبح خلال الانتداب الفرنسي رئيساً للوزراء مرتين (المرة الأولى بين سنتي ١٩٢٨ و ١٩٣١، وكان محمد كرد علي وزير المعارف في حكومته، والمرة الثانية بين سنتي ١٩٣٤ و ١٩٣٦)؛ ثم عين رئيساً للجمهورية سنة ١٩٤١ حتى وفاته.

**تارو (جيروم وجان)**
**Jérôme et Jean THARAUD**

جيروم (١٨٧٤–١٩٥٣) وجان تارو (١٨٧٧–١٩٥٢): كاتبان فرنسيان لهما مؤلفات عديدة ومتنوّعة، من بينها روايات اجتماعية ورحلات ومذكرات. كانت اتجاهاتهما السياسية قومية وكانا من مؤيّدي الإيديولوجية الاستعمارية. نالا جائزة كونكور سنة ١٩٠٦ ودخلا المجمع العلمي الفرنسي سنتي ١٩٣٨ و ١٩٤٦.

**تشرشل (السير وينستون)**
**Sir Winston CHURCHILL**
(١٨٧٤–١٩٦٥)

رجل سياسة إنجليزي مشهور. كان في ذلك الوقت رئيس الوزراء في إنجلترا (١٩٥١–١٩٥٥). نشر مذكراته عن الحرب العالمية الثانية بين سنتي ١٩٤٨ و ١٩٥٤ و نال جائزة نوبل في الأدب سنة ١٩٥٣.

**توفيق باشا السويدي**
(١٨٩١–١٩٦٨)

تولى توفيق السويدي منصب رئيس الوزراء في العهد الملكي في العراق أربع مرات (سنة ١٩٢٩ و ١٩٣٠ و ١٩٤٦ و ١٩٥٠) ومنصب وزير الخارجية في حكومة الاتحاد الهاشمي بين العراق والأردن (سنة ١٩٥٨).

**تولستوي (ليون)**
Léon TOLSTOÏ
(١٨٢٨-١٩١٠)

كاتب روسي من وسط أرستقراطي، صاحب روايات مشهورة مثل «الحرب والسلام» (١٨٦٩) و«آنا كارنينا» (١٨٧٧). بعد عودته إلى حظيرة الدين المسيحي، شعر بالألم من التناقض بين مبادئه وبين رفاهية حياته، فغادر بيته وعائلته سنة ١٩١٠ وتوفي بعد شهر.

**جفري (أرثر)**
Arthur JEFFERY
(١٨٩٢-١٩٥٩)

مستشرق أسترالي، درّس اللغات السامية في مدرسة الدراسات الشرقية التابعة للجامعة الأميركية في القاهرة (١٩٢١-١٩٣٨)، ثم في جامعة كولومبيا وفي المدرسة اللاهوتية الاتحادية في نيويورك بعد سنة ١٩٣٨. عمل في نشر المخطوطات الشرقية واشتهر بدراسته للمفردات الأعجمية الموجودة في القرآن الكريم.

**الشيخ جمال الدين الأفغاني**
(١٢٥٣-١٣١٠هـ /١٨٣٨-١٨٩٧م)

السيد محمد بن صفدر الحسيني، المعروف بجمال الدين الأفغاني، عالم فارسي الأصل، من كبار النهضويين المصلحين في الإسلام. أقام في مصر بين سنتي ١٨٧١ و ١٨٧٩ كان يتلقى خلالها رواتب سنوية من الحكومة المصرية ويدرّس العقائد الفلسفية والإسلامية في بيته. وهكذا كوّن السيد جمال الدين الأفغاني جيلاً جديداً من الأحرار في مصر، من بينهم مريده المخلص محمد عبده الذي تبعه في منفاه في لندن وباريس سنتي ١٨٨٣ و ١٨٨٤، حيث نشرا ١٨ جزءاً من مجلة «العروة الوثقى».

**جميل مردم بك**
(١٨٩٤-١٩٦٠)

من أبرز الزعماء السياسيين في سورية في عهد الانتداب الفرنسي؛ بدأ نشاطه بمشاركته في الجمعية العربية الفتاة في باريس ودمشق، ثم التحق بحزب الشعب للدكتور شهبندر. كان من مؤسسي الكتلة الوطنية سنة ١٩٢٧ وأصبح رئيس الوزراء بين سنتي ١٩٣٦ و ١٩٣٩ لكن حكومته تعرضت لفشل الاتفاق مع فرنسا وانضمام لواء الإسكندرون إلى تركيا فاستقال من منصبه وحل شكري القوتلي محله في رياسة الكتلة. اضطر جميل مردم إلى النفي في العراق بعد اتهامه بتنظيم اغتيال شهبندر سنة ١٩٤٠. عاد إلى سورية سنة ١٩٤٣ وتولى وزارة الخارجية ثم رياسة الوزراء بين سنتي ١٩٤٦ و ١٩٤٨ إلى أنه استقال مرة ثانية بعد النكبة حيث اتهمت حكومته بتبذير الأموال.

**جوريس (جان)**
Jean JAURÈS
(١٨٥٩-١٩١٤)

رجل سياسة وكاتب فرنسي. من قواد الحزب الاشتراكي الفرنسي ومؤسّس جريدة «لومانيتيه» (الإنسانية) سنة ١٩٠٤. اغتيل بسبب مواقفه ضد الحرب والسياسة الاستعمارية قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بأيام (يوم ٣١ تمّوز/يوليو ١٩١٤).

**جويدي (إغناطيوس)**
Ignazio GUIDI
(١٨٤٤-١٩٣٥)

مستشرق إيطالي، أستاذ للعربية في جامعة رومة منذ ١٨٨٥، انتُدب في الجامعة المصرية سنة ١٩٠٨.

**جويدي (ميكل أنجلو)**
Michelangelo GUIDI
(١٨٨٦-١٩٤٦)

مستشرق إيطالي، تابع أثر أبيه في تدريس العربية

في جامعة رومة منذ سنة ١٩٢٢ وفي الجامعة المصرية فؤاد الأول (١٩٢٦-١٩٢٩) واشتغل أيضاً في نشر وتأليف الكتب عن الإسلام والأدب العربي.

### جيب (هاملتون أليكسندر روسكين)
### Hamilton Alexander Rosskeen GIBB
### (١٨٩٥-١٩٧١)

مستشرق بريطاني، درّس العربية في مدرسة الدراسات الشرقية في لندن (١٩٢١-١٩٣٧) وفي أكسفورد (١٩٣٧-١٩٥٥) إلى أن عُين أستاذاً ومديراً في جامعة هارفارد (١٩٥٥-١٩٦٤). أصبح عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق وفي مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة تأسيسه (أي ١٩٣٢).

### حسن الحكيم
### (١٨٨٦-١٩٨٨)

سياسي سوري من التيار القومي، عضو حزب الشعب الأول وزميل الدكتور شهبندر. عين رئيساً للوزراء لفترة قصيرة سنة ١٩٤١ في نهاية الانتداب الفرنسي ومرة ثانية في آب/أوت ١٩٥١ في عهد أديب الشيشكلي، اختلف آنذاك مع وزراء حكومته حول موضوع التحالف مع الدول الغربية فاضطر إلى أن يقدم استقالته.

### حسني الزعيم (المشير)
### (١٣١٥-١٣٦٨ هـ/ ١٨٩٧-١٩٤٩ م)

هو حسني ابن الشيخ رضا الزعيم، كان رئيس أركان الحرب في عهد الرئيس شكري القوتلي لما ثار في دمشق متفقاً مع بعض الضباط يوم ٣٠ أيار/ مارس ١٩٤٩. حكم سورية حكماً مطلقاً مدة ١٣٦ يوماً قام خلالها بنشاط استثنائي إلى أن تقلّب بعض أنصاره عليه، فقتلوه وجعلوا سامي الحناوي بديلاً له يوم ١٤ آب/ أوت ١٩٤٩.

### الدكتور حسني سبح
### (١٩٠٠-١٩٨٦)

تخرج طبيباً من مدرستي دمشق وبيروت سنة ١٩١٩ ونال شهادة الطب من جامعة لوزان في سويسرا سنة ١٩٢٥. عين أستاذاً في جامعة دمشق سنة ١٩٣٢ فعميداً لكلية الطب سنة ١٩٣٨ ورئيساً للجامعة سنة ١٩٤٣؛ تقاعد عن التدريس سنة ١٩٦٧. انتخب الدكتور سبح عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٤٥ ثم رئيساً له سنة ١٩٦٧ وظل في هذا المنصب حتى وفاته. انظر كتاب «عبقريات»، ص ٤٧-٥٤.

### خليل مردم بك
### (١٣١٣-١٣٧٩ هـ/ ١٨٩٥-١٩٥٩ م)

خليل بن أحمد مختار مردم بك، كان أبوه مفتي الشام، تلقى التعليم العالي في جامعة كامبردج في إنكلترا واتصل فيها بالمستعربين، ثم رجع إلى دمشق ودرّس الأدب العربي في الكلية العلمية العربية. شارك في إصدار مجلة «الثقافة» سنة ١٩٣٣ ثم عين وزيراً للمعارف سنة ١٩٤١. أُختير عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٤ وعضواً في مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٤٨. عين وزيراً للمعارف في عام ١٩٤٩ ووزيراً للخارجية في عام ١٩٥٢، وانتخب رئيساً للمجمع العلمي الدمشقي سنة ١٩٥٣ بعد وفاة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي.

### خليل مطران
### (١٢٨٨-١٣٦٨ هـ/ ١٨٧١-١٩٤٩ م)

خليل بن عبده مطران، شاعر سوري لبناني، ولد في بعلبك وتعلم في بيروت، ثم أقام في مصر وكتب في «الأهرام» إلى أن أنشأ «المجلة المصرية» وجريدة «الجوائب المصرية» مؤيّداً حركة مصطفى كامل الوطنية. له ديوان شعر في أربعة أجزاء. كتب في التاريخ وله روايات مترجمة عن الفرنسية. انظر ما

كتب عنه محمد كرد علي في «المعاصرون»، ص ٢١٣-٢٢٣.

### دانونزيو (جبرييل)
### Gabriele D'ANNUNZIO
### (١٨٦٣-١٩٣٨)

كاتب وشاعر إيطالي، اشتهر بشعره الرمزي والغزلي وبقيادة الحركة الوطنية التحرّرية التي احتلّت مدينة فيومه (شمالي شرقي إيطاليا) بعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٩-١٩٢١).

### داود بركات
### (حوالي ١٨٧٠-١٩٣٣)

أديب ومؤرخ لبناني هاجر إلى مصر وتولى رياسة تحرير جريدة «الأهرام». انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق.

### دريفوس (ألفريد)
### Alfred DREYFUS
### (١٨٥٩-١٩٣٥)

ضابط فرنسي من عائلة يهودية، اتهم بالخيانة وحُكم بالنفي الأبدي في «جزيرة الشيطان» بالجويبان سنة ١٨٩٤ إلى أن أثبت قائد المخابرات العسكرية الفرنسي براءته. لكن المحكمة العسكرية أصرّت على قرارها الأول بالاتفاق مع الحكومة والأوساط اليمينية، فثارت مجموعة كبيرة من المثقفين والسياسيين الفرنسيين اليساريين ضدّها. وبفضلهم تراجعت الحكومة الفرنسية وبرأت دريفوس سنة ١٨٩٩ إلى أن أعادته إلى منصبه سنة ١٩٠٦.

### دودج (بيارد)
### Bayard DODGE
### (١٨٨٨-١٩٧٢)

مستشرق أمريكي، كان عمّ أبيه ديفيد ستورت دودج (١٨٣٧-١٩٢١) من مؤسسي الجامعة الأمريكية في بيروت مع رئيس الجامعة الأول د. دانيال بلس (١٨٢٣-١٩١٦). تزوّج بنت الدكتور هوارد بلس الذي استلم رئاسة الجامعة بعد أبيه ودخل في إدارة الجامعة سنة ١٩١٣، ثم عُين رئيسا لها سنة ١٩٢٣ وحتى سنة ١٩٤٨. عينه المجمع العلمي العربي بدمشق عضواً مراسلاً له.

### دوسو (رينيه)
### René DUSSAUD
### (١٨٦٨-١٩٥٨)

مستشرق فرنسي، كان أستاذاً في معهد فرنسا وفي مدرسة اللوفر في باريس اختصّ في آثار سورية وتاريخها. اكتشف أقدم كتابة بالخط العربي في حوران. أصدر مجلة «سيريا» Syria في باريس سنة ١٩٢٠. عُين عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق في السنة ذاتها.

### رفيق العظم
### (١٢٨٤-١٣٤٣ هـ/ ١٨٦٧-١٩٢٥ م)

رفيق بن محمود العظم، عالم وبحاثة سوري. ولد في دمشق وتتلمذ عند الشيخ طاهر الجزائري، ثم سافر إلى مصر سنة ١٨٩٤ واستقرّ فيها. هو الذي استقبل محمد كرد علي عند إقامته الأولى في القاهرة سنتي ١٩٠١-١٩٠٢. كان يكتب في الصحف والمجلات العربية ويشارك في أعمال الجمعيات. أسّس في عام ١٩٠٧ مع محمد رشيد رضا جمعية الشورى العثمانية تضم مختلف عناصر البلاد العثمانية بغض النظر عن دينهم أو جنسهم للمطالبة بنظام دستوري، ثم أسّس حزب اللامركزية الإدارية العثماني سنة ١٩١٣. أهدى إلى المجمع العلمي العربي خزانة كتبه. جمع له أخوه عثمان «مجموعة آثار رفيق بك العظم» بعد وفاته. انظر ما كتبه عنه محمد كرد علي في «المعاصرون»، ص ٢٢٤-٢٢٨ وفي «المذكرات»، ج ١، ص ٢٥١-٢٥٨.

**رنان (إرنيست)**
Ernest RENAN
(١٨٢٣-١٨٩٢)

كاتب فرنسي وعالم في الفلسفة والتاريخ واللغات السامية ؛ درّس العبرية في الكوليج دي فرانس وأرسل إلى لبنان وفلسطين (١٨٦٠-١٨٦١). اشتهر بنقده للعقيدة الدينية في كتابه حول «تاريخ أصول المسيحية». ناظره الشيخ جمال الدين الأفغاني خلال إقامته في باريس (١٨٨٣-١٨٨٤).

**روبنستين (أنتون)**
Anton Grigorievitch RUBINSTEIN
(١٨٢٩-١٨٩٤)

موسيقار روسي، من أشهر عازفي البيانو ومؤلفي الموسيقى في عصره مع فرانس ليست. قد يكون أخوه نيكولاي (١٨٣٥-١٨٨١) المقصود بعبارة «روبنستين المزوّر» في النصّ (فصل ٣٩: ص ٨) لأنه لم يؤلّف الكثير رغم مهارته في عزف البيانو.

**روزني البكر**
J. H. ROSNY aîné
(١٨٥٦-١٩٤٠)

جوزيف هنري بويكس (Joseph Henri Boex)، الملقب بروزني البكر: كاتب فرنسي اشترك مع أخيه «روزني الأصغر» (١٨٥٩-١٩٤٨) في كتابة روايات عديدة ومتنوعة الأجناس بين سنتي ١٨٨٧ و ١٩٠٨ ودخلا مجمع كونكور سنة تأسيسه (١٨٩٦).

**ريبيرا إي تراغو (خُليان)**
Julian RIBERA Y TARRAGO
(١٨٥٨-١٩٣٤)

مستشرق إسباني، كان أستاذاً للعربية في جامعة سرقسطة منذ سنة ١٨٨٧ وأستاذاً للتاريخ في جامعة مدريد (١٩٠٥-١٩٢٧).

**ريتر (هيلموت)**
Hellmut RITTER
(١٨٩٢-١٩٧١)

مستشرق ألماني، مدير معهد الآثار الألماني في استانبول طوال ثلاثين سنة (١٩١٨-١٩٤٨) أسّس خلالها المكتبة الإسلامية ومجلة «أوريانس». اعتنى بالثقافة الإسلامية وعين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق.

**ريجان**
RÉJANE
(١٨٥٦-١٩٢٠)

هي جبرييل ريجو (Gabrielle Réju)، الملقبة بريجان، ممثلة فرنسية. اشتهرت في المسرحيات الهزلية ومسرحيات إبسن وميترلنك.

**زفايك (ستيفان)**
Stefan ZWEIG
(١٨٨١-١٩٤٢)

كاتب نمساوي، استخدم أجناساً أدبية متعدّدة كالشعر والمسرح والرواية واشتهر في القصص القصيرة والنقد الأدبي والسير الروائية. تأثر بأعمال فرويد واستعمل التحليل النفسي في رواياته. ترك ألمانيا في عهد النازية (١٩٣٥) ليقيم في البرازيل وانتحر مع زوجته الثانية سنة ١٩٤٢.

**زكي نجيب محمود**
(١٩٠٥-١٩٩٣)

مفكر وفيلسوف مصري، حصل على دكتوراه في الفلسفة من جامعة لندن سنة ١٩٤٧ وعنوان أطروحته «الجبر الذاتي»، عين أستاذاً في الجامعة المصرية.

**زيبولد (كريستيان فريدريش)**
Christian Friedrich SEYBOLD
(١٨٥٩-١٩٢١)

مستشرق ألماني، درّس اللغات الشرقية في البرازيل

والبرتغال (١٨٨٦-١٨٩١) ثم في جامعة توبينجان.

## سامي الصلح
(١٨٩٠-١٩٦٨)

رجل سياسي لبناني من عائلة سنية عريقة، أُنتخب نائباً في البرلمان لأول مرة سنة ١٩٤٣ وعين رئيساً للوزراء عدة مرات.

## سترستين (كارل فيلهيلم)
Karl Vilhelm ZETTERSTEEN
(١٨٦٦-١٩٥٣)

مستشرق سويدي، كان أستاذاً للغات السامية في جامعات لوند وأوبساله (١٨٩٥-١٩٣١). رحل إلى عدة بلدان أوربية وشرقية لدراسة المخطوطات وتحقيقها. اشترك في كثير من مؤتمرات المستشرقين وفي مهرجان المتنبي في دمشق سنة ١٩٣٦. عين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق.

## سعد زغلول
(١٢٧٣-١٣٤٦ هـ/ ١٨٥٧-١٩٢٧ م)

سعد باشا بن ابراهيم زغلول، من كبار الزعماء المصريين في عصره. تعلم بالأزهر وكان من تلاميذ الشيخ جمال الدين الأفغاني ؛ اشتغل مدة في جريدة «الوقائع المصرية» مع الإمام محمد عبده ثم اشترك في الثورة العرابية سنة ١٢٩٨ هـ/ ١٨٨١ م وسجن شهوراً بسبب ذلك. اشتغل بعد تسريحه في المحاماة وعين قاضياً ثم وزيراً للمعارف ؛ رأس بعد الحرب العالمية الأولى الوفد الذي طلب استقلال مصر في مؤتمر باريس (سنة ١٩١٩) فنفاه الإنكليز لمدة قصيرة فاشتهر اسمه. قاد الحركة القومية من خلال حزب الوفد. تولى في عام ١٩٢٤ رياسة مجلس الوزراء ولكنه استقال بعد بضعة أشهر. رأس مجلس النواب سنتي ١٩٢٥ و ١٩٢٦ وتوفي بالقاهرة.

## سعيد الأسطواني
(١٢٣٧-١٣٠٥ هـ)

سعيد بن محمد أمين الأسطواني، فقيه حنفي من دمشق، تولى الخطابة والإمامة في الجامع الأموي كما تولى عدّة مناصب في القضاء وفي مجلس إدارة الولاية.

## سليمان البستاني
(١٢٧٣-١٣٤٣ هـ/ ١٨٥٦-١٩٢٥ م)

من رجال الأدب والسياسة اللبنانيين، أقام في العراق ومصر والآستانة وسويسرا وتوفي في نيويورك. ترجم إلياذة هوميروس إلى العربية. انظر ما كتبه عنه محمد كرد علي في «المعاصرون»، ص ٢٣٥-٢٤٠.

## سليم سركيس
(١٢٨٤-١٣٤٤ هـ/ ١٨٦٧-١٩٢٦ م)

سليم بن شاهين سركيس، صحافي من أصل لبناني، تعلم مهنته في جريدة «لسان الحال» في بيروت، ثم رحل إلى مصر وأنشأ فيها جريدة «المشير» ومجلة «مرآة الحسناء». سافر إلى أميركا وأقام فيها مدة خمس سنوات أصدر خلالها «البستان» ثم «الراوي»، عاد إلى مصر (سنة ١٣٢٣ هـ) وأصدر «مجلة سركيس» في القاهرة، وظلّ يكتب فيها وفي «المؤيد» و«الأهرام» حتى وفاته.

## سليم صيدناوي
(١٨٥٦-١٩٠٨)

ولد في دمشق، تعلم الخياطة مع أخيه سمعان ثم سافر إلى القاهرة ليشتغل خياطاً، فاغتنى فيها إلى أن صار مليونيراً يستخدم ١٥٠ عاملاً، فأسّس فروعاً لمصنعه في منشستر وليون وباريس إلخ. ثم انشأ بنكاً مع شركائه. كان وأخوه ينفقان ٥ بالمئة من أرباحهما للفقراء دون تمييز في الدين وتبرعا لأعمال الخير في مصر.

### سموغورجفسكي (سيغيسموند)
Sigismond SMOGORZEWSKI
(١٨٨٤-١٩٣١)

مستشرق بولوني، اختصاصه الأحداث الدينية في الإسلام والإباضية. عين أستاذاً للفقه والتاريخ الإسلامي في جامعة لفوف (١٩٢٤-١٩٣١).

### سنوك هرغروني (كريستيان)
Christiaan SNOUCK HURGRONJE
(١٨٥٧-١٩٣٦)

مستشرق ودبلوماسي هولندي، زار مكة المكرمة سنة ١٨٨٤-١٨٨٥ وأصبح أستاذاً للغة الملايو في جامعة ليدن ومستشار الحكومة الهولندية في الشؤون الاستعمارية سنة ١٨٨٩. شارك في عدة مؤتمرات للمستشرقين وعين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٠.

### سوللي برودوم
SULLY PRUDHOMME
(١٨٣٩-١٩٠٧)

ريني فرانسوا أرمان برودوم، المعروف بسوللي برودوم، شاعر فيلسوف، عين عضواً في المجمع العلمي الفرنسي (سنة ١٨٨١) ونال جائزة نوبل سنة ١٩٠١.

### لي شاتيليه (ألفريد)
Alfred LE CHÂTELIER
(١٨٥٥-١٩٢٩)

مستشرق ودبلوماسي فرنسي، تخرّج من المدرسة العسكرية الفرنسية وبدأ مهنته في الجيش الفرنسي في الجزائر سنة ١٨٧٦ ؛ ظلّ يعمل في البلدان العربية إلى أن انقطع عنه لدراسة الحضارات العربية والإفريقية ثم استقال من الجيش سنة ١٨٩٣. عمل بعدها مستشاراً للممثّلين الفرنسيين في المغرب والجزائر بول ريفوال ويوجين إيتيان وبفضلهما أصبح أستاذاً في علم الاجتماع الإسلامي في الكوليج دي فرانس (١٩٠٢-١٩٢٥). أسّس مجلة العالم الإسلامي سنة ١٩٠٦.

### شبلي شُميِّل
(نحو ١٢٦٩-١٣٣٥ هـ/ نحو ١٨٥٠-١٩١٧ م)

الدكتور شبلي بن ابراهيم شميّل، ولد في قرية كفر شيما بلبنان ودرس الطب في الجامعة الأميركية ببيروت حتى نال شهادتها سنة ١٨٧١، ثم في أوربا لمدة سنة. بعد ذلك، ذهب إلى مصر واستقرّ في القاهرة وأصدر فيها مجلة «الشفاء» بين سنتي ١٨٨٦ و ١٨٩١. ألّف كتباً عديدة في الطب والفكر والأخلاق. انظر ما كتبه عنه محمد كرد علي في «المعاصرون»، ص٢٤١-٢٤٧.

### شكري القوتلي
(١٨٩١-١٩٦٧)

زعيم عربي، شارك في الحركة الوطنية مُنذ العهد العثماني حيث دخل المنتدى العربي في الآستانة والجمعية السرية العربية الفتاة. كان عضو حزب الاستقلال في العهد الفيصلي ثم نفي إلى مصر حتى سنة ١٩٣٠ ورجع إلى سورية لينضم إلى الكتلة الوطنية. عين عضواً في مجلس النواب ووزيراً في حكومة جميل مردم بك سنة ١٩٣٦ إلى أن أصبح زعيم الكتلة سنة ١٩٣٩. أُنتخب أول رئيس للجمهورية العربية السورية في عهد الاستقلال سنة ١٩٤٣ وظل في هذا المنصب حتى انقلاب حسني الزعيم في آذار/مارس ١٩٤٩. ثم رجع إلى الحكم وتولى المنصب نفسه بين سنتي ١٩٥٥ و ١٩٥٨ ؛ وهو الذي تنازل للزعيم جمال عبد الناصر في بداية الوحدة العربية بين سورية ومصر.

### الأمير شكيب أرسلان
(١٢٨٦-١٣٦٦ هـ/ ١٨٦٩-١٩٤٦ م)

أديب ورجل سياسة من عائلة عريقة من الشويفات

(بلبنان)، من تلاميذ الشيخ محمد عبده في بيروت ومن مؤيدي الدولة العثمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، سافر بعدها إلى أوربة وأقام في برلين وجنيف ومن هناك قاد الحركة الوطنية العربية وأصدر مجلة "La Nation Arabe" (الأمة العربية) باللغة الفرنسية وعاد إلى بيروت مؤقتاً سنة ١٩٣٧. عرفه محمد كرد علي في سن الشباب عند الشيخ طاهر الجزائري وظلت علاقتهما وديّة طيلة حياته. ساعده الأمير في بداياته في الصحافة وكانا خلال الحرب من المقربين إلى قائد الجيش العثماني في بلاد الشام، جمال باشا. وفي سنة ١٩٣٨، أُنتخب شكيب أرسلان رئيساً للمجمع العلمي العربي في دمشق لمدّة قصيرة، إلى أن رجع إلى سويسرا سنة ١٩٣٩. انظر ما كتبه عنه كرد علي في مذكراته (ج ١، ص ٢٨١-٢٨٣) وفي «المعاصرون»، ص ٢٤٨-٢٦٧.

### شو (برنارد)
### Bernard SHAW
(١٨٥٦-١٩٥٠)

كاتب مسرحي أيرلندي من التيار الاشتراكي، ينتقد في أعماله سلبيات المجتمع البريطاني. نال جائزة نوبل سنة ١٩٢٥، توفي في السنة الرابعة والتسعين من عمره.

### طانيوس عبده
(١٢٨٠-١٣٤٥ هـ/ ١٨٦٤-١٩٢٦ م)

طانيوس بن متري عبده، أديب لبناني، من بيروت ؛ اشتهر بترجماته للروايات الفرنسية إلى العربية. رحل إلى الإسكندرية وأنشأ فيها جريدة «فصل الخطاب» سنة ١٨٩٦. كتب في «الأهرام» و«البصير». ثم أصدر مجلة «الراوي» إلى أن أعلن الدستور العثماني فعاد إلى بيروت وظلّ فيها خلال الحرب العالمية الأولى. ثم رجع إلى مصر وإلى التحرير في «الأهرام» لكنه اضطر إلى العودة إلى بيروت لأسباب خفيّة وتوفي فيها.

### الشيخ طاهر الجزائري
(١٢٦٨-١٣٣٨ هـ/ ١٨٥٢-١٩٢٠ م)

الشيخ طاهر بن صالح بن أحمد بن موهوب السمعوني الجزائري، من كبار العلماء باللغة والأدب. عمل مفتشاً عاماً للمدارس في بلاد الشام بين سنتي ١٨٧٩ و ١٨٨٦ وساعد في إنشاء دار الكتب الظاهرية في دمشق. عرفه محمد كرد علي زمن دراسته وتكوينه وحضر مجالسه في أواخر القرن التاسع عشر، ثم التقيا في مصر سنة ١٩٠٥ وبقي فيها الشيخ طاهر حتى سنة ١٩١٩ إلى أن رجع إلى دمشق وشارك مع كرد علي في تأسيس المجمع العلمي العربي ؛ توفي بعدها ببضعة أشهر. انظر ما كتبه عنه محمد كرد علي في «كنوز الأجداد» (ص ٩-٤٨) و«المذكرات» (ج ١، ص ١١، ٣٨-٣٩، ٢٧٤) و«المعاصرون» (ص ٢٦٨-٢٧٨).

### طه حسين
(١٨٨٩-١٩٧٣)

من أهم المفكرين العرب العقلانيين في القرن العشرين. فقد بصره صغيراً وحفظ القرآن الكريم قبل أن يذهب إلى الأزهر في طلب العلم، تتلمذ على الإمام محمد عبده. دخل بعد طرده من الأزهر الجامعة المصرية وحصل منها على الدكتوراه مع رسالة حول أبي العلاء المعري. أُرسل إلى جامعة السوربون في باريس وقدم فيها رسالة دكتوراه ثانية حول ابن خلدون سنة ١٩١٩. عين أستاذاً للتاريخ فأستاذ الأدب العربي في الجامعة المصرية إلى أن أصبح عميد كلية الآداب سنة ١٩٣٠. عين وزيراً للمعارف سنة ١٩٥٠ في الحكومة الوفدية ثم انصرف إلى الانتاج الفكري في عهد الثورة المصرية. له العديد من الكتب المشهورة، من بينها «في الشعر الجاهلي» و«الأيام» و«مستقبل الثقافة في مصر» و«المعذبون في الأرض».

## طه الهاشمي
(١٨٨٨-١٩٦١)

طه سلمان ياسين الهاشمي، من رواد الحركة الوطنية العربية في بدايتها، كان قائداً عسكرياً في الجيش العثماني، ثم التحق بجمعية «العهد» السرية برئاسة عزيز علي المصري سنة ١٩١٣، لكنه ظلّ في الجيش العثماني خلال الحرب العالمية الأولى. سنة ١٩٢٠، عينه الأمير فيصل مديراً للأمن العام في دمشق، ثم رئيساً لأركان الجيش العراقي سنة ١٩٢٣. تولى رياسة الوزراء لمدة شهرين فقط سنة ١٩٤١ ثم ذهب إلى تركيا وظلّ فيها حتى عام ١٩٤٦. تولى بعد عودته إلى بغداد عدة مناصب سياسية ؛ عمل مؤرخاً وخبيراً في الجغرافيا البشرية في وزارة المعارف.

## طومسون (غاستون)
Gaston THOMSON
(١٨٤٨-١٩٣٢)

رجل سياسي فرنسي، كان نائباً عن ولاية قسنطينة (في الجزائر) خلال الاستعمار الفرنسي، وأصبح وزيراً للبحرية بين سنتي ١٩٠٥ و ١٩٠٨.

## الأمير عادل أرسلان
(١٣٠٣-١٣٧٣ هـ/ ١٨٨٧-١٩٥٤ م)

يُنعت بأمير السيف والقلم وهو شقيق الأمير شكيب أرسلان. كان من أعضاء مجلس النواب العثماني، ثم انضم إلى الجمعية العربية الفتاة وعين بعد الحرب العالمية الأولى مساعداً لرئيس الحكومة الفيصلية. نزح خلال الانتداب الفرنسي عن سورية فحكم عليه غيابياً بالإعدام. أقام في عدة بلدان، منها سويسرا وشرقي الأردن والسعودية ومصر. لما ثارت سورية ضد الاحتلال الفرنسي، قاد عادل أرسلان بعض معاركها إلى جانب سلطان باشا الأطرش. عاد إلى سورية سنة ١٩٣٦ فأقام في دمشق ثم في تركيا وتولى بعد الحرب العالمية الثانية بعض الوزارات إلى أن صار نائباً لرئيس الوزراء في عهد المشير حسني الزعيم (١٩٤٩) ؛ لكنه استقال من منصبه فعين سفيراً لسورية في أنقرة. إلى جانب عمله السياسي، كان ينظم الشعر. كتب مذكراته (نشرت سنة ١٩٦٢).

## عارف التوام
(١٨٧٨-١٩٤٥)

عارف بن محمود التوام، كان عضواً من أعضاء جمعية «العهد» السرية خلال الحرب العالمية الأولى ثم عين قائداً للجيوش العربية في عهد الأمير فيصل. انتقل بعد دخول الجيش الفرنسي إلى العمل الخيري في ميدان التعليم، فعين مديراً لمدرسة الملك الظاهر ثم مدرسة صنائع الإناث في دمشق. وأسّس عارف التوام عدداً من الجمعيات الخيرية منها جمعية النداء الخيري وهي أول جمعية عملت في محاربة الجهل. توفي في أيلول/ سبتمبر ١٩٤٥، فشيعته دمشق في موكب كبير وأقيم له فيما بعد حفل تأبيني في قاعة المجمع العلمي العربي بباب البريد.

## الخديوي عبّاس حلمي الثاني
(١٢٩١-١٣٦٣ هـ/ ١٨٧٤-١٩٤٤ م)

حكم مصر بين سنتي ١٨٩٢ و ١٩١٤. استغلت الحكومة البريطانية وجوده في الآستانة وقت اندلاع الحرب العالمية الأولى لخلعه وبسط حمايتها على مصر.

## عبّاس محمود العقّاد
(١٣٠٦-١٣٨٣ هـ/ ١٨٨٩-١٩٦٤ م)

أديب مصري، من مؤسسي تيار جديد في الشعر سماه «مدرسة الديوان». رغم أنه لم يتجاوز مستوى المدرسة الابتدائية في التعليم، إلا أنه نبغ في الأدب بفضل جهده وولوعه بالقراءة والكتابة. اشترك مع محمد فريد وجدي في إصدار صحيفة «الدستور» عام ١٩٠٧ ونشر ديوانه الأول سنة ١٩١٦. التحق

بحزب الوفد برئاسة سعد زغلول سنة ١٩١٩ حتى سنة ١٩٣٥، ثم انضم إلى السعديين وعين عضواً في مجلس الشيوخ. ظلّ يحرر في جريدة «أخبار اليوم» من سنة ١٩٥٣ حتى وفاته. من مؤلفاته العديدة سلسة العبقريات الإسلامية ورواية «سارة» وسيرة ذاتية بعنوان «أنا».

### السلطان عبد الحميد الثاني
(١٨٤٢-١٩١٨)

سلطان أواخر العهد العثماني. حكم بين سنتي ١٨٧٦ و ١٩٠٩ إلى أن أسقطه عن العرش أنصار حزب الاتحاد والترقي.

### عبد الحميد الزهراوي
(١٢٧٢-١٣٣٤ هـ/ ١٨٥٥-١٩١٦ م)

من الزعماء الوطنيين الأوائل في سورية في نهاية العهد العثماني ومن شهداء العرب خلال الحرب العالمية الأولى. نشأ في حمص، وأصدر فيها سرّاً جريدة «المنير»، ثم سافر إلى الآستانة وشارك في إصدار جريدة «معلومات»، فنفي إلى دمشق وظل يكتب إلى جريدة «المقطم» فاعتقله الوالي العثماني ولكنه نجا منه وفر إلى مصر وعمل في الصحافة مع زملائه السوريين. كان محمد كرد علي من بين الذين ساعدوه في منفاه حسب قوله. بعد إعلان الدستور سنة ١٩٠٨، انتخب الزهراوي نائباً لحماة في البرلمان العثماني ثم أيّد حزب الائتلاف المعارض للاتحاديين وعين رئيساً للمؤتمر العربي السوري الأول في باريس سنة ١٩١٣. اتهم في عام ١٩١٦ بالخيانة وحُكم عليه بالإعدام في ديوان عاليه فشُنق في دمشق. انظر ما كتب محمد كرد علي عن تلك الأحداث في «المذكرات»، ج ١، ص ١١٥-١٢٠.

### عبد الرحمن الرافعي
(١٨٩٩-١٩٦٦)

عبد الرحمن عبد اللطيف الرافعي، من كبار المؤرخين ورجال السياسة المصريين. درس الحقوق في القاهرة وأصبح محامياً. انضم إلى الحزب الوطني سنة تأسيسه (أي ١٩٠٧) فكتب في جريدة «اللواء» ثم التحق بالجمعيات السرية وانتخب نائباً للحزب الوطني المعارض لسعد زغلول سنة ١٩٢٣. انتخب في عام ١٩٣٩ عضواً في مجلس الشيوخ. عين بعد ثورة ١٩٥٢ نقيباً للمحامين المصريين.

### عبد الرزاق السنهوري
(١٨٩٥-١٩٧١)

حصل على شهادة الدكتوراه في فرنسا سنة ١٩٢٦ ثم رجع إلى مصر ليدرّس القانون المدني في الجامعة المصرية. أصبح عميداً لكلية الحقوق سنة ١٩٣٦، ثم وزيراً للمعارف أربع مرات إلى أن تولى منصب رئيس مجلس الدولة بين سنتي ١٩٤٩ و ١٩٥٤ وكان من مؤيدي ثورة تموز/يوليو ١٩٥٢ في مصر. عين عضواً في مجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٦ وأسهم في وضع الكثير من المصطلحات القانونية.

### الشيخ عبد القادر المغربي
(١٢٨٤-١٣٧٥ هـ/ ١٨٦٧-١٩٥٦ م)

من تلاميذ جمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده وزميل محمد كرد علي في جريدتي «الظاهر» و«المؤيد» بالقاهرة. انتخب عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩١٩ ونائب رئيس المجمع، ثم عين أستاذاً للآداب العربية بالجامعة السورية وعضواً في مجمع اللغة العربية بمصر سنة ١٩٣٢ مع كبار مجمعيي دمشق كمحمد كرد علي وعيسى إسكندر المعلوف (١٨٦٩-١٩٥٦).

### عبد الكريم اليافي
(١٩١٩-)

درس في السوربون بباريس خلال الحرب العالمية الأولى ونال منها الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٤٥ إلى جانب شهادات متعددة في العلوم الإنسانية.

سمّي أستاذاً مساعداً في علم الاجتماع بالجامعة السورية سنة ١٩٤٧ ثم أستاذاً سنة ١٩٦١. وفي عام ١٩٥٢، فاز بمنحة دولية للبحث في علم السكان في فرنسا وإنكلترا والسويد، ومن ثمة ألّف كتابه المذكور هنا بعنوان «في علم السكان». انتخب الدكتور عبد الكريم اليافي عضواً لمجمع اللغة العربية في دمشق سنة ١٩٧٦. انظر ما كتب عنه عبد الغني العطري في كتابه «أعلام ومبدعون»، ص ١٢٠-١٢٧.

## عزّت باشا

(١٢٧٢-١٣٤٣ هـ/ ١٨٥٥-١٩٢٤ م)

أحمد عزت باشا العابد، رجل سياسي سوري مشهور من مدينة دمشق. كان من الإصلاحيين فأصدر جريدة «الشام» الأسبوعية باللغتين التركية والعربية. ثم دخل العمل الإداري في الآستانة إلى أن صار السكرتير الثاني للسلطان عبد الحميد الثاني ومستشاره الأقرب. كان مسؤولاً عن مشروع سكة الحجاز الحديدية. تنقل بعد انقلاب سنة ١٩٠٨ بين إنكلترا وسويسرا وفرنسا إلى أن استقر في مصر فتوفي بها.

## عصمت إينونو

Ismet INÖNÜ

(١٨٨٤-١٩٧٣)

قائد جيش ورجل سياسي تركي، كان رئيس الوزراء بين سنتي ١٩٢٣ و ١٩٣٧، ثم انتخب رئيساً للجمهورية بعد وفاة مصطفى كمال آتاتورك سنة ١٩٣٨ وظلّ في هذا المنصب حتى سنة ١٩٥٠، ثم بين سنتي ١٩٦١ و ١٩٦٥ برعاية حزب الشعب الجمهوري.

## علال الفاسيّ

(١٩١٠-١٩٧٤)

أديب ورجل سياسي مغربي من مؤيدي الإصلاح الديني ومن رواد الحركة الوطنية في المغرب. درّس في جامعة القراويين في مدينة فاس وعارض مشروع الظاهر البربري (المقرر سنة ١٩٣٠) الذي كان يفصل بين العرب والبربر في المغرب. بعد اجتماعه مع الأمير شكيب أرسلان في باريس وسجنه، أصبح شخصية بارزة من الحركة الوطنية وعين رئيساً لكتلة العمل الوطني سنة ١٩٣٦. نفي إلى الغابون تسع سنوات (١٩٣٧-١٩٤٦) ثم إلى القاهرة (١٩٤٧-١٩٥٦) ولكنه شارك في تأسيس حزب الاستقلال (سنة ١٩٤٤) ومثله في الأمم المتحدة وفي مؤتمر باندونغ (سنة ١٩٥٥) ثم عين رئيساً له سنة ١٩٦٠. أصبح وزيراً للشؤون الإسلامية (١٩٦١-١٩٦٢) ولكنه دخل المعارضة سنة ١٩٧٠ حين رفض المشروع الدستوري الذي اقترحه الملك حسن الثاني. نشر «النقد الذاتي» في مصر سنة ١٩٥٢ وعين عضواً للمجمعين العربيين في دمشق والقاهرة.

## علي ماهر

(١٨٨٢-١٩٦٠)

علي ماهر باشا، رجل سياسي مصري، تولى منصب رئيس الوزراء أربع مرات، الأولى سنة ١٩٣٦ والثانية سنتي ١٩٣٩-١٩٤٠ والثالثة سنة ١٩٥٢ وعين للمرة الرابعة من خلال ثورة ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٥٢ فتم خلع الملك فاروق على يديه وظلّ في منصب رئيس الوزراء في ظِلّ مجلس الثورة حتى استقالته في ٧ أيلول/ سبتمبر ١٩٥٢ بسبب اعتراضه على القانون الزراعي الجديد.

## غريفيني (أوجنيو)

Eugenio GRIFFINI

(١٨٧٨-١٩٢٥)

مستشرق إيطالي، درس العربية في نابولي ثم اشتغل في العمل الإداري خلال حرب طرابلس (١٩١١-١٩١٣) وفي التدريس والمكتبة في

جامعة ميلانو إلى أن عين مديراً للمكتبة الملكية في مصر (١٩٢٠-١٩٢٥) وعضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق. انظر ترجمته في «المعاصرون»، ص ٤٧٦-٤٧٨.

### غودفروا-ديمومبين (موريس)
### Maurice GAUDEFROY-DEMOMBYNES
(١٨٦٢-١٩٥٧)

مستشرق فرنسي، درس الحقوق واللغة العربية في باريس والجزائر وبدأ عمله كمدير مدرسة في مدينة تلمسان (١٨٩٥-١٨٩٩). ثم درّس العربية في مدرسة اللغات الشرقية في باريس (١٨٩٩-١٩٢٢) ثم في جامعة السوربون (١٩٢٣-١٩٣٥). عين عضواً في المجمع العلمي الباريسي سنة ١٩٣٥. ألّف العديد من الكتب في اللغة العربية والحضارة الإسلامية.

### غولد صهير (إنياس)
### Ignaz GOLDZIHER
(١٨٥٠-١٩٢١)

مستشرق مجري، درّس في جامعة بودابست منذ سنة ١٨٧٣، وفي السنة ذاتها، انتُدب إلى سورية ومصر وتعرّف بالشيخين طاهر الجزائري ومحمد عبده، أستاذي محمد كرد علي. زاره كرد علي في بودابست سنة ١٩١٤ وعيّنه المجمع العلمي العربي بدمشق عضواً مراسلاً له. انظر «المعاصرون»، ص ١٣٢-١٣٦.

### الملك فؤاد الأول
(١٢٨٤-١٣٥٥ هـ/ ١٨٦٩-١٩٣٦ م)

أحمد فؤاد الأول، سلطان مصر منذ سنة ١٣٣٥ هـ/ ١٩١٧ م بعد أخيه حسين كامل وأصبح ملكاً سنة ١٩٢٢ حتى وفاته. في عصره أنشئ مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م الذي كان محمد كرد علي من أعضائه الأوائل.

### فائز الغصين
(١٨٨٣-١٩٦٨)

درس الحقوق في الآستانة في العهد العثماني وعمل في المحاماة مدة، ثم عين مدير ناحية على الحدود الشرقية. التحق بالثورة العربية سنة ١٩١٦ ثم عين نائباً عاماً في عهد الانتداب الفرنسي، فرئيس محكمة الجنايات إلى أن عزلته الحكومة. له مذكرات حول المذابح في أرمينية وحول الثورة العربية.

### فارس الخوري
(١٨٧٧-١٩٦٢)

أحد أبرز السياسيين القوميين والمفكرين السوريين في عصره، من تلاميذ الشيخ طاهر الجزائري في أواخر القرن التاسع عشر. شارك في الحركة العربية وعين وزيراً للمالية في حكومات رضا باشا الركابي في العهد الفيصلي. في بداية الانتداب الفرنسي على سورية، تولى منصب نائب رئيس حزب الشعب وأيّد الدكتور عبد الرحمن شهبندر ومقاومته خلال الثورة السورية الكبرى. ثم اشترك في تأسيس الكتلة الوطنية ورافق البعثة التي قامت بمفاوضات باريس حول المعاهدة الفرنسية السورية سنة ١٩٣٦. تولى منصب رئيس مجلس النواب منذ سنة ١٩٣٦. وبعد الحرب العالمية الثانية واستقلال سورية، أصبح فارس الخوري الممثل السوري لدى هيئة الأمم المتحدة ورئيس مجلس الأمن مدة. ثم عين رئيساً للوزراء لمدة ستة أشهر (١٩٥٤-١٩٥٥). عضو المجمع العلمي العربي في دمشق منذ سنة ١٩٢٢ وأستاذ للحقوق في الجامعة السورية. انظر ما كتبت عنه حفيدته السيدة الأديبة كوليت خوري، وما نشرت من وثائقه، في «أوراق فارس الخوري» (ثلاثة أجزاء مطبوعة إلى حدّ الآن).

### الملك فاروق الأول
(١٩٢٠-١٩٦٥)

فاروق بن الملك فؤاد الأول، تولى العرش في السادسة عشر من عمره بعد وفاة أبيه سنة ١٩٣٦ ولكنه ظل

تحت وصاية ابن عمه الأمير محمد علي بن الخديوي توفيق لمدة سنة. استمر حكم فاروق حتى خلعه في ثورة ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٥٢.

### فازيلييف (ألكسندر)
Alexander VASILIEV
(١٨٦٧-١٩٥٣)

مستشرق روسي، من أهم مختصي التاريخ والحضارة البيزنطية في عصره وأستاذ اللغة العربية في جامعة سان بترسبورج. سافر إلى باريس وسيناء وظلّ مدة في جامعة تارتو بأستونيا (١٩٠٤-١٩١٢) حيث نشر كتابه المهم بعنوان «بيزنطة والعرب». عاد إلى جامعة سان بترسبورج (١٩١٢-١٩٢٥)، ثم سافر إلى الولايات المتحدة ودرّس في جامعاتها.

### فانديك (كرنيليوس)
Cornélius VAN DYCK
(١٨١٨-١٨٩٥)

مستشرق أمريكي، من مؤسسي الجامعة الأمريكية في بيروت مع الدكتور دانيال بلس سنة ١٨٦٦ وكان قد أنشأ قبلها مدرسة في عبية (لبنان) مع معلمه بطرس البستاني. استقال فانديك من تلك الجامعة سنة ١٨٨٢. انظر ما كتب عنه محمد كرد علي في «المعاصرون» ص ٣١١-٣١٦.

### فتح الله صقّال
(١٨٩٣-١٩٧٠)

فتح الله بن ميخائيل صقال، ولد في حلب ودرس الحقوق في مصر ثم فرنسا. واشتغل بالمحاماة في مصر إلى أن رجع إلى حلب سنة ١٩٢٠ واستمر فيها عمله؛ أصدر فيها مجلة «الكلمة» سنة ١٩٢٩. تولى رياسة الهلال الأحمر السوري ثم عين وزيراً للأشغال والمواصلات في حكومة حسني الزعيم سنة ١٩٤٩. ترك مذكراته في كتابين عنوانهما «من ذكريات حكومة الزعيم حسني الزعيم» (القاهرة، ١٩٥١) و«من ذكرياتي في المحاماة في مصر وسورية» (جزءان: حلب، ١٩٥٨ و١٩٦٥).

### فخري البارودي
(١٨٨٧-١٩٦٦)

ولد في حي القنوات بدمشق وتعلم في مدرسة مكتب عنبر حتى عام ١٩٠٨؛ شارك في الحلقات الأدبية للشيخين طاهر الجزائري ومحيي الدين الخطيب؛ كتب في الجرائد العربية مثل «المقتبس» لصاحبها محمد كرد علي. سافر إلى فرنسا لدراسة علم الزراعة في مدينة مونبلييه ثم عاد إلى دمشق وانضم إلى الجمعية العربية الفتاة. شارك في الحرب العالمية الأولى في صفوف الجيش العثماني ثم في جيش الثورة العربية سنة ١٩١٧ وعين نائباً لرئيس الشرطة في العهد الفيصلي. وفي عهد الانتداب، أيد الثورة السورية الكبرى وسُجن في قلعة دمشق لمدة مئة يوم ثم انضمّ إلى الكتلة الوطنية سنة ١٩٢٨ وانتخب نائب دمشق. شارك في تأسيس جمعية «الشباب الوطني» سنة ١٩٢٩ ثم مكتب للدعاية الوطنية سنة ١٩٣٢ و«فرقة القمصان الحديدية» سنة ١٩٣٦. أُنتخب نائباً سنتي ١٩٤٣ و ١٩٤٧ ولكنه اعتزل العمل السياسي بعد فترة قصيرة. كتب مذكراته ونشرها بعنوان «مذكرات البارودي: ستون سنة تتكلم» (جزءان، بيروت ودمشق، ١٩٥١).

### فرّان (جبرييل)
Gabriel FERRAND
(١٨٦٤-١٩٣٥)

مستشرق فرنسي تعلم في الجزائر عند رينيه باسيه René Basset ثم عمل في السلك القنصلي بين مدغشقر وإيران وسيام واختصّ في دراسة لغة المالجاش وعادات المسلمين في مدغشقر. ثم استقر في باريس وعمل في الجمعية الآسيوية ونشر بعض المخطوطات العربية. كان عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق.

**فرانس (أناتول)**
FRANCE Anatole
(١٨٤٤-١٩٢٤)

هو أناتول فرانسوا تيبو Anatole François Thibault، المعروف بأناتول فرانس، كاتب فرنسي مشهور، كان أبوه صاحب مكتبة ونقل إليه حب الكتب. دخل مكتبة مجلس الشيوخ وصار ينظم الشعر على طريقة «البارناس»، ثم أخذ ينشر روايات ذات نزعة أخلاقية مثل «تايس» (سنة ١٨٩٠) و«الزنبقة الحمراء» (سنة ١٨٩٤). كان يكتب في جريدة «لو تان» مقالات نقدية أدبية (١٨٨٦-١٨٩١). أُغرم في سنة ١٨٨٨ بالسيدة أرمان دي كايافيه التي كانت تستقبل مجلساً أدبياً في بيتها بباريس، وصار فرانس يتردّد إليها ويدير مجالسها: لذلك سميت في هذا الفصل «مجالس أناتول فرانس». عين فرانس في المجمع الفرنسي سنة ١٨٩٦ ونال جائزة نوبل سنة ١٩٢١.

**فوللر (لوي)**
Loïe FULLER
(١٨٦٢-١٩٢٨)

فنانة أمريكية، اشتهرت في باريس منذ سنة ١٨٩١ بعروضها الراقصة التي تستعمل فيها انعكاسات ضوئية وأزياء متطايرة أُعجب بها الرسام تولوز لوتريك والنحات رودان.

**فوييه (أوكتاف)**
Octave FEUILLET
(١٨٢١-١٨٩٠)

كاتب روائي فرنسي. تآليفه نموذجية ولها طابع برجوازي وأخلاقي. عين فوييه عضواً في المجمع الفرنسي سنة ١٨٦٢.

**الملكة فيكتوريا**
La reine VICTORIA
(١٨١٩-١٩٠١)

حكمت بريطانيا العظمى وايرلندا لمدة أربع وستين عاماً (١٨٣٧-١٩٠١) وصارت إمبراطورة الهند (١٨٧٦-١٩٠١). تزامن حكمها مع عصر سطعت فيه بريطانيا العظمى على العالم كله.

**فينوبا بافيه**
Vinobâ BHAVE
(١٨٩٥-١٩٨٢)

رجل سياسي وفيلسوف ومصلح هندي، من أقرب تلاميذ الحكيم مهنداس كرمشاند غاندي، الملقب بالمهاتما (١٨٦٩-١٩٤٨) وهو «أب الوطن» في الهند. أكمل بافيه ما حقّقه غاندي في مجال استقلال الهند واللامركزية بخلق حركة «بودهان» التي نادت أصحاب الأراضي الواسعة لإعطاء أجزاء منها للفلاحين الفقراء سنة ١٩٥١. وبفضل مبادئه السلمية المقتبسة عن غاندي، نجح بافيه في مشروعه الاستثنائي.

**مدام دي كاليافيه**
Madame ARMAN DE CAILLAVET
(١٨٤٤-١٩١٠)

هي ليونتين ليبمان (Léontine Lippmann) وأصبحت بعد زواجها مدام أرمان دي كايافيه، كانت تتردد على مجالس السيدة ليدي أوبرنون في باريس وفيها تعرفت على أناتول فرانس سنة ١٨٨٣. بدأت علاقتهما العاطفية سنة ١٨٨٨، وكانت علاقة شديدة الشغف. ثم صارت تنظّم مجالسها الخاصة وكان أناتول فرانس يرأسها. استوحى فرانس من شخصية مدام أرمان بعض الأفكار والشخصيات في كتابة روايتيه «تايس» و«الزنبقة الحمراء».

**الأمير كايتاني (ليون)**
Le prince Leone CAETANI
(١٨٦٩-١٩٢٦)

مستشرق ورجل سياسي إيطالي، دخل في السلك الدبلوماسي وفي السياسة في إيطاليا وصرف جزءاً هاماً من ثروته على إنشاء مكتبة شرقية في رومية

جمع فيها العديد من المخطوطات والجذاذات. من أهمّ مؤلفاته «تاريخ الإسلام» Annali del Islam في خمسة أجزاء. عيّنه المجمع العلمي العربي عضواً له سنة ١٩٢٠. انظر ما كتبه محمد كرد علي عن كايتاني وزيارته إلى رومية في «المعاصرون» (ص ٣٢٢-٣٢٦) وفي «غرائب الغرب» (ج ١، ص ٢٨٠-٢٨٣) وفي «المذكرات» (ج ١، ص ١٨٨-١٩٠).

### كراتشكوفسكي (أغناطيوس)
Ignace KRATCHKOVSKI
(١٨٨٣-١٩٥١)

مستشرق روسي، درس اللغات الشرقية في جامعة بطرسبرج وأصبح أستاذاً للعربية فيها سنة ١٩١٧ بعد أن طاف في الشرق الأدنى (١٩٠٨-١٩١٠) وألمانيا وهولندا في طلب العلم. عين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٣.

### كرنكو (فريتس)
Fritz KRENKOW
(١٨٧٢-١٩٥٣)

مستشرق بريطاني من أصل ألماني، درس اللغات الشرقية (الفارسية والعربية والأوردية) بنفسه واشتغل مع دائرة المعارف العثمانية في حيد آباد في تحقيق ونشر المخطوطات إلى جانب عمله في صناعة الأقمشة في ليستر. اعتنق كرنكو الإسلام وسمى نفسه «محمد سالم الكرنكوي». عُين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق وذكره محمد كرد علي في الجزء الأول من «المذكرات» (ص ١٩٦) كـ« مجمع علمي برأسه».

### كليمانسو (جورج)
Georges CLEMENCEAU
(١٨٤١-١٩٢٩)

رجل سياسي فرنسي من التيار الراديكالي، دافع عن دريفوس بمقالته المشهورة في جريدة «لورور» (الفجر) بعنوان «إني أتَّهِم !» سنة ١٨٩٨. أصبح رئيس الوزراء سنة ١٩٠٦ ومرة ثانية خلال الحرب العالمية الأولى ؛ رأس مؤتمر فيرساي سنة ١٩١٩ ثم اعتزل السياسة.

### كوبيه (فرانسوا)
François COPPÉE
(١٨٤٢-١٩٠٨)

شاعر فرنسي باريسي رسم ببساطة جمالية الحياة. عين عضواً في المجمع الفرنسي سنة ١٨٨٤.

### كيه (روبر دي)
Le comte Robert de CAIX de SAINT-AYMOUR
(١٨٦٩-١٩٧٠)

هو الكونت روبر دي كيه دي سانت أيمور، صحفي ودبلوماسي فرنسي. درس الحقوق ثم اشتغل في جريدة «لو جورنال دي ديبا» le Journal des Débats لمدة ٢٦ سنة. سافر إلى آسيا عدّة مرات بين سنتي ١٨٩٨ و ١٩٠٩ وترك الصحافة بعد الحرب العالمية الأولى ليصبح أميناً عاماً للمفوّضين الساميين الفرنسيين في سورية ولبنان (١٩١٩-١٩٢٥). ثم عُين ممثّلاً للحكومة الفرنسية لدى لجنة الانتدابات في جنيف (١٩٢٥-١٩٣٨). توفي وعمره ١٠١ سنة.

### الأب لامنس (هنري)
P. Henri LAMMENS
(١٨٦٢-١٩٣٧)

مستشرق فرنسي من أصل بلجيكي، من علماء الرهبان اليسوعيين. درس علم اللاهوت في انجلترة ودرّس في كلية رومة (١٩١٠-١٩١٤)، ثم استقرّ في بيروت حيث درّس في الكلية اليسوعية. صنف العديد من الكتب حول العرب والإسلام واستمرّ في إصدار مجلة «المشرق» بعد وفاة الأب لويس شيخو سنة ١٩٢٧.

### لبون (غستاف)
Gustave LE BON
(١٨٤١-١٩٣١)

طبيب وعالم اجتماع فرنسي. هو مؤلف كتاب «حضارة العرب» (١٨٨٤) مدح فيه التاريخ والعمارة العربية منذ ظهور الإسلام. عين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٠ وظلّ على علاقة وديّة مع محمد كرد علي حتى آخر عمره.

### لوميتر (جول)
Jules LEMAÎTRE
(١٨٥٣-١٩١٤)

أستاذ جامعي وناقد أدبي ومسرحي فرنسي، صاحب مؤلفات ضخمة مثل «المعاصرون» (في ٨ أجزاء) و«انطباعات في المسرح» (في ٩ أجزاء). كانت اتجاهاته السياسية قومية يمينية وأخذ موقف ضد دريفوس في القضية التي قسمت المفكرين الفرنسيين قسمين. عين عضواً في المجمع الفرنسي سنة ١٨٩٥.

### لوتي (بيير)
Pierre LOTI
(١٨٥٠-١٩٢٣)

جوليان فيو (Julien Viaud)، المعروف ببيير لوتي، كاتب فرنسي وضابط في البحرية، اعتمد على رحلاته العديدة عبر البحار في تأليف رواياته، من بينها «أزياده» حول تركيا سنة ١٨٧٩ و«صيادو أيسلندا» سنة ١٨٨٦. عين عضواً في المجمع الفرنسي سنة ١٨٩١.

### لوكونت (جورج)
Georges LECOMTE
(١٨٦٧-١٩٥٨)

كاتب فرنسي ذو مهارات عديدة، له مسرحيات وروايات ورسائل تاريخية ونقدية. عين عضواً في المجمع الفرنسي سنة ١٩٢٤ وأميناً أبدياً له سنة ١٩٤٦.

### لومبروزو (سيزاريه)
Cesare LOMBROSO
(١٨٣٥-١٩٠٩)

عالم إيطالي، من مؤسسي علم الإجرام، بحث في أسباب الإجرام الفيزيولوجية والنفسية وفي طرق علاجها.

### الأب لويس شيخو
(١٢٧٥-١٣٦٦ هـ/ ١٨٥٩-١٩٢٧ م)

لقبه الأتراك «سلطان اللغة العربية»، وهو من الآباء اليسوعيين في لبنان. سافر إلى أوربا (١٨٨٩-١٨٩٤)، ثم رجع إلى بيروت وأسّس المكتبة الشرقية ومجلة «المشرق» (١٨٩٨) وأصدر منها خمسة وعشرين مجلداً. درّس الآداب العربية في كلية القديس يوسف ونشر العديد من المخطوطات كما ألّف العديد من الكتب في الأدب واللغة والتاريخ. عيّنه المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً له سنة ١٩٢٠. انظر ما كتبه عنه محمد كرد علي في «المعاصرون»، ص ٣١٧-٣٢١.

### ليفي بروفنسال (إيفارست)
Évariste LÉVI-PROVENÇAL
(١٨٩٤-١٩٥٦)

مستشرق فرنسي، كان أستاذاً لتاريخ العرب والحضارة الإسلامية في معهد الدراسات العليا المغربية (١٩٢٦-١٩٣٥) ثم في جامعة الجزائر (١٩٣٥-١٩٤٠). دعته جامعة القاهرة أستاذاً زائراً سنة ١٩٣٨. وبعد الحرب العالمية الثانية، صار يدرّس في جامعة السوربون في باريس واعتنى بمعهد الدراسات الإسلامية وبمركز دراسات الشرق المعاصر. شارك في إنشاء الطبعة الثانية من موسوعة الإسلام وأسّس مجلة «أرابيكا» Arabica سنة ١٩٥٤.

### الماريشال ليوتيه
Le maréchal LYAUTEY
(١٨٥٤-١٩٣٤)

هو لويس هوبر ليوتيه (Louis Hubert Lyautey)، قضى معظم حياته العملية في المستعمرات الفرنسية، واشتهر خلال إقامته في المغرب كمندوب سام (١٩١٢-١٩١٦ ثم ١٩١٧-١٩٢٥). اعتنى بعد رجوعه إلى فرنسا بتنظيم المعرض الاستعماري بفينسان (قرب باريس) سنة ١٩٣١.

### مارون عبود
(١٨٨٦-١٩٦٢)

كاتب وأديب لبناني من قرية عين كفاع في منطقة جبيل. عمل في التدريس في كلية القديس يوسف وساهم في إصدار جريدة «الحكمة». مؤلفاته متنوعة، من بينها كتب في النقد الأدبي وقصص وشعر ومسرحيات.

### مارون النقاش
(١٨١٧-١٨٥٥)

رائد المسرح العربي، بدأ تجاربه بعد إقامته في إيطاليا مدة تأثر خلالها بهذا الفن، كما تأثر بمسرحيات موليير إلى حد أنه عرّب مسرحيته المشهورة «لافار» تحت عنوان «البخيل» وعرضها في منزله سنة ١٨٤٨. وبعد بناء خشبة مسرح حقيقية في بيروت سنة ١٨٥٠، عرض مسرحيتين أخريين هما «أبو الحسن المغفل وهارون الرشيد» و«الحسود السليط» إلى أن حوّل مسرحه إلى كنيسة نتيجة ضغوط رجال الدين وتوفي بعدها بقليل.

### ماسينيون (لويس)
Louis MASSIGNON
(١٨٨٣-١٩٦٢)

مستشرق فرنسي، سافر خلال دراسته العليا إلى الجزائر ومصر والعراق واشترك في مؤتمر المستشرقين في الجزائر سنة ١٩٠٥. دعته الجامعة المصرية لإلقاء محاضرات في تاريخ الفلسفة سنة ١٩١٢-١٩١٣. شارك في الحرب العالمية الأولى وطاف خلالها في البلدان العربية. عين بعدها أستاذاً مساعداً في علم الاجتماع الإسلامي في الكوليج دي فرانس (١٩١٩-١٩٢٤) ثم أستاذاً (١٩٢٦-١٩٥٤) و درّس أيضاً في المدرسة العملية العليا في باريس (١٩٣٣-١٩٥٤). تولى رئاسة تحرير «مجلة العالم الإسلامي» Revue du Monde Musulman سنة ١٩١٩ وعين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٠ وفي مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٣٢.

### الجنرال ماك أرثر (دوجلس)
Douglas McARTHUR
(١٨٨٠-١٩٦٤)

قائد الجيش الأميركي في الشرق الأقصى وجنوبي المحيط الهادي خلال الحرب العالمية الثانية. مثل بلده يوم استسلام اليابان في الثاني من أيلول/ سبتمبر ١٩٤٥ ثم أصبح قائد جيش الاحتلال في هذا البلد ولعب دوراً سياسياً هاماً. عندما اندلعت الحرب في كوريا اقترح الهجوم على الصين، فعزله الرئيس الأمريكي ترومان سنة ١٩٥١.

### مالزاك (أندريه ميرندا جيرار)
André-Miranda-Gérard MALZAC
(١٨٧٨- ؟)

دبلوماسي فرنسي، درس اللغات الشرقية في باريس ثم الترجمة في دمشق (١٩٠٣-١٩٠٦) وطهران. عمل في السلك الدبلوماسي كمترجم في زنجبار (١٩٠٧-١٩٠٩) والآستانة (١٩٠٩-١٩١٢) ثم مصر (١٩١٥-١٩١٩) إلى أن أصبح قنصلاً. وتقاعد عن العمل سنة ١٩٣٨.

### ماندیس (کاتول)
### Catulle MENDÈS
(١٨٤١-١٩٠٩)

كاتب فرنسي، من مؤسسي حركة «البارناس» الشعرية مع تيوفيل جوتييه. لجأ مانديس إلى أجناس أدبية متنوعة كالشعر والمسرحية والرواية والقصة القصيرة والنقد الأدبي.

### مايرهوف (ماكس)
### Max MEYERHOF
(١٨٧٤-١٩٤٥)

مستشرق ألماني، نال الدكتوراه في الطب، ثم سافر إلى مصر واستقر فيها واختص في الطب العربي حتى انتخب نائب رئيس في الجمعية الطبية المصرية. عين أستاذ تاريخ الطب في جامعة لايبزيغ سنة ١٩٣٠ ولكنه عاد إلى القاهرة في آخر عمره.

### محمد إسعاف النشاشيبي
(١٣٠٢-١٣٦٧ هـ/ ١٨٨٥-١٩٤٨ م)

محمد إسعاف بن عثمان النشاشيبي، أديب فلسطيني، من أعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق. ولد في القدس وتعلم في بيروت. أخذ يكتب في الجرائد والمجلات، ثم عين مفتشاً للغة العربية في فلسطين. كان يزور القاهرة باستمرار لطباعة كتبه وزيارة أصدقائه ومنهم أحمد شوقي.

### محمد إقبال
(١٨٧٦-١٩٣٨)

هو إقبال ابن الشيخ نور محمد، ولد في سيالكوت إحدى مدن البنجاب الغربية في الهند ودرس اللغات الأردية والفارسية والعربية. سافر إلى ألمانيا ونال الدكتوراه من جامعة ميونخ ثم رجع إلى الهند وأخذ يكتب وينظم الشعر فنبغ في أدبه إلى أن سمي «شاعر الإسلام». وكان إقبال ملتزماً بقضايا مجتمعه الهندي والإسلامي فأصبح رئيساً لحزب العصبة الإسلامية واقترح تأسيس دولة إسلامية منفصلة عن الهندوس باسم «الباكستان» فتم تحقيق ذلك بعد وفاته. نعاه قادة الهند وأدباؤها من المسلمين والهندوس على السواء وغنت له أم كلثوم احدى قصائده بعنوان «حديث الروح».

### محمد الأهدلي
(١٣١٢-١٣٩٢ هـ/ ١٨٩٤-١٩٧٢ م)

محمد أديب الأهدلي اليماني، تخرج من جامعة الأزهر وعين مفتياً لقضاء جسر الشغور (شمال سورية) سنة ١٩١٨ بعد أبيه محمد عزي، ثم عين قاضياً شرعياً سنة ١٩٢٨ وظلّ في هذا المنصب إلى أن تقاعد سنة ١٩٤٨ ولكنه استمر في العمل ككاتب للعدل بين سنتي ١٩٥١ و ١٩٥٩ ثم محامياً إلى أن تفرّغ لتربية أولاده وتوفي في دمشق.

### محمد رشيد رضا
(١٢٨٢-١٣٥٤ هـ/ ١٨٦٥-١٩٣٥ م)

صاحب مجلة «المنار» وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. ولد في القلمون (بالقرب من طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس وتعرّف على الشيخ محمد عبده في المدرسة الخاتونية لصاحبها الشيخ محمد الجسر سنة ١٨٨٥، ثم تبعه في مصر سنة ١٨٩٨ حيث تتلمذ عليه وأنشأ مجلة «المنار». ظلّ ينادي بالإصلاح الديني بعد وفاة الإمام عبده وشارك في الحركة الوطنية العربية الأولى فأنشأ عدة جمعيات مع رفيق العظم ومدرسة «الدعوة والإرشاد». انتخب رئيساً للمؤتمر السوري في العهد الفيصلي في دمشق سنة ١٩١٩. بعد هزيمة ميسلون سنة ١٩٢٠، رجع إلى مصر؛ ظلّ ينادي بالوحدة الإسلامية حتى وفاته. كان عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق. انظر ما كتبه عنه محمد كرد علي في «المعاصرون»، ص ٣٣٤-٣٣٧.

## محمد رضا شاه بهلوي

Muḥammad Rizāh Chāh

(١٩١٩-١٩٨٠)

أصبح شاه إيران بعد عزل أبيه رضا سنة ١٩٤١ خلال احتلال روسيا وإنجلترا بلده. بعد انسحاب القوات الأجنبية من إيران سنة ١٩٤٦، حكم الشاه بلده ضمن الدستور وبمشاركة القوميين الذين تجمعوا في الجبهة الوطنية بقيادة رئيس الوزراء محمد مصدق (١٩٥١-١٩٥٣) الذي أيّد تأميم شركات النفط في إيران. بعد انقلاب آب / أوت ١٩٥٣ نفي مصدق وصار الشاه يحكم من دون الدستور إلى أن عزل بعد الثورة الإسلامية (سنة ١٩٧٩).

## محمد سامي البارودي

(١٢٥٥-١٣٢٢ هـ/ ١٨٣٩-١٩٠٤ م)

من أكبر المجددين في الشعر العربي المعاصر ومن المناضلين الذين شاركوا في الثورة العرابية في مصر (١٨٨٢)، نفي بعدها إلى جزيرة سيلان لمدة سبع عشرة سنة إلى أن عاد إلى مصر (سنة ١٨٩٩). تعرّف عليه محمد كرد علي في مجلس الإمام محمد عبده في عين شمس سنة ١٩٠١. انظر «المعاصرون»، ص ٣٨٩-٤٢٦.

## محمد شاه آغا خان الثالث

(١٨٧٧-١٩٥٧)

ولد في كراتشي بالهند وتولى قيادة الطائفة الإسماعيلية سنة ١٨٨٥ وهو في الثامنة من عمره. تزوج أربع مرات وتوفي في سويسرا عن ثمانين سنة.

## محمد عابدين

(١٢٤٤-١٣٠٦ هـ/ ١٨٢٨-١٨٨٩ م)

محمد علاء الدين بن محمد أمين عابدين الحسيني، المعروف بابن عابدين، فقيه حنفي من علماء دمشق، تولى عدّة مناصب في القضاء في دمشق والآستانة وطرابلس الشام، إلى أن عين رئيساً ثانياً في مجلس المعارف بدمشق.

## محمد عبد الله عنان

(١٨٩٦-١٩٨٦)

من أشهر المؤرخين المصريين المعاصرين، درس الحقوق ونال شهادته سنة ١٩١٤، ثم عمل محامياً وانخرط في السياسة والتأليف. من أشهر كتبه «دولة الإسلام في الأندلس».

## الإمام محمد عبده

(١٢٦٦-١٣٢٣ هـ/ ١٨٤٩-١٩٠٥ م)

هو محمد عبده بن حسن خير الله، مفتي الديار المصرية ومن كبار رجال الإصلاح في الإسلام. حضر محمد كرد علي دروسه في جامع الأزهر وفي دار العلوم كما حضر مجالسه في بيته عند إقامته الأولى في القاهرة (١٩٠١-١٩٠٢) وتأثّر كثيراً بتعاليمه وشخصيته. انظر ما كتب عنه في «المعاصرون»، ص ٣٤٣-٣٦٦ و«المذكرات»، ج ١، ص ٢٥١-٢٥٣. وراجع أوراق الندوة التي نُظمت بمناسبة الذكرى المئوية لرحيل الإمام محمد عبده تحت عنوان «حداثات إسلامية» (منشورات المعهد الفرنسي للشرق الأدنى، دمشق، ٢٠٠٦).

## محمد فريد بك

(١٢٨٤-١٣٣٨ هـ/ ١٨٦٨-١٩١٩ م)

محمد فريد «بك» ابن أحمد فريد «باشا»، أصبح رئيس الحزب الوطني في مصر بعد وفاة مصطفى كامل سنة ١٩٠٨. ترك مصر سنة ١٩١١ (أو ١٩١٢) وسافر إلى بلدان عديدة في أوربة مدافعاً عن قضية مصر إلى أن توفي في برلين حيث كوّن جيلاً جديداً من القوميين المصريين.

## الشيخ محمد المبارك

(١٢٦٣-١٣٣٠ هـ/ ١٨٤٧-١٩١٢ م)

الشيخ محمد بن محمد بن المبارك الحسني الجزائري، المعروف بالشيخ محمد المبارك، أديب

فاضل من أصل جزائري، انتقلت عائلته مع الأمير عبد القادر الجزائري. ولد في بيروت ثم تعلّم في دمشق واستقرّ فيها. له شعر على طريقة مقامات الحريري وكتب في النقد الأدبي واللغوي. انظر ما كتبه عنه محمد كرد علي في مجلة «المقتبس»، م ٧، ص ٤٩٠-٤٩١.

## اللواء محمد نجيب

(١٩٠١-١٩٨٤)

أول رئيس لجمهورية مصر العربية (١٩٥٣-١٩٥٤) بعد الثورة التي قادها في ٢٣ تموز/ يوليو ١٩٥٢. كان قد ترفع إلى منصب لواء أركان حرب بعد مشاركته في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ثم عين وزيراً للحربية قبل أيام من اندلاع الثورة. بعدها، ظلّ محمد نجيب يرأس مجلس قيادة الثورة حتى إعلان الجمهورية في ١٨ حزيران/ يونيو ١٩٥٣ فتولى رياسة الجمهورية إلى أن عزله المجلس في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٥٤ ووضعه تحت الإقامة الجبرية بسبب خلافه مع الضباط الآخرين حول النظام السياسي الجديد.

## محمود شكري الآلوسي

(١٢٧٣-١٣٤٢ هـ/ ١٨٥٧-١٩٢٤ م)

محمود شكري الآلوسي، عالم عراقي في التاريخ والأدب والدين، من رجال الإصلاح في الإسلام. تعرّف إليه لويس ماسينيون في بغداد سنة ١٩٠٧، وعيّنه المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً له سنة ١٩٢٠. انظر «المعاصرون»، ص ٤٢٧-٤٣٣.

## مرجوليوث (دافيد صامويل)

David Samuel MARGOLIOUTH

(١٨٥٨-١٩٤٠)

مستشرق بريطاني، كان أستاذاً للغة العربية في جامعة أكسفورد منذ ١٨٨٩ وأصبح عضواً في المجمع العلمي العربي سنة ١٩٢٠.

## مرسيه (لويس)

Louis MERCIER

(١٨٧٩- ؟)

مستشرق فرنسي، كان ضابطاً مترجماً ثم أصبح وزيراً مفوضاً في المغرب وألّف عدة كتب في التاريخ والجغرافيا والحياة الدينية في هذا البلد، كما نشر عدة مخطوطات عربية من بينها «حلية الفرسان وشعار الشجعان» لابن هذيل الأندلسي (سنة ١٩٢٢).

## مصطفى كامل

(١٢٩١-١٣٢٦ هـ/ ١٨٧٤-١٩٠٨ م)

مصطفى كامل باشا ابن علي محمد، من أشهر زعماء وخطباء مصر الوطنيين. درس الحقوق في فرنسا ونال شهادته قبل العشرين من عمره، واشتغل في الصحافة بجريدة الأهرام التي هاجم فيها الاحتلال الانجليزي. اشتهر بمقالاته في الصحف الأجنبية، ثم أنشأ جريدة «اللواء» التابعة له في القاهرة سنة ١٩٠٠؛ وفي دار «اللواء» انعقد أول اجتماع للحزب الوطني انتخب فيه مصطفى كامل رئيساً له سنة ١٩٠٧. ظلّ يعارض الاحتلال البريطاني ويطالب باستقلال مصر إلى أن توفي وهو ما يزال شاباً.

## مصطفى لطفي المنفلوطي

(١٢٨٩-١٣٤٣ هـ/ ١٨٧٢-١٩٢٤ م)

كاتب مصري تعلم في الأزهر؛ من تلاميذ الإمام محمد عبده. اشتهر بمقالاته الأسبوعية في جريدة «المؤيد» سنة ١٩٠٧، ثم صار يؤلف على جانب عمله الإداري في الوزارات وفي مجلس النواب (١٩٠٩-١٩٢٤).

## موریاس (جان)

Jean MORÉAS

(١٨٥٦-١٩١٠)

كاتب فرنسي من أصل يوناني، استقر في باريس

سنة ١٨٨٢ وانتمى إلى الحركة الأدبية الرمزية، ثم أسّس «المدرسة الرومانية» الشعرية ونظم شعراً يمزج بين القديم والحديث.

**موسيل (ألويس)**
Alois MUSIL
(١٨٦٨-١٩٤٤)

مستشرق تشيكي، كان أستاذاً في جامعة براغ ورحل كثيراً في الشرق العربي؛ اكتشف قصر عمره. أقام مدة عند قبيلة الرولا ودرس عاداتها إلى أن اشتهر باسم الشيخ موسى الرويلي. عمل خلال الحرب العالمية الأولى مع الجيش النمساوي ضد النفوذ الإنجليزي في الشرق العربي. عيّنه المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً له.

**مونتيه (ادوار)**
Édouard MONTET
(١٨٥٦-١٩٢٧)

مستشرق سويسري، درّس اللغة العربية وتاريخ الإسلام في جامعة جنيف منذ سنة ١٨٩٤ وحتى سنة ١٩١٢. عرفه محمد كرد علي من خلال محاضراته عن الإسلام ومستقبله (١٩١٠) وهي منشورة باللغة العربية، ثم زاره في جنيف سنة ١٩١٤ وعيّنه عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩٢٠. انظر ما كتبه كرد علي عن مونتيه في «المعاصرون»، ص ١٠٨-١١٠.

**ميتفوخ (يوجين)**
Eugen MITTWOCH
(١٨٦٧-١٩٤٢)

مستشرق ألماني، كان أستاذاً في فقه اللغات السامية في زاخاو وغرايفسفالد وفي جامعة برلين (١٩١٩-١٩٣٥) حتى خلعه النازيون، ففر إلى فرنسا، فإنجلترا. عين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق.

**ميشو بللير (ادوارد)**
Édouard MICHAUX BELLAIRE
(١٨٥٧-١٩٣٠)

مستشرق سويسري، أستاذ في السوسيولوجيا الإسلامية، عين مديراً للبعثة العلمية الفرنسية في المغرب سنة ١٩٠٧ ونشر مؤلفاته في سلسلة أعمال نشرتها البعثة نفسها، منها مجلة العالم الإسلامي لصاحبها ألفريد لو شاتيلييه.

**ناظم القدسي**
(١٩٠٥-١٩٩٨)

محام ورجل سياسي سوري، من مؤسسي حزب الشعب الثاني سنة ١٩٤٧، تولى رياسة الحكومة السورية سنة ١٩٥٠-١٩٥١ ثم رياسة مجلس النواب سنة ١٩٥٤، فرياسة الجمهورية في حكومة الانفصال (١٩٦١-١٩٦٣). بعد ثورة ١٩٦٣، نفي إلى لبنان ثم الأردن؛ أقام فيها حتى وفاته.

**نظام حيدر آباد**
(١٨٨٦-١٩٦٧)

عثمان علي خان، المعروف بعاصف جاه السابع، آخر نظام (أي أمير) حيدر آباد جنوبي الهند، حكمها بين سنتي ١٩١١ و ١٩٤٨، إلى أن أصبحت الهند مستقلة ودخلت الجيوش الهندية إمارته فانضمت إلى الجمهورية الهندية سنة ١٩٤٨. وكان يُعرَف خلال حكمه كأغنى رجل في العالم.

**النقراشي (محمد فهمي باشا)**
(١٣٠٥-١٣٦٨ هـ/ ١٨٨٨-١٩٤٨ م)

رجل سياسي مصري، من أعضاء حزب الوفد. أصبح وكيلاً لمحافظة القاهرة ثم وكيلاً للداخلية خلال الحكومة الوفدية (سنة ١٩٢٤). كان من المتهمين بالتآمر على اغتيال السردار البريطاني السر لي ستاك، فاعتقل في السنة نفسها، ثم برئ. بعد وفاة سعد زغلول، ترك الوفد مع أحمد ماهر وأسّسا

الحزب السعدي سنة ١٩٣٧. تولى بعض الوزارات إلى أن أصبح رئيساً لحزبه بعد اغتيال أحمد ماهر وعين رئيساً لمجلس الوزراء سنة ١٩٤٥. فشلت حكومته في الحرب ضد إسرائيل سنة ١٩٤٨ ومنعت جمعية الإخوان المسلمين خوفاً من نفوذها. اغتيل في السنة نفسها.

### نللينو (كارلو ألفونسو)
Carlo Alfonso NALLINO
(١٨٧٢–١٩٣٨)

مستشرق إيطالي، كان أستاذاً في اللغة والآداب العربية وتاريخ الإسلام في جامعات إيطاليا منذ سنة ١٨٩٣، وأستاذاً محاضراً في الجامعة المصرية منذ سنة ١٩٠٩. اهتماماته متعددة. عُيّن عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٠ وفي مجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٣٢. انظر «المعاصرون»، ص ٢٩٨–٣٠٦.

### هارتمان (مارتين)
Martin HARTMANN
(١٨٥١–١٩٢٨)

مستشرق ألماني، اشتغل بالترجمة في القنصلية الألمانية في بيروت منذ سنة ١٨٧٦، ثم عين أستاذاً للغة العربية والدراسات الإسلامية في معهد اللغات الشرقية في برلين منذ سنة ١٨٨٧. أسّس مجلة «عالم الإسلام» Die Welt des Islams. زار سورية مرّة ثانية سنة ١٩١٣ والتقى خلالها مع محمد كرد علي صاحب جريدة المقتبس آنذاك ونشر رحلته في ألمانيا. عين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٠.

### هاليفي (لودوفيك)
Ludovic HALÉVY
(١٨٣٤–١٩٠٨)

كاتب مسرحي وروائي فرنسي، ألّف العديد من نصوص الأوبرا مثل «كارمن» التي كتبها بالاشتراك مع هنري مياك. عين عضواً في المجمع الفرنسي سنة ١٨٨٤.

### هرزفلد (إرنست إيميل)
Ernst Emil HERZFELD
(١٨٧٩–١٩٤٨)

مستشرق ألماني، اشتغل في التنقيب في موقع مدينة سامراء، وفي عدة مواقع أخرى في العراق وإيران وتركيا وسورية. عين أستاذاً للجغرافيا التاريخية في جامعة بغداد وأول أستاذ للآثار في جامعة برلين (١٩١٨–١٩٣٥). ثم سافر إلى الولايات المتحدة ودرّس في جامعات برنستون ونيويورك (١٩٣٥–١٩٤٤). كان عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق.

### هرفيو (بول)
Paul HERVIEU
(١٨٥٧–١٩١٥)

كاتب فرنسي يرسم في رواياته ومسرحياته أخلاق معاصريه بأسلوب بسيط وقاسي. عين عضواً في المجمع الفرنسي سنة ١٩٠٠.

### الماريشال هندنبورغ (بول فون)
Le maréchal Paul von HINDENBURG
(١٨٤٧–١٩٣٤)

قائد الجيش الألماني في الجبهة الشرقية في بداية الحرب العالمية الأولى ثم قائد عام للجيوش الألمانية والنمساوية بعد انتصاره على الجيش الروسي. لعب بعدها دوراً هاماً في سياسة بلاده، إلى أن انتخب رئيساً لجمهورية فايمر سنة ١٩٢٥ وأيضاً سنة ١٩٣٢. هو الذي عيّن هتلر رئيساً للوزراء سنة ١٩٣٣.

### هوار (كليمانت)
Clément HUART
(١٢٧٠–١٣٤٥ هـ/ ١٨٥٤–١٩٢٧ م)

دبلوماسي ومستشرق فرنسي، كان في السلك

الديبلوماسي أوّلاً وبدأ كمترجم في قنصلية فرنسا بدمشق إلى أن دخل الوزارة الخارجية الفرنسية في باريس، ثم فضّل التدريس وأصبح أستاذاً للعربية والتركية والفارسية في المدرسة المذكورة. عين عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق. انظر ما كتبه عنه محمد كرد علي في «المعاصرون»، ص ٣٠٧-٣١٠.

**هوتسما (مارتينوس تيودوروس)**
Martinus Theodorus HOUTSMA
(١٨٥١-١٩٤٣)

مستشرق هولندي، درّس اللغات الشرقية في جامعتي أترخت وليدن في هولندة وأشرف على نشر الموسوعة الإسلامية (الطبعة الأولى، ٤ أجزاء، ١٩١٣-١٩٣٨). عيّن عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق سنة ١٩٢٠ وزاره محمد كرد علي في رحلته الثالثة إلى أوربا سنة ١٩٢١. انظر «المعاصرون» ص ٣٢٧-٣٢٨، و«غرائب الغرب» ص ٥٢-٥٧.

**هوروفيتس (جوزيف)**
Joseph HOROVITZ
(١٨٧٤-١٩٣١)

مستشرق ألماني، أستاذ العربية في جامعة عليكرة بالهند (١٩٠٧-١٩١٤)، ثم في جامعة فرانكفورت (١٩١٥-١٩٣١). عُين عضواً في المجمع العلمي العربي في دمشق. انظر ما كتبه محمد كرد علي في ترجمته في «المعاصرون»، ص ٤٧٩.

**هوميل (فريتز)**
Fritz HOMMEL
(١٨٥٤-١٩٣٦)

مستشرق ألماني، درّس اللغات السامية في جامعة ميونيخ منذ سنة ١٨٧٧ وبحث بالأدب المسماري والشعر الجاهلي.

**وداد سكاكيني**
(١٩١٥-١٩٩١)

أديبة لبنانية سورية ولدت في صيدا ثم انتقلت إلى دمشق وتزوجت من الدكتور زكي المحاسني سنة ١٩٣٤. كتبت العديد من القصص والمقالات في النقد الأدبي.

**وستنفيلد (فرديناند)**
Ferdinand WÜSTENFELD
(١٨٠٨-١٨٩٩)

مستشرق ألماني، درّس اللغات والحضارات الشرقية في جامعة غوتينجان واعتنى بمكتبتها. نشر مؤلفات ابن هشام وابن خلكان.

**وطسون (تشارلز روجر)**
Charles Roger WATSON
(١٨٧٣-١٩٤٨)

مستشرق أمريكي، ولد في القاهرة وذهب إلى الولايات المتحدة، فحصل على شهادة في اللاهوت، ثم رجع إلى مصر واشتغل في مكتب البعثات التبشيرية (١٩٠٢-١٩١٦). عمل جاهداً لإنشاء الجامعة المسيحية في القاهرة سنة ١٩١٩ وهي التي تحوّلت بعدها إلى الجامعة الأمريكية في القاهرة؛ وظلّ رئيساً لها حتى سنة ١٩٤٥.

**ويلسون (توماس وودرو)**
Thomas Woodrow WILSON
(١٨٥٦-١٩٢٤)

رئيس ديموقراطي للولايات المتحدة بين سنتي ١٩١٣ و١٩٢١، اقترح خلال الحرب العالمية الأولى «النقاط الأربع عشرة» لإحلال السلام في العالم، إلا أنها لم تطبق أثناء مؤتمر باريس. نال ويلسون جائزة نوبل للسلام سنة ١٩١٩.

## الشيخ يوسف السويدي

(١٢٧٠-١٣٤٨ هـ/ ١٨٥٤-١٩٢٩ م)

يوسف ابن نعمان السويدي، من أول زعماء الحركة العربية في العراق أواخر العهد العثماني. نفي إلى الآستانة ثم الأناضول خلال الحرب العالمية الأولى. ثار ضد الإنكليز عندما دخلوا العراق سنة ١٩٢٠. عاد إلى بغداد بعد إقامة حكومة عربية فيها وصار عضواً ثم رئيساً لمجلس الأعيان. له مذكرات بعنوان «الخاطرات».

# لائحة القبائل والمدن والأقاليم الموافقة للأنساب

المذكورة في الفصل الخامس (ص [٧]–[٨])

| الأنساب | المدن والأقاليم والقبائل |
|---|---|
| الأبياري | أبيار |
| الإخميمي | إخميم |
| الأدفوي | أُدفُو |
| الإربلي | إرْبل |
| الأرمنتي | أَرْمَنْت |
| الأزدي | بنو أزد |
| الإسعردي | ؟ |
| الإسكندراني | الإسكندرية |
| الإسنوي \ الإسنائي | إسنا |
| الأسواني | أسوان |
| الأسيوطي | أسيوط |
| الأشموني | أُشمون |
| الاصطخري | إصْطَخْر |
| الأنطاكي | أنطاكية |
| الأهوازي | أهواز (أو أحواز) |
| البُحَيري | بُحَيْراباذ |
| البُستي | بُسْت |
| البصري | البصرة |
| البَعْلبكي | بعلبك |
| البغدادي | بغداد |
| البِلبيسي | بِلْبَيْس |
| البَلخي | بَلْخ |
| البلقيني | بَلْقين |
| البَهْنساوي \ البَهْنسي | البَهْنَسا |
| البوصيري | بوصير |
| البويْطي | بُوَيْط |
| البيجوري | بيجور |
| البيهقي | بَيْهَق |

| الأنساب | المدن والأقاليم والقبائل |
|---|---|
| التبريزي | تبريز |
| التفليسي | تِفْليس |
| التِّلْمساني | تِلِمْسان |
| التميمي | بنو تميم |
| التَّنوخي | بنو تنوخ |
| التِّنيسي | تِنِّيس |
| التونسي | تونس |
| الجرجاني \ الجرجاوي | جُرْجان |
| الجَزَري | الجَزْر |
| الجُهَني | جُهَيْنة |
| الجُويني | جُوَيْن |
| الجيزي \ الجيزاوي | الجيزة |
| الحراني | حران |
| الحضرمي | حضرموت |
| الحلبي | حلب |
| الحمصي | حمص |
| الحموي | حماة |
| الحُوفي | الحَوْف |
| الخُراساني | خراسان |
| الخزاعي | بنو خُزاعة |
| الخوارَزْمي | خُوارزْم |
| الخَوْلاني | خَوْلان |
| الدِّشناوي | دِشْنى |
| الدمشقي | دمشق |
| الدَّمنهوري | دمنهور |
| الدمياطي | دمياط |
| الديروطي | دَيْروط |
| الدِّينَوَري | دينوَر |

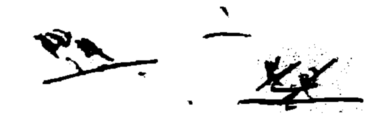
| الأنساب | المدن والأقاليم والقبائل |
| --- | --- |
| الرشيدي | رَشيد |
| الزنكلوني | ؟ |
| السخاوي | سخا |
| السَّمَرْقَندي | سمرقند |
| السمنودي | سَمَنُّود |
| السوسي | سوسة |
| السيرافي | سيراف |
| الشرقاوي | الشّرقية |
| الشنطوفي | شَنْطوف |
| الشّهرزوري | شَهْرَزور |
| الشّيرازي | شيراز |
| الصدفي | الصَّدِف |
| الصَّعيدي | الصّعيد |
| الصفاقسي | صفاقس |
| الصفدي | صفد |
| الصقلّي | صقلّيّة |
| الصنعاني | صنعاء |
| الصنهاجي | صَنْهاجة |
| الطبري | طبريّة |
| الطحاوي | طحا |
| الطرابلسي | طرابلس |
| الطَّرسوسي | طرسوس |
| الطنطاوي | طنطا |
| الطوخي | طوخ |
| الطوسي | طوس |
| العبسي | بنو عَبْس |
| العسقلاني | عسقلان |
| الغرناطي | غرناطة |
| الغَزْنوي | غَزْنة |
| الفاسي | فاس |
| الفِهْري | بنو فِهْر |

| الأنساب | المدن والأقاليم والقبائل |
| --- | --- |
| الفيومي | الفيوم |
| القرشي | القُرَشِيّة (أو بنو قريش) |
| القرطبي | قرطبة |
| القَزْويني | القزوين |
| القضاعي | بنو قُضاعة |
| القِفْطي | قِفْط |
| القَلْقَشندي | قَلْقَشَنْدة |
| القَلْيُوبي | قَليوب |
| القِنائي | قنا |
| القوصي | قوص |
| القيرواني | القيروان |
| الكوفي | كوفة |
| اللَّخمي | بنو لخم |
| المارديني | ماردين |
| المحلّي | المحلّة |
| المخزومي | بنو مخزوم |
| المروزي | مَرْو |
| المُزَني | مُزْن |
| المصيصي | المصيصة |
| المقدسي | بيت المقدس |
| المُناوي \ المنياوي | مُنْية (أو المُنيا) |
| الموصلي | الموصل |
| المُيورقي | ميورقة |
| النابلسي | نابلس |
| النّسائي | نَسا |
| النّيسابوري | نيسابور |
| الهَرَوي | هَراة |
| الهمداني | همدان (أو همذان) |
| الواسطي | واسِط |

# صور عن مدونة الجزء الخامس من مذكّرات محمد كرد علي

1- Sommaire manuscrit du cinquième tome des *Mémoires* de Muḥammad Kurd \`Alī (dossier n° 1 du corpus), faisant apparaître les titres des 39 premiers chapitres de cette édition (1ère partie).

1- "فهرس الجزء الخامس من المذكّرات" بخطّ يد محمد كرد علي (ملفّ رقم ١) ويبرز فيه عناوين الفصول التسعة والثلاثين الأولى من هذه الطبعة (القسم الأوّل).



# مجالس اناتول فرانس (١)

كان في كل حضارة قامت في الارض ، وكل اجتماع بلغ حد الكمال شأن عظيم لمجالس ارباب العقول والقرائح النابهين بالتلقين مافاتهم تلقفه في دراسة الاسفار والآثار · هكذا رأينا المجالس العلمية والفلسفية والادبية والصوفية في العصور العربية الراقية ، ولو دونت كلها لصورت لنا مجتمعات الأجداد على جليتها ، وعرفنا اكثر مما عرفنا طرق تفكيرهم وخوالج نفوسهم · الشيء القليل الذي انتقل الينا في كتب المسامرات والمحاضرات وقفنا به الى حد لا بأس به على روح تلك القرون الزاهية ، ومن أهمها المجالس التي نقلها ، فيما انتهى الينا من تآليفه ، ابو حيان التوحيدي ·

فقد صور لنا مجالس الفلاسفة والمتكلمين والأدباء في القرن الرابع في بغداد تصويراً يكاد يخيل اليه أن بغداد في عصرها الرابع للهجرة لم تكن في طرق البحث والنظر أقل من باريز القرن العشرين ·

ثم كانت للقوم مجالس او مجتمعات في قصور الخلفاء والملوك والامراء والعلماء والاعيان يختلف اليها المتماثلون من عشاق الآداب والفضائل ، فيتكلم فيها ارباب العقول والممتازون من كل رعيل ، بما تمليه عليهم قرائحهم المبدعة ، وكانت المنافسة على أتمها بين المتصدرين لهذه المطالب : يحفظون احسن ما يقرأون ، ويتكلمون

~~(١) محاضرة للأستاذ السيد محمد كرد علي وزير المعارف في دولة سورية ورئيس المجمع العلمي العربي ألقاها في ردهة المجمع يوم ٧ و ١٤ آذار سنة ١٩٣١ ·~~

(١) محاضرة القيت يوم ٧ و ١٤ اذار سنة ١٩٣١ في ... المجمع العلمي العربي

4- نموذجان من النصوص المطبوعة : مقطعان من مقالة بعنوان "مجالس أناتول فرانس" نُشرت لأوّل مرّة في مجلّة المجمع العلمي العربي في دمشق (المجلّد 11, سنة 1931, ص 321-333 و 393-405), عدّلها الكاتب كما يبدو هنا وننشرها في الفصل 39 (ص [1] و [14]) من هذا الكتاب.

مجالس اناتول فرانس

كانت مجالس اناتول تغص بكبار الناس عقائل وأوانس وسادات مشهورين من رجال السياسة الى الأدب الى رجال الفن الى الصحافة والطباعة الى الشعراء والشاعرات والكتاب والكاتبات الى المشتغلين بالمشرقيات ، وكانت هذه الطبقة ملازمة له كل اربعاء ، ومنها من يتناول الطعام على مائدته ، ومن جملة من كان يغشى مجلسه المفيد جورليس وطومسون وكليمانسو وبريان ولوتي وسولالي برودوه وريجان ولويي فوللر وهالفي وبربال ، ولم ينقطع عن مجلسه سوى ليمتر وباريس وموراس وكوبيه لانه تطوع في قضية دريفوس فأصبح في نفوسهم شيء منه ، ومع هذا كان يجعل لكرام العقائل والغادات الفاتنات نصيباً من الكلام وربما فاه أمامهن بأمور قد تستنكرها العادة والعرف .

تكلم مرة على البكارة في العوانس وهزأ بها ضمناً ، وقال كيف للفتاة اذا بلغت الثلاثين وهي بهذا الاختلاط أن تحتفظ بعفتها الخ . وذكر في مجلسه ذات يوم ان فتاة خطبت وانتظرت خطيبها مدة الحرب أربع سنين لم تنس خطيبها ، وقالوا ان من كانت على هذه الصورة لا بد أن تحتفظ بعهد العهود الزوجية ، فقص اناتول قصة شاب انكليزي من أصحاب الأطوار الغريبة ومن أرباب السعة . قال انه خطب فتاة وكان غيوراً جداً وادعى ليلة البناء عليها انه طلب الى مكان بعيد وأن شرفه يقضي عليه بالاسراع . فزود خطيبته مالاً تعيش به متنكراً في الأرض خمس سنين ، ثم جاء الى لندرا وعاد ثانية متنكراً ، ثم عاد الى بلده واكترى دكاناً في حي خطيبته وأخذ يستقري أخبارها ، فعرف أنها صابرة على الفراق تنتظر أوبته ، وأنه دخل عليها الدار بعد مدة وقد علاه المشيب وقال انه وان أضاع كثيراً من السنين في البعاد الا أنه يرجو

4- Spécimens des documents imprimés : deux extraits d'un article intitulé « les salons d'Anatole France » (*mağālis Anātūl Frāns*), publié initialement dans la *Revue de l'Académie Arabe de Damas* (volume 11, année 1931, p. 321-333 et 393-405), revu et corrigé par l'auteur, et reproduit dans le chapitre 39 (p. [1] et [14]) de cette édition.



5- Première page d'un texte dactylographié, intitulé « Pour le bien de l'Égypte » (*li-ḫayri miṣr*), extrait du dossier n° 25 et reproduit dans le chapitre C143 de cette édition : l'en-tête indique le rattachement de ce texte aux *Mémoires* de Muḥammad Kurd `Alī, et le chapitre introductif, biffé, évoque les relations passées de l'auteur avec le roi Farouk (voir la note n°212, p. 359 dudit chapitre).

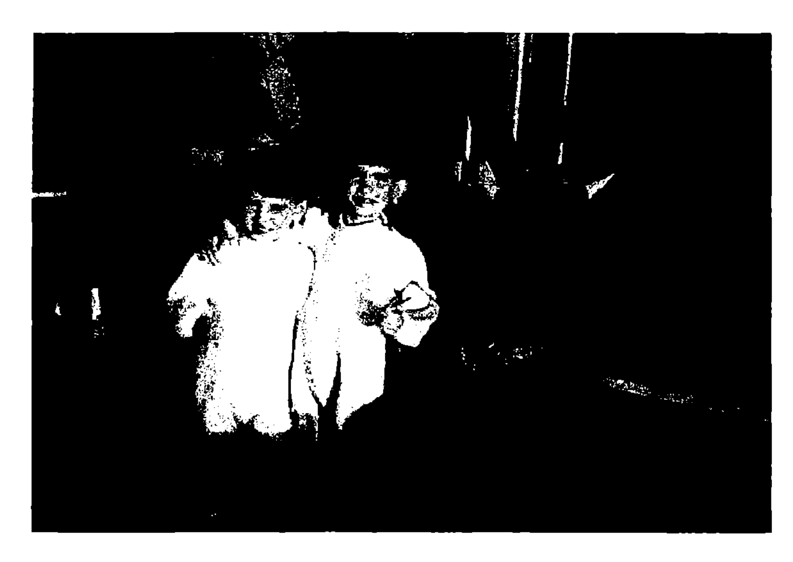
5- أوّل صفحة من نصّ مطبوع على الآلة الكاتبة بعنوان "لخير مصر" (ملف 25 / فصل م143) : يبدو في أعلى الصفحة ارتباط هذا النصّ بمذكّرات محمد كرد علي ويذكر المقطع الأوّل منه (وهو مشطوب) العلاقات السابقة بين الكاتب والملك فاروق المصري (انظر الحاشية رقم 212، ص 359 من الفصل المذكور).

# صور عن محمد كرد علي مع عائلته ومعارفه



1- Muḥammad Kurd `Alī (au centre) entouré de membres de sa famille à Ğisrīn, vers 1946. Au premier rang (assis), de gauche à droite : Bišr (sur le vélo), I`timād (sa nièce et belle-fille, la femme de Ṭarīf) avec Maḥmūd, Muḥammad Mu`āz (sur ses genoux), Muzna (sur le vélo) et Muṣirra Šarīf (sa belle-fille, la femme de Ma'mūn) avec Munia. Au second rang (debouts), de gauche à droite : Dr Bašīr Al-`Azmeh (mari de sa nièce, Rīma) avec Baššār, Rīma Kurd `Alī et Ma'mūn (son fils aîné). Remarque : c'est sans doute le fils cadet de Muḥammad Kurd `Alī (Ṭarīf) qui prend la photo. (copyright : Maḥmūd Kurd `Alī)

محمد كرد علي (جالس في الوسط) مع بعض أعضاء عائلته في جسرين، حوالي سنة 1946. في الصفّ الأوّل (جالسون)، من اليسار : بشر (راكب على الدرّاجة)، إعتماد (بنت أخيه وكنّته، زوجة طريف) مع محمود، محمد معاذ (على حجره)، مزنة (راكبة على الدرّاجة) ومسرّة شريف (كنّته، زوجة مأمون) مع منية. في الصفّ الثاني (واقفون)، من اليسار : الدكتور بشير العظمة (زوج ريمة كرد علي، بنت أخيه أحمد) مع ابنه بشار، ريمة ومأمون (ابنه البكر). ملاحظة : قد يكون طريف كرد علي هو الذي أخذ الصورة.



2- Muḥammad Kurd `Alī (assis) avec ses deux petits-fils Bišr et Maḥmūd (fils de Ṭarīf) Kurd `Alī, vers 1948. (copyright : Maḥmūd Kurd `Alī)

محمد كرد علي (جالس) مع حفيديه بشر ومحمود (ولدا طريف كرد علي). حوالي سنة 1948.



3- Muḥammad Kurd `Alī en compagnie de sa belle-fille Muṣirra et de sa petite-fille Munia, dans le jardin de sa villa à Ǧisrīn, au début des années 1950.

محمد كرد علي برفقة كنّته مسرّة شريف وحفيدته منية، جالسون في حديقة بيته في جسرين، في بداية الخمسينيات من القرن الماضي.



4- Muḥammad Kurd `Alī (au centre, portant une cravate, des lunettes et un tarbouche), entouré de jeunes hommes de lettres et de cultivateurs à Ǧisrīn en 1938. Au verso, on trouve une liste de noms : As`ad Ṭalas, Anwar al-`Aṭṭār, Zakī Maḥāsinī, Salīm al-Ziriklī, Ḥilmī al-Laḥḥām, `Alī al-Ṭanṭāwī, Sa`īd al-Afġānī, Bassām Kurd `Alī (son neveu), Anwar Ḥātim, Yāsīn al-Ḫanǧī (son secrétaire et son gendre, mari de sa fille Su`ād) et Yūsuf al-`Išš. La légende énonce : « Le savant Muḥammad Kurd `Alī honore les jeunes hommes de lettres à Ǧisrīn en 1938, avec son frère l'homme de lettres `Ādil Kurd `Alī ». Remarque : c'est sans doute ce dernier qui prend la photo.

محمد كرد علي (في الوسط، لابس ربطة عنق ونظارات وطربوشاً)، برفقة أدباء شباب وفلّاحين في جسرين، سنة 1938. كُتبت على خلف الصورة الأسماء التالية : أسعد طلس، أنور العطار، زكي محاسني، سليم الزركلي، حلمي اللحّام، علي الطنطاوي، سعيد الأفغاني، بسام كرد علي (ابن أخيه، الأوّل من اليمين)، أنور حاتم، ياسين الخانجي (كاتبه وصهره، زوج بنته سعاد) ويوسف العش. كُتب أيضاً هذا التعليق : "العلامة محمد كرد علي يكرم الأدباء الشباب في جسرين عام 1938 مع أخيه الأديب الأستاذ عادل كرد علي". ملاحظة : قد يكون هذا الأخير هو الذي أخذ الصورة.

# الفهارس

# ملاحظات حول ترتيب الفهارس

تُقرأ هذه الفهارس على الطريقة التالية :

١ . يأتي ترتيب الأسماء المصنّفة أبجديّاً كالتالي :

- أسماء الأشخاص مصنّفة حسب الاسم الأوّل فيما يخصّ الأسماء العربية، وحسب اسم العائلة فيما يخصّ الأسماء الأجنبية.
- توجد نجمة بعد أسماء الشخصيات المذكورة في الملحق حول سير بعض معاصري محمد كرد علي ( ص ٣٧٣ )
- وضعنا الأسماء كما أوردها الكاتب وأوردنا مرادفات لها تصل بينها إشارة "=" في حالتين :
  - عندما يرد الاسم بصيغة قديمة في النصّ الأصلي.
  - عندما يرد الاسم بعدّة صيغ في النصّ الأصلي.
- وضعنا فهرس المراجع حسب أسماء العائلة للمؤلّفين.

٢ . يأتي ترتيب أرقام الصفحات كالتالي :

- الأرقام بالخطّ العريض تدلّ على أنّ الاسم المذكور موجود في عنوان الفصل ذاته.
- النجمة التي تتبع بعض الأرقام تدلّ على أنّ الاسم المذكور موجود في حاشية النصّ الأصلي، في أسفل الصفحة.
- فيما يخصّ فهرس المراجع، وضعنا رقم الفصل بين قوسين "[ ]"، مباشرةً بعد المرجع الذي ورد فيها.

# فهرس الأعلام

## ب

## ت



## ث



## ج

## ح



## خ



## د

## ش



## ص



## ط

## غ



## ف

## ق



## ك

# فهرس الأماكن والبلدان وما في بابها

## من الأحياء والقرى والمدن والأقاليم والقارات والأنهار والبحار والمحيطات والجبال والسهول

### أ

## ب

## ت



## ج

# فهرس الأقوام والجماعات وما في بابها

## من الشعوب والقبائل والسلالات الحاكمة والجاليات الدينية أو اللغوية الخ.

## غ



## ف



## ق



## ك



## ل



## م

## ن



## هـ



## و



## ي

# فهرس المؤسسات وما في بابها

## من الجمعيات والمنظمات والجامعات والمدارس والفنادق والجرائد والمقاهي والشريكات الخ.

# فهرس المراجع باللغة العربية

## المذكورة في الجزء الخامس من المذكرات

### ١) الكتب والمقالات بعناوينها الكاملة

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، تصحيح وتحقيق فريتس كرنكو، القاهرة، ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م. [فصل ٢٥]

ابن الأثير الجزري، ضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن محمد، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٨٦٥. [فصل م٢٩]

ابن بسّام الشنتريني، أبو الحسن علي (ت ٥٤٢ هـ)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٩٣٩–١٩٤٥. [فصل ٢٥]

ابن تومرت، محمد، كتاب محمد بن تومرت، مهدي الموحّدين، الجزائر، ولاية عموم الجزائرية، ١٣٢١هـ/١٩٠٣ م. [فصل ٢٥]

ابن الجزري، محمد بن محمد، غاية النهاية في طبقات القراء، ٣ أجزاء، تحقيق أوتو برتزل وجوتهالف برجستراسر، سلسلة النشرات الإسلامية: ٨، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٣٢–١٩٣٣. [فصل ٢٥]

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١١ جزء في ستة مجلدات، حيدر آباد، مطبعة المعارف العثمانية، ١٣٥٧–١٣٦٢ هـ/ ١٩٣٨–١٩٤٣ م. [فصل ٢٥]

ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، حيدر آباد الدكان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ٤ مجلدات، ١٣٤٨–١٣٥٠هـ/ ١٩٢٩–١٩٣٢م. [فصل ٢٥]

ابن حنين، إسحاق بن حنين، كتاب العشر مقالات في العين المنسوب لحنين بن إسحاق، أقدم كتاب في طب العيون، تحقيق وترجمة إلى الإنكليزية ماكس مايرهوف، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٢٨. [فصل ٢٥]

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، كتاب الجمهرة، ثلاثة أجزاء زائد مجلد للفهارس، اعتنى بنشره فريتس كرنكو، حيدر آباد، ١٩٢٨. [فصل ٢٥]

ابن طلموس، كتاب المدخل لصناعة المنطق، المطبعة الأبرقية، مدريد، ١٩١٦. [فصل ٢٥]

ابن قتيبة الدينوري، كتاب المعاني الكبير في أبيات المعاني، صحّحه سالم الكرنكوي، ٣ أجزاء، بيروت، دار النهضة الحديثة، ١٨٧٢. [فصل ٢٥]

ابن القطاع الصقلي، علي بن جعفر، كتاب الأفعال، اعتنى بنشره فريتس كرنكو، حيدر آباد، ١٣٦٠-١٣٦١ هـ. [فصل ٢٥]

ابن هذيل الأندلسي، علي بن عبد الرحمن، حلية الفرسان وشعار الشجعان، نشر وترجمة لويس مرسييه، باريس، ١٩٢٢. [فصل ٢٥]

ابن هشام، عبد الملك، كتاب التيجان في تواريخ ملوك حمير [أخبار عبيد بن شرية الجرهمي في أخبار اليمن وأشعارها وأنسابها على الوفاء والكمال]، نشر وتحقيق فريتس كرنكو، حيد آباد الدكان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٧ هـ/ ١٩٢٨ م. [فصل ٢٥]

أبو شقرا، يوسف خطار، الحركات في لبنان إلى عهد المتصرفية، وهي شهادة درزية صريحة في مخطوطة تلم في حوادث لبنان، بيروت، مطبعة الاتحاد، ١٩٥٢. [فصل م٧١]

الأشعري، علي بن إسماعيل، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق هلموت ريتر، استنبول، مطبعة الدولة، ليبزيخ، بروكهاوس، ١٩٢٩-١٩٣٣. [فصل ٢٥]

البارودي، فخري، مذكرات البارودي. ستون سنة تتكلم، جزءان، دمشق، بيروت،مطابع دار الحياة، ١٩٥١-١٩٥٢. [فصل م٦٨]

البتّاني، محمد بن جابر بن سنان الحراني، كتاب الزيج الصابيء، اعتنى بطبعه وتصحيحه وترجمته إلى اللغة اللاتينية وعلق حواشيه كرلو نالينو، ٣ أجزاء، روما، بغداد، ١٨٩٩-١٩٠٧. [فصل ٢٥]

البيروني، محمد بن أحمد أبو الريحان، كتاب الجماهر في معرفة الجواهر، [خاتمة طبع كتاب الجماهر بقلم سالم الكرنكوي]، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٦ م. [فصل ٢٥]

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، ٦ أجزاء، ترجمة عبد الحليم النجار ورمضان عبد التواب، جامعة الدول العربية، دار المعارف، ١٩٧٧. [فصل ٢٥]

التنّوخي، أبو علي المحسن بن علي، كتاب جامع التواريخ المسمى بـ : كتاب نشوار المحاضرة وأخبار

المذاكرة، الجزء الأول، تصحيح د.س. مرجليوث، القاهرة، مطبعة أمير هندية، ١٩٢١. [فصل ٢٥ و٣٩]

جرير، جرير بن عطية، والفرزدق، همام بن غالب، كتاب النقائض. نقائض جرير والفرزدق، ٣ أجزاء، ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٥، ١٩٠٨، ١٩١٢. [فصل ٢٥]

الخشّاب، مصطفى (دكتور)، "الأمة، نشأتها ودعائمها الاجتماعية"، مجلة كلية الآداب (جامعة فؤاد الأول)، م١٣، ج ١، ص ١٩٩. [فصل م٤٧]

الداني، أبو عمر عثمان بن سعيد،
- كتاب التيسير في القراءات السبع، تصحيح أوتو برتزل، النشرات الإسلامية: ٢، إستنبول، ١٩٣٠. [فصل ٢٥]
- كتاب المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب النقط، باعتناء أوتو برتزل، استنبول، مطبعة الدولة، ليبزيخ، بروكهاوس، ١٩٣٢. [فصل ٢٥]

ديسو، رينه، العرب في سورية قبل الإسلام، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، القاهرة، لجنة التأليف والنش، ١٩٨٥. [فصل ٢٥]

الرافعي، عبد الرحمن، في أعقاب الثورة المصرية، ٣ أجزاء، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٧-١٩٥١. [فصل م٦٩]

سبط ابن التعاويذي (محمد بن عبيد الله)، ديوان شعر أبي الفتح محمد بن عبيد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي، مرجليوث (د. ص.)، نشر، تصحيح، القاهرة، مطبعة المقتطف، ١٩٠٣. [فصل ٢٥]

السكاكيني، وداد، «حول المذكرات»، مجلة الكتاب، المجلد ١١، الجزء ٥، مايو ١٩٥٢، ص ٦١٠-٦١٢. [فصل م١٠٣]

سندوبي، رسائل الجاحظ ، القاهرة، ١٣٥٢هـ\١٩٣٣م. [فصل م٢]

السيرافي،أبو سعيد الحسن بن عبد الله، كتاب أخبار النحويين البصريين، تحقيق وتعليق فريتس كرنكو، سلسلة خزانة الكتب العربية: ٩، باريس، بول كوتنر، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٦. [فصل ٢٥]

شيخو، لويس،تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، ٣ أجزاء، بيروت، دار المشرق، ١٩٩١. [فصل م١١٢*]

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، كتاب الوافي بالوفيات، إعتناء هلموت ريتر، النشرات الإسلامية: ٦، فيسبادن، فرانز شتانر، ١٩٦٢. [فصل ٢٥]

صقّال، فتح الله ميخائيل (المحامي)، من ذكريات في حكومة الزعيم حسني الزعيم، خواطر وآراء، القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٢ . [فصل م٧٩]

عبّود، مارون،
- زوبعة الدهور، دراسة حول معميات المعري وطلامسه، بيروت، دار المكشوف، ١٩٤٥ . [فصل م٥]
- الرؤوس، بيروت، دار المكشوف، ١٩٤٦ . [فصل م٥]
- على المحك. نظرات وآراء في الشعر والشعراء، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٤٦ . [فصل م٥]
- مجددون ومجترون، فصول نقدية لمعظم الشعراء وقائليه، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٤٨ . [فصل م٥]
- صقر لبنان، بحث في النهضة الأدبية الحديثة ورجلها الأول أحمد فارس الشدياق، بيروت، دار المكشوف، ١٩٥٠ . [فصل م٥]
- دمشق وأرجوان، بيروت، المطبعة البولُسية، ١٩٥٢ . [فصل م٥]
- رواد النهضة الأخيرة، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٥٢ . [فصل م٥]
- في المختبر: تحليل ونقد لآثار الكتاب المعاصرين، بيروت، المطبعة البولسية، ١٩٥٢ . [فصل م٥]

عنان، محمد عبد الله، «حقائق عن الشيوعية يجب أن يتدبرها الشباب»، الثقافة (مجلة)، العدد ٦٧٣، ١٩ تشرين الثاني / نوفمبر ١٩٥١، ص ٦-٧ [فصل ٢١]

الغصين، فائز، المذابح في أرمينيا، حلب، مطبعة أريويللك، ١٩٩١، ص ٥٥. (الطبعة الأولى في القاهرة، سنة ١٩١٧). [فصل م١١٩]

غيز، هنري، بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن، تعريب مارون عبود، جزآن، بيروت، دار المكشوف (مباحث أجنبية في تاريخ لبنان)، ١٩٤٩ / ١٩٥٠ . [فصل م٨٣]

الفارسي، كمال الدين ابن حسن، كتاب تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر، حيدر آباد، دائرة المعارف، ١٣٤٧-١٣٤٨ هـ. [فصل ٢٥]

كتاب أخبار الحلاج أو مناجيات الحلاخ، وهو من أقدم الأصول الباقية في سيرة الحسين بن منصور الحلاج، ماسينيون (لويس) و كراوس (بول)، نشر، تصحيح، تعليق، باريس، مكتبة لاروز، ١٩٣٦ . [فصل ٢٥]

كرد علي، محمد،
- «اليمن وسكانها»، المقتبس (المجلة)، دمشق، المجلد السابع، ١٩١٢، ص ٣٥-٤٤ و٨١-٩٢ و١٦٩-١٨١ . [فصل ١]

- «اليمن والدولة العلية»، المقتبس (المجلة)، دمشق، المجلد السابع، ١٩١٢، ص ٣٩٦. [فصل ١]
- خطط الشام، ٦ أجزاء، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٢٥–١٩٢٨. [فصل ٢٥، م١١٩]
- «أثر المستعربين من علماء المشرقيات في الحضارة العربية»، مجلة المجمع العلمي العربي، دمشق، المجلد السابع، الجزء العاشر، تشرين الأول ١٩٢٧، ص ٤٣٣–٤٥٦. [فصل ٢٥]
- المذكرات، ٤ أجزاء، مطبعة الترقي، دمشق، ١٩٤٨–١٩٥١. [فصل م١٦، م٢٦، م٣٢، م٤٠، م٤٠، م٤٨*، م١٤٧]

كرنكو، فريتس (نشر)، ديوان شعر عمرو بن كلثوم التغلبي والحارث بن حلزة اليشكري، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٢٢. [فصل ٢٥]

ماسينيون، لويس، تاريخ الاصطلاحات الفلسفية، القاهرة، بدون ناشر، ١٩١٣. [فصل ٢٥]

المؤيّدي الطالقاني، علي بن الفضل، رسالة الأمثال البغدادية التي تجري بين العامة، تحقيق لويس ماسينيون، القاهرة، مطبعة رعمسيس، ١٩١٣. [فصل ٢٥]

المرزباني، محمد بن عمران، معجم الشعراء، نشر وتحقيق فريتس كرنكو، القاهرة، ١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٥. [فصل ٢٥]

المطهر المقدسي، المطهر بن طاهر، والبلخي، أبو زيد أحمد بن سهل، كتاب البدء والتاريخ، نشر وترجمة كلمان هوار، ٦ أجزاء، باريس، أرنست لرو، ١٨٩٩–١٩١٩. [فصل ٢٥]

المعرّي [أبو العلاء المعري]، أحمد بن عبد الله، رسائل أبي العلاء المعري، تحقيق د.س. مارغوليوث، بغداد، مكتبة المثنى، بدون تاريخ. [فصل ٢٥]

نلّينو، كرلو، علم الفلك، تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، ملخص المحاضرات التي ألقيت في الجامعة المصرية، روما، بغداد، مكتبة المثنى، ١٩١١. [فصل ٢٥]

اليافي، عبد الكريم، في علم السكان: مباحث في المورفولوجيا الاجتماعية، دمشق، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥١. [فصل م١٠٠]

ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله)،
- كتاب معجم البلدان، تحقيق فردناند فستنفلد، ليبزغ، ١٨٦٦. [فصل ٢٥]
- معجم الأدباء، ٢٠ جزء، الرفاعي (أحمد فريد)، تقديم، إشراف، ومرجليوث (دافيد صمويل)، نشر، تقديم، القاهرة، دار المأمون، بدون تاريخ.

## ٢) الجرائد والمجلات المذكورة في هذا الجزء

### أ الجرائد

الكفاح (دمشق، ١٩٣٩–١٩٥٧) [فصل ٢]

الأيام (دمشق، ١٩٣١–) [فصل ١٦]

الأحد [فصل ٣١]

الأهرام (الإسكندرية، ١٨٧٦–١٨٩٩، القاهرة، ١٨٩٩–) [فصل م٤٠]

المصري [فصل م٨٠]

المقتبس (دمشق، ١٩٠٨–١٩٢٨) [فصل م٩٥]

الحضارة (دمشق، ١٩٤٦–) [فصل م١١٦]

### ب المجلات

الثقافة (مصر) [فصل ٦، ٢١]

الثقافة (نيودلهي، الهند) [فصل م٦، م١٤٠]

الوحدة العربية (الأرجنتين) [فصل م٩٧]

المشرق (بيروت، ١٨٩٨–) [فصل م١١٥]

المقتبس (القاهرة، ١٩٠٦–١٩٠٨، دمشق، ١٩٠٩–١٩١٧) [فصل م١١٧]

الحج (مكة) [فصل م١٤٠]

البصائر (الجزائر) [فصل م١٤٠]

لسان الدين (تطوان) [فصل م١٤٠]

الرائد (الكويت) [فصل م١٤٠]

رسالة المغرب (الرباط) [فصل م١٤٠*]

# فهرس المراجع باللغات الأوروبية

## Index des références en langues européennes

١) الكتب والمقالات بعناوينها الكاملة :

### Ouvrages et articles cités ou mentionnés dans ce volume


ABŪ ḤĀTIM AL-SIĞISTĀNĪ,

1899 *Das Kitāb al-mu'ammarīn des Abū Ḥātim al-Siğistānī*, bearbeitet von Ignaz Goldziher, Leiden, E. J. Brill. [chapitre 25]

AD-DĀNĪ, Abū 'Amr 'Uṯmān ibn Sa'īd,

1930 *Das Lehrbuch des sieben Koranlesungen*, herausgegeben von Otto Pretzl, Bibliotheca Islamica : 2, Istanbul, Leipzig, F. A. Brockhaus. [chapitre 25]

1932 *Orthographie und Punktierung des Koran, zwei Schriften von Abū 'Amr 'Uṯmān ibn Sa'īd ad-Dānī*, herausgegeben von Otto Pretzl, Istanbul, Matba'at ad-dawla ; Leipzig, F. A. Brockhaus. [chapitre 25]

AL-AḪṬAL, Ġiyāṯ ibn Ġawṯ,

1907 *Le Diwān d'al-Aḫṭal, reproduit par la photolithographie d'après un manuscrit trouvé au Yémen, avec préface, glossaires, tables, renvois, variantes et notes, par le Dr. Eugenio Griffini*, Beyrouth, Imprimerie catholique. [chapitre 25]

AL-AŠ'ARĪ, Abu l-Ḥasan 'Alī ibn Ismā'īl,

1929-1933 *Die dogmatischen Lehren der Anhänger des Islam*, herausgegeben von Helmut Ritter, Istanbul, Maṭba'at ad-dawla ; Leipzig, F. A. Brockhaus. [chapitre 25]

AL-AZHARĪ, Abū Mansūr Muḥammad b. Aḥmad,

1920 *Tahḏīb al-luġa*, ed. Zetterstéen, *Monde Orientale*, 14, p. 1-106. [chapitre 25]

AL-BATTĀNĪ, Muḥammad ibn Ġābir ibn Sinān,

1899-1907 *Al-Battani sive Albateini Opus a astronicum ad fidem codicis*

*Escurialensis arabice editum, latine versum, adnetationibus instructum a Carolo Alphonso Nallino*, Mediolani Insubrum, 3 vols, U. Hoepli. [chapitre 25]

AL-BĪRŪNĪ, Abū al-Rayḥān,
2001 *Kitāb al-ğamāhir fi ma'rifat al-ğawāhir*, édité par Fritz Krenkow, Natural Sciences in Islam : 29, Frankfurt am Main, Institute for the History of Arabic-Islamic Science, (réimpression de l'édition de 1936). [chapitre 25]

AL-ĞAZARĪ, Muḥammad Šamsaddīn,
1935 *Das Biographisches Lexikon des Koranlehrer*, herausgegeben von Otto Pretzl und Gotthelf Bergstrasser, Bibliotheca Islamica : 8a-c, Leipzig, Le Caire, Brockhaus. [chapitre 25]

AL-KISĀ'Ī, 'Alī b. Ḥamza,
1898 *Kitāb mā yalḥanu fīhi 'l-awām*, ed. par Carl Brockelmann dans *Zeitschrift für Assyriologie*, XIII, p. 2946-. [chapitre 25]

AL-KUMAYT IBN ZAYD AL-ASADĪ,
1904 *Hāšimiyāt al-Kumayt ibn Zayd al-Asadī*, herausgegeben von Joseph Horovitz (arabisch und deutsch), Leiden, E. J. Brill. [chapitre 25]

AL-MA'ARRĪ [Abū al-'Alā al-Ma'arrī], Aḥmad ibn 'Abd Allah,
1898 *The Letters of Abū l-'Alā of Ma'arrat al-Nu'mān*, edited by D.S. Margoliouth, Oxford, The Clarendon Press. [chapitre 25]

AL-MURTAḌĀ, Al-Šarīf Abū' l-Qāsim 'Alī,
1902 *Kitāb al-munya wa' l-amal*, ed. Thomas W. Arnold, Leipzig, Harrassowitz. [chapitre 25]

AL-SAM'ĀNĪ, 'Abd al-Karīm ibn Muḥammad,
1912 *Kitāb al-Ansāb, reproduced in facsimile from the manuscript of the British Museum*, preface by D.S. Margoliouth, E.J.W. Gibb Memorial Series, XX, Leiden, Brill. [chapitre 25]

AL-SIĞISTĀNĪ, 'Abd Allāh ibn Abī Dāwud,
1355 h./1936-1937 *Kitāb al-maṣāḥif*, edited by Arthur Jeffery, Leiden, E. J. Brill ; Le Caire, Imprimerie al-Raḥmāniyya. [chapitre 25]

AL-TANUKHI, Abu 'Alī al-Muḥassin ibn 'Alī,
1921 *The Table-Talk of a Mesopotamian Judge. Being the First Part of the Nishwār al-muḥādarah or Jāmi' al-tawārīkh of Abu 'Ali al-Muḥassin al-Tanūkhī*, edited by D.S. Margoliouth, Oriental Translation Fund, New Series, XXVII, Londres, Royal Asiatic Society. [chapitres 25, 39]

AL-YA'QŪBĪ, Aḥmad ibn Abī Ya'qūb,

1883 *Ibn Wādhih qui dicitur al-Ja'qubī Historiae*, edidit M. Th. Houtsma, 2 vols, Lugduni Batavorum, E. J. Brill. [chapitre 25]

AL-ZUBAYDĪ, Abū Bakr Muḥammad b. al-Ḥasan,

1919 « Tabaqāt al-naḥwiyyīn wa' l-luġawiyyīn », dans *Rivista degli studi orientali*, 8, p. 107-156.

1890 *Kitāb al-Istidrāk di Abu Bakr az-Zubaidi, Memoria del socio Ignazio Guidi*, Roma : Tipografia della Reale Accademia dei Lincei. [chapitre 25]

ASIN PALACIOS, Miguel,

1943 *La escatologia musulmana en la Divina Comedia, seguida de la historia y critica de una polémica*, Madrid, Grenade, Consejo Superior di Investigaciones. [chapitre 25]

AṢ-ṢAFADĪ, Salaḥaddīn Ḫalīl bin Aybak,

1931 *Das Biographisches Lexikon des Salāḥaddīn Ḫalīl ibn Aybak aṣ-Ṣafadī*, herausgegeben von Hellmut Ritter, Istanbul, Maṭba'at ad-dawla, Maṭba'at wizārat al-ma'ārif ; Damas, al-maṭba'a al-hāšimiyya ; Wiesbaden, F. Steiner. [chapitre 25]

AS-SIRĀFĪ, Abū Sa'īd al-Ḥasan Ibn 'Abd Allāh,

1936 *Biographies des grammairiens de l'école de Basra*, publié et annoté par Fritz Krenkow, Bibliotheca Arabica : IX, Paris, Paul Geuthner, Beyrouth, Imprimerie Catholique. [chapitre 25]

BROCKELMANN, Carl,

1943 *Geschichte der Arabischen Litteratur*, Leiden, E.J. Brill. [chapitre 25]

BROCKELMANN, Carl (éd.),

1900-1908 *Ibn Qutaiba's 'Ujūn al-Aḫbār. Nach den Handschriften zu Constantinopel und St Petersburg*, vol. I-IV, Berlin, Emil Felber. [chapitre 25]

BROCKELMANN, C. (éd.), HUBER, A. (trad.),

1891 *Die Gedichte des Lebīd nach der Wiener Ausgabe übersetzt und mit Anmerkungen Versehn aus dem Nachlasse des A. Huber*, Leyde, E.J. Brill. [chapitre 25]

BROUSSON, Jean-Jacques,

1924 *Anatole France en pantoufles*, Paris, G. Crès et Cie. [chapitre 39]

AL-BUNDARĪ, Muḥammad,

1889 *Zubdat al-nusra wa-nuḫbat al-'usra*, ed. Th. Houtsma, Leiden, Brill. [chapitre 25]

CAETANI, Leone,
1905-1926 *Annali dell'islam*, vol. 1-10, Milano : Ulrico Hoepli. [chapitre 25]

DUSSAUD, René,
1927 *Topographie historique de la Syrie antique et médiévale*, Bibliothèque Archéologique et Historique, vol. IV, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner. [chapitre 25]
1907 *Les Arabes en Syrie avant l'Islam*, Paris, Ernest Leroux. [chapitre 25]

FARAZDAQ, Hammām ibn Ġālib al-,
1905-1908 *The Nakaid of Jarir and al-Farazdak*, edited by Anthony Ashley Bevan, 3 vols, Leiden, Brill. [chapitre 25]

FERRAND, Gabriel (éd.),
1925 *Le Pilote des mers de l'Inde, de la Chine et de l'Indonésie, par Sulayman al-Mahri et Sihab ad-Din Ahmad bin Majid,* texte arabe, reproduction phototypique du mss. 2559 de la B.N. de Paris publié par G. Ferrand, Paris, Geuthner. [chapitre 25]

FRANCE, Anatole,
1889-1892 *La vie littéraire*, Paris, Calmann-Lévy, 4 vols. [chapitre 39]
1890 *Thaïs*, Paris, Calmann-Lévy. [chapitre 39]
1894 *Le Lys rouge*, Paris, Calmann-Lévy. [chapitre 39]

GILBERT, Gustave,
1947 *The Nuremberg Diary*, Farrar, Straus & Co., New York. [chapitre C94]

GOLDZIHER, Ignaz,
1892 « Der Dīwān des Ğarwal b. Aws Al-Ḥutej'a », *Zeitschrift des Deutschen Morgenlândischen Gesellschaft*, XLVI, p. 1-53, 173-225, 471-527. [chapitre 25]

GOLDZIHER, Ignaz (éd.),
1907 *Kitāb ma'ānī al-nafs*, Berlin, Weidmannsche. [chapitre 25]
1916 *Streitschrift des Ġazālī gegen die Bāṭinijja Sekte*, Veröffentlichungen der de Goeje-Stiftung, Leiden, Brill. [chapitre 25]

HOUTSMA, M. Th., BASSET, R., et ARNOLD, T. W. (eds),
1913-1938 *Encyclopédie de l'Islam : Dictionnaire géographique, ethnographique et biographique des peuples musulmans, publié avec le concours des principaux orientalistes,* 4 vols. avec suppl., Leyde, Brill et Paris, Picard. [chapitre 25]

**HUART, Clément,**

**1912-1913** *Histoire des Arabes*, 2 tomes, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner. [chapitre 25]

**1908** « Les séances d'Ibn Naqiya », dans *Journal Asiatique*, sér. 10, T. XII, p. 435-454. [chapitre 25]

**IBN ABI ḤĀTIM AR-RĀZI**, 'Abd ar-Raḥmān (d. 327/938),

**1360-1373 h.** *Al-Ǧarḥ wa 't-ta'dīl*, 9 vols, Hyderabad [chapitre 25]

**IBN AL-ANBĀRI**, Muḥammad ibn al-Qāsim,

**1881** *Kitābo 'l-Adhdād, sive liber de Vocabulis arabicis quae plures habent significationes inter se oppositas, auctore Abu Bekr ibno-'l-Anbārī*, edidit atque indicibus instruxit M. Th. Houtsma, Lugduni Batavorum, spud E. J. Brill. [chapitre 25]

**IBN AL-QŪṬIYYA**, Abū Bakr Muḥammad bin 'Umar,

**1894** *Il Libro dei Verbi*, édité par Ignazio Guidi, Leiden, E.J. Brill. [chapitre 25]

**IBN DURAYD**, Abū Bakr Muḥammad b. al-Ḥasan,

**1344-1352h./1925-1932** *Kitāb Ǧamharat al-luġa*, ed. F. Krenkow, 3 vols, Hyderabad. [chapitre 25]

**IBN HIŠĀM'** ,Abd Allāh ibn Yūsuf,

**1871** *Commentarius in Carmen Ka'bi ben Zoheir Banat Su'ad appelatum. Edidit Ignatius Guidi*, Lipsiae, typis F. A. Brockhaus. [chapitre 25]

**IBN HUḌAYL,**

**1922** *Kitāb ḥilyat al-fursān* (*La Parure des cavaliers et l'insigne des preux*), édition et traduction par Louis Mercier, Paris. [chapitre 25]

**IBN ḤUNAYN**, Isḥāq,

**1928** *The Book of the Ten Treaties, on the Eye ascribed to Hunain Ibn Ishāq*, edited and translated into english by Max Meyerhof, Le Caire, Government Press. [chapitre 25]

**IBN MISKAWAYH**, Abū 'Alī Aḥmad bin Muḥammad,

**1909-1917** *The Tajārib al-Umam or History of Ibn Miskawayh*, edited by Leone Caetani, E. J. W. Gibb Memorial Series : VII, Leyde, Brill. [chapitre 25]

**IBN QAYS AL-RUQIYYĀT**, 'Ubayd Allāh,

**1902** *Der Diwān des 'Ubaid-Allāh Ibn Kais ar-Rukajjāt*, herausgegeben, übersetzt, mit Noten und einer Einleitung versehen, von Dr N. Rhodokanakis, Wien, G. Gerold's Sohn. [chapitre 25]

IBN TŪMART, Muḥammad,

1321 h./1903 *Le livre de Mohammed Ibn Toumert, mahdi des Almohades,* texte arabe, accompagné de notices biographiques et d'une introduction, par I. Goldziher, Alger, Imprimerie de P. Fontana. [chapitre 25]

KRENKOW, Fritz,

1910 « The Diwan of Abu Dahbal al-Gumahi », dans *Journal of the Royal Asiatic Society*, p. 1017-1075. [chapitre 25]

KRENKOW, Fritz (ed.),

1920 *The Poetical Remains of Muzāḥim al-'Uqailī,* edited and translated by F. Krenkow, Leiden, Brill [chapitre 25]

1922 *Diwans des poètes Amrou Ibn Kolthoum et Harith Ibn Hillizah* (extrait de la revue *al-Machriq*), Beyrouth, Imprimerie catholique. [chapitre 25]

1342 h./1923 *Kitāb al-Muǧtabā des Ibn Duraid*, Haidarabad. [chapitre 25]

1927 *The Poems of Tufail ibn 'Auf al-Ghanawī and aṭ-Ṭirimmāḥ ibn Ḥakīm aṭ-Ṭā'yī*. Arabic Text edited and translated, E.J. Gibb Memorial Series : XXV, Londres, Luzac & Co. [chapitre 25]

LEMAÎTRE, Jules,

1886-1899 *Les contemporains*, Paris, Boivin et Cie, 7 séries. [chapitre 39]

MASSIGNON, Louis,

1931 *Le Diwān d'Al-Hallāj : essai de reconstitution, édition et traduction*, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner. [chapitre 25]

MASSIGNON, Louis, et KRAUS, Paul (eds), *Akhbār al-Hallāj : texte ancien relatif à la prédication et au supplice du mystique musulman Al-Hosayn b. Mansour al-Hallāj,* Paris, Éditions Larose, 1936. [chapitre 25]

MONTET, Édouard, *L'Islam*, Paris, Payot & Cie, 1921. [chapitre 25]

OHNET, Georges,

1882 *Le maître de forges*, Paris, Ollendorff. [chapitre 39]

(AṢ-) ṢAFADĪ, Salaḥaddīn Ḫalīl bin Aybak,

1962 *Das Biographisches Lexikon des Salāḥaddīn Ḫalīl ibn Aybak aṣ-Ṣafadī*, herausgegeben von Helmut Ritter, Bibliotheca Islamica : 6a, Wiesbaden, Franz Steiner Verlag. [chapitre 25]

SALĀMA IBN ĞANDAL,

1910 *Le Diwan de Sélama Ben Djandal, poète arabe anté-islamique, par M. Cl. Huart* [texte et traduction], Paris, Imprimerie Nationale (Dīwān – extrait du *Journal Asiatique*). [chapitre 25]

SÉGUR, Nicolas,
1925 *Conversations avec Anatole France ou les mélancolies de l'intelligence*, Paris, Eugène Fasquelle. [chapitre 39]
1927 *Dernières conversations avec Anatole France*, Paris, Bibliothèque-Charpentier, Eugène Fasquelle. [chapitre 39]
1929 *Anatole France anecdotique*, Paris, Albin Michel. [chapitre 39]

SEYBOLD, C. F.,
1913 « Al-Andalus », dans *Encyclopédie de l'Islam*, Leyde, Brill, 1ère édition, tome 1, p. 354-357. [chapitre 25]

VALLOTON, Henry,
1952 *Brésil, terre d'amour et de beauté*, Lausanne, Librairie Payot. [chapitre 3*]

WÜSTENFELD, Ferdinand (ed.),
1866-1870 *Jacut's geographische Wörterbuch aus den Handschriften zu Berlin, St Petersburg und Paris*, 6 vols, Leipzig. [chapitre 25]

ZAYD IBN 'ALĪ,
1919 *Corpus juris di Zaid ibn 'Alī. Testo arabo con introduzione storica, apparato critico e indici analitici da Eugenio Griffini*, Milan, U. Hoepli. [chapitre 25]

ZETTERSTÉEN, K. V.,
1919 *Beitrage zur Geschichte des Mamluken-sultane*, Leiden, Brill. [chapitre 25]
1927 « Hārūn al-Rashīd » dans *Encyclopédie de l'Islam*, Leyde, Brill, 1ère édition, vol. 2, [chapitre 24]

ZWEIG, Stephan,
1942 *Le Brésil, terre d'avenir*, New York, Éditions de la Maison Française, (réédité aux Éditions de l'Aube en 1992). [chapitre 3*]

## ٢) الجرائد والمجلات المذكورة في هذا الجزء

## Journaux et revues évoqués dans ce volume

### أ. الجرائد (journaux)

- *Le Soir* [chapitre 2*]
- *New York Times* [chapitre 18]
- *Le Temps* [chapitre 39]

**ب. المجلّات (revues)**


- *Syria* (1920) [chapitre 25]
- *Revue Asiatique* [chapitre 25]
- *Revue du Monde Musulman* [chapitre 25]
- *Revue d'Études Islamiques* [chapitre 25]
- *L'Année Politique et Économique* [chapitre 30, C74, C112]
- *Les Nouvelles Littéraires* [chapitre 39]

PHILIPP, T.,

1993 « The Autobiography in Modern Arab Literature and Culture », in *Poetics today*, vol. 14, n°3, p. 573-604.

ROOKE, Tetz,

2000 « The Influence of *adab* on the Muslim Intellectuals of the *Nahda* as Reflected in the Memoirs of Muhammad Kurd 'Ali (1876-1953) », dans UTVIK, Bjørn Olav and VIKØR, Knut S. (éd.), *The Middle East in a Globalized World*, Bergen, Londres, p. 193-219.

SALIBI, Kamal S.,

1976 « Beirut under the Young Turks : as depicted in the Political Memoirs of Salîm Ali Salâm (1868-1938) », dans BERQUE, Jacques, et CHEVALLIER, Dominique, *Les Arabes par leurs archives (XVIe-XXe siècles)*, Paris, Éditions du CNRS.

SÉGUR, Nicolas,

1925 *Conversations avec Anatole France ou les mélancolies de l'intelligence*, Paris, Eugène Fasquelle.

1927 *Dernières conversations avec Anatole France*, Paris, Bibliothèque-Charpentier, Eugène Fasquelle.

1929 *Anatole France anecdotique*, Paris, Albin Michel.

SEIKALY, Samir M.,

1981 « Damascene Intellectual Life in the Opening Years of the 20th Century: Muhammad Kurd Ali and *Al-Moqtabas* », dans BUHEIRY, Marwan R.(dir.), *Intellectual Life in the Arab East (1890-1939)*, Beyrouth, American University of Beirut, pp.125-153.

THOUMIN, R.,

1931 « Deux quartiers de Damas : le quartier chrétien de Bāb Muṣallā et le quartier kurde », dans *Bulletin d'Études Orientales*, vol. 1, p. 99-135.

WEBER, Stefan,

2005 « L'aménagement urbain entre régulations ottomanes, intérêts privés et participation politique : la municipalité de Damas à la fin de l'époque ottomane (1864-1918) », dans LAFI, Nora (dir.), *Municipalités méditerranéennes : les réformes urbaines au miroir d'une histoire comparée (Moyen-Orient, Maghreb, Europe méridionale)*, Berlin, Studien des Zentrums Moderner Orient, Band 21, Klaus Schwarz Verlag.

GRANGE, Daniel J.,
1976 « La propagande arabe de Radio Bari (1937-1939) », *Relations Internationales*, N° 6, p. 65-103.

HAVEMANN, Axel,
1987-1988 « Between Ottoman Loyalty and Arab "Independence". Muhammad Kurd Ali, Girgi Zaydàn, and Shakib Arslàn », dàns *Quaderni di Studi arabi*, 5-6, p.347-356.

KENNY, L.M.,
1976 "East versus West in *Al-Muqtataf*, 1875-1900: Image and Self-Image", dans LITTLE, Donald P., *Essays on Islamic Civilization*, Leiden, Brill, p. 140-154.

LANDAU, Jacob M.,
1991 « Les Jeunes-Turcs et le sionisme : une reconsidération », dans ELDEM, Edhem, *Première rencontre sur l'Empire ottoman et la Turquie moderne*, Istanbul, Paris, Éditions Isis, Varia Turcica XIII, p.385-395.

LAOUST Henri, et DAHHAN, Sami,
1949-1951 "L'oeuvre de l'Académie Arabe de Damas (1921-1950) : notes bibliographiques", dans *Bulletin d'Etudes Orientales*, vol. 13, p.161-167.

MAHAFZAH, Ali,
1979 « La France et le mouvement nationaliste arabe de 1914 à 1950 », dans *Relations internationales*, n° 19, p. 295-312.

MONTET, Édouard,
1921 *L'Islam*, Paris, Payot & Cie.

MOUBARAC, Y.,
1956 « Bibliographie de Louis Massignon, réunie et classée par Y. Moubarac », dans *Mélanges Louis Massignon*, t. I, Institut Français de Damas, p.1-56.

NOWEIRA, Amira Hassan,
2001 « Arabic Autobiography », dans JOLLY, Margaretta (éd.), *Encyclopedia of Life Writing. Autobiographical and Biographical Forms*, 2 vols, Londres, Chicago, FD Publishers.

PELLAT, Charles,
1986 "Kurd Alī", dans *Encyclopédie de l'Islam*, Leiden, Brill, 2e édition.

WATTEL, Béatrice et Michel,

2005 *Qui était qui ? Dictionnaire biographique des Français disparus ayant marqué le XX^e siècle*, Paris, Éditions Jacques Lafitte, 2^e édition.

**2) Articles et communications**

CHEIKH MOUSSA, Abdallah,

1985-1986 « L'écriture de soi dans les *Mudhakkirât* de Gurgî Zaydân », dans *Bulletin d'Études Orientales*, vol. 37-8, Damas, p. 23-50.

CHEVALLIER, Dominique, et MONTALBETTI, Jean,

1984 « Enquête sur un intellectuel arabe dans la Syrie ottomane: Mohammed Kurd Ali à Damas », émission de radio en trois parties diffusée par France Culture, dans la série « Les inconnus de l'Histoire ».

COMMINS, David,

1986 « Religious Reformers and Arabists in Damascus, 1885-1914 », dans *International Journal of Middle Eastern Studies,* n° 18, p.405-425.

DAHHAN, Sami,

1956 « Mohammed Kurd Ali (1876-1953) : notice biographique », dans *Mélanges Louis Massignon*, tome 1, Institut Français d'Etudes Arabes de Damas, p.379-394.

DEHEUVELS, Luc-Willy,

2002 « Tâhâ Husayn et *Le livre des jours* : démarche autobiographique et structure narrative », dans *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée,* n° 95-98 : *Débats intellectuels au Moyen-Orient dans l'Entre-deux guerres* (numéro coordonné par Anne-Laure Dupont et Catherine Mayeur-jaouen).

ESCOVITZ, Joseph,

1986 « He was the Muhammad Abduh of Syria": A Study of Tahir al-Jaza'iri and his Influence », dans *International Journal of Middle Eastern Studies,* n° 18, p.293-310.

1983 Orientalists and Orientalism in the Writings of Muhammad Kurd Ali", dans *International Journal of Middle Eastern Studies,* n° 15, p. 95-109.

EZZERELLI, Kaïs,

2004 « Les arabistes syriens et la France de la révolution jeune-turque à la Première Guerre mondiale (1908-1914) : l'exemple de Muḥammad Kurd 'Alī », dans *Bulletin d'Etudes Orientales*, vol. 55, p. 83-110.

t. 1 et 2, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner.
1983 *Cours d'histoire des termes philosophiques arabes*, édité par Zeinab AL-KHODEIRY, Le Caire, IFAO, Textes arabes et études islamiques (22).

MATTHEW, H. C. G. et HARRISON, B. (eds),
2004 *Oxford Dictionary of National Biography*, Oxford University Press.

MÉOUCHY, Nadine et SLUGLETT, Peter (dir.),
2004 *Les mandats français et anglais dans une perspective comparative*, Leiden, Brill.

MESSAOUDI, Alain,
2008 *Savants, conseillers, médiateurs : les arabisants et la France coloniale (vers 1830-vers 1930)*, thèse sous la direction de Daniel Rivet, Université Paris 1 – Sorbonne.

OSTLE, Robin, DE MOOR, Ed, WILD, Stefan (dir.),
1998 *Writing the Self: Autobiographical Writing in Modern Arabic Literature*, Londres, Saqi Books.

PELLAT, Charles (éd.),
1955 *Le Kitāb at-Tarbīʿ wa-t-tadwīr de Ǧāḥiẓ*, Damas, Institut Français de Damas.

PICAUDOU, Nadine,
1992 *La décennie qui ébranla le Moyen-Orient, 1914-1923*, Bruxelles, Éditions Complexe.

RAYMOND, André (dir.),
1980 *La Syrie d'aujourd'hui*, Paris, CNRS.

ROOKE, Tetz,
1997 *In My Childhood : A Study of Arabic Autobiography*, Stockholm University.

SEALE, Patrick,
1965 *The Formation of Modern Syria and Iraq*, Londres, Frank Cass.

SHARABI, Hisham,
1970 *The Struggle For Syria : A Study of Post-War Arab Politics, 1945-1958*, Londres, New-York, Toronto, Oxford University Press.

TOTAH, Khalil,
1954 *Memoirs of Muhammad Kurd Ali: A selection*, Washington, American Council of Learned Societies.

HERMANN, Rainer,
1990 *Kulturkrise und konservative Erneuerung: Muhammad Kurd Ali (1876-1953) und das geistige Leben in Damaskus zu Beginn des 20. Jahrhunderts*, Francfort, Heidelberg Orientalische Studien.

HOURANI, Albert,
1991 *La pensée arabe et l'Occident*, Paris, Naufal.

HOUTSMA, M. T., BASSET, R., ARNOLD, T. W. et HARTMANN, R.. (éd.),
1913-1938 *Encyclopédie de l'Islam : dictionnaire géographique, ethnographique et biographique des peuples musulmans, publié avec le concours des principaux orientalistes*, 4 vols. avec suppl., Leiden, Brill et Paris, Picard.

IBN JANDAL, Salāma,
1983 *Diwān*, traduction de Clément HUART, Paris, Sindbad.

JULIEN, Charles-André,
1952 *L'Afrique du nord en marche: nationalismes musulmans et souveraineté française*, Paris, Julliard.

KAYALI, Hasan,
1997 *Arabs and Young Turks: Ottomanism, Arabism and Islamism in the Ottoman Empire, 1908-1918*, University of California Press.

KHOURY, Philip S.,
1987 *Syria and the French Mandate: the Politics of Arab Nationalism, 1920-1946*, Princeton University Press.

KILLY, W., et VIERHAUS, R. (eds),
2003 *Dictionary of German Biography*, Munich, K. G. Saur.

LEJEUNE, Philippe,
1975 *Le pacte autobiographique*, Paris, Seuil.

MANTRAN, Robert (dir.),
1989 *Histoire de l'Empire ottoman*, Paris, Fayard.

MARDAM BEY, Salma,
1994 *La Syrie et la France : bilan d'une équivoque (1939-1945)*, Paris, L'Harmattan, collection Comprendre le Moyen-Orient.

MASSIGNON, Louis,
1922 *La Passion d'al-Hosayn Ibn Mansour Al-Hallaj, martyr mystique de l'Islam, exécuté à Bagdad le 26 mars 922 : étude d'histoire religieuse,*

CLEVELAND, William L.,
1985 *Islam against the West. Shakib Arslan and the Campaign for Islamic Nationalism*, Austin, University Press of Texas.

CLOAREC, Vincent, et LAURENS, Henry,
2000 *Le Moyen-Orient au 20e siècle*, Paris, Armand Colin.

COLOMBE, Marcel,
1951 *L'évolution de l'Egypte, 1924-1950*, Paris, Maisonneuve.

COMMINS, David,
2004 *Historical Dictionary of Syria*, Lanham, Toronto, Oxford, The Scarecrow press, 2e édition.

COSTET-TARDIEU, Francine,
2005 *Un réformiste à l'université d'al-Azhar : oeuvre et pensée de Mustafâ al-Marâghi (1881-1945)*, Paris: Karthala, Le Caire: CEDEJ.

DIDIER, Béatrice (dir.),
1994 *Dictionnaire universel des littératures*, Paris, PUF.

DUPONT, Anne-Laure,
2006 *Ǧurǧī Zaydān (1861-1914) : écrivain réformiste et témoin de la renaissance arabe*, Damas, Institut Français du Proche-Orient.

FREITAG, Ulrike,
1991 *Geschichtsschreibung in Syrien 1920-1990, zwischen Wissenschaft und Ideologie*, Hambourg, Deutsches-Orient Institut.

GENETTE, Gérard,
1972 *Figures III*, Paris, Seuil.

GEORGEON, François,
2003 *Abdülhamid II*, Paris, Fayard.

GOURDEAU, Gabrielle,
1993 *Anàlyse du discours narratif*, Magnard.

GUYS, Henri,
1985 *Beyrouth et le Liban*, 2 tomes, Beyrouth, Dar Lahad Khater (Voyageurs d'Orient, IV).

HAMZAOUI, Rached,
1975 *L'Académie de langue arabe du Caire : histoire et œuvre*, Tunis, Publications de l'Université de Tunis.

# BIBLIOGRAPHIE

**Références en langues européennes** [1]

## 1) <u>Ouvrages</u>


AL-AMĪN, Muḥsin,

1997 *Autobiographie d'un clerc chiite du Ǧabal `Āmil* (Traduction et annonations par Sabrina MERVIN et Haïtham AL-AMIN), Damas, IFEAD.

ARNAUD, Jean-Luc,

2006 *Damas, urbanisme et architecture, 1860-1925*, Arles, Actes Sud Sindbad, 2006.

BALAGNA, Josée (éd.),

1986 *Inventaire des livres imprimés arabes, 1514-1959*, Paris, Bibliothèque Nationale.

BERQUE, Jacques, et CHEVALLIER, Dominique (dir.),

1976 *Les Arabes par leurs archives (XVI^e^-XX^e^ siècles)*, Paris, Editions du CNRS.

BUHEIRY, Marwan (dir.),

1981 *Intellectual Life in the Arab East (1890-1939)*, Beyrouth, American University.

*Bulletin de la presse syrienne : organe bi-hebdomadaire*, Damas, Bureau des documentations syriennes et arabes (vols des années 1951, 1952 et 1953).

CHARLE, Christophe,

1988 *Les professeurs du Collège de France : dictionnaire biographique, 1901-1939*, Paris, CNRS.


1. Pour les références en langue arabe, voir la deuxième partie de ce volume.

Muḥammad Kurd ʻAlī semblent bien marquer un jalon dans l'histoire du genre autobiographique au *Bilād aš-Šām*, pour les raisons que nous avons déjà évoquées plus haut (notamment l'aspect multiforme de l'œuvre, ses influences diverses, la place singulière occupée par le narrateur). En tant que source historique, son intérêt se situe non seulement dans la richesse de ses anecdotes (témoignage sur la vie politique, sociale et intellectuelle en Syrie au cours de la première moitié du vingtième siècle), mais également dans ses contenus journalistiques, philosophiques ou savants, et dans leur mode de présentation. Les *Mémoires* de Muḥammad Kurd ʻAlī peuvent ainsi être utilisés comme sources pour l'histoire des mentalités, des représentations (notamment pour l'histoire des formes d'expression personnelles), pour l'histoire des réseaux de sociabilité savante en Syrie, pour l'histoire de la presse et du traitement de l'actualité dans le monde arabe, pour l'histoire du courant réformiste musulman, ou encore pour l'histoire des sciences et des savoirs en contextes colonial et post-colonial. Qu'il soit permis d'espérer que cette édition facilite le travail des chercheurs à venir, et qu'elle offre à tous une agréable lecture.

Kaïs Ezzerelli
Damas, août 2008

influences littéraires multiples de l'auteur permet de situer les *Mémoires* au sein de l'ensemble de l'œuvre de Muḥammad Kurd ʿAlī, à la fois en termes de continuité et en termes de rupture : bien qu'il recourre à des genres déjà abordés, tels que les récits biographique, autobiographique, historique ou philosophico-moral, tels encore que l'article d'actualité ou de vulgarisation scientifique, l'auteur de ces mémoires fait œuvre novatrice, précisément par sa juxtaposition de chapitres hétérogènes et par son usage beaucoup plus fréquent (et revendiqué) de la première personne.

Ensuite, cette hétérogénéité pose la question de l'identité et de l'unité de l'œuvre : s'agit-il d'un simple témoignage ou d'une autobiographie, d'un assemblage hétéroclite de chapitres autonomes les uns vis-à-vis des autres ou d'une œuvre cohérente par rapport à un projet littéraire et au pacte autobiographique posé dans l'incipit ? L'analyse de la place du narrateur au sein du récit nous a permis de mettre en évidence la coexistence et la combinaison de différentes postures narratives dans chaque chapitre de ces mémoires, ainsi que les ajustements opérés par rapport au projet autobiographique initial, en réponse aux critiques des contemporains, de même qu'elle a révélé l'existence de projets implicites. Parallèlement à ses dimensions apologétiques et de réhabilitation, qui transparaissaient déjà des tomes précédents, ce volume marque ainsi le retour à des formes plus académiques, à travers les sujets abordés, la présence de plusieurs rééditions d'articles ou de conférences, et de nombreuses références aux sources utilisées, dans le texte ou en notes infrapaginales. De façon plus prononcée qu'avant, ce cinquième tome des *Mémoires* apparaît comme un modèle réduit de l'ensemble de l'œuvre de Muḥammad Kurd ʿAlī, mettant en œuvre ses multiples talents littéraires et s'attribuant une valeur d'anthologie.

Enfin, l'évocation de faits ou d'anecdotes historiques sur un ton personnel pose la question de la vérité du récit, ou de la sincérité de son auteur. A cet égard, l'analyse des passages autoréférentiels de l'œuvre et celle des différentes postures narratives adoptées ont mis en évidence les perspectives, points de vue ou prismes à travers lesquels l'œuvre peut être lue, ainsi que les différents filtres auxquels peut être soumis le discours de Muḥammad Kurd ʿAlī selon une approche critique et comparative. L'auteur lui-même ayant reconnu ne pas avoir fait œuvre d'historien dans ses *Mémoires*, le lecteur est invité à ne pas prendre au pied de la lettre toutes les informations qu'ils contiennent : son intérêt littéraire et historique se situe en effet à d'autres niveaux. En tant qu'objet d'étude, les *Mémoires* de

est soumis à de fréquentes intrusions de l'auteur-narrateur, qui use de la première personne pour exprimer son opinion ou illustrer son propos d'anecdotes personnelles. Cette confusion entre sphères académique et privée (manifeste dans les chapitres 25, C3, C5, C63, C72, C119 et C142) peut être analysée comme une forme d'implication personnelle, voire d'identification, vis-à-vis du sujet abordé : nous l'avons déjà vu plus haut en ce qui concerne le thème des « orientalistes arabisants » ; nous pouvons étendre cette analyse à la question des Syriens émigrés en Égypte (une expérience vécue par Muḥammad Kurd ʿAlī entre 1900 et 1908), à celle des romans d'al-Manfalūṭī (dont l'auteur-narrateur chercherait à se distinguer pour répondre aux critiques dont ses *Mémoires* firent l'objet), ou encore au thème des mentalités des hommes âgés (qui le concerne directement). Au-delà de l'identification possible au sujet de son récit, cette présence de l'auteur-narrateur au cœur d'un discours académique n'est-elle pas faite pour rappeler la contribution scientifique de Muḥammad Kurd ʿAlī aux différentes disciplines abordées ? Outre l'indication des références des textes déjà publiés ou lus lors de conférences, la présence de passages autoréférentiels, dans lesquels Kurd ʿAlī fait allusion aux *Ḫiṭaṭ aš-Šām* (chapitres 25 et C119), son ouvrage historique de référence, au journal *Al-Muqtabas* (chapitres C95 et C117) ou à ses articles sur le Yémen (chapitre 1) semblerait l'indiquer.

Ainsi, la posture savante adoptée ici par Muḥammad Kurd ʿAlī domine le dernier tome de ses *Mémoires* en termes quantitatifs, ce qui manifeste l'orientation nouvelle de l'œuvre par rapport aux tomes précédents vers la transmission des savoirs. Si l'on ajoute à cela la marque personnelle imposée par l'auteur-narrateur à son discours scientifique, comme nous venons de le démontrer, on s'aperçoit que le projet autobiographique prend ici une forme inattendue : celui d'une œuvre plus sérieuse, marquant un certain retour de Kurd ʿAlī au style académique qui caractérisait ses œuvres précédentes. Notons également le caractère plus documenté des textes composant ce volume : souvent, l'auteur-narrateur mentionne ses sources, qu'il s'agisse des noms des témoins qui lui rapportent des faits, ou des références des ouvrages et des articles de presse dont il s'inspire.

---

Au terme de cette présentation, nous voyons se dégager quelques éléments de réponse aux questions posées par la complexité et l'originalité de cette œuvre. Tout d'abord, l'analyse du parcours autobiographique et des

celles dans lesquelles il a prouvé sa compétence : il s'agit de l'histoire et de la littérature, domaines académiques auxquels se rattachent les six articles et conférences réédités dans ce cinquième tome des *Mémoires* (chapitres 5, 24, 25, 39, C1 et C2), qui représentent à eux seuls 115 pages du corpus (sur 247), soit 47 % du total. Leur présence dans le corpus des *Mémoires* leur confère une valeur d'anthologie et suggère l'intention de l'auteur de signaler aux compilateurs et aux biographes à venir leur importance au sein de son œuvre : de fait, ils contribuent à l'image de savant que Muḥammad Kurd ʻAlī a laissé à la postérité.

A ceux-là s'ajoutent des chapitres plus courts, se rattachant également à l'histoire et à la littérature (chapitres 35, C112), mais aussi à la sociologie (une discipline qui a acquis ses lettres de noblesse au court de la première moitié du XXe siècle) et à ses différentes branches : sociologie politique (chapitres 21, 32, C21, C71, C107), sociologie des religions (chapitres C6, C76), et sociologie culturelle (C25, C44, C51, C55, C114). Il semble bien que Muḥammad Kurd ʻAlī, en bon autodidacte, se soit pris de passion pour cette science moderne, dont Ibn Khaldoun avait été le précurseur, sous l'influence de ses amis Alfred Le Châtelier (professeur de sociologie musulmane au Collège de France entre 1902 et 1925, et fondateur de la *Revue du monde musulman* en 1906) et Gustave Le Bon (auteur de *La civilisation des Arabes*, 1883), ou celle d'Edmond Demolins, auteur du fameux ouvrage *A quoi tient la supériorité des Anglo-Saxons* ? (traduit en arabe par Aḥmad Fatḥī Zaġlūl en 1899), qu'il cite plusieurs fois dans ses premiers articles. Par ailleurs, l'explication que propose Kurd ʻAlī du retard des pays arabes par des prédispositions culturelles ou raciales (chapitre C26), aujourd'hui connotée de façon péjorative, relevait au début du XXe siècle de l'ethnologie. Quant à l'évocation de l'actualité en conclusion de certains chapitres consacrés à des questions historiques (chapitres 1, 3, C19 et C42), elle signale une conception relativement moderne de la continuité historique, d'une histoire immédiate, qui s'élabore au présent.

Bien que cette posture du « savant » se veuille neutre et objective, sa combinaison avec d'autres postures narratives révèle ici la part de subjectivité de Muḥammad Kurd ʻAlī. D'une part, le discours idéologique, réformiste musulman ou nationaliste arabe, l'emporte souvent sur le discours académique : c'est le cas notamment dans les chapitres qui traitent de questions religieuses (chapitres 19, C14, C18), de la colonisation (chapitre C85) ou des réactions conservatrices suscitées par les débuts du théâtre en Syrie (chapitre C96). D'autre part, le discours académique

Muḥammad Kurd ʻAlī (et, dans ce volume encore, au chapitre C90), est ici nuancé par le principe du droit des peuples à disposer d'eux-mêmes (chapitre C126), le soutien au mouvement pacifiste (chapitre C134), ou la critique de certains aspects de la colonisation (chapitre C9, C85, C120), mais l'auteur-narrateur revient également sur ce qu'il considère comme les maux endémiques des sociétés orientales : la corruption, le népotisme, l'hérédité des charges religieuses, et la bureaucratie (chapitres 9, C9, C46, C89, C121, C141). Certains vices de caractère ou défauts de personnalité, tels que la flatterie, la médiocrité, le mensonge, l'hypocrisie, l'arrogance, l'avidité, ou l'infidélité en amitié se trouvent également stigmatisés (dans les chapitres 26, 38, C31, C35, C45, C49, C56, C89, C135).

A l'examen, le discours réformiste caractéristique de l'œuvre de Muḥammad Kurd ʻAlī se trouve ici radicalisé, teinté d'idéaux socialistes et dirigistes : les riches en pays musulmans sont ainsi pointés du doigt pour leur égoïsme (chapitres 10, 17, 20, C8, C137), le régime constitutionnel parlementaire est critiqué pour son instabilité chronique et son incapacité à réaliser les réformes (chapitres 8, 36, C16) et l'auteur-narrateur approuve les réformes démocratiques de partage des terres entre les paysans pauvres, de même que la suppression des titres honorifiques en Égypte (chapitres 11, C108). Ce discours nouveau chez Muḥammad Kurd ʻAlī correspond bien aux évolutions socio-politiques du milieu du XXe siècle : il suggère une fois de plus le désir de l'auteur-narrateur de rester en phase avec son temps. Cependant, celui-ci ne se départit pas de ses conceptions paternalistes et, loin des tendances révolutionnaires, dénonce les assassinats politiques (chapitre C50), met en garde contre la menace communiste (chapitre C137) et insiste sur la nécessité de mener les réformes par étapes (chapitre C38).

Il est intéressant de relever que le discours philosophique et moral de Muḥammad Kurd ʻAlī se retrouve mêlé à toutes les autres postures narratives, à tel point que chaque chapitre du cinquième tome des *Mémoires* semble contenir un message réformiste. Nous avons déjà vu de quelle façon les anecdotes personnelles ou les faits de l'actualité pouvaient être mises au service d'un tel message, légué à la postérité. Il en va de même, dans une certaine mesure, pour les discours de type académique.

### 5. Une contribution à la diffusion des connaissances à travers un support atypique

L'analyse des chapitres dominés par la posture narrative du « savant » révèle tout d'abord les disciplines de prédilection de Muḥammad Kurd ʻAlī,

posture du « publiciste » pour l'historien, et sans doute le plus important, tient donc au traitement particulier de l'actualité par Muḥammad Kurd ʿAlī à la fin de sa vie. C'est ainsi que l'on retrouve associée à cette posture, à travers certains commentaires de l'auteur-narrateur, celle du « réformiste » : dans cette perspective, l'actualité doit non seulement informer (de même que les anecdotes personnelles ne doivent pas seulement distraire), mais également instruire, et l'honnête homme doit être capable de s'en inspirer dans la formation de son propre jugement.

4. Les avatars du discours réformiste arabe et musulman au milieu du XXe siècle

La posture narrative du « penseur réformiste » situe Muḥammad Kurd ʿAlī à cheval entre les rôles d'acteur et d'observateur, puisqu'il adopte un point de vue critique sur la société dans laquelle il vit : son discours constitue ici, en quelque sorte, un prolongement de l'action par la plume. Tandis que la posture du témoin le plaçait en retrait par rapport aux personnages dont il traçait le portrait, la posture du penseur lui donne un rôle de premier plan et une fonction d'autorité morale, non au sein de l'histoire racontée - à laquelle il reste extérieur - mais vis-à-vis de ses lecteurs, à travers son discours réformiste.

Parmi les thèmes abordés dans cette perspective particulière, on retrouve les chevaux de bataille du mouvement réformiste musulman, auquel Muḥammad Kurd ʿAlī se rattache par sa formation auprès de maîtres tels que Ṭāhir al-Ǧazā'irī et Muḥammad ʿAbduh : [55] la dénonciation des superstitions, des hérésies ou des innovations blâmables (*bidaʿ*) en Égypte et en Syrie (chapitres 6, 19, C7), ainsi que la défense de la religion musulmane et de la langue arabe face aux attaques dont elles ont été l'objet (chapitres 30, C18, C52, C84, C124). L'idéologie libérale puisée par Muḥammad Kurd ʿAlī chez les auteurs occidentaux se trouve également déclinée ici à travers l'incitation à l'effort utile (chapitre 37), le respect de la propriété privée (chapitre 23), la défense de la liberté d'expression (chapitre 14), ou à travers certaines conceptions hygiénistes de la société (chapitre C54). Le thème de la supériorité de la civilisation occidentale, très présent dans l'oeuvre de

55. Voir à ce sujet notre contribution intitulée « Muḥammad ʿAbduh et les réformistes syro-libanais : réseau, influence, postérité », dans Maher AL-CHARIF et Sabrina MERVIN (dir.), *Modernités islamiques* (Actes du colloque organisé à Alep à l'occasion du centenaire de la disparition de l'imam Muḥammad ʿAbduh, novembre 2005), Damas, IFPO, 2006, p. 79-105.

bonne expression, qui résument le contenu du texte ou, au contraire, posent une énigme et fonctionnent comme une accroche vis-à-vis du lecteur.

L'intérêt de ces textes pour l'historien tient d'abord aux thèmes retenus dans l'actualité régionale ou internationale : dans le monde arabo-musulman, Muḥammad Kurd 'Alī retient surtout les réformes politiques et sociales réalisées en Égypte suite au coup d'État des officiers libres (chapitres C36, C69, C108, C109, C129 et C144) et les alliances pro-occidentales de la Turquie (chapitres C57 et C59), la chute de Bišāra al-Ḫūrī au Liban (chapitre 2) et les réformes du Chah d'Iran (chapitre C132) et du roi Ibn Séoud (chapitre C22), mais il n'évoque l'actualité politique en Syrie que de façon allusive (dans le chapitre C67 sur les réformes foncières) ; l'émancipation des anciennes colonies de la tutelle des puissances européennes et l'émergence du Tiers-monde constituent un second centre d'intérêt de Kurd 'Alī (chapitres 7, 18, 34, C65, C74, C111, C118, C128) ; enfin, l'évolution politique de l'après-guerre dans les pays occidentaux et la guerre froide qui les oppose au Bloc de l'Est sont commentées à plusieurs reprises (chapitres 28, C75, C88, C94, C125, C133). Ces textes nous plongent dans le contexte politique, économique et social des années 1951 et 1952, celui dans lequel Muḥammad Kurd 'Alī écrivit le cinquième tome de ses *Mémoires*, et celui des derniers mois de sa vie : ils permettent de situer l'auteur-narrateur dans une époque et d'observer comment celui-ci a tenu à rester, jusqu'au bout, un homme de son temps.

D'une certaine façon, ces textes prolongent la posture du témoin discutée plus haut,[54] à la différence près qu'il ne s'agit plus d'un témoignage direct, ni même d'un témoignage rapporté par un ami sur des événements vécus ou des personnes connues d'eux : Muḥammad Kurd 'Alī puise ici ses sources dans la presse arabe (syrienne ou égyptienne) et occidentale comme le firent ses contemporains, plus rarement auprès de spécialistes ou d'acteurs politiques. Cependant, il jette sur les événements un regard expert, marqué par des années d'expérience dans le journalisme et, d'une certaine façon, on peut estimer que l'auteur-narrateur rejoue dans ses *Mémoires* un rôle qu'il a assumé quatre décennies plus tôt. Le second intérêt de la

54. Il est intéressant d'observer ici le glissement subtil qui s'opère entre la troisième et la première personne : en passant de formules comme « tel auteur écrit que... » ou « tel journal rapporte l'information suivante... », aux formules « j'ai lu dans tel journal... » ou « j'ai apprécié l'article d'Untel... », l'auteur évolue d'un strict commentaire de l'actualité à une appréciation personnelle, de l'ordre du témoignage.

(notamment, les mémoires de Faḫrī al-Bārūdī, aux chapitres C68 et C105), de lettres qu'il a reçues (notamment, celle de Fāris al-Ḫūrī, au chapitre 4) ou rapporte des conversations qu'il a eues avec ses amis (chapitres 17 et C47). De plus, ces anecdotes portent souvent sur des personnages archétypaux, anonymes, ce qui les rend exemplaires, universels, et elles sont accompagnées d'un message ou d'une leçon morale, à la manière des fables d'Ibn al-Muqaffaʿ ou des épîtres d'al-Ǧāḥiẓ : le témoignage se double alors d'une posture « philosophique », et l'on retrouve la forme caractéristique de la littérature d'*adab*, l'anecdote servant à illustrer le message, à édifier tout en distrayant.

Ainsi, la lecture des *Mémoires* de Muḥammad Kurd ʿAlī à travers cette catégorie du « témoin » renseigne autant sur le réseau de sociabilité de l'auteur ou sur les modes de transmission du témoignage que sur les faits ou les personnalités évoquées. L'intention sous-jacente à cette posture narrative (la volonté de réforme de la société, mais aussi le désir de Muḥammad Kurd ʿAlī de régler ses comptes avec ses anciens ennemis) enrichit le contenu de ces anecdotes du regard particulier de leur auteur. Quittant ses habits d'acteur, celui-ci fait preuve de ses dons d'observation et d'un art certain du portrait.

3. Un regard expert sur l'actualité des années 1951-1953

A travers la posture narrative du « publiciste », Muḥammad Kurd ʿAlī se retrouve dans la situation du patron de presse qu'il a été à la tête du journal *Al-Muqtabas*, entre 1908 et 1919 (avant d'en céder définitivement la direction à son frère Aḥmad) : investi d'une mission d'information, envisagée comme une forme d'éducation de l'opinion publique, l'auteur-narrateur s'appuie sur des faits d'actualité (contemporains de l'écriture de ses textes) pour livrer aux lecteurs un commentaire destiné à rendre celle-ci intelligible. Il n'est pas étonnant que les chapitres concernés par cette posture narrative relèvent du genre défini comme « journalistique » par les historiens (*adab al-maqāla*) : [53] détachés de ses *Mémoires*, la plupart de ces textes pourraient passer pour des articles, des brèves ou des éditoriaux de journaux quotidiens. Le choix des titres des chapitres de ces mémoires est assez révélateur, à cet égard, de l'expérience de leur auteur dans le journalisme : on y décèle une habileté particulière à trouver le bon mot ou la

53. Voir notamment Sami DAHHĀN, *op. cit.*

du singulier), participant ainsi à la construction de son image publique, celle qu'il a choisi de léguer à la postérité. Ces traits caractéristiques, relativement nouveaux à l'époque dans la littérature arabe, contribuent largement à la modernité de l'œuvre.

## 2. Un témoignage sur l'histoire et les hommes de la première moitié du vingtième siècle en Syrie et en Égypte

Le principal intérêt reconnu par les historiens aux mémoires consiste en leur valeur documentaire, comme témoignage sur des faits et des personnalités historiques contemporains de l'auteur. C'est ainsi que les *Mémoires* de Muḥammad Kurd ʻAlī ont été appréciées par les historiens surtout pour la richesse et l'originalité des anecdotes personnelles qu'ils contiennent. [52] Le cinquième volume s'inscrit bien en cela dans la lignée des quatre premiers tomes : la posture du « témoin » domine en effet dans 47 chapitres. A la différence des textes de la catégorie précédente, l'auteur-narrateur se situe ici quelque peu en retrait par rapport aux autres personnages, qui sont souvent au cœur du récit. Certains sont attaqués pour leurs vices ou leurs mauvaises actions : c'est le cas de Ǧamīl Mardam Bīk (chapitres C64, C99), de ʻĀdil Arslān (chapitre C48), du Ḥaǧǧ Amīn al-Ḥusaynī (chapitre C34), d' Aḥmad Amīn (chapitre C80) ou de Muṣṭafā al-Manfalūṭī (chapitre C72). D'autres, au contraire, font l'objet d'éloges de la part de Muḥammad Kurd ʻAlī : celui-ci rend ainsi hommage à Ḥusnī al-Zaʻīm (chapitres C47 et C48), à ʻĀrif Tawwām (chapitre C66), à Amīn Arslān (chapitre C92), à Aḥmad Šafīq al-ʻAzm et Ḥusnī Sabaḥ (chapitre C95), à Ḥasan al-Ḥakīm (chapitre C16), au magistrat Fā'iz al-Ġasīn (chapitre C28), à Maḥmūd Sāmī al-Bārūdī (chapitre C3) et à Mārūn ʻAbbūd (chapitre C5). L'auteur-narrateur salue généralement les talents d'innovation des hommes de lettres, l'œuvre réformiste des hommes politiques et l'action caritative des notables.

Ces témoignages sont parfois indirects, rapportés à Kurd ʻAlī par des tiers : l'auteur-narrateur cite ainsi des passages de ses lectures

52. Parmi les historiens qui se sont beaucoup appuyés sur ces mémoires, mentionnons : AL-ALŪSĪ, Ǧamāl ad-Dīn, *Muḥammad Kurd ʻAlī*, Bagdad, Dār al-šu'ūn al-ṯaqāfiyya al-ʻāmma, Āfāq ʻarabiyya, 1986, p. 245-285 ; HERMANN, Rainer, *Kulturkrise und konservative Erneuerung: Muhammad Kurd Ali (1876-1953) und das geistige Leben in Damaskus zu Beginn des 20. Jahrhunderts*, Heidelberg Orientalische Studien, Francfort, 1990 ; AL-NAFZĀWĪ, Muḥammad Nāṣir, *Muḥammad Kurd ʻAlī wa-qaḍiyyatu al-walā' al-siyāsī*, Tunis, Dār al-Ǧanūb li-l-našr, 1993.

vis-à-vis de la colonisation, tantôt admiratif à l'égard de la civilisation occidentale (chapitres 23, 33, C120). Mais on trouve également mises en œuvre dans ces textes de nouvelles présentations de soi : celle d'un homme prudent, soucieux de ne pas froisser ses amis (chapitres C10, C77, C138) ; celle d'un passionné de politique, qui a choisi de s'en écarter par hantise du mensonge (chapitre C101) ; celle d'un progressiste, également, attentif à la question sociale et à l'éducation des femmes (chapitre C130) ; celle, enfin, d'un homme ouvert aux critiques (chapitres 29, C103, C117). On ne peut s'empêcher de déceler dans les nouveaux traits de personnalité mis en avant par Muḥammad Kurd ʿAlī des formes de réponses aux critiques dont il fut l'objet suite à la parution des premiers volumes de ses *Mémoires* (en particulier, les accusations de misogynie, d'exagération et d'opportunisme politique). Ces différentes représentations de soi se rapprochent de la posture narrative du « réformiste » mise en évidence plus haut : elles s'en distinguent cependant dans la mesure où il s'agit, dans le premier cas, d'une image de soi telle qu'elle ressort d'un contenu narratif autobiographique et, dans le second cas, d'une perspective particulière adoptée dans le traitement de sujets de société.

Dans les chapitres où la posture « autobiographique » apparaît au second plan par rapport aux autres, le sujet abordé est mis en valeur par des exemples tirés de l'expérience personnelle de Muḥammad Kurd ʿAlī, qui renseignent par la même occasion sur les pratiques de lecture de l'auteur-narrateur (chapitre C86) ou sur son appréciation des moyens de transport et de communication modernes (chapitres 13, C127) ; dans d'autres cas, au contraire, l'aspect autobiographique émerge d'un récit entamé de façon neutre (par exemple, les chapitres 25 sur « les orientalistes arabisants », et C63 sur l'Académie arabe et le prix Nobel), mettant ainsi en lumière un processus original d'identification au sujet abordé, et partant, un projet autobiographique implicite (ici, l'assimilation à une communauté savante).

Ainsi, cette catégorie renseigne sur les formes de représentation de soi à l'œuvre dans ces mémoires et invite à réfléchir sur les spécificités de ce genre dans la littérature arabe contemporaine : certes, il est rare que ces récits soient intimistes (la famille de Kurd ʿAlī n'est abordée qu'à deux ou trois reprises, de façon presque allusive, dans ce cinquième tome), mais ils n'en sont pas moins autobiographiques dans la mesure où l'auteur-narrateur, identifié au personnage principal, se place au centre de l'histoire qu'il raconte (notamment par un usage fréquent de la première personne

**Tableau 2 : Détail des chapitres combinant deux ou plusieurs postures narratives (et nombre d'occurrences)** [1]

| Postures narratives principales / postures narratives secondaires | Autobiographe (12) | Témoin (31) | Publiciste (25) | Penseur réformiste (15) | Savant (21) |
|---|---|---|---|---|---|
| **Autobiographe (9)** | X | **13**<br>**15**<br>C4 | C127 | **C39**<br>**C40**<br>C86 | 25<br>C63 |
| **Témoin (24)** | C34<br>C95<br>C99 | X | 2<br>C64<br>C79<br>C80<br>C93<br>C140<br>C145<br>C146 | 9<br>C9<br>**C39**<br>**C40**<br>**C126** | 3<br>**22**<br>C3<br>C5<br>C72<br>C119<br>C123<br>C142 |
| **Publiciste (13)** | -- | 4<br>C24<br>C67<br>C68<br>C70 | X | 30<br>**C39**<br>**C40**<br>C106<br>**C126** | 1<br>C19<br>C42 |
| **Penseur réformiste (53)** | 23<br>C32<br>C35<br>C60<br>**C120**<br>C141 | 8<br>**13**<br>**15**<br>17<br>26<br>36<br>38<br>C7<br>C16<br>C23<br>C28<br>C29<br>C31<br>C33<br>C38<br>C46<br>C49<br>C51<br>C87<br>C121<br>C122<br>C135<br>C137 | 12<br>27<br>28<br>31<br>C12<br>C13<br>C15<br>C17<br>C50<br>C83<br>C102<br>C125<br>C132<br>C133 | X | 19<br>**22**<br>C14<br>C18<br>C26<br>C27<br>C37<br>C85<br>C96<br>C113 |
| **Savant (7)** | 29<br>C115<br>**C120** | -- | 18<br>C65 | **C39**<br>**C40** | X |

1. Le nombre d'occurrences de chacune des postures, principales et secondaires, est rappelé entre parenthèses sous les intitulés : il correspond au nombre de chapitres dans lesquels l'auteur-narrateur adopte telle ou telle posture. Les numéros en caractères gras indiquent la combinaison de plus de deux postures narratives au sein des chapitres correspondants.

**Tableau 1: Occurrences de chaque posture narrative, distinguées selon leur importance au sein de chaque chapitre (posture unique, principale ou secondaire)**

| Importance dans les chapitres concernés / Postures narratives | Posture unique | Détail des chapitres concernés | | Posture principale | Posture secondaire | Total |
|---|---|---|---|---|---|---|
| **Autobiographe** | 13 | 33<br>C10<br>C20<br>C53<br>C58<br>C77<br>C101 | C103<br>C117<br>C130<br>C131<br>C138<br>C143 | 12 | 9 | 34 |
| **Témoin** | 16 | C11<br>C47<br>C48<br>C61<br>C62<br>C66<br>C81<br>C92 | C97<br>C98<br>C100<br>C105<br>C110<br>C136<br>C139<br>C147 | 31 | 24 | 71 |
| **Publiciste** | 26 | 7<br>16<br>34<br>C22<br>C36<br>C41<br>C43<br>C57<br>C59<br>C69<br>C73<br>C74<br>C75 | C78<br>C82<br>C88<br>C91<br>C94<br>C104<br>C108<br>C109<br>C111<br>C118<br>C128<br>C129<br>C144 | 25 | 13 | 64 |
| **Penseur réformiste** | 17 | 6<br>10<br>11<br>14<br>20<br>37<br>C8<br>C30<br>C45 | C52<br>C56<br>C84<br>C89<br>C90<br>C116<br>C124<br>C134 | 15 | 53 | 85 |
| **Savant** | 19 | 5<br>21<br>24<br>32<br>35<br>39<br>C1<br>C2<br>C6<br>C21 | C25<br>C44<br>C51<br>C55<br>C71<br>C76<br>C107<br>C112<br>C114 | 21 | 7 | 47 |

adopté ici correspond à une distanciation croissante du narrateur vis-à-vis de l'histoire qu'il raconte (ou du sujet qu'il aborde). La distinction entre les trois dernières postures, pourrait sembler quelque peu arbitraire (toutes trois impliquant un auteur-narrateur hétérodiégétique, dont le discours est celui d'un « éducateur ») : elle se justifie néanmoins par les différences des sujets abordés et des perspectives envisagées, correspondant à des spécialisations particulières de l'homme de lettres syrien au XXe siècle (il s'agit respectivement d'éclairer le lecteur sur l'actualité, de lui inculquer certaines valeurs morales, et de lui transmettre certains savoirs).

### *C. Lectures de l'œuvre au miroir des postures narratives adoptées par l'auteur*

Les cinq catégories mises en évidence, de façon quelque peu empirique, par l'analyse des relations de l'auteur-narrateur avec l'histoire racontée, offrent un outil d'interprétation historique des *Mémoires* de Muḥammad Kurd ʻAlī à travers cinq angles de lecture. Ces différents points de vue, qui expriment également différents traits caractéristiques de la personnalité de Kurd ʻAlī, devraient permettre de dégager l'intérêt historique de cette œuvre autobiographique. L'auteur n'a-t-il pas cherché, à travers ses *Mémoires*, à faire se rapprocher la petite et la grande histoire ? Selon cette approche, le récit multiforme de Muḥammad Kurd ʻAlī constitue une source de choix pour l'histoire de la société syrienne de la première moitié du XXe siècle, mais aussi pour l'histoire des idées, des représentations, des mentalités et des savoirs qui ont circulé dans ce cadre. Afin de dégager les apports des différents points de vue adoptés dans cette œuvre, nous nous intéresserons aux thèmes associés à chacune des postures narratives, puis aux nuances apportées par leur combinaison, en empruntant des exemples dans le texte.

#### 1. Muḥammad Kurd ʻAlī par lui-même

Dans les chapitres dominés par la posture « autobiographique », l'auteur-narrateur se présente sous des traits familiers, déjà présents dans les premiers tomes de ses *Mémoires*, et même, dès l'incipit : l'image de l'intellectuel engagé contre la corruption de la société (chapitre C10) ; celle de l'homme amer, déçu par ses contemporains (chapitres C20, C35, C131, C141) ; celle de l'éducateur paternaliste investi d'une mission d'éducation du petit peuple (chapitre C95) ; et celle du réformiste arabe, tantôt critique

différents critères envisagés plus haut, et que nous appellerons « postures narratives ». Celles-ci peuvent être adoptées au sein de chaque chapitre, soit comme posture unique, soit comme posture principale ou secondaire si elles sont associées à d'autres. [51]

1. La posture « autobiographique » : posture analysée plus haut selon laquelle l'auteur-narrateur est autodiégétique, présent dans l'histoire comme personnage principal, le plus souvent comme acteur positif ou « héros ». Selon cette posture, l'auteur-narrateur peut soit se situer dans une perspective strictement autobiographique, voir apologétique, soit donner à ses expériences personnelles une valeur d'exemple, au service d'une démonstration.
2. La posture du « témoin » : posture selon laquelle l'auteur-narrateur est soit homodiégétique, présent dans l'histoire comme personnage secondaire et témoin direct des faits rapportés, soit hétérodiégétique mais rapportant le témoignage d'un tiers et donc, témoin indirect. L'auteur-narrateur a ici pour fonction de transmettre des anecdotes originales, souvent connues de lui seul ou de quelques personnes.
3. La posture du « publiciste » : posture selon laquelle l'auteur-narrateur est hétérodiégétique, commentant des faits d'actualité qu'il a généralement lus dans les journaux (dont il cite la source). L'auteur-narrateur est ici investi d'une mission d'information.
4. La posture du « penseur réformiste » : posture selon laquelle l'auteur-narrateur est hétérodiégétique, évoquant de façon critique des thèmes de société, avec une intention moralisatrice et réformatrice. Il est investi dans ce cas d'une mission d'éducation, d'une fonction de direction morale.
5. La posture du « savant » : posture selon laquelle l'auteur-narrateur est hétérodiégétique, adoptant une attitude académique, avec un souci de neutralité (ou d'objectivité) à l'égard des faits qu'il rapporte. Il est ici investi d'une mission de transmission du savoir.

Notons qu'à ces catégories correspondent des usages différenciés de la première personne, fréquents dans les deux premiers cas, rares et limités à la première personne du pluriel en ce qui concerne la dernière, aléatoires dans les autres cas. On peut estimer que l'ordre de présentation des catégories

51. Les tableaux reproduits plus bas associent à chaque chapitre, soit une posture narrative unique, soit une combinaison d'au moins deux postures narratives, en distinguant dans ce dernier cas, au sein de chaque combinaison, une posture principale et une ou plusieurs postures secondaires. Voir p. 44-45.

place comme personnage principal) et, d'autre part, les types de relations établies entre l'auteur-narrateur et l'histoire qu'il raconte. A cet effet, nous nous sommes intéressé, dans un premier temps, et ceci pour chaque chapitre de ce cinquième tome, à la fois à l'usage de la première personne (du singulier ou du pluriel) – et, accessoirement, de la deuxième personne - et à l'identité (ou l'absence d'identité) de l'auteur-narrateur avec l'un des personnages de l'histoire.

Notre premier souci a été d'établir une distinction formelle entre les chapitres qui relèvent du genre autobiographique, et ceux qui ne s'y rattachent pas, afin d'évaluer la dimension (ou la part) autobiographique de l'œuvre. Nous avons considéré comme « autobiographiques » les chapitres dans lesquels l'auteur-narrateur apparaît comme le personnage principal (voire, comme l'un des personnages principaux) de l'histoire (narrateur autodiégétique) : cette situation nous a semblé réalisée dans 34 chapitres de ce cinquième tome (sur 186). [50]

De l'analyse des 152 chapitres restants, il ressort un éventail important de situations, selon que l'auteur-narrateur est présent dans l'histoire qu'il raconte (narrateur homodiégétique) ou absent de celle-ci (narrateur hétérodiégétique). Dans le premier cas, l'auteur-narrateur peut être personnage secondaire ou simple témoin de l'histoire. Dans le second cas, l'auteur-narrateur, sans être présent dans l'histoire principale, peut s'en faire le commentateur critique ou, plus simplement, le rapporteur (témoin indirect), la situation dans laquelle l'histoire lui a été rapportée constituant par ailleurs un premier niveau diégétique (une première « histoire ») où il peut apparaître. De plus, même extérieur à l'histoire, l'auteur-narrateur peut se manifester indirectement, à travers le traitement subjectif d'un sujet en apparence « neutre ». L'étude de la fréquence des occurrences de la première personne peut également mettre en évidence des différences qualitatives dans le rapport de l'auteur-narrateur avec l'histoire qu'il raconte. Le croisement de ces différents critères (usage de la première personne ; identité/absence d'identité entre l'auteur, le narrateur et l'un des personnages ; point de vue adopté vis-à-vis de l'histoire ; sujets abordés) révèle ainsi une multiplicité de situations, selon les chapitres.

Sans entrer dans le détail de ces situations narratives, il nous a semblé possible, dans un second temps, de proposer cinq types principaux de relations entre l'auteur-narrateur et les histoires racontées dans chaque chapitre, définissant empiriquement des catégories, qui mêlent les

---

50. Voir le détail de ces chapitres dans les tableaux 1 et 2 ci-dessous.

illustrent la complexité de l'œuvre et du projet qui la porte. D'autant plus que l'on peut déceler dans l'œuvre des motivations inexprimées, traduisant l'existence d'un projet autobiographique implicite : un désir de réhabilitation suite aux critiques dont Muḥammad Kurd 'Alī a été l'objet pour son rôle politique au cours de la Première Guerre mondiale et à l'époque du Mandat français en Syrie ; une dimension apologétique, avec le désir d'être reconnu parmi les savants.[47]

L'évolution et la diversité des significations, explicites ou implicites, attachées à cette œuvre invitent à la soumettre à une analyse critique interne. L'étude de la place du narrateur dans le récit semble un biais intéressant à cet égard, dans la mesure où il peut permettre de préciser les perspectives particulières adoptées par l'auteur-narrateur à l'égard de l'histoire qu'il raconte.

### *B. Analyse des relations entre l'auteur-narrateur et l'histoire*

Il s'agit ici de s'intéresser au récit, selon ses trois acceptions rappelées par Gérard Genette (« signifiant, énoncé, discours ou texte narratif », « contenu narratif, succession d'événements qui font l'objet du discours » et « acte d'énonciation qui produit l'énoncé »), et de se concentrer sur les relations entre, d'une part, le narrateur (celui qui raconte) et l'énoncé narratif (auquel Genette restreint l'usage du terme « récit ») et, d'autre part, l'histoire (le contenu narratif), ceci à travers les notions de « voix » (en particulier, la présence du narrateur dans l'histoire) et de « mode » (la distance et la perspective adoptées vis-à-vis de l'histoire), mais aussi à travers les sujets abordés dans l'histoire. [48] Dans le cas des *Mémoires* de Muḥammad Kurd 'Alī, nous avons vu que l'identité entre l'auteur, le narrateur et le personnage principal était réalisée dès l'incipit, ce qui tendrait à rattacher l'œuvre dans son ensemble au genre autobiographique, bien qu'elle n'insiste pas sur la vie individuelle de son auteur, comme le requiert la définition donnée par Philippe Lejeune. [49] La difficulté à définir le statut générique de cette œuvre, ainsi que son découpage particulier en chapitres relativement autonomes les uns par rapport aux autres, invite à envisager ceux-ci individuellement afin de préciser pour chacun, d'une part, la place de l'auteur-narrateur au sein de l'histoire (et, en particulier, sa

47. Voir plus haut, note n° 43.

48. Cf. GENETTE, Gérard, *Figures III*, Paris, Seuil, 1972, p. 72, 183-224 et 225-267.

49. *Op. cit.*

chronologique du récit : elle privilégie plutôt la dimension publique du personnage de Kurd ʻAlī et semble enregistrer les souvenirs de l'auteur dans l'ordre où ils se sont présentés à sa mémoire.

Les critiques, assez vives parfois, adressées aux *Mémoires* de Muḥammad Kurd ʻAlī, suite à la publication des deux premiers tomes en 1948, permettent de déceler indirectement la nouveauté de l'œuvre. [45] Elles concernent parfois la forme, notamment son caractère anecdotique ou « superficiel », l'absence de récit chronologique, ou le style « journalistique » ou populaire, qui la rapprocheraient des œuvres de fiction (tels que les romans-feuilletons, qui se diffusent largement en Égypte à la même époque). L'essentiel des critiques de l'œuvre se concentre cependant sur le fond, en particulier sur les attaques dirigées contre certaines personnalités arabes, martyrs de la Première Guerre mondiale, hommes politiques ou écrivains : ces critiques sont jugées excessives, déplacées, déloyales (car l'auteur est à la fois juge et partie) et dominées par les sentiments personnels. Le caractère polémique de certains chapitres des *Mémoires* entache aux yeux des critiques l'ensemble de l'œuvre, et la personnalité même de Muḥammad Kurd ʻAlī, accusé de mauvaises manières ou de défaillance de jugement.

Plutôt que d'exercer son droit de réponse dans la presse, Muḥammad Kurd ʻAlī a choisi de donner la répartie à ces critiques dans les tomes suivants de ses *Mémoires*. Dans le cinquième tome, à nouveau, deux chapitres sont réservés à cette intention (chapitres C103 et C117)[46] : l'auteur y assume ses attaques personnelles, jugées nécessaires et salutaires, rappelle qu'il fait œuvre réformiste en cherchant à débarrasser la société de ses parasites, et que le remède peut parfois paraître amer. Mais surtout, il précise le sens de son œuvre : il n'a pas voulu écrire une œuvre historique, mais une œuvre différente des précédentes, sans pour autant verser dans la fiction et le sentimentalisme ; il a adopté la position du témoin, plus que celle de l'acteur, et c'est à ce titre qu'il s'est permis d'émettre des opinions critiques ; il assume cependant le passage d'une écriture « objective » à une écriture « personnelle ». Ces positions apparemment contradictoires

45. Voir notamment les articles suivants : AMĪN, Aḥmad, « *Muḏakkirāt al-ustāḏ Muḥammad Kurd ʻAlī* », dans *Al-Ṯaqāfa*, Le Caire, vol. 2, n° 452 (1949), p. 6-9 ; al-AṮARĪ, Muḥammad Bahğat, « *Al-Muḏakkirāt* », dans *Revue de l'Académie irakienne*, vol. 1 (1950), p. 349-356 ; al-SAKĀKĪNĪ, Widād, « *Ḥawla al-Muḏakkirāt* », dans *Al-Kitāb*, vol. 11, n° 5 (mai 1952), p. 610-612.

46. Chapitres intitulés « *Naqd adība* » (critique d'une femme de lettres) et « *Ra'yun fī al-Muḏakkirāt* » (un avis sur les *Mémoires*).

rapport aux précédents écrits de Kurd ʿAlī, et sa modernité dans le paysage intellectuel syrien, au milieu du XXe siècle.

L'analyse de l'incipit du premier tome des *Mémoires* de Muḥammad Kurd ʿAlī, sur laquelle nous ne nous étendrons pas ici, [43] met en évidence la richesse du projet autobiographique proposé, et les difficultés de classification de l'œuvre, entre autobiographie, témoignage et ouvrage didactique. En effet, l'auteur y propose un pacte autobiographique en bonne et due forme, incluant une profession de foi quant à la sincérité de son récit, une identité de l'auteur au narrateur et de celui-ci au personnage principal, perceptible à travers l'usage abondant de la première personne (qui renvoie au nom de l'auteur figurant sur la couverture). Par ailleurs, il met en scène un lecteur idéal (« les enfants de cette génération et ceux de la suivante »), il annonce une double motivation, personnelle (répondre à ceux qui l'ont offensé) et collective (réformer la société en dénonçant certains vices), et un style plus libre, détaché des contraintes conventionnelles. Surtout, il définit son œuvre successivement par les termes de « mémoires » (*muḏakkirāt*) ou « mémoires personnelles » (*muḏakkirāt šaḫsiyya*), « ébauches de soi » (*irtisāmāt*), ou encore « recueil de notes » (*taqyīd*), de même qu'il se présente sous les images contradictoires de l'homme ordinaire, de l'intellectuel engagé, du justicier et de l'homme en fin de vie, qui n'a plus rien à perdre, laissant ainsi entrevoir la diversité des perspectives envisagées dans son récit. De fait, ces différents aspects se retrouvent tant dans les quatre premiers tomes de ses *Mémoires*, que dans ce volume : Kurd ʿAlī poursuit son œuvre « salvatrice » en attaquant ouvertement certains notables et conserve généralement une attitude de conseil vis-à-vis de son lectorat, multipliant les recommandations morales à la fin des chapitres qui le composent. Notons que cette œuvre, à la différence de l'autobiographie telle qu'elle fut définie par Philippe Lejeune, [44] n'insiste pas sur la genèse de la personnalité de l'auteur, s'ouvre peu à l'univers de l'intime (la famille, en particulier les femmes, sont rarement évoqués au-delà des années d'enfance) et s'écarte rapidement d'une organisation

43. Elle fait l'objet d'un long développement dans notre contribution sur « L'analyse narratologique des récits autobiographiques au service de nouvelles interprétations historiques : l'exemple des Mémoires (Al-Muḏakkirāt) de Muḥammad Kurd ʿAlī », à paraître dans les Actes du colloque « Autobiographies arabes du *Bilād aš-Šām* : objets d'études et sources de la recherche en sciences humaines », organisé à l'IFPO (Damas) les 19 et 20 juin 2007.

44. Cf. LEJEUNE, Philippe, *Le pacte autobiographique*, Paris, Seuil, 1996 [1975], p. 14.

« journalistique » (*uslūb ṣaḥafī*).[40] Cette classification, qui tient à la brièveté de la majorité des chapitres, et à leur contenu souvent informatif, pourrait s'appliquer à une partie de ce cinquième tome, et témoigne également du caractère novateur de l'œuvre. Notons cependant que l'influence occidentale revendiquée par Muḥammad Kurd 'Alī lui-même, en marge de l'incipit de ses *Mémoires*, s'applique plutôt à l'usage qu'il fait de la première personne :

> « J'avais l'intention de ne pas parler de moi dans ces mémoires, et de ne pas écrire 'j'ai dit ceci' ou 'j'ai fait cela'. On m'excusera de ne pas m'y être tenu, dans la mesure où l'essentiel de ce que je rapporte ici provient de ce que j'ai entendu, vu ou compris, et qu'il était difficile de ne pas évoquer en même temps la personne qui a entendu, vu et compris. On me pardonnera sans doute cette façon de procéder quand on saura que je n'en suis pas l'inventeur, mais que j'ai suivi dans l'écriture de ces lignes le chemin emprunté par mes prédécesseurs occidentaux. »[41]

Il est difficile de déterminer précisément à quels auteurs il est fait allusion ici, mais l'on sait que Muḥammad Kurd 'Alī était amateur des écrits de Jean-Jacques Rousseau (dont les *Confessions* sont considérées comme l'ouvrage fondateur de l'autobiographie moderne), et d'Anatole France : celui-ci fait l'objet dans ce volume d'un long chapitre, reprenant le texte d'un article que Kurd 'Alī lui avait consacré dans la *Revue de l'Académie Arabe de Damas* en 1931, et pour lequel il avait abondamment puisé dans les ouvrages consacrés à l'auteur de *Thaïs* par Nicolas Ségur et Jean-Jacques Brousson. En rapportant au style direct leurs conversations avec Anatole France et en usant amplement de la première personne, ces derniers situaient leurs œuvres à mi-chemin entre biographie et autobiographie.[42]

Au-delà de la question des influences littéraires de Muḥammad Kurd 'Alī dans l'écriture de ses *Mémoires*, l'examen de son projet autobiographique initial (et de ses réminiscences dans le cinquième tome), de même que l'analyse des critiques de ses contemporains (et des réponses qu'y oppose l'auteur) permettent de saisir l'originalité de l'œuvre par

40. Voir Sāmī al-DAHHĀN, *op. cit.*, et 'ABD AL-SAṬṬĀR, Mu'ayyad, *al-sīra al-ḏātiyya, dirāsa naqdiyya*, Uddevalla, 1996, p. 119 (cité par Tetz Rooke, *op. cit.*).

41. *Al-Muḏakkirāt*, t.1, 1948, p. 3.

42. Voir le chapitre 39 de ce volume : « *Maǧālis Anātūl Frāns* » (Les salons d'Anatole France), et les références de ces ouvrages dans l'index *ad hoc*.

pour reconnaître au genre des mémoires en général (*al-muḏakkirāt*), et à l'œuvre de Muḥammad Kurd 'Alī en particulier, les attributs d'une modernité d'inspiration occidentale. Bien que l'on puisse y déceler des origines endogènes, telles que les notes rédigées sous ce nom (*muḏakkira*, pl. *muḏakkirāt*) par les juristes arabes, résumant les arguments d'une des parties en procès, afin de faciliter le travail des magistrats, les nombreuses traductions en arabe de mémoires d'auteurs occidentaux, à partir du XIXe siècle, semblent avoir largement contribué au développement du genre (*adab al-muḏakkirāt*), à sa formalisation dans les années 1930, et à son apogée au milieu du XXe siècle.[38] De fait, on peut constater l'effervescence éditoriale entourant ce genre littéraire dans le monde arabe, en particulier au Machrek, à l'époque même où Kurd 'Alī publie ses *Mémoires* : citons comme exemples la publication concomitante des mémoires d'Aḥmad Amīn, de Faḫrī al-Bārūdī, de 'Abd al-Raḥmān al-Rāfi'ī, de Fatḥallah Saqqāl, d'ailleurs évoqués par Muḥammad Kurd 'Alī dans ce volume, ainsi que la composition par Muḥsin al-Amīn, en 1951-1952, d'un volume autobiographique concluant la série des volumes de son dictionnaire bio-bibliographique (*A'yān al-šī'a*).[39]

Curieusement, certains historiens rattachent plutôt cette œuvre au genre de l'article de presse (*adab al-maqāla*), dans lequel ils classent également les récits de voyage de Muḥammad Kurd 'Alī (sortes de compilations de reportages, à la manière des ouvrages d'Albert Londres), et ses compilations d'articles ; d'autres évoquent à son sujet un style

---

PHILIPP, Thomas, « The Autobiography in Modern Arab Literature and Culture », *Poetics Today*, 14 : 3 (automne 1993), p. 573-604.

38. Voir le rappel des origines étymologiques et historiques des *Muḏakkirāt* par 'Adnān al-ḪAṬĪB, dans *Muḥammad Kurd 'Alī : mu'assis al-maǧma' al-'ilmī al-'arabī*, *op. cit.*, et l'histoire du développement de ce genre dans PHILIPP, Thomas, *op. cit.*

39. Les références de ces ouvrages se trouvent dans l'index *ad hoc* en arabe. Quant à l'autobiographie de Muḥsin al-Amīn, elle a fait l'objet d'une édition en arabe et d'une traduction annotée en français : voir AL-AMĪN, Hayṯam et MERVIN, Sabrina (eds), *Sīrat al-sayyid Muḥsin al-Amīn*, Beyrouth, Riad al-Rayyes Books, 2000 ; et AL-AMĪN, Muḥsin, *Autobiographie d'un clerc chiite du Ǧabal 'Āmil*, traduction et annotations par Sabrina Mervin et Haïtham Al-Amin, Damas, IFEAD, 1998. Notons que Muḥsin al-Amīn (1867-1952) était membre de l'Académie arabe de Damas présidée par Muḥammad Kurd 'Alī, et que son œuvre autobiographique semble avoir été influencée par le style personnel adopté par celui-ci dans ses *Mémoires*.

Kurd 'Alī consacra un ouvrage bio-bibliographique (ou *kitāb al-tarāǧim*) sous ce titre (*Umarā' al-bayān*, 1937). Selon Tetz Rooke, [35] les *Mémoires* de Muḥammad Kurd 'Alī se rattachent nettement à ce courant littéraire classique, à travers un certain nombre de caractéristiques, telles que la diversité des formes littéraires employées (du récit historique aux aphorismes, en passant par les portraits, les anecdotes personnelles ou les réflexions philosophiques), la variété des thèmes abordés, l'esprit critique qui en émane, la double vocation didactique et ludique, l'usage d'un style littéraire élégant, l'absence de plan ou de chronologie dans l'organisation du récit, et le regard élitiste (on pourrait dire, paternaliste) jeté sur la société de son temps. Signalons que Kurd 'Alī revendique à plusieurs reprises cette source d'inspiration, en faisant de multiples références à l'œuvre de ces maîtres dans ses *Mémoires*, y compris dans ce cinquième tome. [36] Ce volume reste également marqué dans sa forme, comme les précédents tomes, par les traits caractéristiques mentionnés ci-dessus : des chapitres majoritairement courts et autonomes les uns par rapport aux autres, sans ordre chronologique ou thématique précis, abordant des sujets variées avec la volonté manifeste d'instruire et de distraire, à travers des récits anecdotiques contenant généralement une leçon morale (*'ibra*).

Toutefois, les *Mémoires* de Muḥammad Kurd 'Alī se démarquent de ce modèle en le renouvelant, par un ton nettement plus personnel : les leçons morales contenues ici s'appuient souvent sur des événements vécus par l'auteur, ou dont il a été témoin, ou encore sur des informations d'actualité véhiculées par la presse. La question de son rattachement au genre autobiographique peut poser question, si l'on s'en tient à une définition restrictive du genre impliquant, outre l'identité de l'auteur au narrateur, et de celui-ci au personnage principal, l'adoption d'un récit chronologique et l'insistance sur la genèse de la personnalité, ou sur la valeur de l'expérience individuelle. [37] Cependant, les critiques contemporains de Kurd 'Alī, comme les historiens de la littérature arabe, se sont accordés

---

35. Cf. ROOKE, Tetz, "The Influence of *adab* on the Muslim Intellectuals of the *Nahda* as Reflected in the Memoirs of Muhammad Kurd 'Ali (1876-1953)", dans UTVIK, Bjørn Olav and VIKØR, Knut S. (éd.), *The Middle East in a Globalized World*, Bergen, Londres, 2000, p. 193-219.

36. Voir notamment le chapitre intitulé « *al-Hazl fil-ǧidd* » (chap. C2) dans lequel il définit une catégorie littéraire que l'on pourrait rapprocher de l'ironie, ou de la satire.

37. Définition de l'autobiographie donnée par Philippe Lejeune dans *Le pacte autobiographique*, et reprise par Thomas Philipp pour l'autobiographie arabe. Cf.

mois de sa vie : l'actualité lui apporte en effet chaque jour de nouveaux éléments et il lui est difficile d'arrêter une opinion sur un processus en cours. Au début de l'année 1953, encore, suite à l'arrestation de 'Adnān al-Mālikī et d'un certain nombre d'officiers, de politiciens et d'intellectuels, accusés de comploter contre le pouvoir, trois des anciens alliés de Šīšaklī, Akram al-Hawrānī, Michel 'Aflaq et Ṣalāḥ ad-Dīn al-Bīṭār, s'enfuient au Liban :[34] la situation politique, instable, ne se prête pas à la publication d'un nouveau livre de mémoires.

## IV- EXPLORATION DE L'ŒUVRE : QUELQUES ÉLÉMENTS D'ANALYSE LITTÉRAIRE ET HISTORIQUE

L'œuvre de Muḥammad Kurd 'Alī, comme nombre de mémoires de ses contemporains publiés à la même époque, est une œuvre complexe, traversée d'influences multiples et au confluent de différents genres. Polémique en raison de ses attaques frontales contre certaines personnalités, elle suscita de nombreuses critiques, qui amenèrent Muḥammad Kurd 'Alī à tenter de se justifier et à préciser son projet autobiographique, déjà annoncé en ouverture du premier tome : ce volume contient à cet égard des passages très éclairants, dans lesquels l'auteur reproduit certaines critiques et s'offre un droit de réponse. L'analyse de ces passages autoréférentiels met en évidence l'évolution de l'œuvre par rapport au projet initial et certaines contradictions, qui laissent deviner un projet implicite, plus apologétique. L'analyse de la place du narrateur dans ce récit multiforme permet d'en préciser le sens, les motivations, et de révéler, outre la dimension autobiographique de l'oeuvre, la coexistence de différentes postures narratives en son sein. La définition de telles catégories offre une grille de lecture et d'interprétation historiques de ces mémoires, à plusieurs niveaux.

### *A. Une œuvre évolutive, entre tradition et modernité*

Les *Mémoires* de Muḥammad Kurd 'Alī, avant d'être une œuvre autobiographique au sens moderne du terme, s'inscrivent dans une tradition littéraire arabe classique, celle des belles-lettres profanes, des œuvres à la fois distrayantes et édifiantes, une branche (plus qu'un genre) développée sous le nom d'*adab* ou *adabiyyāt* par les « princes de l'éloquence » que furent Ibn al-Muqaffa', al-Ǧāḥiẓ ou al-Tawḥīdī, et auxquels Muḥammad

34. Cf. P. SEALE, *op. cit.*, p. 127.

réformes agraires et la lutte contre les grands propriétaires terriens (menée notamment par Akram al-Ḥūrānī, l'un des principaux alliés de Šīšaklī) sont autant de mesures que Kurd 'Alī reprend à son compte, directement ou indirectement, dans différents passages de ce volume. [33]

Un autre événement du contexte politique régional est assez présent dans ce cinquième tome des *Mémoires* pour être souligné ici : il s'agit du coup d'Etat des officiers libres en Égypte, le 23 juillet 1952. Celui-ci fait l'objet de quatre des derniers chapitres de ce volume (chapitres C143 à C146) et Muḥammad Kurd 'Alī, qui connaît bien l'Égypte pour y avoir résidé avant la révolution jeune-turque et pour s'y rendre régulièrement dans le cadre des séances de l'Académie arabe du Caire, y manifeste clairement son enthousiasme vis-à-vis des réformes progressistes menées par le nouveau régime, dirigé par le général Muḥammad Naǧīb. Or, le colonel Šīšaklī fut parmi les premiers dirigeants à féliciter ce dernier, et à lui rendre visite dès le mois de décembre 1952, avant que l'Égypte ne nomme 'Alī Naǧīb, le propre frère du général égyptien, ambassadeur en Syrie. Muḥammad Kurd 'Alī, qui a pourtant été proche du roi Fārūq en son temps, se situe donc tout à fait, à cet égard, dans la ligne politique du pouvoir syrien. Il en va de même lorsqu'il reprend les grands thèmes du nationalisme arabe de cette époque, tels que l'indépendance vis-à-vis des puissances étrangères et le soutien au processus de décolonisation en Afrique du Nord.

Dans l'ensemble, on peut donc avancer l'idée que Muḥammad Kurd 'Alī écrit ce dernier tome de ses *Mémoires* dans un contexte politique, en Syrie mais aussi en Égypte et au Liban, qui l'enthousiasme en raison de l'atmosphère de changement et des réformes progressistes qui l'accompagnent. Rétrospectivement, le régime parlementaire des notables lui apparaît sclérosé, et il rejoint bien en cela l'opinion des jeunes générations et des nouvelles catégories sociales, auxquelles ses *Mémoires* sont destinées. Si Muḥammad Kurd 'Alī a ajourné la publication de ses *Mémoires*, s'en tenant à une position attentiste, cela pourrait sans doute aussi s'expliquer par la précipitation des événements au cours des derniers

33. Voir notamment le chapitre C67 sur les réformes agraires, dans lequel Kurd 'Alī manifeste son approbation en estimant qu'un régime personnel « raisonnable » est plus efficace qu'un régime constitutionnel sclérosé, citant à l'appui les exemples des gouvernements de Ḥusnī al-Za'īm et Adīb al-Šīšaklī. Par ailleurs, un document du corpus (dossier n° 26), s'appuyant sur des coupures de presse et intitulé « *al-Ṯawra al-rābi'a* » (La quatrième révolution), était en préparation, mais son état inachevé ne nous a pas permis de le publier ici.

que différents leaders du Parti du Peuple, entrés en conflit avec lui. A la suite de ce nouveau putsch, le Président de la République de l'époque, Hāšim al-Atāsī, présente sa démission et le colonel Adīb al-Šīšaklī assume alors la réalité des pouvoirs exécutif et législatif, tout en déléguant à Fawzī Silū les fonctions de Chef de l'État, de Premier ministre et de ministre de la Défense. Une bonne partie des chapitres de ce cinquième tome, écrits durant la phase parlementaire, étaient difficilement publiables dans le nouveau contexte qui vit notamment l'interdiction des partis en Syrie, l'instauration d'une censure de la presse, l'épuration de l'administration, de l'armée et de l'université, et l'interdiction de tout contact direct avec l'étranger pour les membres de l'Académie arabe de Damas (comme ceux de l'université et du service des Antiquités). [32]

Dans ce contexte, on peut comprendre que le président de l'Académie arabe de Damas, qui avait déjà eu l'expérience de tels durcissements politiques par le passé (notamment sous la dictature des Jeunes-Turcs, pendant la Première Guerre mondiale), ait retrouvé des réflexes de prudence. On peut interpréter ainsi l'ajournement de la publication de ce dernier tome de ses *Mémoires*, et le choix alternatif de n'en publier que quelques chapitres sans tonalité politique, dans la *Revue de l'Académie Arabe de Damas*. Muḥammad Kurd ʻAlī a sans doute préféré attendre de lire les premiers effets des réformes économiques et sociales entreprises par le nouveau régime, et de retrouver une certaine liberté de parole, pour afficher ses opinions tout en restant en phase avec son temps. Parmi les notables de la période parlementaire écartés par Šīšaklī, Muḥammad Kurd ʻAlī comptait certes des ennemis, mais également des amis, comme Hāšim al-Atāsī, Ḥasan al-Ḥakīm (dont il prend la défense au chapitre C16), et dans certains passages de ce volume, il fait l'éloge du Parti du peuple (chapitre 36) et réhabilite l'association des Frères musulmans (chapitre C40 [p.9]), deux organisations politiques interdites par le nouveau régime. Pour ces raisons, et malgré son grand âge, son autorité morale, et ses amitiés avec des personnalités telles que Fāris al-Ḫūrī (alors délégué de la Syrie à l'ONU, puis ambassadeur à Londres, et apprécié de Šīšaklī), Muḥammad Kurd ʻAlī n'aurait sans doute pas eu l'autorisation de publier le cinquième tome de ses *Mémoires* en 1952-1953. Pourtant, le corpus de textes que nous publions porte la marque des réformes entreprises par le nouveau régime : l'interdiction des jeux de hasard, l'épuration de l'administration, les

---

32. Cf. SEALE, Patrick, *The Struggle for Syria : A Study of Post-war Arab Politics, 1945-1958*, Oxford University Press, 1965, p. 84-131.

l'introduction manuscrite est datée du 12 août 1952).[30] Ce double chantier pourrait bien s'expliquer par le partage que Muḥammad Kurd 'Alī faisait de son temps depuis la construction de sa maison secondaire à Ǧisrīn, village de la Ghouta de Damas, en 1940 : en effet, notre auteur passait alternativement 15 jours par mois à Damas, entre sa maison du quartier de Rawḍa et la madrasa Al-'Ādiliyya, siège de l'Académie arabe dont il assumait toujours les fonctions de président, animant ses séances et dirigeant la publication de sa revue trimestrielle, et 15 jours à Ǧisrīn, où il recevait ses proches et ses amis, tout en continuant à travailler, animant ce qu'il appelait son « conseil des ministres » avec quelques élèves du village qu'il avait pris sous sa protection, et préparant ses publications. [31] On peut concevoir qu'il ait mené son activité d'édition à Damas, dans un cadre académique, et qu'il ait réservé l'écriture de ses *Mémoires* au cadre plus informel de sa maison de campagne. Nous savons que Muḥammad Kurd 'Alī était malade au cours des derniers mois de sa vie, et qu'il éprouvait des difficultés à écrire, mais il semble qu'il n'ait eu recours aux services d'un secrétaire-dactylographe que dans le cadre de l'Académie arabe. C'est ainsi qu'on l'imagine à la fin de sa vie, se levant très tôt, continuant à dévorer la presse quotidienne, les revues et les derniers ouvrages parus, lisant son courrier ou écoutant les histoires que lui rapportaient ses amis - parmi lesquels Fāris Al-Ḫūrī et Ḫalīl Mardam Bīk, écrivant ses *Mémoires*, relisant les épreuves et ébauchant un sommaire, travaillant jusqu'au bout avec acharnement.

### *C. Contexte politique*

Muḥammad Kurd 'Alī a également écrit (ou dicté) l'essentiel du dernier tome de ses *Mémoires*, entre 1951 et 1953, dans un contexte politique particulier, dont l'œuvre comporte quelques traces. Il s'agit, en Syrie, de la fin de la période « parlementaire » du régime instauré par le colonel Adīb al-Šīšaklī (suite au renversement de Sāmī al-Ḥinnāwi, lors du coup d'Etat du 19 décembre 1949) et des débuts de sa dictature, inaugurée par un quatrième coup d'État, le 29 novembre 1951 : à cette date, Šīšaklī (alors Chef d'État-major de l'armée) fait emprisonner le Premier ministre, Ma'rūf al-Dawālībī, et la plupart de ses ministres ainsi

30. Voir note n° 16, p. 19.

31. Entretien personnel de l'éditeur avec M. 'Abd al-Mālik al-Ḥumṣī, qui comptait parmi ces élèves, Ǧisrīn, 22 mai 2004. Voir également les témoignages des proches de Kurd 'Alī dans D. CHEVALLIER et J. MONTALBETTI, op. cit.

mort de Kurd ʿAlī (gouvernement du 11 février au 9 septembre 1952) ; le chapitre C40 se situe après « la dernière guerre de Corée » (soit, après le cessez-le-feu du 10 juillet 1951) et avant la révolution de juillet 1952 en Egypte, etc.

Les exemples de ce type de datation (par les sources ou par les faits historiques contemporains de l'écriture) sont nombreux et permettent, avec les éléments précédemment mis en évidence, de dater l'écriture de l'essentiel du corpus de ce cinquième tome (si l'on exclut les textes des 4 articles imprimés et des 2 conférences, qui représentent tout de même à eux seuls 115 pages du corpus) entre le milieu de l'année 1951 et l'automne 1952. En effet, si l'on part de l'hypothèse que les textes d'un même dossier, dactylographiés les uns à la suite des autres, ont été dictés par Muḥammad Kurd ʿAlī à son secrétaire au cours d'une même période, on peut étendre la datation d'un seul chapitre à l'ensemble des chapitres appartenant au même dossier d'origine. Selon cette méthode, on parvient à donner une borne ou une fourchette chronologique relativement précise à l'écriture de 24 des 28 dossiers du corpus (ce qui correspond à 209 pages sur 247).[29] Parmi ceux-ci, 4 dossiers sont les textes imprimés d'articles publiés entre 1931 et 1948 ; 15 dossiers (correspondant à 93 pages et à 124 chapitres) peuvent être datés comme postérieurs à juillet 1951 ; enfin, 5 dossiers ont une borne chronologique inférieure située entre 1945 et 1950, mais peuvent également avoir été écrits à la même période que les précédents. Les 4 dossiers restants sont difficiles à dater avec précision : on peut seulement évaluer l'écriture du texte de la conférence pour radio Bari (chapitre C4/ dossier n° 2) dans une fourchette comprise entre 1934 et 1943 (période au cours de laquelle cette radio émit des programmes en langue arabe) et celle de la conférence pour l'Université américaine du Caire, en 1924 (d'après les informations données par l'auteur dans le chapitre 25, p. 132).

*B. Contexte personnel*

La majorité des chapitres de ce corpus (au moins 124 sur 186) ont donc été écrits au cours des deux dernières années de la vie de Muḥammad Kurd ʿAlī, dans la foulée de la publication du quatrième tome de ses *Mémoires* et concurremment avec son édition du *Kitāb al-Bayzara* (dont

29. Voir le tableau de synthèse ci-dessus. Seuls les textes des conférences prononcées sur Radio Bari (dossier n° 4) et à l'Université américaine du Caire (dossier n° 24), ainsi que deux textes manuscrits isolés (dossiers n° 7 et 9) échappent pour l'instant à une datation précise.

Kurd 'Alī aurait continué à écrire (ou, en l'occurrence, à dicter ses textes) jusqu'à ses derniers jours. [27]

Une autre indication de ce type est fournie par la publication – déjà évoquée plus haut - d'extraits de notre corpus dans la *Revue de l'Académie Arabe de Damas*, à la manière d'un florilège, en octobre 1952. [28] Pourquoi l'auteur n'a-t-il pas profité de cette occasion pour annoncer la publication à venir du cinquième tome de ses *Mémoires*, dans lequel ces extraits étaient sensés trouver leur place ? Cela signifierait-il que l'auteur, quelques mois avant sa mort, avait renoncé à publier un nouveau tome de ses *Mémoires*, dans un contexte politique qui se prêtait difficilement à l'expression d'une parole aussi libre que la sienne ? Il est difficile de l'affirmer, mais nous pouvons relever le fait qu'aucun des textes publiés dans les « *Sawāniḥ* » ne présentait de caractère polémique, teintés qu'ils étaient du ton neutre et généraliste seyant à une revue « académique ». Par ailleurs, la comparaison de ces morceaux choisis avec les textes correspondants dans le corpus met en évidence le fait suivant : les premiers ne tiennent pas compte des corrections manuscrites apportées aux textes dactylographiés, ce qui donne à penser que celles-ci sont postérieures à la publication des « *Sawāniḥ* » et accrédite l'hypothèse formulée précédemment sur la période de relecture et de correction du corpus (après la démission de Bišāra al-Ḫūrī, en septembre 1952). A tout le moins, la date de publication de ce florilège (octobre 1952), constitue un nouveau *terminus ante quem* pour l'écriture initiale des textes qu'il comporte (et pour les chapitres et dossiers auxquels ils se rattachent dans notre corpus).

Enfin, les indications temporelles les plus nombreuses consistent en des faits historiques relevant de l'actualité à l'époque de l'écriture : les commentaires de ces événements, que Muḥammad Kurd 'Alī semble avoir faits « sur le vif », sont précieux pour la datation, dans la mesure où le décalage est court entre le temps de l'histoire et celui de la composition de l'ouvrage. Ainsi, de nombreux chapitres sont écrits dans la foulée du coup d'État des colonels en Égypte, le 23 juillet 1952 (chapitres C3, C108, C109, C143 à C146) ; le chapitre C16 évoque au passé le gouvernement de Ḥasan Al-Ḥakīm (qui tomba en novembre 1951) ; le chapitre C147 évoque le récent discours de Sāmī al-Ṣulḥ en qualité de Premier ministre, ce qui situe l'écriture de ce texte au cours de son dernier gouvernement avant la

27. Voir le témoignage de Ṭarīf Kurd 'Alī dans D. CHEVALLIER et J. MONTALBETTI, *op. cit.*, et celui de Sami DAHAN, *op. cit.*, p. 380 et 394.

28. Voir note n° 23, p. 21.

## III- DATATION ET CONTEXTE DE L'ÉCRITURE

### *A. Datation*

Plusieurs signes permettent de préciser la période au cours de laquelle ces mémoires furent composés. Tout d'abord, le corpus contient quelques rares indications explicites à ce sujet : dans le chapitre 2, par exemple, l'auteur a ajouté au texte initial un passage manuscrit dans lequel il précise avoir écrit ce qui précède avant la chute du gouvernement dirigé par Bišāra al-Ḫūrī, le 19 septembre 1952, ce qui nous renseigne à la fois sur la période approximative d'écriture du texte (avant et après cette dernière date), sur la période de sa relecture et, partant, sur celle des corrections qui ont été apportées ; dans le chapitre C36, l'auteur a simplement mentionné entre parenthèses avoir écrit ce texte « avant la révolution égyptienne » (le coup d'Etat du 23 juillet 1952), ce qui indique à la fois le *terminus ante quem* (la borne chronologique supérieure) de l'écriture initiale et le *terminus post quem* (la borne chronologique inférieure) de sa relecture. En ce qui concerne les textes imprimés, la période d'écriture se situe naturellement l'année de première publication de l'article ou en amont de celle-ci (1931 ou avant, 1940 ou avant, etc.), mais il est difficile de savoir à quelle date ultérieure ils ont été revus et corrigés.

D'autres indications temporelles sont données par les sources utilisées par l'auteur (lettres, articles et ouvrages) : par exemple, la lettre de Fāris al-Ḫūrī reproduite *in extenso* par Muḥammad Kurd ʿAlī (chapitre 4) est datée du 3 janvier 1952, ce qui fournit le *terminus post quem* de la composition du chapitre ; trois des ouvrages de Mārūn ʿAbbūd cités dans le chapitre C5 ont été publiés en 1952 ; l'article critique de Widād al-Sakākīnī (cité dans le chapitre C103) est paru dans la revue *Al-Ṯaqāfa* en mai 1952. D'autres exemples de ce type situent généralement l'écriture du cinquième tome des *Mémoires* au cours des années 1951 et 1952.

Une indication sur la date de composition du chapitre C142 (intitulé « *taṣawwurāt al-šuyūḫ* ») nous est donnée, à l'inverse, par une source extérieure : la revue *Al-Šurṭa* publia en effet ce texte dans son numéro de mai 1953, soit au cours du mois qui suivit le décès de Muḥammad Kurd ʿAlī, en affirmant qu'il s'agissait du dernier texte écrit par notre auteur, quelques jours avant sa mort, c'est-à-dire à la fin du mois de mars 1953. Cette information tendrait à confirmer les témoignages selon lesquels

| 16 | D | - | C77 à C81 | 5 | 2 + 1 verso M | 1952-53 |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 17 | D | - | C82 à C114 | 33 | 17 (pages numérotées) | après 23/07/1952 |
| 18 | D | - | C115 à C120 | 6 | 7 | 1952-53 |
| 19 | D | - | C121 à C129 | 9 | 5 + 1 note verso M | à partir de 1947 |
| 20 | D | - | C130 à C141 | 12 | 4 | 1945 – oct. 1952 |
| 21 | D | - | C142 | 1 | 3 | (Mars 1953) |
| 22 | D | 26 à 38 | - | 13 | 5 | à partir de 1950 |
| 23 | D | 6 à 23 | - | 18 | 8 | nov. 1951 – oct. 1952 |
| 24 | D | 5 | - | 1 | 13 | 1924 ? (conférence AUC) |
| 25 | D | - | C143 | 1 | 2 | après le 23/07/1952 |
| 26 | M | - | C144 | 1 | 1 | après le 23/07/1952 |
| 27a | D | 3 et 4 | - | 2 | 6 | après le 3/01/1952 |
| 27b | D | - | C145 et C146 | 2 | 4 | après le 23/07/1952 |
| 28a | D | 2 | - | 1 | 2 | après sept. 1952 (R) |
| 28b | D | - | C147 | 1 | 2 | 11/02 – 9/09/1952 |
| **TOTAL : dont :** | **28 dossiers** | **39 chapitres** | **147 chapitres** | **186 chapitres** | **242 pages + 5 versos M** | **1931-1953 + 4 inconnues** |
| **Manuscrits (M)** | 5 dossiers | 1 chap. | 3 chap. | 4 chap. | 14 p. | 2 chapitres postérieurs au 23/07/52 + 2 inconnues |
| **Imprimés (I)** | 4 dossiers | 3 chap. | 1 chap. | 4 chap. | 89 p. | 1931-48 |
| **Dactylographiés (D)** | 19 dossiers | 35 chap. | 143 chap. | 178 chap. | 139 p. (dont 26 p. de textes de deux conférences) + 5 versos M | 1945-53 (majoritairement : mi-1951 – fin 1952) + 2 inconnues |

**Tableau synoptique présentant le corpus du 5e tome des Mémoires de Muḥammad Kurd `Alī : supports, correspondances entre dossiers et chapitres, volumes, datation.**

| Numéros des dossiers | Nature du support<br>- Manuscrit (M)<br>- Imprimé (I)<br>- Dactylographié (D) | Numéros des chapitres (liste principale) | Numéros des chapitres (liste complémentaire) | Nombre de chapitres | Nombre de pages (ou feuillets) | Datation<br>Écriture,<br>1re publication (P)<br>ou réécriture (R) |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | M (sommaire) | - | - | - | 2 | 3/01/1952 - 2/04/1953 |
| 2 | I | - | C1 | 1 | 21 | 1941 (P) |
| 3 | I | 25 | - | 1 | 17 | 1948 (P) |
| 4 | D | - | C2 | 1 | 13 | 1934-1943 ?<br>(conférence radio Bari) |
| 5 | M | - | C3 | 1 | 1 | après 2 /07/1952 |
| 6 | I | 24 | - | 1 | 25 | 1940 (P) |
| 7 | M | - | C4 | 1 | 9 | ? |
| 8 | I | 39 | - | 1 | 26 | 1931 (P) |
| 9 | M | 1 | - | 1 | 3 | ? |
| 10 | D | - | C5 | 1 | 1 | 1952-53 |
| 11 | D | - | C6 à C19 | 14 | 6<br>+ 1 verso M | nov. 1951 – oct. 1952 |
| 12 | D | - | C20 à C38 | 19 | 8 (pages numérotées) | 1948 – oct. 1952<br>(relecture postérieure au 23/07/1952) |
| 13 | D | - | C39 | 1 | 6 | 1949 – oct. 1952 |
| 14 | D | - | C40 | 1 | 9 | 10/07/51 – 23/07/52 |
| 15 | D | - | C41 à C76 | 36 | 16 (15 p. numérotées)<br>+ 2 versos M | 15/05/1952 – oct. 1952 |

avec eux ou sur les présentations qu'il en donne dans ses *Mémoires* ou dans son dictionnaire biographique posthume (*Al-Mu'āṣirūn*). Un tableau est également proposé en annexe, avec les noms des tribus ou des villes correspondant aux nombreux *nasab*-s listés dans le chapitre 5. Enfin, quelques photos montrant Muḥammad Kurd 'Alī à l'époque de l'écriture de ses *Mémoires*, dans sa villa de Ǧisrīn, entouré de ses proches, figurent en annexe, ainsi que des spécimens, extraits du corpus, qui montrent la diversité des supports utilisés et l'importance des corrections effectuées par l'auteur sur les textes imprimés.

par souci de fidélité : seuls les *hamza*-s et *tanwīn*-s ont été ajoutés, et les fautes de frappe ou d'orthographe corrigées et signalées en bas de page, dans la mesure du possible.

*D. L'appareil critique : index, annotations, annexes.*

Une fois le texte saisi selon les principes que nous venons d'exposer, nous nous sommes appliqués à en faciliter la lecture et l'utilisation éventuelle par les chercheurs en proposant une série d'index, des annotations, une bibliographie et des documents annexes.

Cinq index ont été élaborés suivant un classement alphabétique en arabe : un index des noms de personnes, qui classe les noms arabes selon la forme usitée dans le corpus, et les autres personnalités d'après leur patronyme (en proposant toutefois, dans ce dernier cas, la transcription complète des noms et prénoms en lettres latines) ; un index géographique ; un index des communautés (pour les noms de peuples, communautés religieuses, dynasties, tribus, etc.) ; un index des institutions (universités, organisations internationales, journaux, associations, etc.) ; enfin, un index des références utilisées par l'auteur, qui propose la forme complète des références, ouvrages et articles, cités ou mentionnés dans le corpus, en distinguant les références en langue arabe et en langues latines. Dans les quatre premiers index, les numéros des chapitres (ou pages) correspondants sont indiqués en gras lorsque le nom indexé figure dans le titre même du chapitre ; ils sont accompagnés d'une étoile lorsque le nom indexé figure en note de bas de page. L'étoile qui suit les noms de personnes indique quant à elle que ces personnalités font l'objet d'une notice biographique en annexe.

Les annotations critiques, en bas de page, contiennent des informations de quatre ordres : des indications sur la typographie ou l'orthographe (notamment, lorsqu'une correction est proposée) ; des informations générales sur des noms de lieux, de communautés, d'institutions, ou sur des noms de personnes lorsque celles-ci ne font pas l'objet d'une notice biographique (en annexe) ; des références bibliographiques, en particulier dans les cas de citations ; enfin, des commentaires historiques sur des événements précis.

En annexe, nous proposons une série de courtes notices biographiques pour les contemporains de Muḥammad Kurd ʻAlī, hommes politiques, savants et artistes évoqués dans le corpus (à l'exclusion des personnalités les plus connues), en insistant sur les rapports que l'auteur a pu entretenir

*C. mode de présentation du corpus*

Le mode de présentation adopté dans cette édition découle de ce qui précède : il vise à la fois à rendre visible l'état initial du corpus et à rendre les textes lisibles, accessibles à tous les lecteurs.

Cette édition se divise donc en deux grandes parties : la première partie contient les chapitres référencés, numérotés de 1 à 39 ; la seconde partie contient les chapitres complémentaires, numérotés de C1 à C147. Quelques textes du corpus initial, incomplets et sans titres, ou à l'état de brouillon, ont été écartés d'emblée. Lorsque deux versions d'un même texte se sont présentées (chapitre C143/ dossier n° 25), le choix s'est porté sur la version la plus aboutie, comportant les corrections les plus nombreuses. Le tableau synoptique présenté plus bas donne une vue d'ensemble du corpus initial et de l'organisation de cette édition : il indique la correspondance entre les dossiers et les chapitres, l'organisation interne de chaque dossier (nombre de chapitres et nombre de pages) et donne un aperçu de l'importance de chaque type de documents (manuscrits, imprimés, dactylographiés) au sein de l'ensemble.

En tête de chaque chapitre, au-dessus du titre, les numéros d'ordre et de dossiers sont systématiquement rappelés, tandis que les documents uniques au sein de leurs dossiers d'origine sont signalés, avec leur type de support (manuscrit, imprimé ou dactylographié) et leur nombre de pages. Dans ces derniers cas, les numéros des pages d'origine sont indiqués, entre crochets, dans le corps des textes édités.

Un système codicologique simplifié est également proposé dans le corps des chapitres selon le modèle suivant : les corrections ou ajouts manuscrits ont été figurés entre crochets ; les passages illisibles dans le corpus sont représentés par une croix entre parenthèses, encadrée par des points de suspension ; les termes ou passages incertains sont soulignés.

| [texte] | terme ou passage manuscrit qui corrige ou augmente le texte original |
|---|---|
| (...X...) | terme ou passage manquant (illisible dans le texte original) |
| <u>Texte</u> | terme ou passage incertain |
| [2] | numéro de page d'origine (ici, page 2) |

Les notes de l'auteur, en bas de page, ont été indiquées comme telles et sont transcrites en caractères 12 points pour les distinguer des notes de l'éditeur (en caractères 10 points). Le texte original a été peu retouché,

la publication à venir du quatrième tome. [26] Malgré l'absence d'une telle mention, et en raisonnant par analogie, nous pouvons identifier les textes publiés en 1952 comme partie prenante du même projet autobiographique que les précédents extraits publiés en 1951, et donc, les rattacher à un cinquième tome en préparation.

Trois textes semblent résister à ces analyses, car ils ne contiennent aucun des éléments d'authentification susmentionnés. Toutefois, des indications plus indirectes tendent également à rattacher ces textes au dernier tome des *Mémoires* de Muḥammad Kurd ʿAlī :

- Chapitre C1 (dossier n° 2) : il s'agit du seul article imprimé, revu et corrigé par l'auteur, qui ne figure pas dans le sommaire ; cependant, la modification de la note de bas de page initiale indiquant la source (une conférence de Muḥammad Kurd ʿAlī) pour une formulation à la première personne (« conférence que j'ai donnée dans l'amphithéâtre de l'université syrienne ») inscrit ce texte dans un projet autobiographique, de même que la suppression des sous-titres de l'article original à la correction atteste d'un souci de mettre ce texte en adéquation avec la forme des *Mémoires*, dont les chapitres ne contiennent pas de sous-titres.
- Chapitre C2 (dossier n° 4) : le texte dactylographié de la conférence pour Radio Bari ne comporte pas d'indications qui le rattacheraient aux *Mémoires* ; cependant, une note de bas de page manuscrite, dans laquelle l'auteur use du possessif à la première personne (« une de nos causeries lues sur Radio Bari en Italie »), lui confère une dimension autobiographique, tandis que les nombreuses coupes réalisées sur le texte original dénotent le souci de lui donner le même format que les autres chapitres des *Mémoires*.
- Chapitre C144 (dossier n° 26) : la date des événements évoqués dans ce texte manuscrit isolé, intitulé « *Natāʾiǧ al-ṯawra al-miṣriyya al-aḫīra* » (les effets de la récente révolution égyptienne), ainsi que leur précédente évocation dans d'autres chapitres de ce même volume, invitent à le rattacher à l'ensemble.

26. Cf. KURD ʿALĪ, Muḥammad, « *Sawāniḥ* », dans *Revue de l'Académie Arabe de Damas*, vol. 26, n° 1 (janvier 1951), p. 15-26. Nous proposons un peu plus loin (p. 31-34) une explication à l'absence de cette mention dans le volume suivant de la revue.

publiés. Enfin, la forme adoptée par la plupart des chapitres de ce corpus est caractéristique des *Mémoires* de Kurd ʻAlī : ce sont généralement de courts chapitres (de quelques lignes à 9 pages), surmontés par un titre ; deux d'entre eux sont composés de séries d'aphorismes (chapitres C39 et C40), selon une forme déjà adoptée dans le quatrième tome des *Mémoires* ; et nous avons pu identifier 34 chapitres comme « autobiographiques » et 71 chapitres comme « témoignages », qui ne peuvent trouver leur place que dans les *Mémoires*. [22] Toutes ces indications inscrivent les textes complémentaires de notre corpus, non référencés dans le sommaire, dans la continuité des précédents chapitres des *Mémoires* de Muḥammad Kurd ʻAlī.

Par ailleurs, un autre élément permet de rattacher les textes de ce corpus à la série des différents tomes des *Mémoires* de Muḥammad Kurd ʻAlī : il s'agit de la publication, en octobre 1952, de 48 textes extraits de notre corpus, dans la *Revue de l'Académie Arabe de Damas*, sous le titre de « *Sawāniḥ* » (Pensées).[23] Ce titre est également utilisé pour le chapitre C39 de ce volume, mais un examen détaillé de ces morceaux choisis montre qu'ils correspondent, d'une part, à 32 aphorismes de quelques lignes issus des chapitres C39 (dossier n° 13) et C40 (dossier n° 14) [24] et, d'autre part, à 16 courts chapitres, choisis parmi 5 autres dossiers (n° 11, 12, 14, 20 et 23).[25] Notons que ce procédé avait déjà été adopté en prélude à la publication du quatrième tome des *Mémoires* de Muḥammad Kurd ʻAlī, puisque 72 extraits de ce dernier tome avaient alors été publiés, dans la même revue et sous le même titre de « *Sawāniḥ* », en janvier 1951, à la différence près que dans ce dernier cas, une note de bas de page indiquait

22. Voir notre analyse de ces « postures narratives » plus loin dans cette introduction (p. 43-53).

23. Cf. KURD ʻALĪ, Muḥammad, « *Sawāniḥ* », dans *Revue de l'Académie Arabe de Damas*, vol. 27, n° 4 (octobre 1952), p. 504-519.

24. Il s'agit des passages suivants (non numérotés dans le corpus, mais délimités les uns vis-à-vis des autres par des traits horizontaux) : les 8e, 10e, 12e, 15e, 23e, 31e, 36e, 51e, 52e, 53e, 54e, 61e et 62e textes du chapitre C39 (dossier n° 13) ; les 7e, 11e, 14e, 16e, 18e, 25e, 27e, 29e, 45e, 47e, 50e, 59e, 61e, 62e, 66e, 67e et 70e textes du chapitre C40 (dossier n° 14).

25. Il s'agit des chapitres 9, 10, 13 et 22 (dossier n° 23) ; du chapitre C8 (dossier n° 11) ; des chapitres C23, C31, et C33 (dossier n° 12) ; des chapitres C43, C44, C45, C55 et C56 (dossier n° 15) ; enfin, des chapitres C135, C139 et C140 (dossier n°20).

aient été revus et corrigés par l'auteur, quelques coquilles et des erreurs sur des noms ou des faits historiques ont subsisté et l'on peut se demander à qui elles sont dues : ceci ne met absolument pas en cause la paternité de l'œuvre, mais interroge les rapports qui lièrent celle-ci à son auteur.

2. L'œuvre : le cinquième tome des *Mémoires*

Il ne fait guère de doute que Muḥammad Kurd ʿAlī préparait la publication d'un cinquième tome de ses *Mémoires*. [21] Cependant, l'authentification de certains éléments de ce corpus comme faisant partie d'un même ensemble, et la dénomination de celui-ci comme « cinquième tome des *Mémoires* de Muḥammad Kurd ʿAlī » pose quelques questions. Certes, nous disposons d'un sommaire manuscrit (dossier n° 1), dont l'intitulé ne prête pas à confusion : « sommaire du cinquième tome des *Mémoires* » (*fihris al-ǧuz' al-ḫāmis min al-Muḏakkirāt*) ; cependant, celui-ci est resté inachevé et ne mentionne que 39 chapitres (sur les 186 chapitres que compte cette édition), répartis dans 9 dossiers (n° 3, 6, 8, 9, 22, 23, 24, 27 et 28). Cette contrainte nous a amené à disposer les textes de ces mémoires en deux parties : une première partie composée des chapitres référencés par l'auteur dans le sommaire ; une seconde partie contenant les 147 chapitres complémentaires, répartis dans les 18 dossiers restants (et dans deux autres dossiers, n° 27 et 28, communs aux deux listes), et reproduits dans l'ordre où ils se trouvaient initialement. Hormis leur réunion dans une même liasse de documents, quelles indications externes et internes nous permettent de regrouper ces derniers chapitres dans la même édition que les premiers ?

Tout d'abord, quelques chapitres de la liste complémentaire mentionnent le nom de l'œuvre à laquelle ils se rattachent, sous la forme de notes manuscrites ou dactylographiées : « (chapitre) des *Mémoires* de Muḥammad Kurd ʿAlī » (*min muḏakkirāt Muḥammad Kurd ʿAlī*) en tête du chapitre C143 (dossier n° 25) ; « pour les *Mémoires*, cinquième tome » (*lil-Muḏakkirāt al-ǧuz' al-ḫāmis*) en tête du chapitre C5 (dossier n° 10). Ensuite, on trouve dans ce corpus plusieurs chapitres mentionnant les précédents tomes des *Mémoires*, soit pour répondre aux critiques (chapitres 29, C103 et C117) ou simplement pour rappeler un passage traitant d'un sujet similaire (chapitres C26, C32, C40) : ces formes d'intratextualité installent les chapitres où elles se situent et, par extension, les dossiers dans lesquels ceux-ci sont classés, dans le prolongement des tomes déjà

21. Voir Sāmī DAHHĀN, *op. cit.*

5 et C142), ou encore au-dessus du titre du chapitre C143 (« *li-ḫayri miṣr* »). Par ailleurs, l'écriture « nerveuse » de Muḥammad Kurd 'Alī, caractéristique, se reconnaît aisément dans les textes manuscrits et dans les corrections apportées aux textes imprimés et dactylographiés : il suffit de la comparer à d'autres spécimens. [16] De façon plus indirecte, on peut identifier le narrateur, dans de nombreux chapitres, à l'auteur Muḥammad Kurd 'Alī, notamment lorsqu'il s'agit de récits à la première personne d'événements de sa propre vie. [17] Une étude plus poussée du lexique et de la syntaxe employés dans cette œuvre confirmerait certainement sa paternité, tant Muḥammad Kurd 'Alī avait développé un style personnel, clairement reconnaissable. [18]

Deux nuances peuvent être apportées à ce tableau : la première concerne un texte manuscrit apocryphe du corpus (chapitre C4), revu par Kurd 'Alī, mais qui conserve des traces de son premier auteur dans sa formulation ; [19] la seconde nuance porte sur le fait que la majeure partie de ces textes ont été dactylographiés par un tiers, et qu'aucun brouillon manuscrit ne les accompagne, soit parce qu'ils ont disparu (et il faut le regretter car cela nous aurait permis de les comparer avec la version dactylographiée), soit parce que Muḥammad Kurd 'Alī dictait directement ses *Mémoires* à son secrétaire. [20] Dans les deux cas, bien que tous ces textes

---

16. Voir notamment la reproduction d'une page autographe de Muḥammad Kurd 'Alī (l'introduction du *Kitāb al-Bayzara*), datée du 12 août 1952, dans Sami DAHAN, « Muḥammad Kurd 'Alī (1876-1953) : notice biographique », *Mélanges Louis Massignon*, Institut Français de Damas, 1956, p. 392-393.

17. Sur l'identité de l'auteur et du narrateur, posée dès l'introduction des *Mémoires* dans le cadre d'un « pacte autobiographique », voir plus loin notre analyse (p. 40-43)

18. Voir le témoignage d'Ibrāhīm al-Kīlānī, qui évoque à propos du style de Kurd 'Alī « une phrase bien taillée, bien frappée, contenant peu d'images, sobre avec quelques tendances pathétiques », dans Dominique CHEVALLIER et Jean MONTALBETTI, "Enquête sur un intellectuel arabe dans la Syrie ottomane: Mohammed Kurd Ali à Damas", émission de radio en trois parties diffusée par France Culture, dans la série "Les inconnus de l'Histoire", troisième volet (27 avril 1984).

19. Le texte manuscrit original, d'une écriture différente de celle de Kurd 'Alī, précisait en sous-titre : « *bi-qalam Ibrāhīm Salīm Naǧǧār* » (de la plume d'Ibrahīm Salīm Naǧǧār) ; par ailleurs, on y trouve Muḥammad Kurd 'Alī mentionné à la troisième personne (cas unique dans ces mémoires) et distinct de « l'auteur de ces souvenirs » (*ṣāḥib hāḏihi al-ḏikrayāt*).

20. Il s'agit sans doute de son gendre, Yāsīn Al-Ḫānǧī (le mari de sa fille Su'ād), longtemps employé à ce poste à l'Académie arabe, mais nous ne pouvons l'affirmer avec certitude.

- 19 dossiers, constituant la majorité du corpus, se composent de feuillets dactylographiés, sur du papier carbone, parfois à l'encre noire, parfois en bleu. Parmi eux, deux dossiers (n° 13 et 14) sont constitués de séries d'aphorismes, et deux autres dossiers sont les textes de conférences prononcées, l'une à l'Université américaine du Caire (dossier n° 24), l'autre sur Radio Bari (dossier n° 4) ; enfin, un dossier (n° 21) contient le texte d'un article publié de façon posthume par la revue *Al-Šurṭa*. Les autres dossiers sont composés de textes de 1 à 17 pages. [15]

Les feuillets contenus dans ces dossiers sont parfois numérotés, soit à la main, soit à la machine à écrire, mais il faut noter dans ce dernier cas que la numérotation n'est pas toujours continue. Tous les textes ont été revus, corrigés à l'encre ou au crayon (à papier ou de couleur, rouge ou bleue), et certains ont été augmentés de notes manuscrites. Ces corrections et annotations manuscrites figurent tantôt au-dessus des termes corrigés, tantôt à la marge, lorsqu'elles sont abondantes, voire au verso ou sur une feuille à part à laquelle renvoie un numéro à trois chiffres. Certains chapitres, à l'intérieur des dossiers « dactylographiés » comportent des numéros au stylo à bille qui ne correspondent pas aux numéros qui leur sont attribués dans le sommaire : sans doute s'agit-il de tentatives postérieures au décès de l'auteur de réorganiser les chapitres, mais on ne sait pas selon quelle logique.

### *B. Authentification de l'auteur et de l'œuvre*

La présence de ce corpus dans les archives de la famille Kurd ʿAlī constitue un premier élément d'authentification de son auteur. D'autres indices viennent confirmer à la fois la paternité de l'œuvre et son identité comme « cinquième tome des *Mémoires* ».

1. L'auteur : Muḥammad Kurd ʿAlī

Le nom de Muḥammad Kurd ʿAlī est mentionné à plusieurs reprises dans le corpus, soit dans les notes de bas de page pour les articles imprimés (dans ce cas, l'auteur a biffé la formulation à la troisième personne pour la remplacer par une autre à la première personne), soit sous la forme d'une signature dactylographiée à la fin de textes de plusieurs pages (chapitres

15. Voir le tableau synoptique de présentation du corpus plus loin (p. 26-27) et la reproduction de spécimens de chaque type de support en annexe de ce volume.

Direction des études médiévales, modernes et arabes de l'Institut Français du Proche-Orient (IFPO - Damas), fut envisagé comme la mise en valeur d'une source inédite, jusque-là inaccessible au public : il s'inscrit de fait dans l'un des axes de recherches de l'IFPO, consacré à « Patrimoine et mémoire, écriture de l'histoire et production culturelle ». Un premier projet d'édition fut présenté en décembre 2005, dans le cadre d'un mémoire de maîtrise de littérature arabe à l'Institut National des Langues et Civilisations Orientales (INALCO, Paris) : depuis, ce travail fut largement complété, augmenté des index et des annotations historiques que l'on trouvera dans ce volume. L'événement majeur « Damas 2008, capitale arabe de la culture » constitue une belle occasion de présenter au public, 55 ans après la disparition de Muḥammad Kurd 'Alī, ce dernier volet de l'œuvre d'un des grands historiens de la Syrie, de Damas et de sa Ghouta, et d'un des grands hommes de la *Nahḍa* (le mouvement de renaissance culturelle arabe) au XXe siècle, promoteur des lettres et des arts à la tête de l'Académie arabe de Damas.

## II- LE TRAVAIL ÉDITORIAL ET LE MODE DE PRÉSENTATION ADOPTÉ

### A. *État initial du corpus*

Le corpus sur lequel nous avons travaillé se présente initialement comme un ensemble hétéroclite de feuillets manuscrits, imprimés ou dactylographiés : à l'exception d'un tiré à part, relié sous la forme d'une petite brochure, ces feuillets étaient soit isolés (dans 3 cas), soit regroupés par ensembles de 2 à 26 pages et attachés par une épingle. Les 28 ensembles ainsi formés - que nous appellerons « dossiers » - ont constitué notre corpus de référence, et le point de départ de notre travail : nous avons commencé par les numéroter dans l'ordre où ils nous sont apparus (à l'exception du sommaire, reclassé en premier). Ils se distinguent formellement de la façon suivante :

- 5 dossiers comportent des textes manuscrits (dossiers n° 1, 5, 7, 9 et 26) : le premier consiste en un sommaire inachevé de deux pages, les suivants en courts textes de 1 à 9 pages, écrits au crayon à papier ou au stylo à plume à l'encre noire.
- 4 dossiers consistent en des articles imprimés : l'un d'eux (dossier n° 3) se présente sous la forme d'un tiré à part (Revue de la Faculté des Lettres de l'université d'Alexandrie), les autres (dossiers n° 2, 6 et 8) ont été détachés des revues dans lesquelles ils avaient été publiés (*Revue de l'Académie Arabe de Damas* et *Al-Hilāl*)

de ses *Mémoires*. [12] On peut imaginer son impatience de voir cette forme de « droit de réponse » publiée dans un volume à venir, face aux nouvelles critiques dont ses *Mémoires* avaient fait l'objet.

La maladie et la mort de Muḥammad Kurd 'Alī (survenue le 2 avril 1953) interrompirent l'écriture et le projet d'édition de tout nouveau tome de ses *Mémoires*, et laissèrent l'œuvre inachevée. Si l'on en juge par le volume des 186 chapitres laissés par l'auteur, un nombre plus élevé que celui des tomes précédents, on se rend compte que le projet était bien avancé. Les épreuves demeurèrent cependant parmi les archives de la famille Kurd 'Alī, et l'on peut se demander pour quelles raisons elles restèrent si longtemps inédites. Les occasions ne manquèrent pas cependant, notamment lors de la commémoration du centième anniversaire de la naissance de Muḥammad Kurd 'Alī, en 1976 : à l'issue de cet événement culturel, accompagné de la publication d'un ouvrage collectif en hommage au fondateur de l'Académie arabe de Damas, plusieurs œuvres de l'auteur furent rééditées, un index de la revue *Al-Muqtabas* publié, ainsi qu'un dictionnaire biographique inédit de Muḥammad Kurd 'Alī sur ses contemporains (*Al-Mu'āṣirūn*). [13] Il semble bien, d'après le témoignage de ses descendants, Maḥmūd et Fawwāz Kurd 'Alī, que le projet d'édition du dernier tome des *Mémoires* ait été repris du vivant de leur père, Ṭarīf Kurd 'Alī (1919-2002), fils cadet de Muḥammad Kurd 'Alī, qui fut en quelque sorte le dépositaire des archives de son père, mais cette entreprise fut longtemps ajournée. [14]

Nos recherches doctorales nous ayant conduit à travailler sur la personnalité et l'œuvre de Muḥammad Kurd 'Alī, il nous fut donné de rencontrer les descendants de l'auteur en 2004 et ceux-ci nous suggérèrent de reprendre le projet d'édition. Ce travail, mené avec le soutien de la

---

12. Voir notamment les chapitres suivants : « *al-Šidda fī al-iṣlāḥ* » (Un réformisme radical), *Al-Muḏakkirāt*, tome 3, p. 990-992 ; « *al-Nāqidūn wa-l-nāqimūn* » (Les critiques et les diffamateurs), *Al- Muḏakkirāt*, tome 4, p. 1310-1315.

13. Voir *Muhammad Kurd 'Alī : mu'assis al-mağma' al-'ilmī al-'arabī*, Damas, Maṭba'at al-Ḥiğāz, 1977 ; MURĀD, Riyāḍ 'Abd al-Ḥamīd, *Fahāris al-Muqtabas*, Damas, Maṭbū'āt mağma' al-luġa al-'arabiyya, 1977 ; KURD 'ALĪ, Muḥammad, *Al-Mu'āṣirūn*, édité par Muḥammad al-Maṣrī, Damas, Maṭbū'āt mağma' al-luġa al-'arabiyya, 1980.

14. Au début des années 1990, l'écrivain syrien Nağāt Qaṣab Ḥasan, qui travaillait alors à Radio Damas, fut contacté à ce sujet par Maḥmūd (fils de Ṭarīf) Kurd 'Alī. Il s'était dit prêt à éditer le corpus, mais il décéda avant de mettre ce projet à exécution (Entretien de Maḥmūd Kurd 'Alī avec l'éditeur, avril 2008).

Écrite à partir de 1939, complétée par deux autres tomes (publié: en 1949 et 1951), cette œuvre monumentale (1320 pages pour le: 4 premiers tomes) se présente à la fois comme une autobiographi‹ et comme un témoignage sur des personnalités et des événement: historiques contemporains de l'auteur. Rompant assez vite avec uı récit strictement chronologique, elle comporte également des passage: à tonalité moralisatrice, des aphorismes, et certains chapitres écrits à l: manière d'articles de vulgarisation scientifique. Mais en insistant sur de: événements vécus ou dont il avait été le témoin, et en revendiquant l'usag‹ de la première personne, Muḥammad Kurd 'Alī parachevait ce mouvemen caractéristique de va-et-vient entre l'autre et soi-même que constitue l‹ passage de l'écriture biographique à l'écriture autobiographique. [8]

*B. Le projet d'édition du cinquième tome des* Mémoires

Le projet de poursuivre la publication de ses *Mémoires* par uı cinquième volume n'est pas clairement annoncé dans le quatrième tome cependant celui-ci ne comporte pas de conclusion et se termine par uı chapitre sur la décolonisation (« *al-Isti'mār al-mamqūt* »),[9] qui laiss‹ une impression d'inachèvement de l'œuvre. A la fin du second tome par contre, l'auteur annonçait sa volonté de poursuivre son œuvre, san: préciser toutefois le nombre de volumes supplémentaires qu'il comptai publier. On peut donc penser que Muḥammad Kurd 'Alī envisageait d‹ poursuivre cette œuvre autobiographique jusqu'à ses derniers jours,[10] e la publication d'un nouveau volume était, semble-t-il, déjà programmée. [1] Par ailleurs, les nouvelles critiques parues sur les premiers volumes de se: *Mémoires* avaient certainement aiguisé chez Muḥammad Kurd 'Alī l'envi‹ de répondre, de se justifier sur certains aspects de son œuvre, et de précise le sens de son projet littéraire, comme il l'avait fait dans les tomes 3 et ‹

8. J'emprunte cette expression, en la modifiant un peu, à François Dosse, qui évo que l'écriture biographique comme « un mouvement vers l'autre et de l'altération dı moi vers la construction d'un soi devenu autre ». François DOSSE, *Le pari biographi que : écrire une vie*, Paris, La Découverte, 2005, p. 11.

9. *Al-Muḏakkirāt*, tome 4, p. 1318

10. Dans un précédent chapitre de ses *Mémoires*, intitulé « *Lā ta'līf wa lā našr* › (Ni composition, ni publication), Muḥammad Kurd 'Alī se disait prêt à continuer : écrire tant qu'il pourrait tenir la plume. Cf. *Al-Muḏakkirāt*, tome 4, p. 1009-1011.

11. Cf. DAHHĀN, Sāmī, *Muḥammad Kurd 'Alī, ḥayātuhu wa āṯāruhu*, Damas Maṭbū'āt al-maǧma' al-'ilmī al-'arabī, 1955, p. 48-51.

les civilisations, et les questions de société : parmi ses ouvrages les plus célèbres, nous pouvons ainsi mentionner les *Ḫiṭaṭ aš-Šām* (Histoire et civilisation de la Syrie), en 6 volumes (1925-1928) ou *al-Islām wa al-ḥaḍāra al-'arabiyya* (L'Islam et la civilisation arabe, 1934), dans lequel il répondait aux thèses de certains orientalistes, bien avant Edward Saïd, ou encore *Dimašq, madīnat al-siḥr wa al-ši'r* (Damas, ville de magie et de poésie, 1944). Parallèlement à son œuvre d'écrivain, historien et essayiste, Muḥammad Kurd 'Alī mena une importante activité d'édition de textes, notamment les *Rasā'il al-Bulaġā'* (Les lettres des prosateurs, 1908) et la *Sīrat Aḥmad ibn Ṭulūn* (Vie d'Aḥmad Ibn Ṭulūn, 1936). [5]

Mais s'il est un domaine où Muḥammad Kurd 'Alī fit preuve d'une originalité particulière, c'est celui de la littérature personnelle (*al-adab al-šaḫsī*) : empruntant d'abord aux modèles traditionnels de la *riḥla* – le récit de voyage, notamment dans *Ġarā'ib al-ġarb* (Les Merveilles de l'Occident), paru en 2 tomes en 1910 et 1923, et des *kutub al-tarāğim* – les dictionnaires biographiques, avec *Umarā' al-bayān* (Les Princes de l'éloquence), paru en 1938, Muḥammad Kurd 'Alī fut l'un des premiers auteurs syriens à écrire à la première personne, évoquant des souvenirs personnels ou livrant des témoignages sur des événements vécus ou des personnes qu'il connut. Dès 1928, il publiait à la fin des *Ḫiṭaṭ-s* une notice autobiographique d'une quinzaine de pages, suivie en 1946 d'un ouvrage intitulé *Aqwālunā wa af'ālunā* (Nos paroles et nos actes), une compilation d'articles au sein desquels il apparaissait parfois au premier plan. [6] Cependant, c'est avec la parution des deux premiers tomes de ses *Mémoires* (*Al-Muḏakkirāt*), en 1948, que Muḥammad Kurd 'Alī allait développer son penchant pour le genre autobiographique, usant abondamment de la première personne et évoquant des anecdotes personnelles, dans une liberté de ton inconnue jusqu'alors et qui surprît la plupart de ses contemporains. Dans l'incipit de ses *Mémoires*, il se justifie en ces termes :

> « J'ai écrit des livres dont le sérieux constituait la chaîne et la trame, et je n'ai pas outrepassé la neutralité de règle chez les écrivains, ni rejeté les usages des Anciens comme des Modernes. Mais ici, je veux me débarrasser de ces contraintes, qui me pesaient quand bien même je les respectais, et quitter cette forme retenue pour me livrer à un style plus libre. » [7]

---

5. Voir les références de ces ouvages dans la bibliographie en arabe.

6. *Idem.*

7. *Al-Muḏakkirāt*, tome 1, p. 3

Réhabilité par l'émir Fayṣal en 1919, il put reprendre la publication d'*Al-Muqtabas* et fonder l'Académie arabe de Damas, la première académie dans le monde arabe. Aidé par d'éminents savants de l'époque, tels que le shaykh Ṭāhir Al-Ǧazā'irī (qui mourut l'année suivante), 'Abd al-Qādir al-Maġribī, 'Īsā Iskandar al-Ma'lūf et Amīn al-Swayd, Muḥammad Kurd 'Alī parvint à poser les bases d'une institution qui fut au cœur de la réforme de la langue arabe, de l'édition des textes anciens et de la diffusion du savoir scientifique et littéraire pendant plusieurs décennies. Il en conserva la présidence tout au long de sa vie, à l'exception de brèves interruptions, animant ses réunions, donnant des conférences, organisant le musée de Damas et ses expositions d'antiquités, dirigeant également la fameuse *Revue de l'Académie Arabe de Damas* (*RAAD*). Par ailleurs, toujours animé d'une mission d'éducation du peuple, Muḥammad Kurd 'Alī occupa les fonctions de ministre de l'Instruction publique à deux reprises à l'époque du mandat français, en 1920-22 et en 1928-32 : à ce poste, il contribua à l'élaboration des programmes et des manuels scolaires, à la fondation de dizaines d'écoles, et à la mise en place du baccalauréat dans l'État de Syrie. Renonçant à la vie politique en 1932, il choisit ensuite de se consacrer pleinement à ses activités scientifiques : l'écriture, l'édition, la direction de l'Académie arabe de Damas, mais aussi la participation à l'Académie de langue arabe du Caire, dont il fut élu membre dès sa fondation (en 1932). [4]

*A. Le parcours autobiographique de Muḥammad Kurd 'Alī*

L'œuvre de Muḥammad Kurd 'Alī est à la fois encyclopédique, hétéroclite, et novatrice. Influencé par son activité journalistique et par l'héritage réformiste de la *Nahḍa* (la Renaissance arabe), Muḥammad Kurd 'Alī aborda dans ses ouvrages, comme dans ses nombreux articles, des sujets touchant à des domaines très divers, en littérature et en sciences humaines. On peut relever cependant une prédilection pour l'histoire,

---

Européen, Florence & Montecatini, 12-15 mars 2008 (publication en ligne disponible sur demande).

4. Sur l'histoire et l'œuvre de ces deux académies, on pourra consulter notamment : AL-FUTAYYIḤ, Aḥmad, *Tārīḫ al-maǧma' al-'ilmī al-'arabī*, Damas, Matba'at at-taraqqī, 1956 ; HAMZAOUI, Rached, *L'Académie de langue arabe du Caire : histoire et œuvre*, Tunis, Publications de l'Université de Tunis, 1975 ; LAOUST Henri, et DAHHAN, Sami, "L'oeuvre de l'Académie Arabe de Damas (1921-1950). Notes bibliographiques", dans le *Bulletin d'Etudes Orientales*, XIII (1949-1951), pp.161-167.

D'abord observateur du cours des choses, lorsqu'il était encore élève auprès de maîtres tels que le shaykh Ṭāhir al-Ǧazā'irī à Damas et l'imam Muḥammad ʿAbduh au Caire, mais aussi au collège lazariste Saint-Vincent, il débuta ensuite sa carrière dans la traduction et le journalisme : maîtrisant le turc et le français, en plus de l'arabe, il s'appliqua à traduire les dépêches d'Istanbul ou de Paris vers sa langue maternelle, l'arabe. Bien que de père kurde et de mère tcherkesse, c'est en effet dans la langue et la culture arabes que le jeune Muḥammad Kurd ʿAlī avait grandi à Damas. C'est dans cette ville qu'il fit d'ailleurs ses premiers pas dans le journalisme, au sein des rédactions des journaux *Sūriyya* et surtout, *Al-Šām* (fondé en 1896 par Muṣṭafā Wāṣif al-Siqillī), dont il fut le rédacteur en chef jusqu'en 1900. Après un séjour de plusieurs années au Caire (où il travailla dans de prestigieux journaux et revues, tels *Al-Muqtaṭaf* et *Al-Mu'ayyad*), il revint à Damas à la faveur de la libéralisation de la presse et fonda son propre journal, *Al-Muqtabas*, le 17 décembre 1908 : celui-ci était considéré, avant la Première Guerre mondiale, comme l'un des plus importants quotidiens arabes de la région. Avec ses frères Aḥmad et ʿĀdil, et grâce à l'aide de ses amis réformistes, comme Šukrī Al-ʿAsalī, ʿAbd al-Raḥmān Šahbandar, Rafīq al-ʿAẓm, Muḥibb ad-Dīn Al-Ḫaṭīb, et tant d'autres, il fit de son imprimerie, située dans le *Ḫān al-Murādiyya*, à la fois le siège d'une entreprise dynamique, et un lieu de rencontre pour les intellectuels arabes libéraux (*aḥrār*), opposés à la centralisation administrative de Constantinople et à la turquisation de l'administration, des tribunaux et de l'enseignement. C'est en cela que Muḥammad Kurd ʿAlī devint un acteur de premier plan, participant au débat public et dénonçant la corruption chaque fois qu'il le fallait. Ceci devait lui coûter bien des ennuis avec les autorités jeunes-turques et, au cours de la Première Guerre mondiale, Muḥammad Kurd ʿAlī dût se ranger à la ligne éditoriale de la propagande germano-ottomane. [3]

---

3. A propos du rôle joué par Muḥammad Kurd ʿAlī à la tête de la revue et du journal *Al-Muqtabas*, on pourra se référer aux contributions suivantes : SEIKALY, Samir M., "Damascene Intellectual Life in the Opening Years of the 20th Century: Muhammad Kurd Ali and *Al-Muqtabas*", dans BUHEIRY, Marwan R. (dir.), *Intellectual Life in the Arab East (1890-1939)*, Beyrouth, 1981, p.125-153 ; EZZERELLI, Kaïs, « Le publiciste et son journal en Syrie à l'ère de la révolution jeune-turque, entre engagement réformiste et pressions politiques : Muhammad Kurd ʿAlī et *Al-Muqtabas* (1908-1917) », communication présentée aux 9e rencontres scientifiques méditerranéennes, Centre Robert Schuman de l'Institut Universitaire

# INTRODUCTION

## I- GENÈSES DE L'ŒUVRE ET DE SON ÉDITION

Lorsque Muḥammad Kurd ʿAlī s'attelle à la rédaction du dernier volume de ses *Mémoires* [1], très probablement au cours de l'année 1951, dans la foulée de la publication du quatrième tome, c'est un homme de 75 ans qui arrive au terme d'une vie bien remplie, traversée par les grands événements de la fin du dix-neuvième siècle et de la première moitié du vingtième siècle. Depuis le règne du sultan Abdülhamid II (1876-1909) jusqu'aux débuts de la Syrie indépendante, en passant par la révolution jeune-turque de juillet 1908, la Première Guerre mondiale, le royaume arabe de Faysal, puis le mandat français et la Seconde Guerre mondiale, la vie de Muḥammad Kurd ʿAlī couvre ainsi une période au cours de laquelle les ordres international et régional furent bouleversés plusieurs fois, et notre auteur fut bien souvent témoin, et parfois acteur, de la vie politique et culturelle du *Bilād aš-Šām.*[2]

1. Traduction généralement admise pour le terme arabe « *muḏakkirāt* », forme au féminin pluriel du participe actif de la IIe forme de la racine « ḏ.k.r. ». Voir les dictionnaires établis par Daniel REIG (*Dictionnaire arabe-français*, Larousse, 1997) et Hans WEHR (*A Dictionary of Modern Written Arabic*, Librairie du Liban, 1980), ainsi que CHEIKH-MOUSSA, Abdallah, « L'écriture de soi dans les *Muḏakkirāt* de Ǧurǧī Zaydān », *Bulletin d'Études Orientales*, volume 37-38 (1985-1986), p. 24.

2. Parmi les biographies consacrées à la vie et à l'œuvre de Muḥammad Kurd ʿAlī, nous pouvons mentionner, en arabe : al-ALŪSĪ, Ǧamāl ad-Dīn, *Muḥammad Kurd ʿAlī*, Bagdad, Dār al-šu'ūn al-ṯaqāfiyya al-ʿāmma, Āfāq ʿarabiyya, 1986 ; al-DAHHĀN, Sāmī, *Muḥammad Kurd ʿAlī, ḥayātuhu wa āṯāruhu*, Damas, Maṭbūʿāt al-maǧmaʿ al-ʿilmī al-ʿarabī, 1955. Une biographie en allemand a été également publiée : HERMANN, Rainer, *Kulturkrise und konservative Erneuerung: Muhammad Kurd Ali (1876-1953) und das geistige Leben in Damaskus zu Beginn des 20. Jahrhunderts*, Heidelberg Orientalische Studien, Francfort, 1990. Il existe, en français, deux notices biographiques : PELLAT, Charles, "Kurd ʿAlī", dans *Encyclopédie de l'Islam*, 2e édition, Leiden, Brill, 1986 ; DAHAN, Sami, "Mohammed Kurd Ali (1876-1953). Notice biographique.", dans *Mélanges Louis Massignon*, tome 1, Institut Français d'Etudes arabes de Damas, 1956, pp. 379-394.

# RÈGLES DE TRANSLITTÉRATION DE L'ARABE ADOPTÉES DANS LA PRÉSENTE ÉDITION

## Consonnes

| | |
|---|---|
| ḍ..... ض | a..... ء |
| ṭ ..... ط | b..... ب |
| ẓ..... ظ | t..... ت |
| ʻ..... ع | ṯ..... ث |
| ġ..... غ | ǧ..... ج |
| f..... ف | ḥ..... ح |
| q..... ق | ḫ..... خ |
| k..... ك | d..... د |
| l..... ل | ḏ..... ذ |
| m..... م | r..... ر |
| n..... ن | z..... ز |
| h..... هـ | s..... س |
| w..... و | š..... ش |
| y..... ي | ṣ..... ص |

## Voyelles

| | |
|---|---|
| ā..... ـَا | a ..... ـَ |
| ū..... ـُو | u..... ـُ |
| ī..... ـِي | i..... ـِ |

L'Institut Français du Proche-Orient à Damas peut compter sur une équipe de chercheurs et de professeurs de haut niveau, et je remercie ceux d'entre eux qui ont bien voulu m'apporter leur aide, à un moment ou à un autre de mon travail d'édition : parmi ceux-ci, je pense en particulier à M. Jamal Chehayed, qui m'a aidé à déchiffrer certains passages du corpus et a assuré la traduction en arabe de mon introduction, ainsi qu'à Mmes Rim Al-Attrache et Dima Choukr, MM. Mohammed Bakhouche, Maher Al-Charif et Issam Chehadat. Mes remerciements vont également à M. Mamoun Saghirji, membre de l'Académie Arabe de Damas, qui a effectué une relecture minutieuse de l'ensemble du texte en arabe. Enfin, Mme Rana Darrous a assumé avec patience et précision le travail de mise en page.

M. Dominique Chevallier, Professeur émérite de l'Université Paris 4 – Sorbonne et ancien Pensionnaire scientifique de l'Institut Français de Damas, s'est éteint le 12 mai 2008 : qu'il me soit permis de saluer la mémoire du savant historien qui avait dirigé à Damas, en 1984, une étude de terrain riche d'enseignements sur Muḥammad Kurd `Alī, dans le cadre des émissions radiophoniques de France Culture.

Kaïs Ezzerelli

# REMERCIEMENTS

Cette édition est l'aboutissement de quatre années de travail (2004-2008) au cours desquelles j'ai pu bénéficier de l'appui de plusieurs personnes et institutions. Je tiens à leur exprimer ici mes sincères remerciements.

Ma reconnaissance va tout d'abord à MM. Mahmoud et Fawwaz Kurd Ali, petits-fils de Muḥammad Kurd `Alī, qui ont bien voulu me confier le corpus des mémoires de leur grand-père, à partir duquel j'ai effectué ce travail. Puissent-ils recevoir cet ouvrage à la fois comme un hommage posthume rendu à son auteur et comme un témoignage de mon amitié envers eux.

L'Institut Français du Proche-Orient (IFPO) à Damas m'a accueilli à plusieurs reprises depuis 1998, notamment dans le cadre d'une bourse d'aide à la recherche du département « études arabes, médiévales et modernes » (2005-2008), et ses directeurs m'ont apporté un soutien constant dans la réalisation de ce projet, depuis 2004 : j'adresse mes vifs remerciements à MM. Floréal Sanagustin, Jean-Yves L'Hopital, Pierre Lory et François Burgat, ainsi qu'à Mme Sarab Atassi, secrétaire scientifique de l'IFPO.

En 2007, alors que le travail éditorial était déjà bien avancé, le Secrétariat général des festivités pour « Damas 2008, capitale arabe de la culture » a proposé de réaliser ce projet en co-édition avec l'IFPO : pour la confiance qu'ils ont placée en mon travail, je tiens à remercier Mme Hanane Qassab Hasan, M. Hassan Abbas et Melle Yara Nseir.

Mme le Professeur Nadine Picaudou, qui dirige mes recherches doctorales en histoire du Proche-Orient contemporain à l'Université Paris 1 – Sorbonne depuis 2003, et M. Luc-Willy Deheuvels, Professeur d'arabe littéral à l'Institut National des Langues et Civilisations Orientales (INALCO), m'ont encouragé à mettre en valeur ce document dans le cadre universitaire et m'ont aidé par leurs conseils avisés : je veux leur exprimer ici toute ma gratitude.

*Cet ouvrage a été composé par la cellule des publications*
*de l'Institut Français du Proche-Orient*
*et achevé d'imprimer par Alif-Ba al-Adib*



*(Imprimé en Syrie, 2008)*

Institut Français du Proche-Orient

KAÏS EZZERELLI

# LES MÉMOIRES (*AL-MUḎAKKIRĀT*) DE MUḤAMMAD KURD ʿALĪ (1876-1953)

## cinquième tome

édition critique d'un corpus autobiographique

Texte et annotations en arabe, introduction bilingue, index et annexes




Damas
2008

Institut Français du Proche-Orient
*Direction scientifique des études médiévales, modernes et arabes*
UMIFRE 6, CNRS-MAE, USR 3135

B.P. 344 - Damas - Syrie
Téléphone : (963 11) 33 20 214
Télécopie : (963 11) 33 27 887
internet : www.ifporient.org
courriel : diffusion@ifporient.org



PIFD : 253
ISBN : 978-2-35159-076-8

# LES MÉMOIRES (*AL-MUḎAKKIRĀ*
# DE MUḤAMMAD KURD ‘ALĪ
# (1876-1953)
## cinquième tome

*AL-MUḎAKKIRĀT*

LES MÉMOIRES DE MUḤAMMAD KURD ʿALĪ (1876-1953)

cinquième tome

édition critique d'un corpus autobiographique

par Kaïs EZZERELLI







Texte et annotations en arabe,
introduction bilingue, index et annexes